



جمال شاهين

وهج

القتل غزة



منشورات

مكتبتي

الخاصة



روايات

قلب الوطن

٨

وهج

القتل

غزة

جمال شاهين

٢٠٢٥


منشورات
مكتبتي الخاصة
١٤٤٧- ٢٠٢٥
جمال شاهين
٨
روايات قلب الوطن
وهج القتل غرةٌ

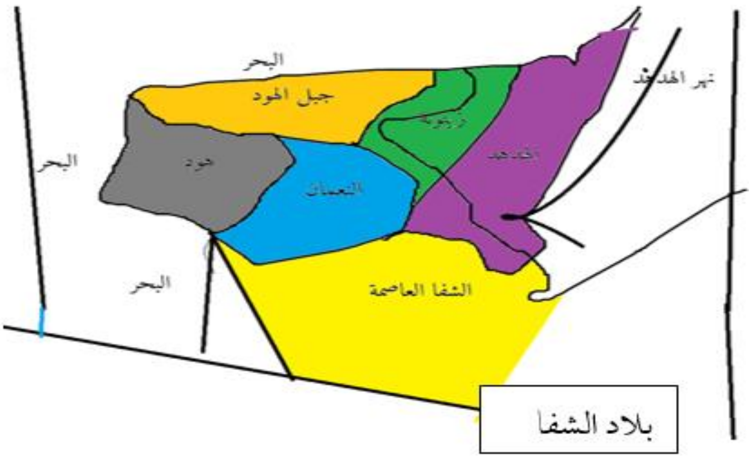
الاغتيالات مظهر من مظاهر الإرهاب ، ولعل منطقتنا العربية هي اكثر منطقة تعج حاليا بالاغتيالات، ما هي دوافع الاغتيالات لكل هذه الاغتيالات ؟

فقد يكون الدافع الشخصي وراء الاغتيال لسوء فهم بين القاتل والضحية ، وقد يكون الدافع سياسيا حيث تعمد قوة سياسية معينة منظمة أو دولة باغتيال شخصية سياسية بسبب مواقفها المعارضة أو لكونها عقبة تقف أمام الآخرين ، وقد يكون الدافع السياسي لغرض وقصد إشعال فتنة معينة تعقب الاغتيال ؛ حيث يكون المغدور ذا وزن سياسي ، وله من الأهمية والعصبة العائلية والحزبية ما يدعو إلى الانتقام والثورة ، وقد يكون الاغتيال حقدا من فرد أو دولة أو منظمة على شخص مسؤول في موقع سياسي أو امني بسبب كون تلك الشخصية تقف بقوة ضد منظمة معينة لها من المواقف ما يخالف ذلك السياسي ، وربما كان رجل الأمن المحترف او الذي يقود مؤسسة أمنية قد ابدع في التضييق على منظمات إجرامية كالمهربين والمافيا وأمثال هؤلاء من العصابات، وقد يكون الاغتيال بدوافع اقتصادية إما حقدا على شخص ثري ، أو لأن هذا الثري قد اكل مال مستضعف أو مستضعفين، أو للتأثير على السوق المالي في ذلك البلد اذا كانت الضحية ذات موقع اقتصادي متميز ، وقد يكون الاغتيال لدوافع اجتماعية وغالبا ما ترتبط بالثأر أو ما يسمى بالشرف ، وهي اغتيالات تقع بكثرة في التجمعات المحافظة ، وقد يكون الاغتيال بدوافع عقائدية ؛حيث يعتقد بعضهم أن هذا الاغتيال جهاد في سبيل الله ، وهو نوع من إزالة المنكر! هذه بعض الصور التي تقود إلى تحديد الدوافع التي تقف وراء الاغتيالات

وقد أزهقت هذه الاغتيالات شخصيات كثيرة في كل دول العالم ، ناهيك عن المحاولات الكثيرة التي فشلت في تحقيق أهدافها المقصودة .. فهل كان اغتيال قادة حماس في غزة والضفة قد اضعف الحركة الجهادية ؛ إن الاغتيال إحباط وكبت سياسي ، وهو عمل جبان للجبناء لعدم اعتماد الحوار أو تحمل الخلاف، وهو أسلوب فاشل بالضرورة في تحقيق الهدف ؛ لأن الضحية سيأتي بعدها من يكمل المشوار سواء كان مسؤول دولة أو زعيم حزب أو قائد مجموعة ، وبالتالي فإن الاغتيال الصهيوني مدان بكل المقاييس والعقلية والمنطقية، وهو تعبير عن المستوى غير المتحضر الذي قد تصله دولة أو منظمة أو فرد للتخلص من الخصوم

جمال شاهين

وهج القتل غِرة



اقتحام المسجد

قام المجرم الصهيوني المشهور عالميا بأرئيل شارون وأعضاء من الحزب الصهيوني اليميني الليكود في ٢٨سبتمبر من عام ٢٠٠٠ ، جنبا إلى جنب مع ألف حارس مسلح ، بزيارة استفزازية إلى المسجد الأقصى المبارك وتجول في ساحاته ، وقال متبجحا : إن الحرم القدسي سيبقى منطقة إسرائيلية ، مما أثار استفزاز المصلين الفلسطينيين المقدسين ، والأمر الذي دفع جموع المصلين إلى التجمهر ومحاولة التصدي له ، فكان من نتائجه اندلاع أول أعمال العنف في هذه الانتفاضة المقدسية حتى سميت تلك الانتفاضة انتفاضة الأقصى ، وتسبب بمظاهرة كبيرة من الفلسطينيين احتجاجا على هذه الزيارة ، وبدأ الفلسطينيون من الحرم القدسي برمي الحجارة على الشرطة الإسرائيلية ، التي قامت بإطلاق قنابل الغاز المسيل للدموع والرصاص المطاطي على الحشد مما أسفر عن مقتل ٧ شهداء وجُرح ٢٥٠ وأُصيب ١٣ جندي إسرائيلي وكانت هذه بداية أعمال الانتفاضة ، ومع بداية انتفاضة الأقصى ، أسس ما يعرف بلجان المقاومة الشعبية والتي شكلت جناحًا عسكريًا أطلقت عليه ألوية الناصر صلاح الدين ، وفيه نشطاء من فصائل مختلفة جلهم من فتح وبعضهم من حماس والجهاد الإسلامي .

وتميَّزت هذه الانتفاضة مقارنة بسابقتها بكثرة المواجهات المسلحة وتصاعُد وتيرة الأعمال العسكرية بين المقاومة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي ، راح ضحيتها حوالي ٤٤١٢ فلسطينيًا و٤٨٣٢٢ جريحًا وأما خسائر الجيش الإسرائيلي فكان تعدادها ٣٣٤ قتيلا ومن المستوطنين ٧٣٥ قتيلا، ليصبح مجموع القتلى والجرحى الإسرائيليين ١٠٦٩ قتيلا و٤٥٠٠ جريحا، وعطب ٥٠ دبابة من نوع ميركافا وتدمير عدد من الجيبات العسكرية والمدرعات الإسرائيلية ، ومرت مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة خلالها وبعدها بعدَّة اجتياحات إسرائيلية عسكرية منها عملية الدرع الواقي وأمطار الصيف والرصاص المصبوب ، تميزت الانتفاضة الثانية بكثرة المواجهات بين الفصائل الفلسطينية والجيش الإسرائيلي ، وتصاعدت وتيرة الأعمال العسكرية بين الطرفين، فنفذت الفصائل الفلسطينية والأجنحة العسكرية العديد

من العمليات الاستشهادية داخل المدن الإسرائيلية ، فاستهدفت نقاط التفتيش الأمنية والمطاعم والحافلات ، فتسببت بمقتل مئات الإسرائيليين، ووصلت ذروته عام ٢٠٠٢ بمعدل ٢٢ من الوفيات شهرياً .

يعتبر الكثير من المراقبين قمة شرم الشيخ في ٨ فبراير ٢٠٠٥ نهاية الانتفاضة الثانية باتفاق الرئيس الفلسطيني الوراث لياسر عرفات المغتال كما قيل قبل سنة كما سيأتي لاحقا محمود عباس ورئيس الوزراء الصهيوني الإسرائيلي أرئيل شارون على أن جميع الفصائل الفلسطينية ستوقف جميع أعمال العنف ضد الإسرائيليين في كل مكان ، بينما توقف إسرائيل كل نشاطها العسكري ضد الفلسطينيين في كل مكان ؛ كما أكدوا مجدداً التزامهم بخريطة الطريق لعملية السلام، وافق وقبل شارون على إطلاق سراح ٩٠٠ أسير فلسطيني من بين ٧٥٠٠ محتجز في ذلك الوقت ، والانسحاب من مدن الضفة الغربية التي أعيد احتلالها خلال الانتفاضة المقدسية ، إلا أن مراقبين يرون أن الانتفاضة الثانية لم تنته لعدم توصل الفلسطينيين والإسرائيليين إلى أي حل سياسي ، واستمرار المواجهات في مدن الضفة.



اهم الخسائر الإسرائيلية في الحرب انعدام الأمن في الشارع الإسرائيلي بسبب العمليات الاستشهادية ، ضرب السياحة في إسرائيل بسبب العمليات الانتحارية ، تمكن أعضاء من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي (زئيفي) وكان فيها مقتل قائد وحدة الهبوط المظلي الإسرائيلي في معركة مخيم جنين ، تحطيم مقولة الجيش الذي لا يُقهر في معركة مخيم جنين الذي قتل فيها ٥٨ جنديا إسرائيليا وجرح ١٤٢.

***

وفي سواحل بلاد الشفا خاصة مدينة هود تعرضت سفينة صغيرة قادمة من أمريكا اللاتينية لانفجار قرب سواحل هود ودمرت السفينة بالكامل ، وقتل كل طاقمها حسب ما ظهر

إعلاميا ، واختلف في سبب الانفجار فقيل إنها تعرضت لصواريخ من طائرة صهيونية ، وقيل إنها كانت تحمل أسلحة وذخائر من كوبا ودول أمريكا اللاتينية ، والأغرب أن البوليس لم يعرف لمن كانت السفينة مرسلة من أهالي هود أو بلاد الشفا أو غير ذلك من البلاد .



كان رجل الأعمال الكبير المعروف في كل بلاد الشفا المهندس الهيثم روح الفضل بعد الحادث الخطير لسفينة الأسلحة في مدينة هود حيث زار عدة مصانع يملكها في المدينة كمصنع الأدوية شركة الحسن بن الهيثم لصناعة الدواء ، ثم زار شركة العقارات والإنشاء شركة سنان للتعمير ، ثم مر على شركة الأسماك القريبة من مرفأ هود واتصل بصياد بحري يؤمن للشركة السمكية الأسماك الطازجة بشكل يومي من مراكبه أو مراكب صيد آخرين ، ولما حضر الصياد الرجل النحيف ذو العين الواحدة حمدي أبو سلمى ، وجرى بينهما جرد حساب بين أعين أفراد المكتب والشركة وقدم المحاسب زكريا المرافق للهيثم عدة شيكات لحمدي على عدة بنوك وطنية وانصرف المحاسب متجها للعاصمة الشفا ، اتفقا على تناول الغداء في مطعم قرب الميناء مشهور بطهي وشوي السمك على الفحم ، وكان الوقت عصرا وبعد الغداء وشرب الشاي ذهبا للمسجد لصلاة العصر مع جموع المصلين والجامع قرب البحر جامع بحر هود ولما انتهت الصلاة مع الناس قال المهندس : ما القصة ؟

ـ بالضبط لا اعرف يا سيدي ! قبل أن تدخل السفينة الميناء انفجرت ، بعضهم أي بعض مراكب الصيد القريبة من الحادث قالوا رأينا صوت انفجار ودخان يملأ السماء ، ولاحظوا وجود طائرات حربية في عنان السماء .. وقبل أن يقتربوا من السفينة كانت اختفت من شدة الحريق والانفجار ، ورجال الإطفاء وخفر الميناء قالوا السفينة تحمل ذخائر وأسلحة والذخيرة سبب الانفجار لسوء التخزين .

ـ أين كانت هذه الذخائر ستصل ؟

ـ كنا سنرسلها لمصر وصور ، وكانت السفينة قادمة من كوبا وعليها علم البرازيل

ـ أنا تابعت أخبارها في الصحف العالمية ، ولم يكن هناك الكثير من المعلومات عنها ، وصحف إسرائيل ذكرت الحادث بدون إضافات ، وعادة كما نعلم أن اليهود يتأخرون بنشر معلوماتهم واعترافهم حتى يروا ما يقول العالم قبل الإفصاح الكامل .. المهم نحن بعيدون عن المسائلة !

ـ لم يعرف احد هنا أن السفينة قادمة لهود ؛ لأنها لم تصل الميناء بحجة التزود بالوقود والماء والطعام

ـ على كل اذا جد جديد فاخبرني بطرقنا الخاصة

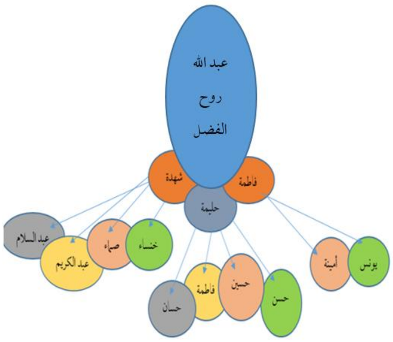
ونهضا وغادرا الجامع ودفع لحمدي شيكا من حساب شركة الإعمار

رحيل عائلة روح الفضل

كثير من عائلات المدن الشامية كلها أتت من شمال إفريقيا أو من جزيرة العرب بحثا عن الأرزاق أو الخدمة في الجيوش العثمانية لنيل شرف الجهاد في سبيل الله ، سواء تطوعا أم تجنيدا إجباريا ، وكذلك المغاربة والأفارقة يأتون للتجارة والحج ، وكما كانوا يهاجرون من أسيا والقوقاز ويستقرون في مدن سواحل الشام والبحر ، فتجدهم في أنطاكيا واللاذقية وطرسوس وطرابلس وبيروت وصيدا وصور وعكا وحيفا ويافا وغزة ، الكثير من تلك العائلات تعود أصولها لشمال أفريقيا ، فبيروت مثلا كانت اكثر عائلتها من الشام دمشق أو حلب أو المغرب فهذا امر طبيعي تلك الأيام ، فالبلاد دولة واحدة ، والتنقل لا يحتاج لجواز سفر ، فكلهم رعايا دولة الخلافة أو أحلاف لها ، وقد يأتي الناس للمدن كجنود وإدارة وتجارة ، فعائلة روح الفضل قيل إنهم من سواحل ليبيا والجزائر .. لذلك تجد لهذه العائلة الكبيرة وغيرها امتدادات في صور وغزة ويافا والشفا وكثير من المدن فهي في الأصل قبائل وأفخاذ عربية ، واهل السواحل يعشقون البحر سواء للتجارة والتنقل عن طريقه بالمراكب أو لصيد البحار ، فترى أن كثيرا من طعامهم لحوم السمك بمسميات كثيرة .

عبد الله روح الفضل ابن عائلة كبيرة اسمها عائلة روح الفضل ذات الأصول الأفريقية على

الأظهر ، استقر والده في مدينة يافا في أواخر زمن الدولة العثمانية ، وهو من أهل التجارة والمال كأغلب سكان يافا ، ولما حدث الاستعمار البريطاني ثم سموه الانتداب باحتلال فلسطين وسوريا كلها وانحسار الحكم الإسلامي المتمثل بالدولة العثمانية بسبب الهزيمة الكبرى في الحرب الكونية الأولى أصبحت القبائل والعوائل في عدة دول حسب تقسيمات سايكس بيكو ، وظهر لسكان فلسطين وأثريائها أن اليهود على علاقة قوية مع الإنجليز وأن هناك مشروعا صهيونيا حقيقيا لاغتصاب فلسطين انتقل بعض رجال عائلة روح الفضل من يافا لمنطقة رام الله قرب القدس للتجارة والبيع ، وبدأت تظهر مظاهر الوجود الإسرائيلي للعيان ، فقامت بعض عائلات ذات أصول سورية ولبنانية بترك فلسطين لبلادهم الأصلية ، تزوج عبد الله روح الفضل فتاة اسمها فاطمة والدها من مدينة القدس من أسرة مغربية ، وفي سنة ١٩٤٨ ولدت له ابنه الأول يونس وكان الكثير من تجار يافا نقلوا تجارتهم لمدن الضفة الغربية قبل حدوث الكارثة المتوقعة



لذوي البصر ، وقبل تسميتها بالضفة الغربية ؛ فهذا الاسم حدث لما اتحدت مع مملكة شرق الأردن بقيادة الملك عبد الله ، وفي عام ١٩٥٠ أنجبت فاطمة له بنتا سماها أمينة ، ثم فقد الأم بعد الولادة بشهر ونصف ، وبعد مرور أربعين يوما على وفاتها تزوج امرأة اسمها حليمة عبد الكريم روح الفضل من لبنان ؛ حيث كان في زيارة تجارية لصور ؛ حيث يكثر فيها أفراد من عائلة روح الفضل قبل النكبة الفلسطينية ؛ وحيث انتقل إليها أقرباء نتيجة النكبة الفلسطينية فزوجه عمه عبدالكريم روح الفضل من ابنته حليمة سنة ١٩٥٠ ، ورجع بها لرام الله المقدسية وكانت أما لطفلية يونس وأمينة ، وولدت هي الأخرى له ذكرا ابنها البكر فسماه حسنا سنة ١٩٥١ وبعده بعامين أنجبت له حسينا ثم فاطمة ؛ ولكن قبل وجود فاطمة كان في تجارة لغزة المدينة ؛ وليس القطاع ؛ لأن القطاع كان تحت الإدارة العسكرية المصرية بعد النكبة وفيما بعد

سمي قطاع غزة ؛ لأنه جزء صغير من محافظة غزة العثمانية أو الإنجليزية ؛ كما اتخذت الأردن الضفة أخذت مصر القطاع ، وهو جزء من غزة التي تقع جنوب فلسطين ، فتزوج السيدة شهدة محمد روح الفضل ، قد كان من العادة عند زيارة مدينة ، وله فيها أقارب المبيت والنزول في ضيافتهم وهم يفعلون ذلك ، ولما قضى مصالحة التجارية في غزة عاد بها زوجة ثانية ؛ لأنه فقد زوجته الأولى فاطمة بعد ولادتها لأمينة التي تزوجها في رام الله بعد انتقال والده وبعض الأسرة إليها نتيجة أحداث ومظاهرات يافا واعتداءات اليهود على التجار ونهب المتاجر في ظل الانتداب الظالم ، عاد الرجل لرام الله التابعة للقدس بزوجة حامل ولم تكد تستقر في رام الله حتى وضعت ابنتها الأولى سميت خنساء عام ١٩٥٤ ، وكان قد تزوج أمها ٥٣ قبل عام تقريبا ، وفي السنة التالية ولدت حليمة ابنتها فاطمة سماها على اسم زوجته الميتة بعد النكبة بعد ولادة متعسرة كما قيل وذلك سنة ٥٥ ، وولدت شهدة سنة ٥٦ الصماء ثم عبد الكريم ٥٧ وختمت بعبد السلام سنة ٥٩ ، وأما حليمة فانقطعت عن الحبل حتى وضعت طفلا سنة ١٩٦٠ سموه حسان ، هذه مواليد عبد الله روح الفضل كما رويت في سيرة عبد الله روح الفضل ، فقد انجب عشرة بطون ؛ ولكنها من ثلاث زوجات ، وهناك أمهات فلسطينيات ولدن اكثر من ذلك ، فأعرف أناسا ولدن أربعة عشرة مولودا من زوجة واحدة ، وغيره كثير ، فكان يلاحظ أن نساء جيل النكبة يلدن الكثير من الأبناء ، بعكس ما نراه اليوم من قلة مواليد الأنثى الواحدة رغم أن كثير من ولادات الهجرة كانت تتم في البيوت ودون الرعاية الصحية السليمة ؛ فكان الأطفال يولدون على أيدي القابلات اللواتي يسمين (الدايات) ولعلها اقدم مهنة في التاريخ البشري ، فالسيد عبد الله انجب عشرة من ثلاث نساء ، لم يستمر عبد الله ساكنا في فلسطين ، بعد ترمل صهره محمد علي الشبندر الغزاوي روح الفضل ، انتقلت شهدة محمد علي وأولادها الأربعة لغزة للعيش مع أبيها الأرمل وكانت اكبر بناته ، وكانوا تحت رعاية أقارب وأعمام عبد الله الذين استقر بهم المقام فيها ، وكان هو قد هبطت عليه الأمراض حتى عجز عن إتيان النساء ، ربما للكبر أو أمراض السكري والضغط وغير ذلك من الأسقام وفي منصف عام ١٩٦٣ باع

أعماله وعمارته في رام الله ورحل لصور بزوجته حليمة وأطفاله الأربعة منها ومن فاطمة ابنه البكر يونس وأمينة وبعد حرب ٦٧ بسنوات توفاه الله وكانت ذلك سنة ٧٠ ، وكان ابنه البكر يونس انتقل للشفا عند أقارب لهم لدراسة الطب في جامعة الشفا ولم أنهت أمينة الثانوية العامة كشقيقها انتقلت للدراسة في الشفا لدراسة الطب مثل شقيقها ، واستقرا فيها للدراسة وللزواج من أقاربهم فيها ولم يرجعا للبنان ، فقد ترك لهم والدهم من المال الكثير ، وكان ابن عم لأبيهم مستقرا فيها فقد اشترى لهم شقة للعيش فيها حتى ينتهيا من دراسة الطب ، ولم يعودا للبنان بعد ذلك إلا كزائرين ، وتزوجا في الشفا من أقاربهم آل روح الفضل ، وقد استقرا فيها بقرب عائلات من أسرة روح الفضل التي كانت مستقرة في البلاد أولا وبعدما جاء آخرون بعد النكبة ثم تزوج يونس طبيبة من نفس العائلة واخته بالمثل فأصبحت الشفا لهم وطنا آخر

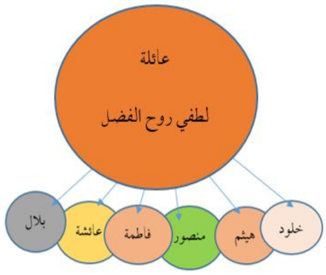
***



كانت عائلة روح الفضل تجعل الزواج من نفس العائلة الكبيرة أولية منذ ظهرت هذه القبيلة على الأرض ، وكانوا أحيانا يغربون النكاح فيزوجون بناتهم لغير العائلة سواء في فلسطين أم لبنان أم الشفا لم يبقوا مستمرين على العادة القديمة ؛ وربما النكبة الفلسطينية غيرت الكثير من عادات الناس ، فلقد اختلطت القرى والمدن في بلاد المهجر والمخيمات حتى أن المخيمات كان يراعى فيها سكن الأهل واهل القرية الواحدة متجاورين لنفس القرية أو المدينة ، يكونون في بيوت متجاورة متلاصقة فاضطروا للتزاوج من بنات القرى الأخرى أو من بنات المدن الكبيرة ، فكان هذا قبل النكبة من الأمور الصعبة والمعقدة ، كان من الصعب أن يتزوج ابن قرية من بنت مدينة والعكس صحيح ، لكن النكبة شجعت التزاوج من أي قرية أو بلدة وحتى من بلاد

المهجر فكثر زواج فلسطيني من لبنانية أو لبناني من فلسطينية وحتى كانت تحدث زيجات من بنات طوائف أخرى وهذا قبل النكبة كان من الصعوبة بمكان .

ذكرنا أن يونس عبدالله سافر إلى الشفا لدراسة الطب ولما مات والده أثناء الدراسة استقر مقيما في الشفا وكذلك شقيقته أمينة لم يعد يربطهم شيء في صور إلا اسم العائلة الكبير ، تزوج من الدكتورة خلود لطفي حسين روح الفضل ، وللطفي روح الفضل الطبيب ستة من الأبناء وهم الطبيبة خلود والمهندس هيثم والمهندس



منصور والمعلمة فاطمة والطبيبة عائشة واصغرهم بلال ويحمل شهادة في الاقتصاد والتجارة ، وأما الدكتورة أمينة فزوجها صلاح الدين محمود روح الفضل تخرج من الأزهر المصري دكتور شريعة وأنجبت له أمينة ابنته الكبرى سعاد طبيبة بشرية عام ٢٠٠٠ ثم الطبيبة سلوى ثم الدكتور سارية دكتور شريعة كوالده وبعض أعمامه ثم المهندس سميح وختموا بعبيدة تعلم تجارة وسياسة .



***

تزوجت خنساء عبد الله روح الفضل وحفيدة محمد علي الشبندر روح الفضل عام ١٩٧٠ من ابنته شهدة وكانت ابنة ستة عشر عاما ، وكان زوجها عايش إبراهيم مدرسا في وكالة الغوث من سكان خان يونس ابن عم أمها شهدة السيد إبراهيم الشبندر روح الفضل شقيق محمد علي ، وولدت له تسعة من العيال ، واهل غزة كما هو معلوم كانوا يعانون من الحكم العسكري المصري قبل الحكم والاحتلال الصهيوني بسبب روح المقاومة لهذا العدو الغاصب ، وكان من تقاليد فلسطين زواج البنات في سن مبكرة ، لكن التعليم بدأ يؤخر زواج الذكر والأنثى ، وكان اغلب زواج الفلاحين قبل الهجرة في الصيف بعد نهاية موسم حصيد القمح والحبوب .

كانت أحداث فلسطين التي ختمت بالنكبة المشهورة قد تسببت بهجرة ما يقارب مليون فلسطيني من مدن الساحل الفلسطيني نحو الشرق أو الشمال لبنان وسوريا ؛ فهؤلاء إما فروا من المعارك غير المتوازنة أو طردوا من الأراضي التي أقيمت عليها دولة إسرائيل الصهيونية والتي احتلتها خلال حرب ١٩٤٨ – ١٩٤٩ ، تعهد زعماء العرب في تلك الفترة الزمنية بتدمير الدولة الوليدة ، واعتقدت القيادة الصهيونية أنه إذا كان لبلدهم الهشاشة والضعف أي فرصة للبقاء على قيد الحياة ، يجب أن يكون هناك أقل عدد ممكن من العرب داخل حدودها ، كان هذا هو الأساس المنطقي وإن كان هذا سيشكل موضع تساؤل أخلاقياً وراء كل من عمليات الطرد والرفض الشامل للسماح لأي لاجئ بالعودة على الإطلاق ، ولتقاعس الزعماء في نصرة فلسطين فما زالوا يدفعون الثمن من الحروب الأهلية والصراعات على كراسي الحكم والتمزق والتشرذم وما زال الثمن باهظا ، ويعانون من عدم الاستقرار السياسي والأمني والعجز الاقتصادي والفقر والبطالة والبيوت المتهالكة في الكثير من بلدان العرب .

وكما هو معروف للقاصي والداني تم توطين اللاجئين في غزة بقطاع مساحته ١٤١ ميلاً مربعا تشكل على طول الساحل الجنوبي الغربي لفلسطين الانتدابية نتيجة حرب ١٩٤٨ – ١٩٤٩ ، التي تسيطر عليه مصر حتى عام ١٩٦٧ وإسرائيل منذ ذلك الحين ، والضفة الغربية ، الاسم الذي أطلقه الأردن على المنطقة التي سيطر عليها بمساحة ٢٢٧٠ مربعاً بعد حرب عام ١٩٤٨ في فلسطين الانتدابية سابقا ؛ ثم استولت إسرائيل على هذه الأرض في عام ١٩٦٧ ، وهناك مخيمات أخرى متداعية في الدول العربية المجاورة حيث صرخت الأنظمة الحاكمة بأنها سوف تمسح الصهاينة من الخريطة في النهاية ، وإعادة الفلسطينيين إلى وطنهم ؛ لكن هذا التبجح كان في الغالب تشدق خطابياً ، في الواقع فرضت تلك الأنظمة ظروفا قاسية خاصة بها على اللاجئين التُعساء، الذين غالبا ما لم يكن لديهم أي حقوق ولا يحكمون على سير حياتهم ، ولا يوجد آفاق للتعليم العالي أو العمل اللائق ، وكانت الظروف المعيشية سيئة وكذلك الصحة العامة وحتى

الأمن الغذائي كان معدوما ، اللاجئون الذين تدفقوا على قطاع غزة خلال حرب ١٩٤٨ – ١٩٤٩ ضاعفوا عدد سكان المنطقة ثلاث مرات ، من ٧٠,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٤٥ ، ارتفع العدد إلى حوالي ٢٤٥,٠٠٠ في عام ١٩٥٠ ، وبحلول عام ١٩٦٧ كان هناك ٣٥٦,٠٠٠ نسمة ، وبحلول عام ٢٠١٥ كان هناك ١,٧١٠,٠٠٠ ، واليوم ٢٠٢٤ قرب مليونين وربع .

أصبح اغلب اللاجئين عديمي الجنسية ، وطردوا من بلادهم قسرا ، ويحيون حياة بؤس وشقاء ولكنه يتفاوت من مدينة إلى أخرى ، والسكان الفلسطينيون المواطنون في القرى والمدن في الضفة الغربية وغزة ما زالوا يعتبرون أنفسهم شعباً ، وفي المخيمات القذرة نظم المقاتلون الشباب أنفسهم في حركات قومية مدفوعين بفخر الذات وكراهية إسرائيل .

***

تعرضت غزة والضفة إلى حصار وتدمير من شارون زعيم إسرائيل الصهيوني للقضاء على السلطة الفلسطينية وقد حوصر زعيم السلطة رغم اعترافه ومنظمته بحق إسرائيل في العيش في فلسطين في المقاطعة مركز حكمه سنوات انتهت في مطلع ٢٠٠٤ ، وسميت هذه الحرب بالانتفاضة الثانية أو انتفاضة الأقصى التي تسبب بها شارون المجرم قبل أن يحمل حقيبة رئيس الوزراء .

الانتفاضة الفلسطينية الثانية أو انتفاضة الأقصى، اندلعت في ٢٨سبتمبر ٢٠٠٠ قبل أحداث سبتمبر الأمريكي بسنة ، وتوقفت فعلياً في ٨ فبراير ٢٠٠٥ بعد اتفاق الهدنة الذي عقد في قمة شرم الشيخ والذي جمع الرئيس الفلسطيني المنتخب حديثاً محمود عباس ورئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون، الذي قضى سنوات في المرض حتى خمج وهلك عام ٢٠١٤ ، وتميزت هذه الانتفاضة مقارنة بسابقتها انتفاضة ١٩٨٧بكثرة المواجهات المسلحة وتصاعد وتيرة الأعمال العسكرية بين المقاومة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي ، راح ضحيتها حوالي ٤٤١٢ فلسطينيًا و٤٨٣٢٢ جريحًا ، ومرت مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة خلالها بعدّة اجتياحات إسرائيلية منها عملية الدرع الواقي وأمطار الصيف والرصاص المصبوب ، كانت شرارة

اندلاعها دخول زعيم المعارضة الإسرائيلية آنذاك أرئيل شارون إلى باحة المسجد الأقصى برفقة حراسه ، الأمر الذي دفع جموع المصلين إلى التجمهر ومحاولة التصدي له ، فكان من نتائجه اندلاع أول أعمال العنف في هذه الانتفاضة ، يعتبر الطفل الفلسطيني محمد الدُرّة رمزًا للانتفاضة الثانية ، ظهرت مشاهد إعدام للطفل (١١ عامًا) للعيان الذي كان يحتمي إلى جوار أبيه ببرميل إسمنتي في شارع صلاح الدين جنوبي مدينة غزة.

قامت إسرائيل بعملية الدرع الواقي للجم الانتفاضة الثانية باحتلال ومهاجمة مدن السلطة الفلسطينية سلطة أوسلو عقب قيام العسكري الفلسطيني عبد الباسط عودة بتنفيذ عملية فندق بارك التي تعد أضخم عملية تفجيرية دموية في تاريخ إسرائيل ، كان الهدف الرئيسي من عملية الدرع الواقي هو القضاء نهائيًا على الانتفاضة الفلسطينية الثانية ، وقد انطلقت العملية في ٢٩ مارس ٢٠٠٢ وانتهت في ١٠مايو ٢٠٠٢ ، كان من أهداف هذه العملية العسكرية إنهاء العمليات الاستشهادية داخل إسرائيل لكن طوال فترة العملية لم تنجح العملية بصورة ملحوظة في خفض تلك العمليات ، بعد انتهاء العملية العسكرية الدرع الواقي وانسحاب الجيش الإسرائيلي شرعت الحكومة الإسرائيلية ببناء الجدار العازل.

في غضون ذلك، تعرض ياسر عرفات من قبل الإدارة الأمريكية وإسرائيل لحملة لإقصائه عن السلطة أو إبعاده وإضعافه عن مركز القرار فيها بدعوى تحميله مسؤولية ما وصلت إليه الأوضاع في أراضي السلطة من تدهور ، ففي يوم ٢٤ مايو ٢٠٠٢ طلب الرئيس الأمريكي جورج بوش تشكيل قيادة فلسطينية جديدة ، فرضت إسرائيل حصارًا على مقر الرئاسة الفلسطينية حيث يتواجد الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ، وبقي الرئيس الفلسطيني محاصرًا في المقر حتى نهاية أيام حياته ؛ حيث لم يسمح له بالخروج إلا للسفر لتلقي العلاج بعد أن تم تسميمه ومن ثم وفاته عام ٢٠٠٤ .

استطاع الجيش الإسرائيلي بتاريخ ١٦فبراير ٢٠٠٣ اغتيال القائد نضال فرحات ، وهو قائد عسكري كبير في كتائب الشهيد عز الدين القسام ، وهو يحاول تجهيز طائرة القسام بدون طيار

أبابيل ١ ، وينسب إليه اختراع صاروخ القسام مع آخرين ، في ٢١مايو من نفس العام ، استولت البحرية الإسرائيلية على قارب صيد "أبو حسن" استخدم لتهريب الأسلحة إلى قطاع غزة ، فقد كان القارب يبحر من لبنان إلى مصر حاملاً خبير متفجرات من حزب الله متجه إلى غزة ، ضبطت القوات البحرية السفينة في المياه الدولية قبالة مدينة حيفا بشمال إسرائيل ؛ كما تمت مصادرة أقراص كمبيوتر مدمجة مع تعليمات حول كيفية إعداد المتفجرات وأجهزة تفجير القنابل ، وقامت وحدة خاصة إسرائيلية عالية التدريب تدعى وحدة يمام باغتيال المجاهد القسامي عبد الله القواسمي في ٢١حزيران ٢٠٠٣ ، وهو قائد عسكري في كتائب عز الدين القسام والمسؤول عن العديد من عمليات المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي ، مما اعتبره الاحتلال آنذاك المطلوب رقم واحد لديه .

في ١٩ أغسطس ، نفذت كلًا من حركة حماس والجهاد الإسلامي هجوما انتحاريا على حافلة مزدحمة في القدس أسفرت عن مقتل ٢٣ مستوطنا إسرائيليا ، وكانت العملية بمثابة إنهاء الهدنة التي تم الإعلان عنها في يوليو ٢٠٠٣ م ، وفي ٢١أغسطس من نفس العام ، اغتالت القوات الإسرائيلية القيادي إسماعيل أبو شنب من حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، بقصف سيارته بغزة .

***

وفي مطلع عام ٢٠٠٣ اغتالت إسرائيل قادة كبار من حركة حماس ، لا تكاد تهدأ الأوضاع في فلسطين حتى تثور ، منذ أقام الاستعمار دولة للصهاينة والحرب مستعرة لا تكاد تتوقف ، الاغتيالات كانت تطال أبطال المقاومة في بيروت وسوريا وتونس ، دولة تحيا على الحرب الدائمة والقتل بزعم تحقيق الأمن لشعب إسرائيل الصهيوني ، ولم يتحقق الأمن المزعوم لليوم ولن يتحقق بإذن الله إلا بزوال الاحتلال ، وهذا ديدن كل محتل ، ولذلك تحدث الغارات القاتلة للقادة وغير القادة ، ويقابلها المجاهدون بمزيد من عمليات الاغتيال والتفجير ، كانت أعمال الاغتيال في غزة حفلات أفراح رغم الحزن والألم ؛ ولكن الشهادة غاية للمسلم العادي فكيف بالمقاتل المجاهد ؟! فإذا قتل فهو بطل رغم الحزن للفقد ، ولكنه فخر وفوز بالشهادة له ولأهله ولوطنه ، وما زال شعب فلسطين يمجد شهداء ما قبل النكبة كالقسام وحسن سلامة والسعدي وحجازي والزير وجمجوم وغيرهم وتكتب بقصصهم الأمجاد والقصائد والأغاني ، فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، وهذا دارج في اكثر العائلات ، فكان محمد علي الشبندر يتلقى التعزية والتهنئة بموت حفيده محمد ابن ابنته الصماء اثر غارة صهيونية على موقع للمجاهدين ، فلقد كانت فصائل الجهاد كثيرة في غزة وأكثرها عددا بالمقاتلين والشهداء كتائب القسام التابعة لحركة حماس الإسلامية ، ثم سرايا القدس جناح الجهاد الإسلامي العسكري ، وكل الفصائل تقدم الشهداء والأبطال ، كان محمد احد أبناء الصماء بنت محمد على الشبندر وكان ذلك العزاء في مطلع العام ٢٠٠٣ .

كان الشيخ موسى خليل يقول لمحمد علي : كيف صحتك اليوم ؟

ـ الكبر متعب يا أبا خليل

ـ لم تصل المائة أبا محمود !

ـ قريب من التسعين

ـ أراك ما زلت شابا ! أنا عندي اليوم ثمانين سنة .

تنهد الشيخ محمد علي : منذ شببنا ونحن نشاهد الحرب والشهداء أنا كنت أيام الثورة الأولى (ثورة فلسطين عام ١٩٣٦) شابا صغيرا يستعد للزواج .. كنت ابن ١٦ سنة .. تزوجت وأنا في عمر الخنساء بنت ابنتي شهدة أم عبد الكريم لما تزوجت الأستاذ عايش ابن أخي إبراهيم - المدرس في مخيم خان يونس .. نسال الله حسن الخاتمة ، فقدنا الزوجات والأبناء والبنات والأحفاد

- لا تأسفن على شيء يا أبا محمود ..كله بأمره .. كثرت محاولات اغتيال شيخ المجاهدين قال الإمام المعروف الشافعي

لا تأسفن على غدر الزمان لطالما ... رقصت على جثث الأسود كلاب

لا تحسبن برقصها تعلو على أسيادها ... تبقى الأسود أسوداً والكلاب كلاب

تموت الأسد في الغابات جوعاً ... ولحم الضأن تأكله الكلاب

وذو جهل قد ينام على حرير ... وذو علم مفارشه التراب

قال الشيخ موسى : أحسنت أحسنت! اليهود لا أمان لهم ، ولا يؤمنون بالسلام والوئام .. هم قتلة الأنبياء ، لا يخدع المرء بعهودهم وتعهداتهم .. فما زالت فلسطين تنجب الشهداء والأبطال حتى يندحر العدو ، ويعود كل مجرم منهم لبلده التي هاجر منها الإباء والأجداد ستستمر الأحوال حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا

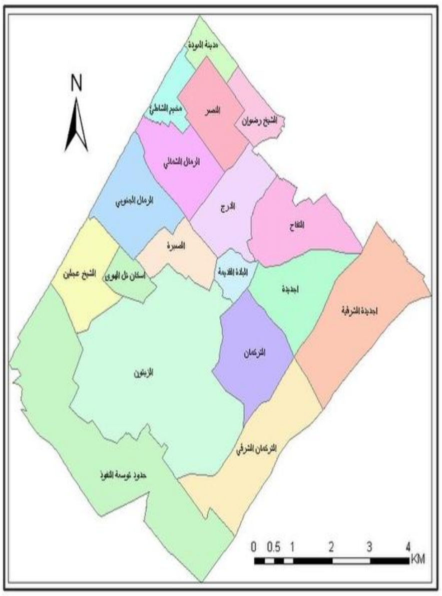
- لابد من نهاية لهم .. لكل شيء أول وآخر .. وسيدرك أحفادنا ذلك لا محالة .. رحم الله الشيخ احمد وكل الشهداء

***

قال الشيخ القائد أحمد ياسين في آخر مقابلة تلفزيونية معه: " إننا طلاب شهادة لسنا نحرص على هذه الحياة، هذه الحياة تافهة رخيصة، نحن نسعى إلى الحياة الأبدية " حقق الشيخ أحمد ياسين أمنيته الكبرى في الانضمام إلى مواكب الشهداء .. وحصل ما تمنى .

ففي يوم الثالث عشر من حزيران عام ٢٠٠٣ أعلنت المصادر الإسرائيلية أن أحمد ياسين لا

يتمتع بحصانة وأنه عُرضة لأي عمل عسكري إسرائيلي ، فتعرض في ٦ سبتمبر عام ٢٠٠٣م الموافق يوم السبت لمحاولة اغتيال إسرائيلية حين استهدفت مروحيات الجيش الإسرائيلي شقة في حي الدرج شمال مدينة غزة بقنبلة زنة ربع طن كان يوجد بها أحمد ياسين وكان يرافقه إسماعيل هنية رئيس الوزراء اللاحق ؛ حيث حلقت طائرة مقاتلة إسرائيلية من طراز اف ١٦ وأخرى من طراز أباتشي على مستوى منخفض في سماء المنطقة ، وأطلقت قذيفة صاروخية على منزل مروان أبو رأس المحاضر في الجامعة الإسلامية المقرب من حركة المقاومة حماس ، سقطت القذيفة بعد لحظات من مغادرة أحمد ياسين المنزل ، أصيب ثلاثة فلسطينيين على الأقل بجراح في الهجوم ، وفي محاولة أخرى أصاب الصاروخ شقة في عمارة سكنية من ثلاث طوابق مما أدى إلى تدميرها بشكل كامل إلا أن أحمد ياسين خرج منها سالماً رغم الدمار الهائل الذي لحق بالبيت، وقد خرج الشيخ ياسين من هذه المحاولة أيضاً أشد إصراراً على مواصلة



خريطة(٣) أحياء مدينة غزة

المسيرة الجهادية ؛ حيث لم تكن إصاباته إلا بجروح طفيفة في ذراعه الأيمن ، وأبى رفع الراية البيضاء ولم تدنو ساعة الشهادة بعد ، ثم جاءت في يوم الاثنين غرة صفر١٤٢٥ هـ الموافق ٢٢ مارس عام ٢٠٠٤م ، في حي الصبرة في مدينة غزة ، وكانت عائلة الصبرة تقوم على تكية الشيخ سالم إلى عهد قريب ، ومن عائلاته حمدقه والخور ودغمش، وأبو عصر، وعبد العال ، وشحبير، والديري، والداعور، والعماوي وأبو شعبان والريس وآل صبرة أل الجعل ، وقلجة كما أن هذا الحي عرف منذ القدم بالمقاومة العنيفة للاحتلال ؛ كما كان مركزا لصقور فتح في ظل الحكم العسكري لقطاع غزة ومن أحياء غزة البلدة القديمة الصبرة الشيخ عجلين الشيخ

رضوان الشجاعية تل الهوى التفاح الرمال الزيتون الدرج مدينة العودة النصر وتقع مؤسسات مهمة في مدينة غزة منها ، الجامعة الإسلامية ، جامعة الأزهر ، جامعة الأقصى، جامعة غزة ، مجمع الشفاء الطبي ، المسجد العمري الكبير جامع ابن عثمان كنيسة القديس برفيريوس مسجد السيد هاشم ، مسجد أبو خضرة .

قامت الطائرات الإسرائيلية بإطلاق عدة صواريخ استهدفت أحمد ياسين بينما كان عائداً من أداء صلاة الفجر في مسجد المجمع القريب من منزله في حي صبرا في غزة بعملية أشرف عليها رئيس الوزراء الإسرائيلي السفاح أرئيل شارون قامت مروحيات الأباتشي الإسرائيلية التابعة للجيش الإسرائيلي بإطلاق ٣ صواريخ تجاه ياسين المقعد وهو في طريقه إلى سيارته مدفوعاً على كرسيه المتحرك من قبل مساعديه، فسقط ياسين شهيداً في لحظتها وجرح اثنان من أبنائه في العملية وقتل معه سبعة من مرافقيه ، وقد تناثرت أجزاء الكرسي المتحرك الذي كان ينتقل عليه احمد ياسين في أرجاء مكان الهجوم الذي تلطخ بدمائه ومرافقيه خارج المسجد مما أدى أيضاً إلى تناثر جسده وتحويله إلى أشلاء وهنا ارتقت روحه إلى بارئها ومات كما كان يتمنى

والجدير بالذكر إن أنجال الشيخ ياسين ومرافقيه قد توقعوا وفاته الطبيعية قبل حوالي ٣٦ ساعة على اغتياله ، فقد سقط الشيخ ياسين ليل السبت عن كرسيه المتحرك بعد إصابته بالتهاب رئوي حاد ، نجم عنه عجز عن الكلام وضيق شديد في التنفس وحشرجة وصفير في الصدر ونقل على الفور إلى مستشفى الشفاء في مدينة غزة ، واخرج من المستشفى بعد العلاج رغم عدم تحسن صحته خوفاً على حياته بعد مشاهدة تحركات عسكرية إسرائيلية نشطة ، ولكن قدر الله هو الغالب ، وتحقق له ما تمناه هو وغيره من القادة .

***

رواية صهيونية

تذكر الرواية الإسرائيلية في كتاب الاغتيالات السرية لصفة اغتيال القائد المؤسس لحماس قالت روايتهم : في إجراء أصبح روتينيا بالفعل تركت الحُكومة الأمر لشارون وموفاز للموافقة على مُقترحات الجيش الإسرائيلي والشين بيت (هو جهاز الأمن العام الإسرائيلي جهاز الاستخبارات الداخلية في إسرائيل ويختصر شاباك أو شين بيت ، وهو يخضع مباشرة لرئيس الحكومة الصهيونية) بشأن موعد وكيفية تنفيذ الضربة وهي (اغتيال احمد ياسين) ، أخبر مساعدو شارون مُستشارة الأمن القومي الأمريكية كوندوليزا رايس أن احمد ياسين أصبح هدفاً شرعياً ، من وجهة نظر أرئيل قال فايسجلاس (مستشار لشارون) : "تلا ذلك جدل شديد الصُعوبة، لقد كانوا قلقين من حدوث تصعيد عام في الشرق الوسط."

وقال مؤلف الكتاب : في المظاهر العلنية ألقى شارون تلميحات بأنه يرى ياسين الآن كهدف ، هذا أدى فقط إلى تشديد الأمن حول زعيم حماس ، مكث في المنزل ، ولم يخرج إلا لزيارة المسجد ومنزل أخته ، وكلاهما كانا بالقرب من منزله ، كان التنقل بين النقاط الثلاث في شاحنتين واحدة مُزودة بمصعد لكُرسي ياسين المُتحرك بينما كان حراسه المُسلحين يركبون في الثانية، كانت حياته محصورة في هذا المُثلث وكان هو وشعبه يفترضون أن إسرائيل لن تجرؤ على ضرب أي من بيوته فكُل منها كان مُكتظاً بالنساء والأطفال ، وفي حالة المسجد بالمدنيين الأبرياء ؛ لكن كانت هناك مسافات بين هذه النقاط الثلاث ، في مساء ٢١ مارس اقتيد ياسين للصلاة في المسجد وتبعه حُراسه الشخصيون في شاحنة ثانية .

أمر موفاز (شاؤول موفاز وزير دفاع شارون) بتدمير السيارتين في طريق عودتها ، كانت هُناك مروحيات في الهواء وطائرات بدون طيار تحلق فوقهم ، وكان ابن ياسين عبد الحميد موجوداً لفترة كافية لاستشعار الخطر، في تسابق إلى المسجد ، وحذر : "أبي لا تغُادر المسجد ، إنهم الإسرائيليون ولن يهاجموا مسجداً".

قرر الشيخ وحُراسه توخي الحذر والبقاء في المسجد ، مرت الساعات وظلت JWR وجميع

القوات في حالة تأهب حيث أبقت القوات الجوية على نوبات من الطائرات بدون طيار والمروحيات الهُجومية في الهواء مما أدى إلى إراحتهم عند نفاد الوقود ، ذهب الشيخ لينام على فراش على أرضية المسجد واستيقظ مُبكرا ؛ لأنه كان غير مُريح، بعد صلاة الفجر أراد العودة إلى المنزل ، وقال ابنه: "لم يكن من المُمكن سماع صوت طائرات الهليكوبتر أعلاه، كان الجميع على يقين من أن الخطر قد انتهى".

ومع ذلك كانت مُخاطرة لإرباك المُتبعين قرروا تجميع الشيخ في كُرسيه المُتحرك ثم الركض إلى منزله ، الشاحنة ستلفت الانتباه فقط، قال حميد "لأقول الحقيقة لم أكن أعتقد أنهم سيُطلقون النار على كُرسي متحرك لُمعاق".

كان المُتعقبون لا يزالون هناك بالطبع ، ما زالت الطائرات بدون طيار تراقب من خلال كاميرات التصوير الحراري ، خرج الناس من الباب الأمامي وتجاوزوا بسُرعة الشاحنات المُتوقفة عند المدخل وهم يدفعون كرسياً متحركاً.

قائد سلاح الجو حالوتس لم يأذن بفتح النار لأن أوامر وزير الدفاع موفاز سمحت له بإطلاق النار على الشاحنتين فقط .

قال الوزير حالوتس: "ليس لدينا إطار للشاحنات لكننا نرى مجموعة من الحراس الشخصيين يركضون على كرسي متحرك وشخص يرتدي كوفية، هل لدينا إذن؟ "

طلب موفاز منه التحدث إلى طيار أباتشي وسؤاله عما إذا كان بإمكانه رؤية الكُرسي المُتحرك بوضوح وما إذا كان بإمكانه ضربه.

قال الطيار: "أراهم بوضوح شديد، يمكنني ضربهم".

قال موفاز: "أوافق". وأبلغ حالوتس الطيار "رشاي".

في بث الفيديو كان هُناك وميض ثُم جُزء من الثانية من شاشة فارغة، ثُم طارت أجزاء من الكُرسي المُتحرك في كل الاتجاهات ، ارتفعت عجلة واحدة لأعلى وهبطت خارج الإطار والناس مُستلقون أو يزحفون على الأرض.

قال الطيار "طلب الإذن للحصول على ضربات مُتتالية".

أجاب موفاز: "الإذن ممنوح". وسقط صاروخ آخر على الأرض فقتل كُل من كان على قيد الحياة.

اتصل موفاز بشارون الذي كان ينتظر وهو مُضطرب في منزله بمزرعة الجميز نتيجة العملية ، قال: "لدينا فيديو، بالحكم من خلال الصور تبدو جيدة، لقد أصبنا عين الثور لكن دعونا ننتظر التقارير من مصادر إضافية ".

في غُضون دقائق قليلة أفاد مراقبو المُناوبة في توربان أن قنوات اتصالات حماس تعج بالمُكالمات "الشيخ ياسين أصبح شهيداً مع عدد من حُراسه الشخصيين" كان أعضاء التنظيم يُخبرون بعضهم البعض، فيما أُصيب نجله عبد الحميد بجُروح بالغة .

أمر شارون بإيقاظ طاقمه للاستعداد للتعامل مع التداعيات ، وردت أنباء الاغتيال بقلق بالغ في واشنطن، "إنهم على وشك الهستيريا" أبلغ فايسجلاس شارون ، قال لرايس ألا تقلق وأن إسرائيل تتوقع أن يكون رد العالم العربي إدانة وليس أكثر " قال كوندي" بصوت هادئ ومُقنع: "حتى في السلطة الفلسطينية لا نتوقع أي شيء غير عادي، لقد أعلنوا الحداد الوطني لُمدة ثلاثة أيام لكن جميع المتاجر مفتوحة ، كل شيء سيكون على ما يُرام". مُنذ أن انتهت أيام الحداد الوطني عيّن مجلس الشورى الهيئة العُليا لحركة حماس عبد العزيز الرنتيسي خلفاً لياسين، أدى اليمين الدستورية في ملعب كرة قدم في أحد مُخيمات اللاجئين في غزة، جالساً على منصة أمام حشد كبير شاهدت قيادة المُنظمة بأكملها عرضاً لرجال الميليشيات بالزي الرسمي وقبلوا يد القائد الجديد ، أعلن الرنتيسي في خطابه الأول "سنُقاتل العدو في كُل مكان وسنعلمه معنى المُقاومة" وتعهد بالانتقام لمقتل ياسين ، كان الإسرائيليون على علم بخُطط


القدس

اسرائيل تغتال الشيخ احمد ياسين

العرض والاحتفال لكن شارون أمر الشاباك وسلاح الجو بوقف إطلاق النار خشية إصابة المدنيين ولأنه كان من الواضح أن شبكات التلفزيون الأجنبية ستكون هُناك وستبث أي هُجوم إسرائيلي مباشر ، ومع ذلك في تلك المرحلة كان شارون قد سمح بالفعل باغتيال الزعيم الجديد، كان هذا القرار أسهل بكثير، حيث كان الرنتيسي يفتقر إلى سُلطة ياسين الدينية ، ولم يكن شخصية سياسية عربية مُعترف بها دولياً، تورطه في الإرهاب (المقاومة) كان لا جدال فيه والاهم من ذلك أن السابقة قد تم وضعها الآن يُمكن تصفية أي زعيم في حماس .

هذه السابقة ادعاء كاذب فإسرائيل تغتال القادة والزعماء من قبل ومن بعد ، فكم قتلت من قادة فلسطين في لبنان وتونس ؟!

***

شعر أهل غزة ومحبو المقاومة والجهاد بالصدمة الهائلة لاغتيال الشيخ المقعد أثناء خروجه من المسجد بعد صلاة الفجر ، ولكن أهل غزة كانوا ذا بأس وقوة على تلقي الصدمات والمصائب والنكبات مهما كانت قاسية وعنيفة ، وأن كل مجاهد وقائد هو مشروع شهادة ينتظر الأجل المقدر من الله وحده ، منذ وضع قدميه في المقاومة والشهادة ، فلهم عزيمة على الصبر والرضا ، فقد سبقه عشرات من القادة والأبطال ، وعند كل استشهاد يتذكر الناس شبانا وكهولا وشيوخا ذكورا وإناثا الأبطال الشهداء سواء في غزة أم في الضفة أو حتى خارج فلسطين فكان جهاد عبد الكريم روح الفضل يتذكر ما يعرفه من الأسماء في مجلس عزاء احد الشهداء مع احمد ياسين فقد قتل عدد من المرافقين والحراس ، فقال ابن عمه عزمي عبد السلام : أنت تحب حفظ الأسماء والتذكير ببطولاتهم هات ذكرنا بهم

فقال الشاب الصغير جهاد : الأبطال يا ابن العم يخلدهم التاريخ وليس نحن فقط ، نحن سنموت مثلهم وسيبقى سجلهم في الخالدين وما اكثر شهداء فلسطين !

قال حسام الدين محمود مؤكدا : صدقت !

قال جهاد مستذكرا : وأيضا بسيرة هؤلاء الأبطال الشهداء نزداد قوة وعزيمة وحماسا ..

وشهداء فلسطين المجهول منهم اكثر من المعلوم .

قال عزمي مضيفا : فلسطين منذ الاستعمار الذي سموه الانتداب وهي تقدم الأبطال والفرسان سواء كانت حركات جهادية إسلامية أو وطنية أو قومية هات ذكرنا بأسماء شهداء القسام وحماس بمناسبة استشهاد الشيخ رحمه الله .

تنحنح جهاد وقال : كان استشهاد عماد عقل حدثا كبيرا للمقاومة والانتفاضة الأولى كان مغوارا وأسدا من اسود الانتفاضة الأولى ، اغتيل في شهر نوفمبر سنة ١٩٩٣ في أخر أسبوع من الشهر ، وكان يعتبر من القادة المؤسسين لكتائب القسام الجناح العسكري ، وفي شهر أكتوبر استطاعت الموساد اغتيال قائدا مهما في حركة الجهاد الإسلامي المناضل المهم ومن مؤسسي تلك الحركة المعروفة للجميع الدكتور فتحي الشقاقي قائد ومفكر عظيم

قال حسام مضيفا : كان ذلك في ٢٦ أكتوبر ١٩٩٥ وكان الفارس رئيس منظمة حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين حيث تم إطلاق النار عليه وقتله أمام فندق في مالطا.

قال عزمي : نعم ، له مقالات فكرية تدل على سعة القراءة والمعرفة ، تم النيل منه رحمه الله في جزيرة مالطا المشهورة كان ذلك عام ١٩٩٥ اطلق عليه النار أمام فندق كما ذكرت يا حسام .

قال حسام : قتل خارج فلسطين من الخيانات التي لا تنتهي ؛ كما قتل المناضل أبو إياد وأبو جهاد في تونس العاصمة وهم من قادة حركة فتح المشهورة بيننا .

وعاد الكلام لجهاد عبد الكريم : وسقط قائد القسام ابن الضفة وصانع المتفجرات المهندس يحيى عياش وكان اغتياله على ما تذكرون بواسطة جهاز خلوي لخائن مليء بالمتفجرات مفخخ

قال عزمي : كان مقتله في صباح ٦ يناير عام ١٩٩٦ وولدت زوجته بعد اغتياله بأيام وسمته يحيى ، وسميت ابني باسمه من باب التيمن والا يحيى هو اسم النبي يحيى ابن زكريا ﷺ واستشهد على ارض غزة ودفن فيها رحمه الله تعالى .

قال جهاد : وكانت محاولة لاغتيال بالسم لخالد مشعل في عمان

قال حسام : وكانت فضيحة جديدة لفشل الموساد وسببا لإخراج الشيخ ياسين من سجون

الموساد والشاباك اعتقد كانت في ٢٥ أيلول سنة ١٩٩٧

قال عزمي : وكان الشاب مسؤول مكتب حماس في الأردن مدير المكتب السياسي

قال جهاد : صحيح كان للمكتب نشاطا إعلاميا واضحا وقويا حيث كان هذا السبب الظاهر للاغتيال .. ثم تبع ذلك سلسلة اغتيالات لقادة حماس بالضفة اشهرها اغتيال الجمالين جمال منصور وجمال سليم كان الاغتيال بصاروخ على مكتبهما في ٣١ تموز ٢٠٠١ رحمهما الله تعالى ثم اغتيل بعدهم بشهرين المجاهد القسامي محمود أبو هنود في ٢٣نوفمبر ٢٠٠١ قائد كتائب الشهيد عز الدين القسام في الضفة الغربية والمطلوب رقم ١، وقد اغتيل باستهداف الطائرات الإسرائيلية لسيارته شمال مدينة نابلس مع اثنين من مرافقيه.

وبعد صمت قليل قال : وأيضا ثم اغتيل صلاح شحادة زعيم كتائب عز الدين القسام، اغتيل بمتفجرات بوزن ٢٢٠٥ باوند والتي تم إسقاطها من طائرة إف ١٦.قتلت زوجته وأولاده التسعة في نفس الهجوم وذلك ٢٢ يوليو ٢٠٠٢

قال عزمي : وفي مارس ٢٠٠٣ كان شهر غزو أمريكا للعراق بخيوط أوهى من خيط العنكبوت واغتيال إبراهيم المقادمة وثلاث من مساعديه، اغتيلوا من خلال صواريخ أطلقت من طائرة هليكوبتر فوق مدينة غزة.

وقال جهاد : وفي نفس العام وفي ٢١ آب أغسطس كان اغتيال القائد البارز في حركة حماس إسماعيل أبو شنب في قصف استهدف سيارته مع مرافقيه رحمهم الله وعشرات الشهداء انتقلوا إلى حواصل الطير الخضر الأحياء في البرزخ

وقال حسام الدين : وها نحن اليوم نعيش استشهاد الشهيد إن شاء الله مؤسس وزعيم حماس الشيخ البطل احمد ياسين ، اغتيل مع حراسه الشخصيين في قطاع غزة من خلال طائرة أباتشي مقاتلة وذلك قبل أيام ٢٢مارس ٢٠٠٤

قال عزمي بحقد وبغض لليهود : الجبناء يظنون بقتل الزعماء والقادة أن المقاومة تموت أو تضعف ؛ بل تزيد الأمة قوة وعنادا ، والأبطال لا يموتون بل ينجبون أبطالا يسيرون بفضل على

دربهم ودرب آبائهم وما النصر إلا من عند الله .

وقال جهاد : وعلينا أن لا ننسى الكثير من الشهداء من الفصائل وحركات المقاومة الأخرى ، فقد قدمت قوى المقاومة في لبنان وسوريا قامات من المناضلين ، وأكثرها فتح فهي منذ أعلنت عن نفسها وهي تقدم المناضلين حتى سقطت في فخ أوسلو والسلام المزيف .. عاطف بسيسو ابن غزة وابن فتح اغتيل في فرنسا سنة ١٩٩٢ قبل إشهار أوسلو في ٨ حزيران .. لنذهب للبيت ونتابع الاستذكار لهؤلاء الأبطال ونتناول بعض الطعام عند أمي

قال عزمي مشجعا لصديقهم حسام : هيا بنا فطعام امرأة عمي .. أم جهاد يشتهى يا حسام .. وهذا المقاتل سمعت به عاطف فايق عاطف بسيسو كان مسؤول فلسطيني ورئيس استخبارات منظمة التحرير الفلسطينية يشتبه بتورطه بعملية ميونخ ١٩٧٢ ، شكل مع أبو إياد في أوائل عام ١٩٦٨ جهاز الرصد الثوري في بيروت.. أي جهاز المخابرات .. قل لنا قصة حياته فانت ضليع بقصص الاغتيالات الفلسطينية

قال حسام : انه يقرأ كل شيء عنها

قال جهاد : لقد اهتم الكثير من أهل الصحافة برواية سير الجواسيس والاغتيال ، فالاغتيال يقوم على عمل تجسسي ورصد .. فمن الصحفيين الذين اهتموا بمثل هكذا أخبار الصحفي الفلسطيني عبدالله عيسى ، فهو من أسرة لاجئة من قرية أم الزينات قضاء حيفا، وولد في مخيمات اللجوء ، ولد في مخيم نور شمس بطولكرم بتاريخ ٢ حزيران يونيو عام ١٩٥٩ لعائلة فلسطينية مهاجرة من قرية أم الزينات قضاء حيفا، وتلقى تعليمه الثانوي في المخيم قبل أن يغادر إلى الأردن ومن ثم تونس ، عمل موظفاً في الجامعة العربية أثناء تواجدها في تونس لعدة سنوات، لما رحلت الجامعة لتونس الخضراء حين وقعت مصر معاهدة كامب ديفيد التحق بصفوف الثورة فلسطينية في تونس وعمل مع الشهيدين صلاح خلف أبو إياد وعاطف بسيسو وعاد إلى فلسطين عام ١٩٩٥ بعد عودة قوات الثورة إثر اتفاق أوسلو والتحق بجهاز المخابرات الفلسطينية حتى العام ٢٠٠٨ .

واعلموا أن عبدالله عيسى لم يكن مجرد صحفي، بل كان شاهدًا ومشاركًا في مسيرة النضال الفلسطيني منذ التحاقه بصفوف الثورة في أواخر السبعينات ، حيث عمل مع الشهيدين صلاح خلف (أبو إياد) وعـاطف بسيسو عاش حياته بين النضال والأمل ، كرّس الأستاذ جهده لتوثيق الحروب السرية بين الثورة الفلسطينية والمخابرات الإسرائيلية من خلال مجموعة مؤلفات أصبحت مرجعًا هامًا في هذا المجال ، أبرزها: متفجرات في مكتب شامير، والجاسوس المدلل، والاختراق ، وفدائي في المخابرات الإسرائيلية ، والمصيدة ، وجاسوس مع وقف التنفيذ وهي مؤلفات ممتعة ومثيرة لمن يهتم بقصص الجاسوسية بيننا وبين الصهيونية وهو من مؤسسي موقع دنيا الوطن الإلكتروني ٢٠٠٣

قال عزمي : سمعنا بهذا الاسم وهو يعيش في غزة هذه الأيام لماذا كل هذه المقدمة ؟

قال جهاد : لأنني سأقرأ لكما ما كتبت هذه الجريدة عن عاطف بسيسو .. سنتناول الشاي والطعام ثم نقرأ ما كتب عنه وعن سعيد السبع .

***

اغتيال في فرنسا

كتب هشام ساق الله في دنيا الوطن : عاطف بسيسو هذا الشاب الجميل الذي لا يبدو عليه ملامح رجل الأمن الصلب قتله الموساد في فرنسا انتقاما منه على تاريخ طويل من الصراع والمطاردة ارتاح بعد تعب طويلا من العمل الأمني الشاق واختلف على سبب اغتياله فالبعض قال بأنه بسبب كشفه للعميل عدنان ياسين وآخرين قالوا لإنهاء قائمة المجموعة المشرفة على مجموعة أيلول الأسود وآخرين قالوا انه شارك بإعدام العميل الذي اغتال الشهيدين أبو إياد وأبو الهول والعمري وأنا أقول أنه اغتيل لينهي صفحه من الكفاح المسلح للبدء بصفحه جديده من السلام العالمي بعد البروسترايكا الروسية والسلام العالمي بانتهاء الشيوعية ودحر حركات التحرر بالعالم .

يوم اغتياله كنت امر بشارع عمر المختار واذا بالناس تجري ورأيت مجموعات من الشبان الملثمين يقومون بإحراق إطارات السيارات ويأمرون المحلات بإغلاق الشوارع ويفرضون حاله من منع التجول بهذه المنطقة الحساسة من مدينة غزة كانت قبل ظهر يوم ٨ حزيران من عام ١٩٩٢ لم اكن اعرف السبب كنت يومها في نادي غزة الرياضي نحضر لمخيمات الأشبال هناك ، وبدأت بالسؤال عن السبب إلى أن أتى أحد الأخوة وابلغني أن هناك شهيدا من آل بسيسو تم اغتياله بالخارج ، وشباب قلعة الكنز كما كان يصطلح عليهم وكل مربعات الرمال هم من قاموا بتصعيد الأمور .

عرفت فيما بعد أن الذي اغتيل في باريس هو الشهيد عاطف فايق بسيسو مسؤول الأمن الموحد بالثورة الفلسطينية والذي خلف الشهيد أبو إياد صلاح خلف في قيادة هذا الجهاز وذلك أثناء زيارة له في فرنسا على باب احد الفنادق (ميريديان)اطلق عليه مجهولون النار ولاذوا بالفرار ، وعرفت من الأخوة ومن الحديث الذي بدأت وسائل الأعلام ببثه أن الرجل هو احد قيادات هذا الجهاز الأمني الفلسطيني وانه من الشخصيات الغير معروفه والمشهورة والتي توارت عن الأنظار بسبب عمله الأمني وان اسمه الحركي هو أبو فايق وانه شقيق المهندس عاهد فايق

بسيسو صاحب احد المكاتب الهندسية المعروفة بمدينة غزه وابن عائلة بسيسو التي تقطن بجوار مسجد الكنز وان العزاء سيكون هناك .

فعاطف التحق في صفوف الحركة (حركة فتح) مبكرا أثناء دراسته في ألمانيا وانضم إلى اتحاد الطلبة الفلسطينيين واصبح فيها بعد المساعد المقرب للشهيد القائد أبو إياد خلف تنقل في كل دول العالم بجوازات مزورة وكان مطلوبا ومطاردا لجهاز الموساد الصهيوني لكونه من الدائرة الأولى للشهيد أبو إياد كونه احد المشرفين على تنفيذ عملية ميونخ الشهيرة والتي استهدفت قتل عدد من الفريق الأولمبي الصهيوني بألمانيا عام ١٩٧٣ خلال انعقاد الدورة الأولمبية هناك ، لم تكن شخصية "عاطف بسيسو" معروفة على صعيد الثورة الفلسطينية بشكل علني إلا للكادر الأول والثاني فقط ، واختار لنفسه طريقا منذ البداية بعيدا عن الأضواء ووسائل الإعلام ، فلم يتحدث مطلقا لأي صحيفة أو وسيلة إعلام طوال حياته، ولم تظهر صوره الشخصية من خلال وسائل الإعلام مطلقا إلا بعد استشهاده.

كان عاطف بسيسو يشارك رسميا في مدريد (مؤتمر السلام بين العرب وإسرائيل) باجتماعات الوفود الأمنية لكافة الدول المشاركة في مؤتمر مدريد ، كما عقد اجتماعات تنسيق مع أجهزة الآمن الإسبانية التي ترتبط بعلاقات وثيقة مع جهاز الآمن الموحد . واستغرقت مهمة "عاطف بسيسو" في مدريد عشرة أيام، ولعب دوراً بارزاً في هذا المؤتمر انطلاقا من إيمانه بأهمية هذا المؤتمر لتحقيق آمال وطموحات الشعب الفلسطيني ، وعلى هامش المؤتمر، شارك بالاجتماعات الأمنية لوفود الدول المشاركة ، واجتمع رسمياً مع وفد أمني من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وكان ذلك الاجتماع الرسمي تتويجاً لاتصالات سابقة ، وفي المقابل كان الموساد قد بدأ بالعد التنازلي لاغتيال عاطف بسيسو ، كانت أجهزة الأمن الفلسطينية قد حصلت على معلومات من مصادر أمنية مختلفة ومنها دول أوروبا الغربية ، بموجب التنسيق الأمني وتبادل المعلومات، بأن الموساد الإسرائيلي أعد قائمة سوداء لعدد من مسؤولي (م. ت .ف) للاغتيال، وشعر "أبو عمار" أن إسرائيل تدبر عملية خطيرة في شهر ٤-١٩٩٢م وتذكر شهداء اللجنة المركزية، فقد

نفذت الموساد اغتيال القادة في عملية الفردان ـ اغتيال قادة فتح أبو يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر ـ وأبو جهاد في نفس الشهر ، وحاول أن لا يستقر في مكان فقام بزيارات لدول عديدة بهدف تفويت الفرصة على المخابرات الإسرائيلية ، وطلب من مساعديه أخذ الحيطة والحذر، خاصة في أوروبا. (أوروبا كانت مسرحا لاغتيال الكثير من قادة وسفراء فتح مثل الهمشري وزعيتر والسرطاوي وغيرهم)

وخلال تلك الفترة حدد عاطف بسيسو خط رحلة عمل لعدة دول في العالم : "تونس – مدريد – هافانا – برلين – باريس – مارسيليا – تونس"، واتصل مع عدنان ياسين ، الذي اكتشف لاحقاً عمالته للمخابرات الإسرائيلية، وكان عادة ما يتولى ضمن نطاق عمله في سفارة فلسطين متابعة الشئون والقضايا القنصلية لسفارة فلسطين ، وطلب من عدنان ياسين القيام بالإجراءات الجمركية لإدخال سيارة إلى تونس قادمة بالباخرة من ميناء مرسيليا، وكان أخ زوجته ديما السبع المقيم في أمريكا اتصل بعاطف بسيسو وأبلغه بأنه سيرسل له سيارة لاندروفر بالباخرة إلى ميناء مرسيليا، حيث سيقوم "عاطف بسيسو" بشحن السيارة إلى ميناء تونس، ومن الجدير بالذكر فإنه وفي فترة سابقة كان عدنان ياسين قد التقى بـ"عاطف بسيسو" في باريس في فندق الميريديان أثناء إحدى زياراته لفرنسا، وبعد ذلك كان عدنان ياسين يحاول إسداء أي خدمة لعاطف بسيسو ؛ ولكن هذه المرة كانت "خدمة قاتلة" وبهذا تحدد خط سير "عاطف بسيسو" على الأقل في بعض المحطات من خلال خط سير سيارة اللاندروفر من الولايات المتحدة الأمريكية حتى وصولها لتونس ، وهذا الأمر أبقى ، ربما "عاطف بسيسو" على اتصال مع عدنان ياسين خاصة في المرحلة الثانية والحاسمة من رحلته ، وبعد أن وصلت سيارة اللاندروفر إلى ألمانيا بدلاً من ميناء مرسيليا نظراً لأن أخ زوجته لم يجد باخرة آنذاك تصل إلى مرسيليا، فقام بشحن السيارة إلى ألمانيا، في منتصف أيار ١٩٩٢ غادر "عاطف بسيسو" تونس إلى مدريد ، حيث قام بمهمة سريعة وواصل رحلته إلى كوبا في زيارة رسمية ، بهدف إجراء مباحثات مع أجهزة المخابرات الكوبية خلال إقامته في كوبا اتصل "عاطف بسيسو" بزوجته مرات قليلة ، نظراً لصعوبة الاتصال من

كوبا. وفي تلك الفترة توفرت لدى جهاز الأمن والمعلومات الفلسطيني معلومات دقيقة ، قبل حوالي خمسة وعشرون يوما، من خلال مدير محطة الجهاز في يوغسلافيا، عن قيام عناصر تابعة لجهاز الموساد بالاتفاق مع عصابات المافيا اليوغسلافية لاغتيال شخصية فلسطينية في باريس أو تونس ، ووفق المعلومات فقد جرى تعريف عناصر المافيا على الشخصية الفلسطينية المستهدفة من خلال صورة شخصية جرى التقاطها بوضوح لعاطف بسيسو، ولم يهتم بالطبع عناصر عصابة المافيا بالتعرف على ماهية الشخصية ؛ وإنما كان تركيزهم فقط على المبالغ التي سيحصلون عليها مقابل تنفيذ عملية الاغتيال ومن الجدير بالذكر فإن جهاز الموساد لجأ إلى الاستعانة بعناصر المافيا اليوغسلافية لتجنب أية أزمة محتملة مع المخابرات الفرنسية في حالة قيامه بتنفيذ العملية بصورة مباشرة ، أي اعتمادا على عناصر جهاز الموساد ، وذلك التزاما باتفاق مسبق يقضي بعدم القيام بأية عمليات اغتيال على الأراضي الفرنسية.

وخلال الأشهر التي سبقت اغتياله ، كانت المخابرات الإسرائيلية الموساد قد أحكمت الطوق حول "عاطف بسيسو" ووضعت خطط الاغتيال في باريس أو في تونس في حالة تعذر التنفيذ في باريس لعدم زيارته لها مثلاً ؛ ولكن زيارة برلين كانت محطته الأخيرة قبل رحلة الموت إلى باريس.. ففي نهاية أيار ١٩٩٢ وصل "عاطف بسيسو" إلى برلين ونظراً لكثرة زياراته إلى برلين والتي أصبحت في مرحلة الثمانينات محطة رئيسية وأمنية لجهاز الآمن الموحد ، وكانت برلين المركز الرئيسي الذي ينطلق منه "عاطف بسيسو" لكل أوروبا الشرقية .

كانت سيارة "اللاندروفر" شيفروليه قد وصلت إلى ألمانيا من الولايات المتحدة الأمريكية وتسلمها "عاطف بسيسو" وقرر أنه سيسافر بالسيارة برا من برلين إلى مرسيليا لشحن السيارة إلى ميناء تونس ، وخلال وجوده في برلين كان ينطلق في رحلات بالسيارة ، ... فسأل "محمد حجازي" بقوله : ما رأيك هل تعتقد بوجود خطر حقيقي؟ قال محمد حجازي: أرى أن تقطع زيارتك وتعود لتونس فورا.. الخطر قائم وجدي.

اجتمع عاطف بسيسو مع جهاز المخابرات الألماني ، وقبل الاجتماع طلب من محمد حجازي

إثارة المعلومات حول نوايا الموساد باغتياله ، وفعلا تحدث حجازي في الاجتماع، فأكد مسئولو المخابرات الألمانية أنه لا معلومات لديهم حول هذا الموضوع، وكان خوفهم أن تحصل مثل هذه العملية على أراضيهم ، وربما قامت المخابرات الألمانية بالاستفسار من المخابرات الإسرائيلية، وقد تكون ألمانيا حذرت إسرائيل من قيامها بعملية كهذه على الأراضي الألمانية، وهذا الإجراء طبيعي أن تقوم به ألمانيا في حالات كهذه ، بعد يومين بدأت مخاوف عاطف بسيسو تقل بوضوح وربما أبلغته المخابرات الألمانية رسالة تطمينية.

لم يستخف "عاطف بسيسو" بالتحذيرات التي وصلته ، ولكن الخطأ القاتل الذي أنجح مهمة "الموساد"، كانت تطمينات أجهزة الأمن الأوروبية وخاصة ألمانيا وفرنسا ، فالموساد لا يحتاج لضوء أخضر لينفذ عملية اغتياله من أجهزة أمن أوروبا ، كانت ألمانيا حازمة في عدم حصول عملية كهذه على أراضيها، لكن خارج الأراضي الألمانية تصبح المسألة من اختصاص وسياسة أمنية لدولة أوروبية أخرى ، لذلك كان تركيز "عاطف بسيسو" على الموقف الرسمي لأجهزة الأمن الأوروبية تجاه عملية الاغتيال سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بقنوات عديدة ، لأن المخابرات الأوروبية لا تعطي ضوءا أخضر للموساد بتنفيذ مثل هذه العمليات، بشكل رسمي ولكن يبقى هنالك عوامل أساسية أخرى منها: الحسابات الإسرائيلية الخاصة بها، وتواطؤ من داخل المؤسسات الأمنية الأوروبية بتعاون معلوماتي القيام بدور "تستر" لاحقا لاحتواء آثار العملية، وهذا ضمنته الموساد سلفا في باريس ، ولم تستطع مطلقا تنفيذ عملية الاغتيال والتخطيط لها قبل أشهر، لتنفيذها في باريس تحديدا لو لم تضمن العوامل المذكورة.

في نهاية زيارته لبرلين، كان عاطف بسيسو على اتصال مع المخابرات الفرنسية بانتظار تحديد موعد مع جنرال فرنسي من أجهزة المخابرات الفرنسية ، وبقي في برلين مترددا بالسفر إلى باريس أو الانطلاق بالسيارة مباشرة من الحدود "الألمانية- الفرنسية إلى مرسيليا"، وفي يوم الجمعة ٥ حزيران ١٩٩٢م ، تحدد الموعد أخيرا مع الجنرال فيليب روندو مستشار وزير الدفاع الفرنسي بيار جوكس وكان الموعد يوم الاثنين ٨ حزيران ١٩٩٢م الساعة العاشرة صباحا في باريس،

وكان هذا الموعد القاتل قد تأجل لثلاث مرات منذ آذار ١٩٩٢م.

في صباح يوم الأحد ٧ حزيران انطلق بسيارته من الحدود الألمانية – الفرنسية، باتجاه باريس، ووصل إلى فندق ميريديان في حي مونبارناس على الضفاف اليسرى لنهر السين عند الساعة السادسة مساء ، بعد وصوله للفندق ، أجرى اتصاله الهاتفي الأخير مع زوجته ديما في تونس، وقال لها: وجدتهم قد استأجروا لي غرفة في الفندق مثل القبر ..صغيرة في نهاية الممر ولا يوجد منفذ. على كل حال سأسافر غدا.. كلها ليلة واحدة ، اتصل هاتفيا بالصحفي اللبناني سهيل راشد الذي جاءه إلى الغرفة في الفندق ومكثا قليلا ثم نزلا بالمصعد ، وبعد أن فتح المصعد في قاعة الصالون بالفندق ، كان رجل يجلس وأخذ يحدق في عاطف بسيسو بشكل غير عادي، فلفت انتباه عاطف فقال سهيل: دعنا نتصل بالفرنسيين لإبلاغهم..، نزلا إلى جراج السيارات تحت الأرض في الفندق ، لجلب بعض الحقائب، لاحظ عاطف بسيسو أيضا وجود سيارة في الجراج بها ثلاثة أشخاص بوضع مريب ، ثم لاحظ سيارة أجرة تاكسي تلف في المكان ، كما لم يلاحظ أحد وجود عدنان ياسين في نفس الفندق ، كانت حركة مريبة وأجواء غير عادية في الفندق ، فرجعا إلى الغرفة ومعهما الحقائب، ثم اتصل عاطف بسيسو بفاطمة بيضون، وانتظرا في الغرفة حتى وصلت فاطمة بيضون ، ثم انطلقوا جميعا لتناول طعام العشاء في مطعم مكسيكي أثناء وجودهم في المطعم أصر سهيل راشد على الاتصال بالمخابرات الفرنسية لإبلاغهم بوجود خطر يتهدد حياة عاطف بسيسو وطلب حماية منهم ، وفعلا اتصل هاتفيا، وجاء الرد غريبا جدا.. بأن اليوم عطلة نهاية الأسبوع ومن الصعب تأمين الحماية ، لكن غدا صباحا عند الساعة السابعة سيكلف فريق من الأمن الفرنسي بحماية عاطف بسيسو في الفندق..، وطلبوا من سهيل أن يأخذ عاطف بسيسو معه إلى منزله لينام معه ، وأن لا ينام في الفندق حتى تصل الحماية، عاد سهيل راشد وأبلغ عاطف بسيسو برد الأجهزة الأمنية الفرنسية ، وطلب منه أن يذهب معه إلى منزله ، فرفض عاطف بسيسو ذلك، وربما اعتقد أن تلك المكالمة كافية للفت انتباه أجهزة الأمن الفرنسية لهذا الموضوع.

عادة كان عاطف بسيسو يصل إلى باريس جوا بالطائرة وتقوم أجهزة الأمن الفرنسية بوضع حراسة خاصة عند استقباله في المطار ، هذه المرة كانت مختلفة ، حيث كان في استقباله على الحدود الفرنسية – الألمانية فريق مراقبة من الموساد يتكون من خمس أشخاص تولى متابعته إلى الفندق.. وحتى عندما تم إبلاغ أجهزة الأمن الفرنسية بوجود خطر يتهدد حياة عاطف بسيسو رفضوا وضع حماية أو القيام بإجراءات جدية، وفي دولة كفرنسا، يتم القيام بمثل هذه الحماية خلال دقائق فقط ، اتضحت ملامح التواطؤ من داخل أجهزة الأمن الفرنسية، وبدأ العد التنازلي لاغتيال عاطف بسيسو.

بعد منتصف الليل بقليل عاد عاطف بسيسو إلى الفندق ، وكان جالسا بجانب سهيل راشد الذي كان يقود السيارة وفي المقعد الخلفي كانت تجلس فاطمة بيضون، توقفت السيارة أمام بوابة الفندق الرئيسية ، ونزل عاطف بسيسو من السيارة، وانحنى محاولا ثني المقعد حتى تنزل فاطمة بيضون لتركب في المقعد الأمامي بجانب "سهيل راشد.."

في تلك الأثناء كان رجلان بملامح أوروبية، شعرهما قصير، يرتديان ملابس رياضية، جالسين على درج مؤدي إلى "نايت كلوب" كان عاطف بسيسو منحنيا فتقدم الرجلان، وأحدهما يحمل حقيبة على ظهره، و لم يشاهدا وجه عاطف بسيسو فتقدم أحدهما من الخلف، وأمسك بشعره ودفعه بقوة إلى مقدمة السيارة ، ووقف الآخر يشهر مسدسا على فاطمة وسهيل، عندما حاولت فاطمة بيضون الصراخ.. وفورا أخرج القاتل مسدسا مزود بكاتم صوت، وكان المسدس مربوط بكيس بلاستيكي، وأطلق ثلاث رصاصات على رأس عاطف بسيسو ومن مسافة قريبة جدا، ووقعت الرصاصات الفارغة في الكيس!!

وبعد أن أنهى القاتلان مهمتهما هربا خلف الفندق إلى شبه جسر كممر يؤدي إلى الشارع حيث كانت في انتظارهما سيارة حملتهما بعيدا.. أسرعت فاطمة بيضون إلى داخل الفندق واتصلت بممثل (م. ت. ف) في باريس إبراهيم الصوص، كما اتصلت بمسؤول فلسطيني آخر وأبلغته بالحادث، وأرسل الخبر فورا إلى أبو عمار حيث كان في الأردن يتلقى العلاج بسبب حادث

سقوط الطائرة ، وكان رده فورا: المخابرات الإسرائيلية قتلت عاطف والموساد الإسرائيلي هو المسؤول الوحيد وأكمل قائلاً: لقد حذرتهم وطالبت بالحذر من الموساد الذي يقوم بتصفيتنا واحدا تلو الآخر.. وكان تعليق أبو عمار نتيجة للمعلومات والتحذيرات التي وصلت لـ (م. ت. ف) وتداولتها أجهزة الأمن الفلسطينية، فكانت الجهة التي تقف خلف الحادث معروفة.. هي إسرائيل.

من هو عاطف ؟

وبعد مرور سبع سنوات، وفي شهر آذار ١٩٩٩م قدّم القاضي الفرنسي تقريره عن الحادث اتهم فيه (الموساد) بالوقوف وراء قتل عاطف بسيسو، وأنه استعان بذلك بالجاسوس عدنان ياسين لتنفيذ عملية اغتيال بسيسو الذي كان على علاقة مع الاستخبارات الفرنسية

ولد الشهيد عاطف بسيسو في ٢٣ أغسطس عام ١٩٤٨م ، والده فائق بسيسو كان مدير بنك الأمة في الخليل وغزة والذي اعتقل ثلاث مرات خلال الانتداب البريطاني ، التحق عاطف بسيسو بحركة فتح عام ١٩٦٧ بواسطة صخر بسيسو ، وعمل ضمن اللجنة الطلابية لحركة فتح في لبنان ، حيث كان يدرس الحقوق في جامعة بيروت العربية ، مع كل من نزار عمار وسمير أبو غزالة "الحاج طلال"، ثم عمل مع نزار عمار ضمن مجموعات جهاز الرصد في لبنان وفي منتصف ١٩٦٨ انتقل نزار عمار من بيروت إلى الأردن ليتولى عاطف مسؤولية مجموعات جهاز الرصد في لبنان ، وبعد خروج الثورة الفلسطينية من الأردن وانتقالها إلى لبنان قام صلاح خلف بإعادة تشكيل قيادة جهاز الرصد وضمن التشكيل الجديد كان عاطف أحد أعضاء القيادة المركزية للجهاز عام ١٩٧٢م ، اعتقل في إيطاليا عام ١٩٧٣م بتهمة محاولة تفجير طائرة شركة العال الإسرائيلية حيث كان يحمل جواز سفر مغربي باسم الطيب الفرجاني.

وفي ١٩٧٤ مع تشكيل جهاز الأمن الموحد بقيادة صلاح خلف تولى مسئولية إدارة مكافحة التجسس التي نجحت بالكشف عن العديد من شبكات التجسس الإسرائيلية وكلف بالتنسيق مع أجهزة أمن الكتلة الشرقية ، واستطاع أن يطور العمل من خلال تركيزه على رفع الكفاءة

الأمنية لعناصر الجهاز من خلال الدورات الأمنية ، وفي ضوء التغيرات التي شهدتها توجهات (م. ت. ف) بعد الخروج من بيروت عام ١٩٨٢م ، وفي ١٠ حزيران ١٩٩٢ شيعت القيادة الفلسطينية وعدد من كبار المسؤولين التونسيين والمئات من الجماهير الشهيد "عاطف بسيسو" إلى مثواه الأخير في مقبرة "شهداء فلسطين" في منطقة حمام الشط بضواحي العاصمة التونسية.



وحين عادت السلطة الفلسطينية إلى الوطن احتفل جهاز المخابرات العامة في مركز رشاد الشوا في ذكرى استشهاده لمرتين متتاليتين ، ويومها اطلقنا بالتنظيم على هذا اليوم يوم المخابرات الوطني حضره يومها الشهيد القائد ياسر عرفات والقى كلمة مؤثره بهذه المناسبة إضافة إلى رفيق دربه المرحوم الشهيد أمين الهندي

***

حي الصبرة هو أحد أحياء مدينة غزة، وسمي حي الصبرة نسبة إلى الشيخ سالم صبرة وعرف عنه انه من أولياء الله الصالحين ، ومقامه معروف حتى الآن في المقبرة القديمة بجوار دوار عسقولة ، استشهد الشيخ أحمد ياسين فجر ٢٢ آذار/ مارس ٢٠٠٤ في إثر قيام مروحية أباتشي إسرائيلية بإطلاق ثلاثة صواريخ عليه وهو خارج على كرسيه المتحرك من مسجد المجمّع الإسلامي في حي الصّبرة بقطاع غزة ، كما استشهد معه سبعة من مرافقيه وجُرح



اثنان من أبنائه ، خرج عشرات الآلاف من الفلسطينيين ، لدى شيوع خبر اغتياله، إلى شوارع غزة تعبيراً عن غضبهم ، كما اضطر آلاف الفلسطينيين لدى تشييعه، إلى أداء صلاة الظهر في الشارع بعد أن ضاق بهم المسجد العمري، الذي يعتبر الأكبر في مدينة غزة.

يُعتبر الشيخ أحمد ياسين واحداً من رموز العمل الوطني الفلسطيني البارزين خلال القرن

العشرين ومن أقواله : "العدو الإسرائيلي لا يترك للشعب الفلسطيني خيارات سوى خيار واحد، هو المقاومة والجهاد والاستشهاد".

اعترضت إسرائيل على أن يبحث مجلس الأمن قضية اغتيال أحمد ياسين بحجة أنه إرهابي ، وفي نفس يوم الاغتيال ولد ستة أطفال في قرية أحمد ياسين وتسموا جميعاً بأحمد ياسين ، عم الحزن والغضب كافة أرجاء العالم العربي والإسلامي وخرج عشرات الآلاف من الفلسطينيين إلى الشوارع للمشاركة في تشييع جثمان أحمد ياسين وقد صلي عليه صلاة الغائب في عددٍ كبيرٍ من مساجد العالم ، نعت وأدانت الكثير من الدول وآلاف المؤسسات اغتيال القائد الشيخ أحمد ياسين ، واعتبرت تلك الدول والمؤسسات أن استهداف جسده يعتبر جريمة حرب وتجاوزاً خطيراً ، شيع آلاف الفلسطينيين جثمانه ورفاقه الذين اغتيلوا معه وسط غضب ودعوات بالانتقام والثأر ، وما أن شاع نبأ مقتله حتى خرج عشرات الآلاف من الفلسطينيين الغاضبين إلى الشوارع وهم يهتفون بدعوات الانتقام ومواصلة المقاومة والعمليات الفدائية ، تجمهر الآلاف عقب إعلان النبأ أمام ثلاجات مستشفى الشفاء بغزة حيث يرقد الشيخ وأكد عضو المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس عماد العلمي أن الحركة ستواصل السير على نهج شيخها أحمد ياسين وقال العلمي : إن الشيخ الشهيد أحمد ياسين هو رمز المقاومة والجهاد والتضحية وكلنا إن شاء الله على نهجه لسائرون.



***

إن الشيخ احمد ياسين له صفته الاعتبارية على الصعيد الفكري والديني ، فهو شيخ مسن ومقعد وله تاريخه الكفاحي الطويل فهو زعيم روحي من شأن عملية الاغتيال أن تحيله وبسهولة إلى رمز نضالي ، شأنه في ذلك ، شأن الشيخ عز الدين القسام ، إضافة إلى ذلك، تدرك إسرائيل، بأن قيادة حماس هي قيادة جماعية ، مسؤولة فيما بين أعضائها أي تعتمد على المؤسسية وليست

مؤسسة تقوم على جهد الفرد اذا هلك ضعفت ؛ بل تشتد قوة وعزيمة بكل قيادة جديدة فلا يوهنها الاغتيال والتآمر ، تقوم على نمط نظام الشورى فأمير الجماعة الإسلامية – وهذا شأن فروع الإخوان المسلمين جميعاً – هو رأس الهرم الاستشاري ، ولا رأي له دون سماع آراء الآخرين لذا فإن غياب الشيخ ياسين عن ساحة الجهاد ، رغم ثقله وأهميته ، لا يعني إخلالاً في الإدارة الجماعية للحركة الإسلامية الجهادية

***

قال حسام الدين لصديقيه عزمي وجهاد أولا العم : لقد أمتعتنا تلك الليلة عن القادة الذين ضحوا من اجل الوطن هنا أو خارج فلسطين وتلك الليلة ذكرت المناضل سعيد السبع فلتقرأ لنا الليلة قصته كما وعدت

قال جهاد مرحبا : هيا للبيت أنا اعشق قراءة مثل هذه القصص والسير .. ونشرب الشاي ولنأخذ معنا كمية من الفلافل فقد وصتني أمي على ذلك

مروا على المطعم في طريقهم للبيت في حي النصر الكائن في مدينة غزة ، وابتاع جهاد أقراص الفلافل ، واشترى الخبز ، ولما وصلوا البيت رحبت بهم أم جهاد وقالت لهم بعد الترحيب سأصنع لكم الشاي الأصيل وشرائح البندورة والشطة

ـ هل عندنا ضيوف يا أمي اسمع أصواتا ؟

ـ نعم ضيوف عند ووالدك .

قال عزمي : فلنسلم عليهم قبل الارتقاء إلى حجرتك يا جهاد

وبعد العشاء الخفيف وأثناء شرب الشاي قال حسام : اعتقد حان وقت سماع أخبار هذا المناضل هو من أهالي الضفة بسم الله وعلى بركة الله نبدأ

سعيد السبع المعروف بلقب أبو باسل ، هو ضابط وسياسي فلسطيني – أردني ، وُلد في فلسطين ٢٧ نوفمبر ١٩٢٦ تلقى تعليمه في قلقيلية ،وشارك في حرب ١٩٤٨ سنة النكبة كقائد لجيش الجهاد المقدس في قلقيلية ومنطقة المثلث .

خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ، تعرضت عائلته لضغوطات كبيرة بعد استشهاد عز الدين القسام ، حيث داهمت القوات البريطانية في ٨ ديسمبر ١٩٣٥ منزل والده نمر السبع الذي كان رئيس بلدية قلقيلية وقتئذ واعتقلته بحجة تمويله جماعة عز الدين القسام شكلت هذه الحادثة بداية وعيه السياسي.

في عام ١٩٤٩ انضم السبع إلى الجيش العربي الأردني ، وكان ضمن المجموعة الأولى التي قامت

بعملية تعريب قيادة الجيش العربي وطرد غلوب باشا الضابط الإنجليزي قائد الجيش العربي الأردني حتى ٥٦، تم اتهامه بالمشاركة في انقلاب البعث عام ١٩٥٧ وحُكم عليه بالإعدام، مما دفعه إلى اللجوء إلى سوريا ثم إلى مصر بعد الانفصال.

كان سعيد السبع أحد مؤسسي منظمة التحرير الفلسطينية مع احمد الشقيري، وعُين كأول ممثل لها في الجزائر والسودان ، ساهم مع أحمد الشقيري وشفيق الحوت في صياغة اللاءات الثلاثة خلال مؤتمر الخرطوم ٦٧، تعرض لعدة محاولات اغتيال إسرائيلية كان يقف خلفها جهاز الموساد .

سعيد نمر محمد السبع ضابط وسياسي فلسطيني درس في قلقيلية من مدن الضفة الغربية عُين كأول مدير لمكتب منظمة التحرير الفلسطينية في الجزائر والسودان شارك بوفد فلسطين في مؤتمر القمة العربي الرابع الذي عقد بعد حرب وهزيمة ١٩٦٧ ، وهو اصغر أبناء الحاج نمر السبع رئيس بلدية قلقيلية ، وعُين أول ممثل لمنظمة التحرير الفلسطينية في الجزائر بعد انتصار الثورة الجزائرية ؛ حيث ساهم بحملة تعريب الجزائر من خلال إرسال الفان وخمسمائة مدرس فلسطيني بناء على طلب الحكومة الجزائرية ، ومن ثم أول ممثل للمنظمة في السودان وبعد ما ترك سعيد السبع السودان تم تعيين صبري البنا أبو نضال خلفاً لهُ كممثل لمنظمة التحرير الفلسطينية في السودان في بداية ١٩٦٩م وذلك قبل انشقاقه عن منظمة فتح ، وفي عام ١٩٦٩ عاد السبع إلى لبنان و عين مديرا عام لدائرة التنظيم الشعبي في منظمة التحرير .

اسهم في تلك الفترة بعدد من العمليات التي نسقها مع ابن خاله الشهيد أبو علي إياد والذي استشهد في الأردن بأحداث أيلول (١٩٧١) من ضمنها عملية خطف الجندي الإسرائيلي صومئيل روزن فايزر اغلب تلك العمليات والتي انطلقت من الجنوب اللبناني كان أعضاؤها ناشطين في دائرة التنظيم الشعبي مثل عملية الشهيد عمر موح الملقب زيغود من مخيم نهر البارد و الذي استشهد في شهر ٨ من عام١٩٧٠ .

في عام ١٩٤٦ م ذهب إلى الصحراء الغربية برفقة الدكتور داود الحسيني لشراء السلاح من

مخلفات الحرب العالمية الثانية أسس الفتوة و النجادة في منطقة قلقيلية ، عين من قبل الشهيد القائد عبد القادر الحسيني مسؤولا عن الجهاد المقدس في منطقة قلقيلية ، شارك في حرب ١٩٤٨ وفي عام ١٩٤٩ التحق في الجيش العربي الأردني كان ضمن مجموعة الأولى لضباط الذين شكّلوا طليعة الجيش في حركته يوم ١/ آذار/ ١٩٥٦ .

ويشار إلى انه عند تنفيذ عملية ميونخ التي تم فيها احتجاز رهائن إسرائيليين أثناء دورة الأولمبياد الصيفية المقامة في ميونخ في ألمانيا من ٥أغسطس إلى ٦ سبتمبر سنة ١٩٧٢كان سعيد السبع يشغل حينها منصب رئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب الفلسطيني.

عملية اسر الجندي ، وقعت هذه العملية بتاريخ ١-١-١٩٧٠ في منطقة المطلة على الحدود بين لبنان و فلسطين المحتلة عندما ارسل سعيد السبع خمسة عشر رجلا بتاريخ ١٢-١٢-١٩٦٩ من قاعدة الشيخ زناد التي أسسها في عكار بشمال لبنان وجزء منهم من مكتب دائرة التنظيم الشعبي الفلسطيني بحارة حريك إلى قاعدة في منطقة العرقوب كانت تحت إمرة الشهيد حسين الهيبي كان جميع أفراد المجموعة المنفذة أعضاء ناشطين في دائرة التنظيم الشعبي التي كان يرأسها بنفسه ، وهذه العملية هي بناء على اتفاق مسبق بين سعيد السبع وابن خاله وليد احمد نمر النصر الملقب بأبو علي إياد الذى وصل إلى منطقة العرقوب يوم رأس السنة واجتمع مع أفراد المجموعة التي كان على رأسها إبراهيم الشناوي الذى اخذ من أبو علي إياد الضوء الأخضر لتنفيذ عملية خطف جندي إسرائيلي ، ومن هناك تم اقتحام الحدود كانت العملية بهدفين الأول زرع متفجرات على الطرق التي يسلكها جيش الاحتلال إضافة إلى خطف جندي إسرائيلي كان صمؤيل روزن فايزر في فترة خدمته في منطقة المطلة كحارس ليلي عندما وقع في كمين المجموعة الفدائية ، وهو من سكان منطقة كريات متزكين قرب حيفا تم نقله على عجل إلى منطقة العرقوب ؛ حيث بقى أبو علي إياد بانتظارهم طوال اليل وما أن وصل إبراهيم الشناوي حاملا الجندي الإسرائيلي على كتفه حتى اندفع أبو علي إياد فرحا بهذا الإنجاز الكبير الذى لم يتوقعه ، فبادر من دون وعي إلى حضن الجندي الأسير قائلا له (أنت

جيت أنا ناطرك من زمان) فوضعه بسرعة في سيارته وانطلق به مسرعا نحو الأراضي السورية متخوفا من عملية إسرائيلية مباغتة لتخليص الأسير الذى وقع في أيدى المقاومة ومن دمشق كلف أبو علي إياد من كان معه التوجه بالجندي الإسرائيلي نحو مدينة حلب السورية ليتم إيهام الجندي انه اصبح في العراق حيث كانت السيارة التي بها الجندي تدور به في مناطق حلب مدة ثماني وأربعين ساعة ، جن جنون غولدا مائير ووزير دفاعها موشى ديان الذى اصدر في اليوم التالي للعملية أمرا للواء جولاني وهي وحدة النخبة في الجيش الإسرائيلي للدخول إلى قرية كفر كلا اللبنانية الجنوبية ؛ حيث تم خطف تسعة جنود لبنانيين إضافة إلى اثنا عشر مدنيا ومصادرة عدد من الأسلحة العائدة للجيش ؛ كما تم قصف الرادار الموجود في المكان كان الهدف الأساسي من هذه الخطوة تحميل الحكومة اللبنانية المسؤولية عن هذا العمل من اجل أن تضغط بدورها على الفدائيين الفلسطينيين لإعادة الجندي الأسير بعد عملية الخطف بأربعة أيام أعلنت حركة فتح أن صمؤيل روزن فايزر بحوزتها ، وهي جاهزة لعملية تفاوض مباشرة مطالبة بالإفراج عن مائة أسير فلسطيني معتقلين في سجون الاحتلال ؛ لكن الحكومة الإسرائيلية لم تكن لتوافق على بدء مفاوضات حول الأسرى حتى لا يعتبر هذا الأمر بمثابة اعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية إضافة إلى اعترافها بالأسرى الفلسطينيين كأسرى حرب ، تقول الرواية الإسرائيلية عن الحادث أن صمؤيل روزن فايزر تم نقله خارج لبنان إلى سوريا ومن هناك إلى العراق والأردن والحقيقة أن هذه الرواية غير صحيحة حيث تم نقله من العرقوب إلى دمشق ومن هناك إلى حلب وبقى الأسير الإسرائيلي في سيارة أبو علي إياد مع مجموعة من مرافقيه في منطقة حلب لمدة يومين ، بعدها تم نقله إلى مدينة دمشق ، وهناك اجرى مقابلة مع صحفي اجنبي اعتقد فيها الأسير الإسرائيلي انه في الأردن ، بينما كان في سجن الغوطة القريب من دمشق التابع لحركة فتح تحت اشرف محمد النصر شقيق أبو علي إياد والذى علمه اللغة العربية ، في تلك الفترة اطلق تصريحات يتمنى فيها العودة إلى هنغاريا مسقط رأسه في الأخير وبعد ضغط كبير من الأوساط الدولية إضافة إلى الحكومة اللبنانية تم التوصل إلى تسوية يتم

فيها الإفراج فيها عن أول أسير فلسطيني ، وهو محمود بكر حجازي الذى توكل عنه المحامي الفرنسي الشهير ، جاك فرجاس ، مقابل صمؤيل روزن فايزر في منطقة الناقورة بتاريخ ٢٨-٢-١٩٧١ .

كانت محاولة الاغتيال في بداية عام ١٩٧٢ م تقدم سعيد السبع (أبو باسل) برسالتين إلى اللجنة الأولمبية الدولية يطلب فيها المشاركة بوفد فلسطيني في بطولة الألعاب الأولمبية و ذلك عندما كان يراس المجلس الأعلى لرعاية الشباب الفلسطيني إلا أن الحكومة الألمانية رفضت الطلب الفلسطيني وعلى اثر هذا الرفض اخذ الشهيد صلاح خلف قرارا بإرسال مجموعة من منظمة أيلول الأسود إلى ميونخ لخطف أعضاء الفريق الإسرائيلي و مبادلته بـ ٢٦٠ أسيرا فلسطينيا داخل السجون الإسرائيلية ، بعد عملية ميونخ وضعت غولدا مائير قائمة اغتيالات لعدد من قادة المقاومة الفلسطينية ، فوصل مايك هراري رئيس وحدة كيدون الإسرائيلية بعد عملية فردان مباشرة والتي وقعت بتاريخ ١٠/ ٤/ ١٩٧٣ وأقام مع مجموعته حول منزله (سعيد السبع) في طرابلس (لبنان) إلا أن تحركات حجاي هداس المريبة والذي كان تحت اسم (اورلخ لوسبرغ) حامل جواز سفر ألماني مزور والذي سكن في شقة خطيبته جميلة معتوق المواجهة لشقة سعيد السبع دفعت أبو باسل لتكليف عدد من الفدائيين لمراقبته فتبين انه يتردد علي محل رينوار للتصوير في شارع عزمي في طرابلس وعند مراجعة صاحب المحل تبين أن لديه مغلف صور يحتوي على كل أقسام منزل سعيد السبع بالعدسة المكبرة وتعود ملكيته للسائح الاسكتلندي (جيمس بول) اسمه الحقيقي دافيد قمحي أدى هذا الكشف إلى إفشال عملية الاغتيال و هروب كل المجموعة المكونة من ثلاثة بريطانيين رجلان وامرأة يعتقد أنها سلفيا روفائيل والذين كانوا مقيمين فوق منزله والقس الأميركي (روبرت مالوي) اسمه الحقيقي مايك هراري والذي كان يسكن فوق الشقة التي يقيم فيها اورلخ لوسبرخ وجيمس بول الذي تبعد شقته خمسين متر عن شقة اورلخ لوسبرخ وشقة أبو باسل والتي منها تم اخذ اغلب الصور ، أدى هذا الحادث إلى هروب فريق الاغتيالات ومغادرتهم لبنان بتاريخ ٢٠-٦-

١٩٧٣ ما عدا اورلخ لوسبرخ ، و بتاريخ ١٠-٧-١٩٧٣ كلف اورلخ لوسبرخ ثلاثة لبنانيين بخطفه وحضر بيان يحمل اسم (ميونخ ٧٢) يتبنى عملية الخطف والهدف منها اتهام سعيد السبع بخطف السائح الألماني ردا على موقف الحكومة الألمانية السلبي من الخاطفين الفلسطينيين في ميونخ كان الهدف من هذه العملية الإيقاع بين الدولة اللبنانية والفدائيين في شمال لبنان وتجديد المعارك التي اندلعت بين الدولة و الفدائيين في شهر أيار بعد عملية فردان والتي راح ضحيتها ثلاثة من قادة المقاومة كمال عدوان - كمال ناصر - محمد يوسف النجار إلا أن الضابط اللبناني العميد عصام أبو زكي قائد شرطة مدينة طرابلس في ذلك الوقت كان له بالمرصاد بعد أن جمع عدد من المعلومات و توصل إلى أن اورلخ لوسبرخ هو من قام بخطف نفسه فتوجه إلى حقل العزيمة في منطقة سير الضنية والقي القبض عليه وسوقه للتحقيق مع عشرين شخص آخرين وتحويل ملفه إلى المحكمة العسكرية والتي اعترف فيها انه كان يراقب منزل سعيد السبع إضافة إلى انه حام حول القصر الجمهوري في بعبدا كما انه التقط صورا لقصر الرئيس سليمان فرنجية في اهدن شمال لبنان إضافة إلى تردده إلى المختارة و التقاط صور لقصر كمال جنبلاط إلا أن تدخلات كثيرة من السفارة الألمانية والأمريكية والشعبة الثانية اللبنانية أدت إلى إقفال ملفه و مغادرته لبنان ليتبين لاحقا أن اورلخ لوسبرغ ما هو إلا الضابط الإسرائيلي حجاي هداس والذي شغل عدت مناصب في جهاز الموساد آخرها نائب رئيس جهاز الموساد الإسرائيلي حتي عام ٢٠١٠ ، توفي سعيد السبع بتاريخ ٣٠-٦-١٩٩٥ في الأردن اثر إصابته بمرض السرطان .

توقف جهاد عن القراءة من موقع دنيا الوطن وقال : يكفي الليلة والحديث مشوق عن هذا الرجل وسيرته النضالية في مرة أو مرات قادمة نقرأ المزيد من تاريخه وتاريخ أسرته فهي قصة فلسطين قبل النكبة وبعدها

قال حسام : أحسنت يا أستاذ جهاد ! نعم أنا اطلعت على سيرته ولكن القراءة بصحبة الأفاضل تحفز الذاكرة وتزيد المعرفة هيا أستاذ عزمي إلا اذا ترغب في المبيت ببيت عمك .

قال عزمي : لا ، لا سأذهب مثلك للنوم مشينا هذا النهار كثيرا .. تصبح على خير جهاد سلم على العم وأمك وإخوانك .. قبل الانصراف ما قصة المختفي التي أشار إليها والدك لما دخلنا نسلم عليه ؟

قال جهاد : لا اعرف التفاصيل مثلك .. سأفهم صباحا .. يبدو أن صيادا غرق أو اختطف من قوارب إسرائيل

***

لما اجتمع القوم في سهرة أخرى طلبوا من جهاد متابعة قراءة سيرة سعيد السبع فقال : بسم الله ولد أبو باسل في ٢٧نوفمبر١٩٢٦ ، في مدينة قلقيلية، التي أصبحت الآن جزءًا من الضفة الغربية، وتقع على مقربة من الخط الأخضر وكانت تحت الانتداب البريطاني على فلسطين ، في ذلك الحين ، التحق الطفل بمدرسة قلقيلية الأميرية عام ١٩٣٤، وكان سلامة خليل مديراً للمدرسة، وتلقى تعاليم الدين الإسلامي على يد الشيخ أحمد الداعور ابن فلقلقية (عضو حزب التحرير الفلسطيني واصبح نائبا في البرلمان الأردني) ، كان والده الحاج نمر السبع رجلا تقيا وتاجرًا ثريًا ، جمع ثروته من خلال تصديره البرتقال إلى بريطانيا امتلك والده أراضي شاسعة تعتبر من أخصب أراضي فلسطين في منطقة المثلث الذهبي ، وامتدت من جلجوليا حتى كفر سابا ، والتي تقع الآن داخل الأراضي الفلسطينية التي احتلت عام ١٩٤٨أنشاء والده مع أشقائه شركة «السبع وعاشور» ، في يافا عام ١٩٣٠لتعبئة الحمضيات وتصدير البرتقال إلى بريطانيا، فكان يشرف على تعبئة محاصيله في صناديق خشبية لشحنها إلى أوروبا على خط الشحن الممتد من ميناء يافا إلى ميناء ليفربول الإنجليزي ، كان والده ناشطا في الحركة الوطنية الفلسطينية ، انضم إلى حزب الكتلة الوطنية الفلسطينية التي كانت برئاسة عبد اللطيف صلاح وعمل على مقاومة شراء الأراضي ، في تلك الفترة سعت الوكالة اليهودية لشراء الأراضي من الفلاحين الفلسطينيين بمبالغ خيالية ، وكان والده يقاوم هذا الأمر من خلال دفع نفس الثمن الذي تعرضه الوكالة اليهودية ، فيقوم بشراء الأراضي المهددة بالبيع حتى امتد ملكه من قلقيلية إلى البحر .

تزوج والده من عزيزة النصر وهي من نفس حمولته وعمة أبو علي إياد (قائد فلسطيني قتل في الأردن) ونظراً للمكانة المرموقة التي كان يتمتع بها ، فقد اختاره أهالي مدينة قلقيلية رئيسا لمجلسها المحلي عام ١٩٢٧وبقي يشغل هذا الموقع حتى وفاته يوم ٢٣نوفمبر١٩٣٨ ، في ذلك اليوم تعرضت عائلته لحادث مأساوي عندما أرسل فارس العزوني شخصين إلى مبنى

بلدية قلقيلية لاغتيال محمد قاسم أحد أبناء القرية ، وقد شعر القاسم بقدوم المسلحين الذين وجها له رصاصةً فرمى نفسه في حضن نمر السبع فسقط نمر السبع مضرجا بدمائه ، وراح ضحية الحادث ، بينما نجا محمد القاسم من القتل وشُفي بعد فترة من الزمن ، وقد أرسل فارس العزوني لآل شريم التي ينتمي لها آل السبع يعتذر لهم على ما جرى ، وأعرب عن استعداده لدفع الدية ، لكن العائلة رفضت هذا العرض وأصرّت على تطبيق الحكم الإسلامي الذي يقول أن القاتل يقتل في القرآن.

كان له دوره في حرب ١٩٤٨بعد تأسيس الهيئة العربية العليا لفلسطين في ١١يونيو١٩٤٦ م، بدأ الحاج أمين الحسيني يسعى لتوفير السلاح والعتاد من شتى المصادر، في تلك الفترة سافر سعيد السبع والدكتور داود الحسيني أحد مساعدي المفتي، إلى الصحراء الغربية (مصر) لشراء السلاح الناتج عن مخلفات الحرب العالمية الثانية، (كانت مسرحا بين الحلفاء والمحور في منطقة العلمين المصرية) عن تلك الفترة يتحدث شفيق الحوت في كتابه «بين الوطن والمنفى» نقلا عن حامد أبو ستة فيقول أن سعيد السبع كان من أوائل الشباب الذين بادروا إلى التحرك الثوري قبل النكبة ، كما كان منهم عثمان أبو حاشية، مصطفى عبد الحفيظ ، مصطفى البنا ، رشاد صالح، عادل صهيون ، صالح البرانسي إضافة للشهيد جمال الحوت (شقيق شفيق الحوت) ، أما مخطوط الدكتور قاسم الريماوي رئيس وزراء الأردن الأسبق والذي كان أمين السر للجهاد المقدس في ذلك الوقت (هم مجاهدو فلسطين ضد اليهود والاستعمار) ، فيشير إلى أن عبد القادر الحسيني زار مدينة قلقيلية في بداية شهر يناير ١٩٤٨ من أجل ترتيب وتنظيم عمل المقاومة ، فالتقى مع سعيد السبع ، وأصدر قرارا بتعيينه مسؤولاً عن الجهاد المقدس في منطقة قلقيلية .

شارك سعيد السبع في حرب ١٩٤٨ وخاض العديد من المعارك إلى جانب الجيش العراقي والذي كان بقيادة عبد الكريم قاسم ، منها معركة كفر سابا ، بيار عدس، ورأس العين التي حوصر فيها مع مجموعة من المجاهدين من أبناء قلقيلية ومعركة الطيرة ومعركة

رمات هاكوفيش ومعركة القسطل التي استشهد فيها عبد القادر الحسيني ، يومها اتصل به حسن سلامة طالبا منه تجهيز عناصر الجهاد المقدس في منطقته لفك الحصار عن القسطل، وقد وصل مع مجموعته صباح يوم ٨ أبريل ١٩٤٨ برفقة الشيخ حسن سلامة الذي أحضر معه عدد من الدبابات ، كما تحرك صبحي يوسف كايد جبارة على رأس مجموعة ، كما أن قاسم الريماوي وصل أيضا على رأس فرقة من جيش الجهاد المقدس وعدد كبير من قادة الفصائل، فتم فك الحصار عن القسطل بعد معركة كبيرة ، إلا أن الفاجعة الكبرى كان استشهاد عبد القادر الحسيني.

ويوم ١٦سبتمبر ١٩٤٨ أعلن الوسيط الدولي الكونت برنادوت في تقرير له أن العرب لم يبدوا أي رغبة بتشكيل حكومة فلسطينية في القسم العربي من فلسطين مما قد يؤدي إلى ضمه لشرق الأردن ، لم يمض على هذا الإعلان أربع وعشرين ساعة حتى قام إسحاق شامير زعيم منظمة شتيرن باغتياله في مدينة القدس ، على أثر هذا الإعلان بادر الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر إلى دعوة الحركة الوطنية الفلسطينية إلى مؤتمر يعقد في مدينة غزة وقد شارك سعيد السبع في هذا المؤتمر بعد تلقيه دعوة من الهيئة العربية العليا لفلسطين لتشكيل حكومة عموم فلسطين التي أعلنت يوم ٢٣سبتمبر ١٩٤٨ برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي.

قبل التحاقه بالجيش العربي الأردني تعرف على أفكار حزب البعث العربي الاشتراكي وأعجب بها وقد تأثر بشقيقه الأكبر أحمد السبع المتخرج من الجامعة الأميركية في بيروت والحامل للأفكار القومية ، وفي مدينة رام الله تعرف على عبد الله الريماوي وعبد الله نعواس ، وحضر معهم عددا من الخلوات التي ضمت البعثيين الأوائل ، كان ذلك في أواسط ١٩٤٩وهو نفس العام الذي تقدم به شقيقه أحمد السبع ومعه سبعة أعضاء حزبيين بكتاب للحاكم الإداري لمدينة القدس عبد الله التل يطلبون فيها ترخيصا لحزب البعث يوم ٢٠يونيو ١٩٤٩ ، في تلك الفترة التحق بالجيش العربي الأردني وتخرج يوم ١٣نوفمبر ١٩٥٤ برتبة ملازم ثان رقمه العسكري (٥١٢) ، خلال فترة وجوده في الجيش تعرف على حركة التنظيم السري للضباط

الوطنيين في الجيش العربي التي تأسست عام ١٩٥٠ لطرد القيادة الأجنبية من الجيش العربي ، وقد تضاعفت جهود هذه الحركة بعد نجاح ثورة ٢٣ يوليو في مصر عام ١٩٥٢ (انقلاب عبد الناصر الشهير على الملك فاروق) ، فتم تغيير اسم الحركة من التنظيم السري للضباط الوطنيين إلى حركة الضباط الأحرار الأردنيين ، وذلك تيمنا بالحركة المصرية.

وكان للمد القومي الذي شهدته الدول العربية بعد الثورة المصرية الأثر الأكبر في إصرار أعضاء حركة الضباط الأردنيين على السير على خطى مصر بحكم عبد الناصر بالتحرر من الهيمنة البريطانية على الأردن ، وذلك من خلال إنجاز نفس المهمة الثورية التي نفذها الضباط الأحرار في مصر، وكان هدفهم الأساسي إزالة غلوب باشا ، الذي يمثل رمزا للسيطرة الأجنبية على القوات المسلحة الأردنية ، والحياة السياسية والاقتصادية في الأردن ، فكان ضمن المجموعة الأولى للضباط الذين شكّلوا طليعة الجيش في حركته يوم ١ مارس١٩٥٦ ، والذين كانوا أعضاء في التنظيم السرّي واشتركوا في تنفيذ قرار تعريب قيادة الجيش العربي وطرد الجنرال غلوب باشا وإلغاء المعاهدة الأردنية / البريطانية ، يقول نذير رشيد : إن غلوب باشا علم بوجود تنظيم الضباط الأحرار الأردنيين فلجأ إلى نقلهم ملحقين عسكريين خارج الأردن ، كما امتنع عن ترقية بعض القادة ، وحاول منع الضباط من التعاطي بالأمور السياسية، خاصة عندما علم بوجود نشرة سرية يصدرها بعض الضباط الأردنيين ، وكانت تعدها المخابرات المصرية وتوزع في الأردن ، أما علي أبو نوار فقد ذكر في كتابه حين تلاشت العرب تفاصيل عملية تعريب الجيش الأردني وأن الملك حسين اتخذ قراره بتعريب قيادة الجيش وأصدر أمره إلى أعضاء تنظيم الضباط الأحرار لتنفيذ القرار كما ذكر أسماء الضباط الذين شكلوا طليعة الجيش يوم تعريبه ، أدى قرار تعريب قيادة الجيش العربي إلى توتر العلاقات مع الولايات المتحدة وبريطانيا من جهة ، وإلى تحسنها مع مصر عبد الناصر وسوريا من ناحيةٍ أخرى.

بعد تعريب قيادة الجيش العربي وطرد الجنرال غلوب باشا تم تعينه في جهاز الاستخبارات

العسكرية وفي يوم الأربعاء تاريخ ١٠ أكتوبر ١٩٥٦ بينما كان في منزل عمه عبد الرحيم السبع جاء صديقه محمود زهران الملقب محمود الأشوح ، ليخبره أنه عاد للتّو من الأراضي المحتلة بينما كان يقوم بمهاجمة قرية كفار سابا وهي إحدى الكيبوتسات الصهيونية الحدودية القريبة من مدينة قلقيلية ، وعند اجتيازه السكة الحديدية شاهد سيارات عسكرية إسرائيلية بلا أنوار كاشفة تقف وتنزل الأسلحة والجنود حول قلقيلية، كان هذا الحديث على مسمع عمه رئيس بلدية قلقيلية عبد الرحيم السبع الذي استدعى أعضاء المجلس البلدي ومخاتير قلقيلية وقادة الحرس الوطني للاجتماع بهم على عجل في مبنى بلدية قلقيلية ، وبعد أن تأكد من رواية محمود الأشوح أمر بتوزيع الأسلحة والذخائر على كل الشباب في الخنادق الأمامية وأوصى قادة الحرس الوطني الأردني أن لا تطلق أي رصاصة على الجيش الإسرائيلي إلا على مسافة قاتلة، وكلمة السر كانت بين الحرس الوطني (مازن).

خلال الاجتماع في مبنى البلدية طلب محمود الأشوح من الحضور الموافقة على مهاجمة الجيش الإسرائيلي في تجمعاتهم بواسطة قوة من الحرس الوطني قبيل أن يهجموا على قلقيلية ، فرفض طلبه بالإجماع خوفاً من ردود الأفعال الإسرائيلية على قلقيلية ، وخلال نصف ساعة انتشر المسلحون بعد أن تم تقسيمهم إلى ثلاثة مجموعات بقيادة محمود الأشوح وسعيد السبع وأبو يوسف الكايد على الخنادق الشمالية والغربية والشرقية بينما بقي عبد الرحيم السبع في مبنى البلدية مع أعضاء المجلس البلدي تحت الحراسة المشدّدة ، وعند الساعة العاشرة إلا عشر دقائق شعر الحرس الوطني بوصول الدفعة الأولى من الجيش الإسرائيلي راجلة تتسلل بين أشجار الجوافة تتجه إلى احتلال مركز الشرطة الواقع في شمال قلقيلية ، وعند وصولهم إلى مرمى النار فتحت عليهم النار وتراجعت القوة الإسرائيلية تاركين قتلاهم في ساحة المعركة وبعد ذلك شمل القتال كل الجبهات حول قلقيلية ودخلت الدبابات الإسرائيلية شوارع قلقيلية وبدأت الطائرات تقصف القوات المسلحة الأردنية التي حاصرت قوة عسكرية إسرائيلية شرق قرية النبي إلياس ، وقد استشهد في هذه المعركة اثنان وخمسون شهيداً من الحرس

الوطني والقوات المسلحة الأردنية من بينهم أحد قادة الجيش الشهيد غازي الكباريتي، وفي صباح يوم الخميس دخلت القوات المسلحة الأردنية إلى قلقيلية وانسحبت القوات الإسرائيلية من قلقيلية تاركين قتلاهم على أرض المعركة ، في تلك المعركة تم تدمير منزل عمه عبد الرحيم السبع إضافة إلى منزل والده الحاج نمر السبع كما قصفت القوات الإسرائيلية السيارة العسكرية التي كانت بحوزته متوقفة أمام منزل عمه.

بعد معركة قلقيلية مباشرة وخلال عمله في الاستخبارات العسكرية وصلته معلومات من أحد الفلسطينيين من أبناء بئر السبع عن انزال قوات فرنسية وبريطانية في منطقة النقب جنوب فلسطين المحتلة فقام بإرسال هذه المعلومات إلى كمال الدين رفعت عضو تنظيم حركة الضباط الأحرار (مصر)، استفاد المصريون من هذه المعلومات لمواجهة العدوان الثلاثي الذي وقع يوم ٢٩أكتوبر ١٩٥٦ على مصر.

في عام ١٩٥٧وعلى إثر احتجاجات شعبية شهدها الأردن بعد استقالة حكومة سليمان النابلسي وانتكاس التجربة الديمقراطية في الأردن اتهم بمشاركته يوم ١٣أبريل ١٩٥٧ بمحاولة الانقلاب على النظام الملكي في الأردن ، فيما عرف بحركة علي أبو نوار فتمت محاكمته، وصدر عليه حكم بالإعدام فذهب إلى سوريا لاجئًا سياسيًا ، وأثناء مغادرته الأردن إلى سوريا أوقفه ضابط أردني عند نقطة قريبة من الحدود السورية الأردنية ، كان سعيد السبع متنكرا بزي شيخ عربي تعرض لحادث سير ولديه إصابة برأسه فنظر إليه الضابط الأردني قائلا (مساءك سعيد. لا يعبر الليل إلا السباع . الله معك) كانت هذه إشارة من الضابط الأردني الذي عرفه ولم يوقفه ، وعند الوصول إلى الحدود السورية انتقل إلى درعا حيث استقبله الضابط السوري عبد الرحمن خليفاوي والذي أصبح وزيرا للداخلية ثم رئيسا للوزراء ومن هناك انتقل إلى دمشق لمقابلة عبد الحميد السراج الذي كان يرأس المكتب الثاني (المخابرات) ، ومن دمشق سافر إلى القاهرة للقاء كمال الدين رفعت وخلال وجوده في الفندق زاره فاروق القدومي الذي كان ناشطا بحزب البعث العربي الاشتراكي في ذلك الوقت ويرتبط معه بعلاقة

قربى من جهة والدته ، وبرفقته ياسر عرفات وصلاح خلف كان هذا أول لقاء ومعرفة بهم ومن ثم عاد إلى سوريا ليشهد في ٢٢فبراير ١٩٥٨ الوحدة العربية الوحيدة التي ولدت في القرن العشرين وانتهت بعد ثلاث سنوات وسبعة أشهر من ولادتها ، وهي الجمهورية العربية المتحدة برئاسة جمال عبد الناصر ، في تلك الفترة تعرف على زوجته اللبنانية نجوى محمد بك العمر المرعبي حيث كانت برفقة عائلتها في دمشق هربا من أحداث ١٩٥٨ والتي عمّت لبنان آنذاك.

خلال فترة لجوئه في سوريا ، شارك في المؤتمر القومي الثالث لحزب البعث العربي الاشتراكي والذي عُقد في بيروت بصيف ١٩٥٩، وهناك وقع خلاف عميق مع قيادة الحزب المتمثلة آنذاك بميشيل عفلق وصلاح البيطار وأكرم الحوراني ، على خلفية العلاقة مع الرئيس جمال عبد الناصر والوحدة السورية المصرية ، وكان سعيد السبع واضحاً حاسماً في هذا الأمر، فقد أخذ جانب القيادة التي يمثلها عبد الله الريماوي فترك الحزب مع بسام الشكعة ، أدى هذا الأمر إلى انشقاق في صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي فيما عرف «بانشقاق الريماوي» نسبة إلى عبد الله الريماوي وزير خارجية الأردن الأسبق ، لم يكن هذا التيار وحده في الخط المغاير لخط البعث والمعترض على خلاف البعث مع جمال عبد الناصر ، بل شاركه العديد من القيادات والبعثيين الأعضاء ، لاسيّما في الضفة الغربية والأردن ، شكّل هذا التيار ما عرف بالقيادة الثورية لحزب البعث ؛ لكن هذه القيادة انكفأت لمصلحة فكرة (الحركة العربية الواحدة) التي دعا إليها الرئيس جمال عبد الناصر وكان عبد الله الريماوي وفؤاد الركابي أحد أبرز منظريها .

صبيحة يوم ٢٨سبتمبر ١٩٦١ استفاق على انتشار كثيف لوحدات الجيش السوري في شوارع دمشق والدبابات تملأ الساحات العامة ومبنى الإذاعة والتلفزيون ، عندها اتصل باللواء علي أبو نوار مستفسرا فاخبره أن مقر رئاسة الأركان في دمشق أصبحت بيد الانفصاليين ، كما تم محاصرة منزل عبد الحكيم عامر في شارع عدنان المالكي بدمشق ، وان

المقدم عبد الكريم النحلاوي قاد انقلابًا واسقط الوحدة السورية-المصرية ، شكل الانفصال خيبة كبرى تضاف إلى الخيبات التي عاشها منذ احتلال وطنه عام ١٩٤٨، في ذلك الوقت اجرى اتصالا مع الضابط المصري زغلول عبد الرحمن الذي رتب امر انتقاله من دمشق إلى بيروت ، ومن هناك توجه إلى القاهرة لاجئا سياسيا ، خلال وجوده في مصر كان يتردد على نادي الجزيرة حاله كحال اللاجئين السياسيين الأردنيين والعرب ، في تلك الفترة تعرف على قادة حركات التحرر في الوطن العربي الذين وجدوا في مصر جمال عبد الناصر ملجأ لهم ، فالتقى مع محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي قاد الثورة الريفية ضد الاستعماري الاسباني والفرنسي للمغرب ، وسلطان لحج علي عبد الكريم العبدلي الذي عارض سياسة بريطانيا في اليمن وصدام حسين الذي لجاء إلى القاهرة بعد محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم ، كما تعرف على قادة الثورة الجزائرية في مصر ، وفي عام ١٩٦٥عاد إلى الأردن إثر إصدار الملك الحسين بن طلال لعفو عام شمله ورفاقه من أعضاء حركة الضباط الأحرار الأردنيين.

سعيد السبع يلقي كلمة بحضور الرئيس هواري بو مدين في كلية شرشال العسكرية ١٩٦٥

بعد تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية أصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية التي كانت برئاسة أحمد الشقيري قرارا عيّنت بموجبه سعيد السبع ممثلا لها في الجزائر فوصلها في صيف ١٩٦٥وقد قام الرئيس هواري بو مدين بتقديم مقر لمنظمة التحرير الفلسطينية كان يشغله الجنرال شارل ديغول خلال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر ليكون مقراً لفلسطين ساهم سعيد السبع في تلك الفترة بحملة تعريب الجزائر من خلال إرسال ألفين وخمسمائة مدرس فلسطيني بناء على طلب الحكومة الجزائرية.

في تلك الفترة اتفق مع الرئيس هواري بومدين الذي كان يتولى وزارة الدفاع الوطني على تدريب الضباط الفلسطينيين فتم تخريج أول دفعة من كلية شرشال العسكرية في عام ١٩٦٦ بحضور الرئيس هواري بومدين ورئيس الأركان طاهر زبيري ومدير كلية شرشال بو جنان أحمد لقبه العقيد عباس ، خلال تواجده في الجزائر ، وبينما كان يتحضر للنوم، رنَّ باب

منزله ونظرا لحذره الشديد فقد نظر من العين السحرية للباب ، وخاصة أن لا أحد يقوم بزيارته في المنزل ولا يوجد لديه حرس ومرافقين ، لكنه تفاجئ بوجود ثلاثة مقنعين على باب منزله ، فما كان منه إلا الاتصال على الأجهزة الأمنية الجزائرية ، التي هرعت إلى المكان وبدأت تحقيقات من دون الوصول إلى أي نتيجة ، بعد انتهاء مدة خدمته مديراً لمكتب منظمة التحرير الفلسطينية في الجزائر وانتقاله إلى السودان كرّمه الرئيس هواري بو مدين وقيادة الثورة الجزائرية بأن منحه سيف الأمير عبد القادر الجزائر والذي يعتبر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورمز للمقاومة الجزائرية ضد الاستعمار والاضطهاد الفرنسي .

في النصف الثاني من عام ١٩٦٦وصل سعيد السبع إلى الخرطوم بعد أن أصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية قرارا بتعينه ممثلا لها في السودان وقد عمل على تعزيز العلاقات مع مختلف الأحزاب السودانية إضافة إلى زعماء الطريقتين المهدية والختمية في ذلك الوقت اجتمع مع السيد علي الميرغني زعيم الطريقة الختمية الذي قدم له هدية عبارة عن عشرة آلاف رأس بقر كدعم لمنظمة التحرير الفلسطينية ، فقام سعيد السبع بإرسال برقية إلى أحمد الشقيري يعلمه بأمر الهدية فطلب منه تحويلها للجيش المصري المُرابط في سيناء.

واستصدر قرارا من الحكومة السودانية باعتماد يوم ٢٩ نوفمبر من كل عام لبدء الفعاليات المؤيدة لفلسطين ضمن (أسبوع نصرة فلسطين) كما أنه اتفق مع وزير التربية السوداني على أن تقوم المدارس السودانية بتخصيص الحصة الأولى للتعريف بالقضية الفلسطينية ويستمر هذا النشاط لمدة أسبوع.

خلال وجوده في الخرطوم شنت إسرائيل عدوانا استهدف قرية السموع (قرية في الخليل) يوم ١٣نوفمبر١٩٦٦ ، جنوب الضفة الغربية التابعة للمملكة الأردنية الهاشمية آنذاك حيث نشبت معركة عنيفة بين الجيشين الإسرائيلي والأردني على إثر مصرع ثلاث جنود إسرائيليين بانفجار لغم أرضي في جنوب الخط الأخضر ، وكانت نتيجة تلك المعركة استشهاد العديد من الجنود الأردنيين ، وتم تسوية ١٢٥ منزل بالأرض ، وكانت تلك المعركة من أحد العوامل التي

أدت إلى حرب الأيام الستة في ١٩٦٧، التي اندلعت يوم ٥يونيو ١٩٦٧ وكان من نتائجها احتلال ما تبقى من فلسطين التاريخية ، الضفة الغربية وقطاع غزة إضافة إلى أراضي سيناء والجولان

استقالة مدوية

شكلت استقالة أحمد الشقيري ضربة كبيرة للشقيريين وهم الآباء المؤسسون للمنظمة الذين كانوا إلى جانب الشقيري مؤسس منظمة التحرير الأول ،كان سعيد السبع وشفيق الحوت وأحمد صدقي الدجاني وحيدر عبد الشافي وأنيس صايغ وآخرين جزء من هذه الحالة الشقيرية ، وهو ما يعرف بالتيار القومي العروبي داخل منظمة التحرير الفلسطينية الذين اصطلح على تسميتهم فيما بعد داخل المجلس الوطني الفلسطيني (بالمستقلين).

في كانون ثانٍ (يناير) ١٩٦٨، رفع ياسر عرفات وحركة فتح شعار (الهدف) الدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين ، وعلل هذا الأمر أن ذلك يقدِّم حلاً إنسانياً تقدّمياً للمشكلتين الفلسطينية والإسرائيلية ، ولكن أخطر ما انطوى عليه هذا الحل ، أنه تحوُّل عن أهداف منظمة التحرير الفلسطينية ، قوامه الاهتمام بالوجود اليهودي القديم والجديد في فلسطين ، واعتُبر هذا التحوُّل إيذاناً مبكراً بتسلل ما سُمي فيما بعد بالمواقف المعتدلة داخل منظمة التحرير الفلسطينية التي أدت لأوسلو بعد عقود من تأسيس المنظمة ، وهي الوجهة التي سيُقدّر لها الاتساع والتمدد بين قيادات منظمة التحرير الفلسطينية ، وفي ١٦ سبتمبر ١٩٦٨ وصلت برقية لسعيد السبع من درويش الأبيض مدير عام الصندوق القومي ، كان من الواضح أن هذه الرسالة هي بناء على تعليمات من عبد المجيد شومان الذي لعب الدور الأساس بإسقاط أحمد الشقيري ، كانت البرقية غير مؤرشفة وفيها استفسار عن مكان إقامته في الخرطوم ، واضعا عددا من العقبات الإدارية أمام استمرار عمله في الخرطوم ، كان من الواضح أن هناك حملة تستهدف كل من كان على تحالف وثيق مع أحمد الشقيري ، كانت هذه الرسالة مترافقة مع قرار نقله من الخرطوم ، فقام بتسليم مكتب منظمة التحرير يوم ١٠

نوفمبر ١٩٦٨ إلى عبد اللطيف أبو حجلة ، وانتقل للعمل بمقر الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية في القاهرة ، وخلال وجوده هناك حضر دورة المجلس الوطني الفلسطيني الخامسة عن قطاع المستقلين ، والتي انتخب فيها ياسر عرفات في ٤ فبراير ١٩٦٩ زعيما للمنظمة وافتتح الدورة الرئيس جمال عبد الناصر وبعدها بثلاثة أشهر أصدر ياسر عرفات قرارا عيّن بموجبه صبري البنا ممثلا لحركة فتح في الخرطوم ، ترافق هذا القرار مع وصول جعفر النميري إلى الحكم بانقلاب عسكري فقام باعتقال رئيس الوزراء محمد أحمد المحجوب وإسماعيل الأزهري رئيس مجلس السيادة السوداني وبذلك كانوا الطرف الثاني الذي يدفع ثمن اللاءات الثلاثة بعد أحمد الشقيري.

في بداية عام ١٩٦٩انتقل أبو باسل إلى لبنان بعد أن أنهى مهمته في الخرطوم والقاهرة في محاولة لتنظيم العمل الفدائي انطلاقا من لبنان إلا أنه اصطدم بواقع الفلسطينيين المأساوي داخل المخيمات وقوانين الدولة اللبنانية التي تحظر على الفلسطينيين أي نشاط سياسي إضافة إلى تدخل الشعبة الثانية اللبنانية (المخابرات اللبنانية) في شؤون الفلسطينيين بشكل مهين ، خلال فترة وجوده في شمال لبنان وقع إشكال فردي يوم ٢٨أغسطس ١٩٦٩ داخل مخيم نهر البارد بين مواطنين فلسطينيين وعناصر من الدرك على خلفية بناء مكتب لحركة فتح ما لبث أن تطور إلى انتفاضة شعبية على إثر هذا الحادث أجرى سعيد السبع اتصال هاتفي مع الرائد سامي الخطيب تم على أثرها الإذن ببناء غرفة لقيادة الكفاح المسلح في مخيم نهر البارد ، إلا إن قوات الدرك داهمت المخيم وأمرت بوقف البناء ، ثم عاود الاتصال مرة أخرى بسامي الخطيب الذي كرر موافقته على الاستمرار في البناء ووعده بإبلاغ ذلك إلى السلطة العسكرية في منطقة الشمال.

وحين جرى استئناف العمل بالبناء في أعقاب الاتصال الثاني عادت السلطة من جديد وداهمت المخيم أدى هذا الأمر إلى صدام عنيف بين المواطنين الفلسطينيين والدرك اللبناني في تلك الفترة أخذ أبو علي إياد قرار القيام بعملية عسكرية واسعة النطاق في شمال لبنان وذلك بهدف

إجبار الدولة اللبنانية على تشريع العمل الفدائي انطلاقا من لبنان فتم تنفيذ عملية عسكرية واسعة شملت الحدود الشمالية وتم السيطرة على ستة وسبعين مخفرا ، وتحرك فاروق المقدم والذي كان منتميا لحركة فتح في ذلك الوقت فسيطر على المخافر في منطقة سير الضنية وقلعة طرابلس الأثرية ، طبعا لم تكن هذه الخطوة الفلسطينية بعيدة عن زعيم الحركة الوطنية اللبنانية كمال جنبلاط ورشيد كرامي الذي استنكف عن تشكيل الحكومة إلى ما بعد توقيع اتفاق القاهرة ١٩٦٩ استمرت الأحداث في شمال لبنان إلى أن تم التوقيع الرسمي في ٣ نوفمبر ١٩٦٩ في القاهرة بين ياسر عرفات وقائد الجيش اللبناني إميل بستاني وتحت إشراف وزير الدفاع المصري محمد فوزي.

كُلّف سعيد السبع الإشراف على تطبيق اتفاق القاهرة ١٩٦٩ في شمال لبنان فقام بإعادة الأسلحة وتسليم المخافر وقلعة طرابلس الأثرية إلى الجيش اللبناني إلا أنه اصطدم مع فاروق المقدم الذي رفض الانسحاب من قلعة طرابلس الأثرية معتبراً أن الثورة الفلسطينية تخلت عنه لصالح الاتفاق مع الدولة اللبنانية فترك حركة فتح وعمد إلى تأسيس حركة التمرد والتي عرفت فيما بعد بحركة ٢٤ تشرين ، أتاح اتفاق القاهرة تنظيم العمل الفدائي في لبنان فبادر أبو باسل إلى تأسيس قاعدة الشيخ زناد في عكار شمال لبنان كما أنه أرسل العديد من الشباب اللبناني والفلسطيني للتدريب في قاعدة المنطار القريبة من طرطوس في تلك الفترة خطط لعدد كبير من العمليات مع ابن خاله الشهيد أبو علي إياد من ضمنها عملية خطف أول جندي إسرائيلي (صموئيل روزن فايزر) وسبق الكلام عنها ؛ كما أنه أرسل في شهر آب من عام ١٩٧٠ مجموعة أخرى بقيادة عمر موح ولقبه (زيغود) من مخيم نهر البارد لتنفيذ عملية أسر جندي إسرائيلي آخر وتم تحديد الهدف ما بين موقع المالكية (فلسطين) والمنارة ، طبريا القريبة من الحدود اللبنانية الجنوبية استمرت المعركة طوال الليل وتم أسر جندي إسرائيلي وأثناء انسحاب المجموعة دارت معركة أخرى بعد أن أحضر الاحتلال قوات إسناد ودعموا هجومهم بالسلاح الجوي فأُصيب الشهيد عمر موح (زيغود) إصابة بالغة أدت إلى

استشهاده ورفيقيه الشهيد موسى وحش العوض والشهيد محمد حليحل وتم تعليق الجثامين على جدار المستعمرة بعد تفخيخها في محاولة من قوات الاحتلال لاستدراج الفدائيين الفلسطينيين على القيام بعملية لاستعادة الجثامين ، شكلت هذه العملية نهجا وقدوة لمئات الشباب الذين التحقوا بالمقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وهي تعتبر فاتحة العمليات الفدائية في جنوب لبنان وأصبحت ملكا لتاريخ ومقاومة شعب فلسطين.

***

مصرع أبي إياد

لا يعرف على وجه التحديد التاريخ الحقيقي لمقتل أبو علي إياد في أحراش جرش وعجلون بعد معارك ضارية مع القوات المسلحة الأردنية إلا أن أرشيف سعيد السبع يشير إلى تلقيه آخر رسالة من أبو علي إياد خلال فترة حصاره يعود تاريخها إلى يومي ١٥يوليو و١٦ يوليو ١٩٧١ وفيها وصف دقيق لمجريات المعركة التي اندلعت يوم ١٣يوليو ١٩٧١ خاض أبو علي إياد تلك المعركة مع انه لم يكن يتولى أي مسؤوليات في الأردن إنما كان عمله ينحصر في بناء القواعد والإشراف على العمليات التي كانت تنطلق من جنوب لبنان والجولان المحتل أدى الغياب المفاجئ لأبو علي إياد وإصدار ياسر عرفات بيان استباقي يعلن فيه مقتل أبو علي إياد في الأردن إلى تفجر خلافات عميقة بين أبو عمار وسعيد السبع ، كان أبو باسل ضد التسرع بإصدار بيان النعي ، لأنه اعتبر أن النعي هو بمثابة إعدام للقائد أبو علي إياد ، خاصة أنه من الممكن أن يكون قد وقع في الأسر أو أنه جرح خلال المعارك مع العلم أن الرئيس السوري حافظ الأسد والذي تربطه علاقة مميزة مع أبو علي إياد ، أوفد العماد مصطفى طلاس للتفاوض رسميا مع الحكومة الأردنية من أجل تأمين خروجه ، كما أنه أرسل سرا وحدة كوماندوس من الضباط السوريين برئاسة حكمت الشهابي من أجل البحث عن أبو علي إياد في منطقة الأغوار على الحدود القريبة من فلسطين المحتلة ، يوم تشييع الجنازة الرمزية لأبو علي إياد في دمشق ووسط حالة من الاحتقان الشديد من قبل أفراد أسرته على ياسر

عرفات الذي أصدر بيان النعي ، حدثت مشادة كلامية داخل منزل والد أبو علي إياد بين أحد أفراد العائلة وأبو عمار ورفع فيها السلاح بوجه عرفات ، وكادت أن تتطور الأمور إلى مذبحة داخل المنزل ، كما أن عددا من الضباط الفلسطينيين القريبين من تيار أبو علي أبدى رغبة في تنظيم انتفاضة وانشقاق على قيادة حركة فتح وياسر عرفات ، ولكن العائلة لم تكن ترغب أن تتحول دماء أبو علي إلى مناسبة لتفتيت وحدة الصف وإجهاض الثورة الفلسطينية الوليدة ، فتم العض على الجرح وتفويت الفرصة على المتربصين.

لا شك أن هذه الحادثة الإهانة تركت في نفس ياسر عرفات أثرًا عميقًا ، فبدأ بحملة واسعة تستهدف كل المقربين من أبو علي ، فتم إقصاء شقيقه الحاج نصر من أي مسؤولية ، كما أنه فرض حصارًا ماليًا على القواعد العسكرية التي تأتمر بأوامر أبو يوسف الكايد ، ثم بدأ يحاصر سعيد السبع داخل التنظيم الشعبي الفلسطيني عبر تحريض الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وإقصاء كل الأشخاص القريبين منه ، وقد سبق هذه الأمر اغتيال رئيس وزراء الأردن وصفي التل تحت حجة الثأر لأبو علي إياد ، لكن الأمر الملفت والغريب أن الذي قام بالعملية هو أبو حسن سلامة المرتبط مع جهاز وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية عبر ضابطها في بيروت روبرت اميس، هذه العملية وغيرها من العمليات مثل ميونيخ ١٩٧٢واستهداف السفارة السعودية في الخرطوم عام ١٩٧٣تضع العديد من علامات الاستفهام حول الدوافع والغايات.

***

في منتصف عام ١٩٧١صدر قرار بتعيين سعيد السبع مديرا عاما لدائرة التنظيم الشعبي نائبا لفاروق القدومي ، وكانت تعتبر من أهم دوائر منظمة التحرير الفلسطينية حيث أن ربع أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني (البرلمان الفلسطيني) يتم فرزهم عبر هذه الدائرة التي يتبع لها الاتحادات والنقابات إضافة إلى المجلس الأعلى لرعاية الشباب الفلسطيني في تلك الفترة أعاد تنظيم الاتحادات والمنظمات الشعبية بعد خروج الثورة الفلسطينية من الأردن فعمل على تنظيم

الانتخابات لاتحاد المعلمين والمرأة والعمال والمحامين والأطباء إضافة للكتاب ، كما تقدم باقتراح لوزراء الرياضة العرب من أجل تنظيم كأس فلسطين لكرة القدم بدلا من كأس العرب لكرة القدم ، فتم تبني الاقتراح وعقدت الدورة الأولى في بغداد بالعراق في يناير ١٩٧٢ .

وفي نهاية ١٩٧١وصلته دعوة من جمهورية الصين الشعبية للمشاركة في مؤتمر الصداقة لشعوب آسيا وأفريقيا سافر إلى الصين على رأس وفد كبير واستمرت هذه الزيارة مدة شهر كامل ، وكانت بداية لتعاون حقيقي وفعلي بين الطرفين أثمرت عن طلب سعيد السبع لسلاح وعتاد من الجانب الصيني وذلك خلال لقائه مع رئيس وزراء الصين تشو ان لاى وقد جاء هذا الطلب في الوقت الذي كانت فيه الثورة الفلسطينية بأمسّ الحاجة للسلاح خاصة بعد الخروج من الأردن على إثر معارك جرش وعجلون ، في ذلك الاجتماع وافق تشو ان لاي على المطلب الفلسطيني مع زيادة الكميات المطلوبة أضعاف الطلب الفلسطيني مما استدعى سعيد السبع للاستفسار عن هذا الأمر من الرئيس تشو ان لاي الذي قال له أن ما طلبته يا رفيق وما زدنا عليه لا يكلفنا إلا مؤتمر صحفي على التلفاز ندعو به الشعب الصيني للعمل دقيقة إضافية لصالح الشعب الفلسطيني ، بعد أن وافق الصينيون على تزويد الثورة الفلسطينية بباخرة السلاح طلب منهم سعيد السبع تحويلها إلى مرفأ اللاذقية في سوريا ، وأجرى اتصالاً مع ياسر عرفات يبلغه بأمر الباخرة ، فطلب منه ياسر عرفات تحويلها إلى العراق ووضعها بعهدة معتمد فلسطين في العراق صبري البنا ، بحجة أن نظام الرئيس السوري حافظ الأسد سوف يصادرها في حال وصولها إلى مرفأ اللاذقية ، وفي منتصف عام ١٩٧٢ وصلت باخرة السلاح الصينية إلى ميناء البصرة في العراق واستلمها عاطف أبو بكر وإبراهيم صيدم مسؤول التسليح وتم تخزينها في مستودعات حركة فتح في العراق وعندما انشق صبري البنا المعروف أبو نضال قام بمصادرة السلاح وبيع أجزاء منه ، كانت هذه السفينة هي أول مدد لتنظيم المجلس الثوري الذي ظهر عام ١٩٧٤، وقد قدرت حمولة السفينة بخمسة مليون دولار في ذلك الوقت.

محاولة اغتيال


الأنوار
كشف تفاصيل قضية التجسس
الألماني المعتقل كان يراقب قادة المقاومة
أسماء لبنانية بين ضحايا كارثة الطائرة البرازيلية
هيكل: الأمة العربية مهددة بفقد مكانها على خريطة العالم

ما بين استشهاد أبو علي إياد عام ١٩٧١ ومحاولة اغتيال سعيد السبع في طرابلس عام ١٩٧٣ تم تطويع الإرادة الفلسطينية للوصول إلى الحل السياسي عبر برنامج النقاط العشرة.

برغم أن جهاز الموساد حقق الكثير من العمليات الناجحة في عام ١٩٧٣إلا أنه ارتكب الكثير من الأخطاء أثناء حربه الأمنية مع الفلسطينيين ، يقول رونين بيرغمان الخبير المقرب من المؤسسة الأمنية الإسرائيلية أن جهاز الموساد نفّذ خلال أربعة عشر شهرًا التي سبقت وتلت عملية فردان أكثر من خمسين عملية أمنية استهدفت قادة العمل الوطني الفلسطيني من اغتيال ومحاولة اغتيال وتصفية ، ولم يعلن إلا عن خمس وعشرون عملية ، وهناك الكثير من الضحايا الذين قضوا في تلك العمليات ولم يعرف حتى الآن أنهم كانوا ضحايا لعمليات الاغتيال من قبل فريق كيدون ، بالعودة إلى الإخفاقات التي وقع بها جهاز الموساد ، فإن اكتشاف أبو باسل لعملية تصوير منزله دفعته لإبلاغ الأمن العام اللبناني وهذا يعتبر الإخفاق الأول ، ثم تلاه محاولة أورلخ لوسبرخ خطف جول مسعد قنصل ألمانيا الغربية في مدينة طرابلس (لبنان) ومحاولة لوسبرخ الصاق التهمة بسعيد السبع أنه وراء خطف القنصل أو قتله في محاولة من جهاز الموساد لافتعال مشاكل بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الألمانية خاصة أن هذه المحاولة جاءت بعد عملية ميونخ الشهيرة ، ومن ثم إقدامه على تدبير عملية خطف نفسه بالتعاون مع ثلاثة لبنانيين وخطيبته جميلة معتوق، وإصدار بيان باسم منظمة وهمية كان قد أنشأها في طرابلس تحمل اسم منظمة ميونخ ٧٢ تتبنى عملية خطفه وتطالب الحكومة الألمانية بدفع مبلغ ١٥ مليون ليرة لبنانية ، في محاولة أخرى من جانبه لاتهام سعيد السبع أنه وراء عملية خطفه بسبب موقف الحكومة الألمانية المتماهي مع

الإسرائيليين خلال تنفيذ عملية ميونخ ، فتم اعتقاله من قبل النقيب عصام أبو زكي، واعترف أمامه أنه كان مشاركا في عملية فردان وأنه كان يراقب منزل سعيد السبع تمهيدا لاغتياله ، جميع هذه الإخفاقات ودور بعض الجهات الأمنية اللبنانية والأطراف الفلسطينية التي كانت على تعاون وتنسيق مع شبكة أورلخ لوسبرخ والذي كان يتلقى التمويل عبر جهات فلسطينية في لبنان وتحويلات بنكية من سويسرا وألمانيا عبر بنك علي جمال في بيروت، الجهات الفلسطينية المتورطة معه سهّلت دخوله إلى مخيم البداوي في شمال لبنان لتدريب عناصر الكفاح المسلح الفلسطيني ، كل هذا المعطيات والاعترافات ظهرت بعد اعتقال عصام أبو زكي له في سير الضنية فتم تكليف إبراهيم البطراوي مسؤول الكفاح المسلح في شمال لبنان الاتصال مع عصام أبو زكي ومحاولة التوسط لديه للإفراج عن أورلخ وإغلاق ملفه ، بحجة أنه مناضل أممي مناصر للقضية الفلسطينية ، لكن النقيب أبو زكي أبلغ المسؤول الفلسطيني أن ملف أورلخ أصبح في المحكمة العسكرية وأنه اعترف بمشاركته في عملية فردان ، ومراقبته لمنزل سعيد السبع تمهيدا لاغتياله ، كما أنه اعترف لدى المحكمة أنه نقيب في الجيش الإسرائيلي واسمه الحقيقي حاييم روفيل.

اعترافات اورلخ لوسبرخ أو حاييم رؤفئل كما ادعى وافتضح دوره وشبكاته دفعت جهاز الموساد لتنفيذ عملية اغتيال أحمد بوشيقي بمدينة ليلهامر في بالنرويج يوم ٢١ يوليو ١٩٧٣ أي بعد عشرة أيام من اعتقال حاييم روفيل في قرية حقل العزيمة بسير الضنية، وأعلنت إسرائيل من تل أبيب أنها قتلت علي حسن سلامة مسؤول القوة ١٧ لدوره في عملية ميونخ مع أن صلاح خلف أكّد أن لا دور له في عملية ميونخ أبدا ، إسرائيل التي أعلنت أنها أخطأت الهدف بقتل بوشيقي الذي يشبه أبو حسن سلامه ، كان هدفها التستر على دور أطراف عديدة انكشفت في طرابلس وفردان ، فمن يدقق في صور الشخصيتين علي حسن سلامة وأحمد بوشيقي لا يجد أن هناك تشابه بين الاثنين ، كما أنه من المعروف عن جهاز الموساد أنه يسكن بجانب الضحية قبل ستة أشهر على الأقل من تنفيذ جريمته ، فيقوم

برصد الضحية وأخذ العديد من الصور له ولعائلته وزواره ، كما أنه يرسم مُجسّم لشقته، كما حدث في فردان حيث استأجر جهاز الموساد عدة شقق حول منزل القادة الثلاثة ، وهذا ما حدث عند محاولة اغتيال أبو باسل ، فقد استأجر الموساد عدد من الشقق حول منزله وفوق شقته ، ولا يمكن أن يقوم جهاز محترف بحجم وكفاءة الموساد بتصفية شخص لمجرد تشابه كما يدعي ، الشيء الآخر الملفت ، هل من المعقول أن يسافر رئيس جهاز أمني فلسطيني إلى قرية ليلهامر النرويجية ليعمل في فندق ويتنكر بشخصية نادل مغربي ويقوم بتقديم القهوة والشاي للزبائن ؟ كارثة الموساد في ليلهامر لم تكن بسيطة ، اعتقال ستة ضباط من جهاز الموساد في النرويج إضافة لإخفاقات الموساد في لبنان التي تكلّلت باعتقال حاييم رؤفيل في طرابلس ، دفعت جولدا مائير لإصدار أوامرها بوقف العمليات الخارجية فورا، كما أن شبتاي شافيت قدّم استقالته إلى مدير الموساد تسفي زامير ، لم يتوقف الأمر هنا بل إن مايك هراري مدير وحدة كيدون قدّم استقالته أيضا ، يعتبر شهر تموز من عام ١٩٧٣ شهر الكوارث لجهاز الموساد، الذي أصبح يدرس في مناهجه خطأ طرابلس الذي تسبب باعتقال سبعة ضباط من وحدة كيدون

***

في نهاية عام ١٩٧٢ بدأت المشاكل تتصاعد مع ياسر عرفات على خلفية استشهاد أبو علي إياد في الأردن والإقصاء المتعمد لكل من يمت بصلة لأبو علي إياد فكان الصدام المسلح لإنهاء ظاهرة أبو يوسف الكايد في البقاع وبعدها بعشرة أيام تعرض سعيد السبع وزوجته إلى حادث سير مدبر على الطريق الدولي الذي يربط بيروت طرابلس أدى هذا الحادث إلى إقعاده عن العمل وعدم قدرته على الحركة ، وتم نقله للعلاج في المستشفى العسكري التابع للجيش المصري في القاهرة ترافق هذا الأمر مع انتقال فاروق القدومي من دائرة التنظيم الشعبي إلى الدائرة السياسية ، وتم تعيين أحمد اليماني خلفا له الذي بدأ بعملية إقصاء لكل الكادر المحسوب على سعيد السبع والذي كان له الدور الأساس في العمليات العسكرية التي انطلقت من جنوب

لبنان لم تكن خطوة أحمد اليماني بعيدة عن ياسر عرفات ، وفي النصف الثاني من عام ١٩٧٣ ترك سعيد السبع منظمة التحرير الفلسطينية التي بدأت تتبني فكرة الحل السلمي الذي تبلور ببرنامج النقاط العشر ، وتلقّى في عام ١٩٧٤ دعوة لزيارة العراق من قبل صديقه القديم في حركة الضباط الأحرار الأردنيين، شاهر أبو شحوت لقبه أبو جبار الذي عين كمدير لمكتب فلسطين والكفاح المسلح في القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي وهناك في منتصف الليل عند الساعة الرابعة فجرا اتصل به عامل المقسم في فندق فلسطين (بغداد) ليخبره بوجود شخص اسمه صبري البنا ويريد مقابلته، جاءه أبو نضال إلى الفندق عارضًا عليه العمل ضد ياسر عرفات قائلا له: أنت تعرف انني الابن المدلل لياسر عرفات من أيام مكتب الخرطوم وما خلافي معه إلا بسبب مقتل ابن خالك في الأردن أبو علي إياد استمر الحوار حتى شروق الشمس ، في تلك الفترة أقام أبو نضال معسكر لمنظمته واطلق عليه اسم معسكر الشهيد أبو علي إياد رافعا شعار الثأر لمقتله ، لم يقتنع سعيد السبع بطرح أبو نضال وغادر العراق من دون الاتفاق مع صبري البنا ، بعد عامين من هذا اللقاء توجه الحاج نصر النصر شقيق أبو علي إياد إلى العراق فتم اغتياله على يد أبو نضال بظروف غامضة

***

في عام ١٩٧٩ وعلى اثر وساطة قام بها صلاح خلف لإصلاح ذات البين بينه وبين ياسر عرفات، عاد إلى منظمة التحرير الفلسطينية بعدما أصدرت اللجنة التنفيذية قرارا عينت بموجبه سعيد السبع عضوا في مجلس التخطيط الأعلى لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ساهم في تلك الفترة مع صديقه أحمد صدقي الدجاني في تطوير عمل مجلس التخطيط الذي يتألف من أعضاء سابقين في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وهو الوحيد الذي لم يكن عضوا سابقا في اللجنة التنفيذية برغم ذلك فقد تم تعينه نظرا لأقدميته.

قبيل الاجتياح الإسرائيلي لبيروت ١٩٨٢ اتصل به صلاح خلف وارسل له عاطف بسيسو الذي تبين انه شحن باخرة سلاح من ألمانيا الشرقية على اسمه إلى مرفأ طرابلس ،

لبنان كانت الباخرة تحوي عددا كبيرا من السيارات تمويها ، وبعدها بفترة تكررت زيارات عاطف بسيسو، وكان معه في إحداها مجموعة من الضباط الألمان كان رئيس ألمانيا الشرقية إريش هونيكر قد أرسلهم لتدريب مقاتلي الثورة الفلسطينية فتم تأسيس معسكر تدريبي لهم في مخيم البداوي شمال لبنان.

لم يمض وقت كثير حتى بدأ غزو لبنان ١٩٨٢ مما أدى إلى توقف عمل مجلس التخطيط في بيروت كما تم إغلاق قاعدة الضباط الألمان ورحلت جميع مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان.

في بداية عام ١٩٩٥ بدأت تظهر عوارض غريبة على سعيد السبع بعد عودته من الأردن كانت بدايتها أنفلونزا شديدة ، فذهب إلى طبيب في مدينة طرابلس لبنان لمعاينته فوصف له علاجًا للرشح ، ورجح التشخيص في البداية شكلاً من أشكال الرشح الشديد ، وكانت العوارض تصب في هذا الاتجاه بقي على هذه الحال لمدة شهر ، ولم يتعافى مع آلام في كل أنحاء جسمه ، ثم تطور الأمر إلى سعال مع دماء ، واستفحل وضعه الصحي بسرعة ، لم يتوقع الأطباء أن يكون المرض عضالا، آلام في الظهر بشكل لا يُحتمل ، وعدم المقدرة على تقبل الغذاء بكل أشكاله، خلال زيارة أحد الأطباء له طلب منه صورة سكانر ، ظهرت النتيجة في اليوم التالي ، هو يعاني من انتشار سرطان الرئة ، بدأت رحلة جديدة من المعاناة ، فكان يسافر شهريًّا إلى الأردن لأخذ العلاج الكيميائي ، وهناك اهتم به أخصائيون في الأردن وأجروا له كل الفحوصات اللازمة.

لكن عند عودته إلى لبنان كل شهر كانت عائلته تلاحظ أن التدهور في صحته كان كبيرًا ، تغير رهيب في مظهره وقوته ، تورم كبير في كتفه الأيسر، استولى الوهن والضعف على جسمه، لكن وعيه بقي كاملا، كذلك قدرته على التركيز ، كان مهتمًّا بعدم إظهار الضعف أمام عائلته ، لكن صلابة الإرادة لا تكفي وحدها لإخفاء التدهور ، أغلب الظن أنه أدرك تفاقم حالته، لكنه لم يكن يرغب في إظهار ذلك ، تمسك في جدول أعماله اليومي ، وكان يسأل الزائرين عن بعض

المسائل السياسية وأخبار فلسطين ، موحيًا أنه في وضع طبيعي ، في أواسط يونيو تزايد التدهور، فسافر إلى الأردن ، وقال الأطباء الأردنيون إنهم غير قادرين على القيام بأكثر مما قاموا به وتوفي في ٣٠يونيو ١٩٩٥ الموافق ليوم الجمعة ٢ من شهر صفر ١٤١٦هـ في الأردن.

يُشار في هذا الصدد إلى أنه عند وفاته عام ١٩٩٥كان شبتاي شافيت قد تقلد منصب مدير جهاز الموساد وهو الذي كان يتابعه في السودان خلال مؤتمر القمة العربية في الخرطوم ١٩٦٧، وكان أحد أعضاء الفريق الإسرائيلي المكلف باغتياله في طرابلس عام ١٩٧٣ ، أما داني ياتوم الذي قبض عليه من قبل عصام أبو زكي في حقل العزيمة ، فقد تقلد منصب السكرتير العسكري لرئيس الوزراء إسحاق رابين

بعد تعيين شبتاي شافيت في منصب مدير جهاز الموساد عام ١٩٨٩، بدأ بمراجعة كل ملفات الموساد ، والإخفاقات التي تعرض لها الجهاز ، وخاصة تلك العملية الفاشلة والتي كان شبتاي شافيت مشاركا فيها ، والتي كانت تستهدف اغتيال سعيد السبع في طرابلس شمال لبنان ، يقول رونين برغمان أن شبتاي شافيت طلب موافقة رئيس الوزراء إسحاق شامير على اغتيال القادة الفلسطينيين الذين أدرجت أسماؤهم على "اللائحة الحمراء" (مطلوبين للقتل) قبل أكثر من عشرين عاماً (حقبة جولدا مائير)، وبقي معظمهم فاراً ، على حد تعبير رونين بريغمان الذي ينقل عن رئيس "الموساد"شبتاي شافيت قوله "من وجهة نظرنا، الصفحات الحمراء تبقى بلا نهاية وعليه أخذ الموساد قرارا بتصفية صلاح خلف يوم ١٤ يناير ١٩٩١ وقتله معه هايل عبد الحميد وفخري العمري ، وبعدها بعام اغتيل عاطف بسيسو في باريس ، ثم قام الموساد بتصفية مهدي بسيسو مسؤول الأمن في حركة فتح – الانتفاضة في بيروت عن طريق السم ، ثم تمكن من الوصول إلى تسميم سعيد السبع والذي توفي يوم ٣٠ حزيران ١٩٩٥، ثم لاحقا فتحي الشقاقي في مالطا حيث تم اغتياله يوم ٢٦ تشرين الأول ١٩٩٥

***

يقول إسحاق حوفي، رئيس الموساد السابق، بين الأعوام ١٩٧٤ ـ ١٩٨٢ على الجميع أنْ يعلم ، إنّ مَنْ قتل يهوديًا، فهو يكون عمليًا قد أصدر حكم الإعدام بحقّ نفسه ، إنّه انتهى عمليًّا، على حدّ وصفه ، طبق الموساد هذا الأمر على أدولف آيخمان الضابط النازي الذي عمل إلى جانب أدولف هتلر وهرب بعد الحرب العالمية الثانية إلى الأرجنتين متخفياً باسم جديد وشخصية جديدة مبتعداً عن أية مظاهر قد تفضحه ولم يمارس أي عمل ضد إسرائيل ، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وفي عام ١٩٦٠ خطفه رفائيل إيتان ونقله إلى إسرائيل ، حيث حوكم وأدين وشُنق في العام ١٩٦٢ ثم أحرقت جثته وألقي بالرماد في البحر الأبيض المتوسط ـ تفاخر مزيف فألمانيا النازية سحقت آلاف اليهود وكان ذلك قبل إنشاء الكيان الصهيوني ـ

بعد أربعة أشهر على وفاة سعيد السبع الغامضة قام جهاز الموساد والذي كان تحت رئاسة داني ياتوم بتنفيذ عملية اغتيال فتحي الشقاقي في جزيرة مالطا يوم ٢٦ أكتوبر١٩٩٥ ، وفي ٢٥ سبتمبر ١٩٩٧ قام جهاز الموساد الإسرائيلي بتوجيهات مباشرة من رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو .بمحاولة اغتيال خالد مشعل في الأردن ؛ حيث قام فريق الموساد المكون من عشرة أشخاص بالدخول إلى الأردن بجوازات سفر كندية مزورة حيث كان خالد مشعل مقيماً هناك ، وتم حقنه بمادة سامة أثناء سيره في شارع وصفي التل في عمان ، ولو لم ينتبه مرافق خالد مشعل وابنته إلى أن هناك أمر غير طبيعي، لنجحت العملية ومرت مرور الكرام وتم اعتبار الأمر على أنه لغز . كما حدث مع وديع حداد الذي تم اغتياله ، ولم تعلن إسرائيل إلا بعد مرور ثمانية وعشرون عامًا ، فيما بعد تبين أن مدير الموساد داني ياتوم كان يقف خلف إعطاء الأوامر بتصفية خالد مشعل في الأردن إضافة إلى أنه سبق أن شغل منصب قائد الضفة الغربية عام ١٩٩٤ .

***

سكت جهاد ووضع الكراسة على المكتب فقال عزمي : الله يعطيك العافية قصصت علينا مختصرا عن قصة فلسطين والكفاح المسلح من خلال قصة المناضل سعيد رحمه الله

قال حسام وهو يتمطط من طول الإصغاء والانبهار : أحسنت أيها الصديق ! .. لنا عمر وعقود نجاهد هذا الاستعمار الغريب .. مصدر هذا الملف الموسوعة الحرة الإلكترونية

ـ نعم ، حولتها لملف بي دي أف ثم صورتها .. قصة أعجبتني ، فهي تحكي حكاية النضال الفلسطيني بشخصية مناضل فلسطيني ؛ بل من عائلة مناضلين .. وفي النهاية هذا ما علم وعرف من حياتهم واشتهر .. وهناك الكثير من التفاصيل ستبقى مجهولة

ـ وهل الموسوعة مصدر موثوق ؟

قال مجيبا : إلى حد ما .. وهذه معلومات عامة ذكرتها الصحف في كل وقت.. فمن كتب المقال قام بتجميعها من تلك الصحف .. وكتب الموساد تفاصيلها غير موثوقة فهي تمر تحت الرقابة الأمنية قبل نشرها وأكيد للكاتب خيالا يلصقه بها ليسد الثغرات للقصة .. سواء مات السبع مسموما أو غير مسموم فالموت لا مفر منه .. والزعم لا يؤخذ به كحقيقة ثابتة

الدكتور بلال

صيف عام ٢٠٠٣ تخرج بلال يونس روح الفضل من جامعة الشفا من كلية طبها ، واحتفلت الجامعة بتخريج تلك الدفعة من الأطباء وغيرهم ودفعتهم لسوق العمل في العديد من الاختصاصات في شهر تموز ، وعادة يتخرج الطالب الطبيب بشهادة طب عام ، ثم يمكنه دراسة سنوات أخرى تحت الاختصاص الذي يرغب فيه ، فكان يرغب بالاختصاص في الجراحة العامة والطب الشرعي في نفس الوقت ، وقد يحتاج كل تخصص اربع سنوات أو خمس ، وحصل على فرصة الطب الشرعي والجراحي في مستشفى البركة في مدينة هود البحرية ، فرحل إليها دارسا وعاملا ، فهي مدينة متوسطة المساحة والسكان وهي على ساحل البحر وتفصلها عن عاصمة البلاد مدينة النعمان والمسافة بينهما تزيد عن ثلاث ساعات معتدلة ، ولما استقر فيها وباشر عمله وكان ذلك في أواخر العام ٢٠٠٣ ، وحين استقر الشاب في هود والعمل الوظيفي ، وكان يسكن وحيدا في شقة مستأجرة بدأ يبحث عن زوجة لرغبة والديه بذلك ، وكان رئيس قسم الجراحة العامة ورئيس الطب الشرعي في المستشفى هو الدكتور راضي احمد ، وهو أيضا من أهالي الشفا ويعمل في مدينة هود كجراح كبير ، وكان هو رئيس الدكتور بلال والمشرف على رسالة الاختصاص في الجراحة العامة ، كان الدكتور راضي يجلس مع بلال يدخنان في مطعم المستشفى ، وقد تناولا الطعام ، وقدم لهما الشاي الساخن كالمعتاد ، فقال راضي : اخبرني خيري محمود أخصائي العيون انك سألته عن عروس تعمل طبيبة مثلنا .



ـ صحيح ، كنت سابقا وأياه تحدثنا عن الزواج وأهميته في الاستقرار العائلي والنفسي بوجود طبيبة تجلس معنا فسألني عن الزواج والرغبة فيه وبعرض أسماء طبيبات عزباوات في المستشفى

على صلة هو بهنّ .. فهل لديك عروس تليق بي وأليق بها ؟
قال راضي متحمسا : أنا معجب بك وبهمتك يا بلال .. وأنت نعم النسب لي وصديق عزيز .. لي أخت طبيبة تخرجت من أيام ، وأسعى لها للعمل هنا .. وأنا راغب بأن تتعرف عليها لما تباشر الدوام معنا وإن رأيتها مناسبة لحضرتك ولولديك سأحدثها عنك
قال بلال مثنيا على مبادرة راضي : ما دامت هي أختك فهي عز الطلب .. أنت أخ فاضل منذ باشرت العمل معك وأنا لا أحس بفرق السنين بيننا .. أنا الوحيد من إخوتي من الجنسين درس الطب كوالديّ .. وهما يرغبان أن أتزوج طبيبة مثلهما .. هل سيطول الزمن ؟
ـ لا ، لا مطلع العام ستتوظف هنا ، فهي تقوم بإجراءات التعيين والتوظيف وإن شاء الله تكون من نصيبك يا سيد بلال
ـ شكرا يا دكتور راضي واشكر ثناءك عليّ
ـ الرجل الفاضل مكسب يا صديقي ! فقد عرفتك خلال هذه الشهور حق المعرفة
ابتسم وقال : أرجو أن تقبل بي شقيقتك وكذلك أهلك
ـ لم اسمع أن أختي تمام هذا اسمها مرتبطة بأحد سوى همهمات أن فلانة مناسبة لفلان من الأقارب مجرد همهمات .. ولو كانت مرتبطة بأحدهم ما عرضتها عليك يا أخي الفاضل !
تعينت الدكتورة تمام احمد في مستشفى البركة كما اخبر راضي بلالا ، وبسرعة تعرفت على بلال وقالت : حدثني راضي عنك وعن ادبك وعن بعدك عن الشراب والمجون ويحب لي أن اقترن بك فها أنا ذا ولست ادري لماذا هو مستعجل على زواجي اكثر مني ؟! والدي ميت من سنوات أكيد انك تعرف ذلك من راضي الأخ الأكبر لنا .. اخشى أنه يريد ذلك خشية أن أتزوج ابن خالي كما تلحن أمي .. أمي ترغب بأن أتزوج قريبي جهاد .. وراضي علاقته معهم فاترة لأسباب شخصية في حياة أبي .
قال مبتسما : أهلا بك ! حدثني الدكتور بذلك عن وفاة والدكما رحمه الله .. أنا عملت سنة في الشفاء وجئت لهذه المدينة لدراسة اختصاص الجراحة العامة أو الطب الشرعي أو كلاهما ،

وبعد استقراري هنا وحيدا فكرت بالزواج بدلا من أن أظل في الشقة وحدي ، واسمع كلام يسيء للسمعة اذا استقبلت ضيفة .. فالناس تظن الظن السيء قبل الحسن ، وكذلك رغبة والديّ بتزويجي منذ تخرجت .. والذي فهمته من راضي انك غير مرتبطة بوعد زواج

ـ لا ، لست مرتبطة مع احد إنما هي رغبة أمي .. معك حق في ظن البشر السيء يا دكتور بلال فلنصبر كم شهر يا دكتور بلال نزداد معرفة ببعضنا

ـ جيد ! مع مطلع الصيف تحسمين أمرك .. أنا المهم عندي فتاة طبيبة لرغبة والديّ بطبيبة وهما طبيبان

ـ حسن من الآن للصيف نزداد فهما لبعضنا .. أنا أمي هي التي ترغب بتزويجي لابن أخيها وأنا لا ارغب بذلك .. أنا فعلا راغب بالزواج من خارج الأقارب .. ومرحبا بك .. ولا اعتقد أن ابن خالي يرغب بي كزوجة ؛ لكنه صامت من باب الأدب

ـ بارك الله فيك

ـ كيف أنت والسهر والسينما ؟

ضحك وأجاب متحفظا : قليل ما اهتم بالأفلام والمسرح .. اكتفي بالتلفزيون ؛ لكن اسهر أحيانا في المقاهي الثقافية والجمعيات العلمية فأنا اعمل هنا وادرس الاختصاص

ـ حدثني راضي عنك كثيرا ، فهو يزعم انني كبرت وأن دراسة الطب طويلة فتدخل الآنسة العنوسة قبل التخرج

ضحك من جديد وقال : هو فعلا طويل .. سنوات الطب بالنسبة للبنات تؤخر الزواج إلى حد ما .

***

اغتيال عبد العزيز

في مطلع الربيع ٢٠٠٤ كما سبق أن ذكرنا أن إسرائيل غدرت بقائد ومؤسس حركة حماس في فلسطين ذات النفس الإسلامي والجهادي ، ففي آذار كان الاغتيال للقائد الأول فيها ، وخلف الطبيب عبد العزيز الرنتيسي رئاسة حركة حماس الإسلامية في غزة وهو من مؤسسي الحركة قبل الإشهار العلني سنة ١٩٨٧ ، في ١٧ أبريل ٢٠٠٤ اغتيل عبد العزيز الرنتيسي بصواريخ أطلقت من طائرة هيلوكبتر حيث تم استهدافه مع ابنه وقتلهما معاً.. ولم يكن اكمل الشهر قائدا أول .

قال الدكتور عزيز دويك ـ قائد من حماس في الضفة الغربية ـ : كانت أولى محاولات اغتياله في مرج الزهور في خيمة الإعلام في اليوم الأول من شهر رمضان ، حضر شخص يتحدث العربية ادعى أنه مترجم لصحفي ياباني ، دخل الخيمة وترك حقيبة متفجرات بأكملها قدر الله أن كان الجميع خارج الخيمة على مائدة الإفطار .. سمع الجميع صوت الانفجار وهبوا لإطفاء الحريق وبحثوا عن الصحفي ورفيقه فلم يجدوا لهما أثراً .

وفي ١٦ يونيو ٢٠٠٣ تعرض لمحاولة اغتيال ثانية استشهد فيها اثنان من مرافقيه ، وأصيب نجله أحمد بجروح خطيرة ، وفي شهر أيلول ٢٠٠٣ تعرض لمحاولة اغتيال ثالثة فشلت هي الأخرى ، ثم تعرض لمحاولة اغتيال رابعة في اليوم الثالث لاستشهاد الشيخ أحمد ياسين ، نجا منها أيضاً ولم تكشف عنها حماس إلا بعد تأكيدها من قبل أجهزة الأمن الإسرائيلية .. إن المرء ليعجب حق العجب لحياة هؤلاء !

وتفاصيل العملية الثالثة التي نجى منها كانت في العاشر من يونيو عام ٢٠٠٣ كانت تحوم في سماء مدينة غزة حينها طائرتان مروحيتان حربيتان من طراز أباتشي الأمريكية الصنع ، وعند ظهور سيارة الرنتيسي في شارع عز الدين القسام شمال مستشفى الشفاء بالمدينة أطلقت صاروخاً باتجاه الجيب الذي كان يستقله الرنتيسي مع اثنين من مرافقيه وهو السائق وبجانبه مرافق آخر وكان الرنتيسي يجلس في المقعد الخلفي، أطلقت الطائرات الحربية الصاروخ الأول

باتجاه الجيب حيث أصاب مقدمته وعلى الفور تمكن الرنتيسي ومرافقه الذي يجلس بجانب السائق من الخروج من داخل السيارة واتبعته الطائرات بإطلاق صاروخ آخر أصاب وسط الجيب مما أدى إلى استشهاد السائق المرافق ، وتمكن الرنتيسي من الانسحاب مع مرافقه إلى أحد الشوارع الفرعية حيث لاحقته الطائرات الصهيونية بصواريخها إلى الشارع الذي تمكن من الانسحاب إليه وأطلقت باتجاهه أربعة صواريخ أخرى مما أدى إلى إصابته بجروح في ساقه اليسرى وذراعه الأيسر وبعض الإصابات السطحية في صدره .

وفي آخر عملية اغتيال والتي نجحت ، سبق وقوعها طيران أربع طائرات تجسس – بدون طيار – كانت تجوب سماء غزة طوال أسبوعين بحثاً عنه ، وهذا يعني أنه اتخذ احتياطات أمنية كافية لتلافي جريمة الاغتيال ولكن الصهاينة كانوا جندوا كامل طاقاتهم لرصده.

***

نذكر الرواية الصهيونية عن اغتيال القائد الرنتيسي ، ثم ننقل صفة الاغتيال وردود الأفعال على الجريمة في الأخبار العربية ، قال راوي الرواية الصهيونية : ومع ذلك في تلك المرحلة كان شارون قد سمح بالفعل باغتيال الزعيم الجديد لحماس ، كان هذا القرار أسهل بكثير، حيث كان الرنتيسي يفتقر إلى سُلطة ياسين الدينية ، ولم يكن شخصية سياسية عربية مُعترفا بها دولياً، تورطه في الإرهاب كان لا جدال فيه ، والاهم من ذلك أن السابقة (الاغتيال وقتما يشاءون) قد تم وضعها الآن يُمكن تصفية أي زعيم في حماس .

كان الرنتيسي حذرا (وفي الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ " : لا ينفع حذر من قدر ، والدعاء ينفع ما لم ينزل القضاء ، وإن البلاء والدعاء ليلتقيان بين السماء والأرض فيعتلجان إلى يوم القيامة .") ، ولا يعني ذلك عدم أخذ الأسباب (وقال الله ﷻ : خُذُوا حِذْرَكُمْ) كان الرنتيسي حذرا وحاول أن يكون مُخادعا ؛ حيث كان يتنقل من مخبأ إلى آخر، ويرتدي الشعر المُستعار ويستخدم أسماء رمزية مُختلفة على هواتفه المحمولة ، لكن توربان لم يجد صُعوبة في متابعته، في ١٧ أبريل بعد أُسبوعين فقط من تكليفه بالمسؤولية لحركة حماس عاد إلى

منزله لإجراء الترتيبات النهائية لزواج ابنه أحمد ، كانت زيارة قصيرة أعطى زوجته النُقود التي احتاجتها لاستكمال الاستعدادات ثُم غادر ، كان يقود سيارته في شارع الجلاء عندما انفجر صاروخ في سيارته من نوع سوبارو ، وتجمع حشد من المئات حول بقايا السيارة المُتفحمة ، حاول فريق الإسعاف أن يُنقذ حياة الرنتيسي ومُساعديه دون جدوى ، وأظهرت صورة وزعتها وكالة رويترز حشدا يصرخ ويبكي مع رجل يمسك يديه ملطخاً بدماء الزعيم القتيل إلى السماء.

وقال موفاز للصحافة "كان طبيب أطفال يتعامل بشكل أساسي مع قتل الأطفال"، جعل مُقربو شارون التحذير الضمني صريحاً ، قال أحدهم: "ينبغي لعرفات أن يأخذ علماً بأن أي شخص له علاقة بالإرهاب يجب أن يكون حذرا للغاية من مصيره".

كان مقتل الرنتيسي عملية القتل المُستهدف رقم ٦٨ مُنذ بداية الانتفاضة في أواخر عام ٢٠٠٠ بحلول ذلك الوقت نجحت عملية قطف شقائق النُعمان في إلقاء حماس في حالة من الصدمة والارتباك ، عيّن مجلس الشورى على الفور خليفة للرنتيسي ؛ لكنه كان شخصية ثانوية سرية اسمه مُبهم حتى لا ينتهي به الأمر بالاغتيال ، اتخذ جميع كبار مسؤولي حماس إجراءات مُتطرفة للبقاء تحت رادار إسرائيل وقضوا فعلياً مُعظم وقتهم في مُحاولة البقاء على قيد الحياة.

وجاء في بيان على موقع حماس على الإنترنت أن "العدو الصهيوني نجح في اغتيال العديد من الإخوة المقاتلين ، و ذلك في وقت نحتاج فيه بشدة إلى كُل مُقاتل مُخلص، لا شك على الإطلاق في أن الإهمال هو أحد الأسباب الرئيسية لنجاح العدو ؛ لأن طائرات التجسس الإلكترونية لا تُغادر سماء غزة أبداً ، إن العُيون الكثيرة المُكلفة بهذه المُهمة لا تعرف النوم ، ومروحيات الاباتشي جاهزة ومُتوفرة بصواريخها وتنتظر الفرصة ، أنت هدف للاغتيال في كُل يومُ حتى في كل ساعة من اليوم" .

بعد أُسبوعين من مقتل الرنتيسي ذهب اللواء عُمر سُليمان وزير المُخابرات المصري وأقوى رجل في نظام القاهرة بعد الرئيس مبارك إلى إسرائيل لعقد اجتماع عاجل مع موفاز ويعلون

وديختر، قال سُليمان: "جئت برسالة مُصالحة"، وقدم اقتراح لحماس بوقف إطلاق النار الذي كان جوهره "لا اغتيالات ولا هجمات إرهابية" ، وشكر موفاز سُليمان على حُضوره وقال له إن جُهود مصر لتحقيق المُصالحة في المنطقة كعادتها موضع تقدير لنا في إسرائيل ، لكن لم يكن هُناك المزيد للمُناقشة ، وقال إن إسرائيل لن توقف عمليات القتل المُستهدف بشكل عام أو حملة اغتيال قيادة حماس بشكل خاص.

غضب سُليمان وقال : لقد جئت على طول الطريق من القاهرة وأحضرت لك عرضا لوقف الهجمات ، هذا ما تريده ، لماذا تُصر على عدم إتمام المصالحة؟ "

وقال موفاز: "حماس تريد هدنة حتى تصبح أقوى ، لذلك علينا أن نهزمهم ولا نسمح لهم بالتنفس". وناشد سُليمان شارون الذي استقبله بحرارة ؛ لكنه لم يرضخ ، وقال "موقف مُؤسستنا الدفاعية هو أننا يجب ألا نتفق على وقف إطلاق النار ، لا يُمكنني مُعارضة جنرالاتي " لقد عرض فقط أن إسرائيل ستُراقب سُلوك حماس بعناية .

حاول نُشطاء حماس أن يجعلوا من الصعب على الطائرات الإسرائيلية بدون طيار وأباتشي العثور عليهم ، لم يتحركوا إلا عند الضرورة واستخدموا الدراجات النارية وحاولوا البقاء في الشوارع الضيقة ، جاء سُليمان لرؤية شارون بنفسه مرة أُخرى بعد اتصالات هاتفية مُكثفة جرت مُنذ الزيارة السابقة ، "السيد رئيس الوزراء الآن تعلم أن عرضهم جاد وأنهم توقفوا عن الهُجوم"، على مضض وافق شارون على وقف عمليات القتل المُستهدف ، أمرت حماس بوقف مُطلق وفوري للهجمات الانتحارية

***

وتفاصيل أحداث ما قبل الاغتيال حسب الروايات العربية ، أصر الرنتيسي رغم تحذير مرافقيه وأسرته وتحديداً زوجته على العودة إلى بيته في حي النصر الذي تركه نهائياً قبل عدة أشهر ، بعد أن أدرك أنه على رأس قائمة المطلوبين لقوات الاحتلال ، لم يستطع الرنتيسي مقاومة الإغراء وضرب بكل هذه التحذيرات عرض الحائط عندما علم أن بناته وأحفاده قد قدموا لزيارة بيت

العائلة ، ظل الرنتيسي منذ أذان صلاة العصر وحتى قبيل أذان العشاء جالساً بين بناته ونجليه محمد وأحمد ، بينما كان بعض الأحفاد يتناوبون في الاعتلاء على كتفيه ، كان اللقاء مناسبة لكي يطمئن الوالد على أخبار بناته اللواتي مضت عدة أسابيع على آخر لقاء بينه وبينهن، خلال اللقاء منع الجد إحدى بناته من توبيخ أحد أبنائها بعد أن خلع نظارة جده الطبية وأخذ يعبث بها ، أكثر ما تركز عليه الحديث العائلي في اللقاء كان ترتيبات زواج النجل الأكبر محمد ، الذي عقد قرانه على فتاة من عائلة غزية قبل أسبوعين فقط ، بعيد أذان المغرب رن جرس الهاتف الجوال وكان على الطرف الثاني مرافقه أكرم نصار الذي استحثه على مغادرة المنزل ، فأخبره الرنتيسي أنه سيؤدي صلاة المغرب جماعة مع نجليه وبناته، ثم يغادر .

كان من المفترض أن ينقل الرنتيسي في سيارة السوبارو البيضاء التي كان يتحرك بها مؤخراً، لكن نجله الأصغر أحمد تدخل في هذه الأثناء وأصر على أن يستخدم أكثر من سيارة بغرض التمويه وإرباك وسائل الرصد الإلكترونية التي تستخدمها المخابرات الإسرائيلية في تعقب والده ، رغم عدم وجود طائرات استطلاع إسرائيلية تلك الأثناء في أجواء المدينة .

أحمد هو نفسه الذي أصيب بجراح خطرة في محاولة الاغتيال الثالثة التي تعرض لها والده قبل عام ونصف العام ، أصر أحمد على أن يقوم هو بنقل أبيه في سيارة أودي إلى منتصف شارع اللبابيدي الذي يربط شارعي الجلاء والنصر على أن ينتظر هناك مرافقو والده بسيارة السوبارو وافق الرنتيسي تحت إلحاح نجله الذي بدا عصبياً بشكل واضح ، نقل أحمد أباه إلى منتصف شارع اللبابيدي وما أن استقل والده السيارة مع مرافقيه الاثنين ، حتى حدث ما حذره منه أحمد دوى صوت انفجار سمعت أصداؤه في جميع أرجاء غزة بإطلاق طائرة هليكوبتر عسكرية إسرائيلية من طراز أباتشي ثلاثة صواريخ من طراز هيل فاير -صواريخ أرض جو - الحارقة على السيارة ، ظل أحمد ملتصقاً بمقعد القيادة وعلى بعد كيلومترين من مكان وقوع عملية الاغتيال ، تعالى عويل إحدى بنات الرنتيسي صارخة " لقد قتلوا أبي" مع أنه في هذه اللحظات لم يكن يعرف أحد من هو المستهدف في عملية الاغتيال وما هي إلا لحظات حتى علا

صراخ الأحفاد أيضاً.

قال ابنه محمد : وصل الدكتور الرنتيسي إلى منزله في الساعة الثالثة قبل فجر يوم السبت ١٧ إبريل ٢٠٠٤ في سرية تامة ، كانت زيارته لنا بعد أسبوع من الغياب لم نره فيه ، طلبنا منه عدم الخروج ، وقضاء ساعات معنا ، وبعد إلحاحنا وافق ، كان يأتي إلى المنزل بعد منتصف الليل، ويغادر قبل الفجر ، وقضى ما بقي من الليل يتحدث مع العائلة المشتاقة إليه ، والتي لا تراه إلا قليلاً ، جلس يتحدث عن زواج أخي أحمد الذي أصيب خلال محاولة الاغتيال السابقة ، وذلك بعد أن حصل على مدخراته من الجامعة الإسلامية التي كان يحاضر فيها، وقد سدد ما عليه من ديون ، واقتطع مبلغاً من المال لزواج أحمد (٢١) عاماً وقال لنا: الآن أقابل ربي نظيفاً: لا لي ولا علي.

استيقظ الرنتيسي واغتسل وتعطر وانطلق لسانه ينشد على غير عادته نشيداً إسلامياً مطلعه: أن تدخلني ربي الجنة هذا أقصى ما أتمنى

وقال لرفيقة دربه أم محمد : إنها من أكثر الكلمات التي أحببتها في حياتي .

وقال محمد عبد العزيز : إن مرافق والدي ، السيد أكرم نصار زارنا يوم السبت بعد العصر، وتحدث مع والدي قليلاً ، واتفقا على الخروج ، وقبل آذان العشاء بقليل خرج الرنتيسي برفقة ابنه أحمد الذي كان يقود السيارة ذات النوافذ المعتمة ، متنكراً بلباس معين، وأوصله إلى مكان محدد في مدينة غزة ، وبعد دقائق وصلت إلى ذلك المكان سيارة يقودها أحمد الغرة ومعه السيد أكرم نصار، وبهدوء انتقل الرنتيسي من سيارة نجله إلى السيارة الأخرى التي انطلقت بسرعة، لكن صاروخين من طائرات الأباتشي الأمريكية الصنع كانا أسرع من الجميع ، وصعدت الأرواح إلى بارئها.

أعلن لاحقاً مسئولون طبيون أن الرنتيسي استشهد إثر إصابته بجروح خطرة جراء العملية حيث قال الطبيب قادر أبو صفية المسئول عن قسم الطوارئ في مستشفى الشفاء في غزة " إن عبد العزيز الرنتيسي قد استشهد" كما قال مصدر أمني فلسطيني إن صاروخين على الأقل أطلقا

من مروحية وأصابا بشكل مباشر السيارة التي كان يستقلها الرنتيسي كما أصيب ستة من المارة بجروح

***

كشف مركز أطلس للدراسات الإسرائيلية ونقلاً عن أكثر من مصدر موثوق ، عن مكالمة تمت بين رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات وعبد العزيز الرنتيسي قبيل استشهاد الأخير بأيام ، ونقل عن المركز في بيان من المحلل السياسي حمزة أبو شنب قوله إن الشهيدين ناقشا خلال المكالمة العديد من القضايا التي تهم الشعب الفلسطيني ، واتفقا على العديد من الخطوات التي من شأنها العمل على ترسيخ اللحمة الوطنية أهمها تشكيل حكومة وحدة وطنية بالإضافة إلى تشكيل وبناء جيش وطني تشارك فيه كافة الأجنحة العسكرية بما فيها القسام ، ينتشر على الحدود وفي مواقع استراتيجية لحماية القطاع من الأخطار الخارجية ، ولمعرفة الاحتلال الجيدة بشخصية المتحدثين القيادية وقناعتهما بهذا الاتفاق وقدرتهما على تطبيقه؛ كان لا بد من التخلص من شخص لديه هذه التوجهات

***

اتخذ القرار لتصفية القادة بعد عودة شارون من أمريكا مباشرة ما أكد أن إسرائيل بقيادة شارون مصرة على الإجهاز على الطريق السلمي لحل القضية الفلسطينية ، كما بررت إدارة الصهيوني بوش هذا المنهج بدعم الدولة الإسرائيلية وإعطائها الضوء الأخضر لقتل القادة الفلسطينيين ببند الدفاع عن النفس ، وعلق رئيس إسرائيل شيمون بيريز باسم اليسار الإسرائيلي فقال : إن الذي يتورط في أعمال القتل يدفع الثمن.

كما اجتمع مجلس الأمن لبحث قضية اغتياله ، وقبلها اجتمع بأيام لمناقشة اغتيال الشيخ أحمد ياسين، واستخدمت أمريكا الفيتو ضد إدانة الكيان الصهيوني ، وهكذا تمت تصفية الطبيب عبد العزيز الرنتيسي بثلاثة صواريخ أطلقتها عليه طائرة الأباتشي التي قدمت الإدارة الأمريكية أسرابا منها إلى تل أبيب.

منذ ساعات الصباح الأولى بدأ السكان يزحفون باتجاه مشفى الشفاء بغزة المدينة ، كي يحاولوا إلقاء نظرة الوداع الأخيرة على بطل مرج الزهور ، استنفرت الإذاعات المحلية بغزة بشكل لافت ، فيما يشبه السباق لتغطية حادث الاغتيال وتفاصيل الجنازة ، وتداعيات الاغتيال ، وكان من الملفت ما أذاعته صوت الأقصى الإسلامية من كلمات بصوت الدكتور عبد العزيز الرنتيسي قال فيها مخاطباً جماهير الشعب الفلسطيني : أقول لكم لأطمئنكم لو رحل الرنتيسي والزهار وهنية ونزار ريان وسعيد صيام والجميع، فوالله لن نزداد إلا لُحمة وحباً ، فنحن الذين تعانقت أيادينا في هذه الحياة الدنيا على الزناد.

قال ﷻ (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣))

شارك في تشييعه ومرافقيه اللذين استشهدا معه أكثر من نصف مليون فلسطيني يوم الأحد ١٨ إبريل ٢٠٠٤ في غزة وحدها ، انطلق الموكب من مستشفى الشفاء في غزة ، يتقدمه عدد من قادة حماس وقيادات الفصائل الفلسطينية الأخرى وآلاف المسلحين ، في عروض عسكرية كبيرة ، وتوجه الموكب إلى منزل الشهيد لإلقاء النظرة الأخيرة عليه ، ثم تابع إلى المسجد العمري الكبير في وسط غزة ، من أجل الصلاة عليه ، وأدى أكثر الناس صلاة الجنازة في الشوارع المزدحمة ؛ كما أعلنت كتائب الشهيد عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس أن دماء الدكتور عبد العزيز الرنتيسي ستفجر براكين الثأر من إسرائيل

***

لقد تعود شعب غزة على ظلم وعدوان وطغيان الصهيونية على بلادهم وأرضهم وبيوتهم ومزارعهم ، وتعودوا الصبر رغم مرارته ويحتسبون أمرهم وحياتهم عند الله ، واصبح قتل قادتهم مكرورا منذ هجرتهم إلى غزة نتيجة التطهير العرقي برضا العالم المنافق ، فكان استشهاد القائد عبد العزيز كاستشهاد من سبقوه من الأبطال ، فمنهم ياسر سعيد رزق قائد لواء رفح في كتائب القسام آنذاك ٢٤ يونيو ٢٠٠٢ ، ومنهم المهندس الرابع مهند الطاهر قائد كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس في منطقة نابلس ، وذلك في ٣٠ تموز ٢٠٠٢ ، وقبله في ٢٣ يوليو ٢٠٠٢ اغتيل صلاح شحادة زعيم كتائب عز الدين القسام ، اغتيل بمتفجرات بوزن ٢٢٠٥ باوند والتي تم إسقاطها من طائرة إف ١٦، قتلت زوجته وأولاده التسعة في نفس الهجوم.

وهو صلاح الدين مصطفى علي شحادة ١٩٥٢ـ ٢٠٠٢ مؤسس الجهاز العسكري الأول لحركة المقاومة الإسلامية حماس والذي عرف باسم «المجاهدون الفلسطينيون» ثم لاحقاً باسم كتائب عز الدين القسام ، والقائد العام للكتائب آنذاك ، نزحت أسرته إلى قطاع غزة من يافا بعد احتلال يافا عام ١٩٤٨ وأقامت في مخيم الشاطئ للاجئين الفلسطينيين في مدينة غزة نفسها .

وقد ولد القائد صلاح في مخيم الشاطئ يوم ٢٤ شباط/ فبراير ١٩٥٢ وهو الأخ الأصغر لستة بنات ، تزوج في العام ١٩٧٦ ، وهو أب لستة بنات ولدت الأخيرة أثناء اعتقاله.

استشهد بقصف جوي وذلك بإلقاء قنبلة تزن طنا ألقتها طائرة إسرائيلية على بناية في حي مزدحم بمدينة غزة ، مما أدى إلى استشهاد ١٨ فلسطينياً بينهم ثمانية أطفال ، فضلا عن جرح أكثر من ١٤٠ وتدمير مربع سكني بالكامل جراء استخدام أكثر من طن من المتفجرات بالعملية التي عرفت بمجزرة "حي الدرج" وهو اسم أحد أحياء غزة المكتظة بالسكان ، وسياسة القتل والتصفية قاعدة مطردة منذ نشأت دولة بني صهيون على ارض شعب فلسطين وقبل أن تعلن

عالميا فدينهم القتل وسفك الدماء ، وكان من الاغتيالات قبل ياسين والرنتيسي اغتيال القائد إبراهيم أحمد المقادمة من مواليد مخيم جباليا شمال قطاع غزة ١٤مايو ١٩٥٠ ، طبيب ومفكر وعضو المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس ، وأحد أهم مفكري الحركة الإسلامية في فلسطين ، ألف عدة كتب وكَتَبَ الكثير من المقالات السياسية والفكرية التي تدعم المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي ، استشهد في الثامن من مارس عام ٢٠٠٣م صباح السبت ، باستهداف طائرات الاحتلال الحربية لسيارته بمدينة غزة ، استهدفت طائرات الاحتلال الحربية سيارته بعدة صواريخ أدت إلى استشهاده وثلاثة من مرافقيه وطفلة كانت مارة في الطريق ، وفي عام ٢٠١٢م ، أعلنت كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس عن سر تسمية صاروخ M٧٥ محلي الصنع والذي قصفت فيه مقر الكنيست الإسرائيلي بمدينة القدس المحتلة، ومدينة تل الربيع المحتلة وذكرت الكتائب أن حرف الـ M هو الحرف الأول من كلمة مقادمة وذلك تخليدًا لروح «القائد المؤسس الشهيد إبراهيم المقادمة ، وأن ٧٥ فترمز إلى مدى الصاروخ الذي يصل من ٧٥ كيلومترًا ٨٠ كيلومترًا ، والقادر على ضرب أواسط الكيان الإسرائيلي ، ومن القادة أيضا إسماعيل أبو شنب .

إسماعيل أبو شنب (١٩٥٠- ٢١ أغسطس ٢٠٠٣) مهندس وسياسي فلسطيني ، وقائد في حركة المقاومة الإسلامية حماس بكالوريوس هندسة إنشاءات من جامعة المنصورة وماجستير في نفس التخصص من جامعة كولورادو الأمريكية ، من ضمن طاقم التدريس في جامعة النجاح الوطنية ورئيس بالوكالة لقسم الهندسة المدنية بالجامعة ، من مؤسسي جمعية المهندسين في غزة وعمل فترة نقيباً للمهندسين ، عمل عام ١٩٨٨ مهندساً في وكالة الغوث حتى اعتقاله في أيار عام ١٩٨٩م وقد أطلق سراحه عام ١٩٩٧، وهو عضو مؤسس للجمعية الإسلامية بغزة عام ١٩٧٦ والتي واكبت ظهور المجمع الإسلامي ، يعد من القلائل الذين جمعوا بين العمل السياسي والنقابي والأكاديمي ، وتفوّق في هذه المجالات بشكلٍ كان ملفتاً للنظر ، كما كان اجتماعياً محبوباً في أوساط الفلسطينيين الذين بكوه بحرقة بعد إعلان

استشهاده عندما اغتالته القوات الصهيونية بقصف سيارته بغزة في ٢١ أغسطس ٢٠٠٣.

ولد المهندس إسماعيل حسن محمد أبو شنب «أبو حسن» في مخيم النصيرات للاجئين وسط قطاع غزة عام ١٩٥٠ وذلك بعد عامين من هجرة عائلته من قرية الجيّة من قضاء المجدل عسقلان ، حيث استقرت أسرته في نفس المخيم ، استشهد عضو المكتب السياسي لحركة حماس واثنين من مرافقيه في استهدف الطائرات الإسرائيلية الحربية لسيارته بشارع الصناعة غرب مدينة غزة ، في الحادي والعشرين من أغسطس عام ٢٠٠٣م، فيما أدى الاستهداف لإصابة ١٩ فلسطينياً بجراح متفاوتة إنا لله وإنا إليه راجعون .

مر ذكر أسماء بعضهم في صفحات سابقة ، والاستشهاد لم يكن مقصورا على ارض غزة وحدها فقد قُدمت الأبطال على أرض لبنان وسوريا والأردن وتونس ، وما زالت فلسطين تقدم وتروي الأرض بدماء الشهداء منذ بداية الاحتلال الإنجليزي وطول فترة الاستعمار البريطاني على مدار فترة الانتداب ، وضعت السلطات البريطانية في فلسطين نظاماً قانونياً جزائياً يهدف إلى منع التنظيم السياسي الفلسطيني ، وتسهيل مرونة المسؤولين الاستعماريين من خلال منحهم سلطات واسعة للعمل "الوقائي" وفرض العقاب الجماعي. عندما حل قانون عقوبات جديد محل قانون الجزاء العثماني في سنة ١٩٣٧، كان هذا القانون الأخير قد تم تعديله من خلال تشريعات بريطانية متتابعة أُدخلت عليه، إلى درجة أنه أصبح يشبه إلى حد كبير القوانين المرعية في المستعمرات البريطانية الأُخرى أكثر مما يشبه القوانين التي واكبها مسؤولون عثمانيون ، وفي أغلب الأحيان كانت هذه التعديلات الجوهرية التي أدخلتها السلطات الانتدابية على القانون الجزائي في فلسطين الانتدابية ردوداً مباشرة على التعبئة الفلسطينية المناهضة للاستعمار ، مثل التوسيع المتواصل لصلاحيات الشرطة ، والتشديد المتصاعد للعقوبات ، الأمر الذي شكّل النموذج الذي سوف تتبناه دولة إسرائيل مع الفلسطينيين بعد سنة ١٩٤٨ .

كانت السلطات البريطانية الاستعمارية تقوم بإجراء عمليات تفتيش من دون إذن قضائي، ومصادرة الممتلكات وهدمها ، وفرض الرقابة على المنشورات وتعليقها ، وفرض حظر التجول

وتقييد الحركة ، واحتجاز الأفراد ومحاكمتهم في محاكم عسكرية في مواجهة الإرادة الشعبية الفلسطينية، بإصدار المرسوم الملكي للدفاع عن فلسطين لسنة ١٩٣١ الرامي إلى توفير إطار لحكومة الانتداب يسمح لها باتخاذ إجراء سريع وحاسم في حالة حدوث "حالة طوارئ" أُخرى ومنح هذا المرسوم الملكي المندوب السامي في فلسطين سلطة الرقابة على المنشورات وقمعها ، وفرض السيطرة على التجارة والإنتاج ، والاستيلاء على الممتلكات ، واحتجاز الأفراد وترحيلهم أو محاكمتهم أمام محاكم عسكرية، فضلاً عن عقوبات أُخرى وقد وُضع هذا المرسوم الملكي موضع العمل من تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٣٣ لغاية شباط/ فبراير ١٩٣٤، عندما اجتاحت البلد موجة جديدة من التظاهرات الفلسطينية ضد الاستعماريين البريطاني- الصهيوني ، كانت سلطة الاستعمار تتأخذ الناس دروعا بشرية لاقتحام القرى ، وكانت تعدم من وجدت طلقة بحوزته ، وتهدم البيوت ، بالمختصر كانت دولة مجرمة وظالمة ، والصهيونية تفعل ما فعلته في بريطانيا في قمع المعارضين والمجاهدين .

***

في حزيران من عام الشهداء القادة ٢٠٠٤ تزوج الدكتور بلال عبد الله من الدكتورة تمام احمد شقيقة راضي أحمد رئيس قسم الجراحة العامة والمشرف على الطب الشرعي في المستشفى وذلك بعد مرور بضعة اشهر على تعارفهما ، وعملهم سوية في مستشفى البركة في مدينة البحر هود ، وفرح بلال بزوجته أخت زميله ورئيسه في العمل ، وأصبح له أنيس وونيس في الشقة المستأجرة ، وأخذا يزوران بعضهما زيارات عائلية بدون أي حرج ، وكانت زوجة راضي دكتورة في مستشفى البركة أيضا ؛ حيث تعارفا وتزوجا ، وقد وضعت له طفلين قبل زواج تمام فهي زميلة عمل لبلال قبل اقترانه بتمام احمد ، وكان بلال قد طلب من تمام قبل عقد الزواج أن تؤخر الولادة حتى يستقر زواجهما اكثر ، ووافقت الطبيبة على ذلك بدون نقاش وارتاحت جدا لهذا الطلب مما ادهش بلال وحتى راضي ، كان بلال يعاني من أمها أثناء فترة التعارف وشبه الخطوبة التي لم تكن ترغب بأن يكون هو زوجها زوج ابنتها ؛ لأنها كانت تريد تزويجها من ابن أخيها المهندس جهاد ؛ ولكن راضي اخبرها بأنها لم ترغب بالزواج من جهاد ، ولم ترفض بلالا ، وأن زميله تكلم عليها والبنت أيضا كانت ترغب بالزواج من زميلها في المستشفى ، ولم تحبذ الزواج من ابن خالها ، وابن الخال لم يكن بحماس أبيه وعمته لهذا الزواج ؛ لمعرفته بأن ابنة عمته ترغب بالزواج من زميل جامعة كما أخبرته ذات يوم درسا معا ، فلم يعول على أماني عمته وأبيه ؛ ولكنه صبر نفسه حتى تتزوج ممن ترغب ؛ بل تفاجأ أنها لم تنكح زميل الكلية الذي حدثته عنه ، فسكتت الأم على مضض واعتذرت لشقيقها .

***

في يوم الاثنين، الموافق ٢ أغسطس ٢٠٠٤، ألقى شرطي في سجن غزة المركزي قنابل يدوية على زنزانة سجن كان يحتجز فيها عملاء متهمون بالتعاون مع إسرائيل ، وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، دخل مسلحون ملثمون مستشفى الشفاء في مدينة غزة وأطلقوا النار على وليد حمدية ومتهم آخر بالتجسس فأردوه قتيلاً ، كان حمدية يرقد في سريره بوحدة العناية المركزة

وأعلنت حماس مسؤوليتها عن العملية .

وقالت مصادر أمنية فلسطينية إن الهجوم استهدف -على ما يبدو- وليد حمدية (٥٠ عاما) المتهم بالتخابر مع إسرائيل والذي أصيب حسب تلك المصادر بجروح خطيرة ، أعلنت كتائب عزالدين القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) مسؤوليتها عن قتل ثلاثة من عملاء الاحتلال عقابا لهم على مشاركتهم في اغتيال بعض قادة الشعب الفلسطيني وعلى رأسهم عماد عقل ومحمود الخواجا.

وذكر بيان للكتائب تلقت قناة الجزيرة نسخة منه أن "القصاص من العملاء قد حان" بعدما أمهلت السلطة الفلسطينية وقتاً كافياً لمعاقبتهم.

موقع جريدة دنيا الوطن تنفرد بنشر الاعترافات الكاملة للعميل وليد حمدية اخطر عميل في حماس مسؤول جهاز الدعوة سابقا : كشفت اعترافات العميل وليد حمدية مسؤول جهاز الدعوة سابقا في حركة حماس عن دوره في اغتيال ثلاثة من قادة الجناح العسكري لحركة حماس واثنان من كوادر الجناح العسكري للحركة ، وكانوا جميعهم مطاردين من قبل المخابرات الإسرائيلية ، وهم قائد للجناح العسكري لحركة حماس ياسر النمروطي عام ١٩٩٢ ثم دوره في اغتيال قائد الجناح العسكري لحركة حماس في غزة عماد عقل في عام ١٩٩٣ومروان الزايغ مؤسس الجناح العسكري وياسر الحسنات ومحمد قنديل ، ووفق اعترافات العميل وليد حمدية لدى جهاز المخابرات العامة الفلسطينية والتي نظرت فيها محكمة أمن الدولة في السلطة الفلسطينية وأصدرت حكما بالإعدام على العميل فقد كان مسؤولا بارزا في جهاز الدعوة لحركة حماس وكان من مبعدي حماس إلى مرج الزهور عام ١٩٩٢ ، وحصلت دنيا الوطن على نسخة كاملة من اعترافات العميل وليد حمدية (٤١عاما) والتي قال فيها: "لقد بدأت نشاطي في حركة حماس قبل الإعلان عن تأسيسها مع بداية الانتفاضة الأولى في كانون الثاني ١٩٨٧، فقد بدأت نشاطاتي في العام ١٩٨١ بإطار المجمع الإسلامي بغزة ، بتنظيم شباب متحمس للمجمع الإسلامي (مركز حركة الأخوان المسلمين بغزة) ومنذ العام ١٩٨٤ بدأت نشاطاتي تتسع بإطار

الدعوة ، وفي العام ١٩٨٦ حدثت خلافات حيث تبادلت هذه القوى السياسية عمليات الضرب والاعتداءات مع نشطاء الفصائل وساهمت شخصيا بالاعتداء بالضرب على قيادي حركة فتح في غزة أسعد الصفطاوي ، وفي ٦ تشرين أول ١٩٨٧ قامت المخابرات الإسرائيلية



بمداهمة منزلي وجاء ضابط إسرائيلي وفتش المنزل ثم أمر باعتقالي حيث بدأ التحقيق معي عند الساعة الثالثة صباحا ، وداخل سجن غزة المركزي كان مجرد بداية لجولات التحقيق وأول جولتين كانت عبارة عن تحقيق عادي بدون عنف ، وكان لدي انطباع مسبق بأن المخابرات عالم مخيف فكنت محبطا وخائفا من وسائل تعذيب المخابرات الإسرائيلية ففكرت بأن أعرض خدماتي على المخابرات الإسرائيلية حتى أتخلص مما هو قادم من تعذيب واعتقال ،وفعلا عرضت الأمر على المحقق ومجرد أن تقدمت بهذا العرض أخذني إلى المسؤول عن التحقيق في السجن وقاموا بالاتصال بضابط المخابرات الإسرائيلي "ميني" المسؤول عن منطقة الشجاعية بغزة حيث اسكن هنالك وجاء الضابط "ميني" وجلست معه حيث أعطاني رقم هاتفه وبعد ذلك بفترة تم الإفراج عني في ١٣/ ١٠/ ١٩٨٧ ، وأوضح وليد حمدية في اعترافاته : وتحددت المقابلة الأولى مع ضابط المخابرات الإسرائيلي "ميني" بعد أسبوعين بأن أقف أمام سجن "أبو كبير" في تل أبيب ، وفي الموعد المحدد جاء الضابط الإسرائيلي ومعه سيارة فنزل منها ومشى ومشيت وراءه حتى توقف ودخل عمارة في تل أبيب فدخلت خلفه حتى وصل إلى شقة في الطابق الثاني ، فدخلت الشقة معه فوجدت هناك ضابط مخابرات إسرائيلي آخر اسمه "أبو حبيب" وأخذ يسألني عن الحركة الإسلامية وقياداتها فأعطيته صورة كاملة عن الحركة وذكرت له أسماء قيادات الحركة مثل الشيخ احمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي وخليل القوقا، وسألني عن تفاصيل كثيرة في الحركة وواصلت نشاطاتي بتزويد ضابط المخابرات الإسرائيلي معلومات عن نشاطات الحركة الإسلامية حتى أعلن عن تأسيس حركة حماس في كانون الثاني

١٩٨٧ بعد اندلاع الانتفاضة الأولى وشاركت شخصيا بفعاليات الانتفاضة فاعتقلت في آب ١٩٨٨ لمدة ستة شهور بسبب اعترافات لعناصر من حماس عن نشاطاتي وكان لابد من اعتقالي للتغطية . وأضاف حمدية في اعترافاته: وحدد لي ضابط المخابرات "ميني" موعدا في تل أبيب بعد ذلك ضمن إجراءات أمنية خاصة ؛ ولكن هذه المرة في فندق ودخلت إلى جناح في الفندق ووجدت ضابط المخابرات الإسرائيلي "أبو صقر" وهو مسؤول كبير، وجرى حديث طويل ثم أعطاني الضابط الإسرائيلي مبلغ ١٥٠ شيكل وطلب مني أن يكون اسمي الحركي "أبو جعفر". وقال: وفي أيار ١٩٨٩ فوجئت باعتقالي من البيت وحاولت أن أكلم الضابط "ميني" فقال لي: إن كل شيء انكشف، حيث اعتقلت إسرائيل عددا كبيرا من حماس ، بعد يومين من اعتقالي في "أنصار ٢" استدعيت للتحقيق فوجدت "ميني" فقال لي: كل الجهاز العسكري لحماس قد انكشف ، مكثت في السجن أربعة أشهر، وواصلت تزويد الضابط بمعلومات من داخل السجن عن المعتقلين من حماس والجهاد الإسلامي ، وبعد الإفراج عني بفترة وجيزة اتصل بي الضابط "ميني" وحدد لي موعدا هذه المرة على الشارع الرئيسي في منطقة الشجاعية ، وجاءني في الموعد بسيارة من نوع بيجو ٤٠٤ (وهي السيارة الأكثر شيوعا في غزة قبل إقامة السلطة الفلسطينية) وكان في السيارة أشخاص متنكرين بلباس عربي ووضعوا سجادة للصلاة على تابلوه السيارة وزينوا السيارة بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة وسبح معلقة وأسفل أرجلهم بنادق عوزي إسرائيلية وجلست في الكرسي الخلفي حيث كان يجلس الضابط "ميني" وكان يلبس باروكة على رأسه وبشنب مزيف ، وكانت عملية تنكر كاملة وكان الموجودين في السيارة من الحركة الإسلامية ، وسارت بنا إلى مستوطنة قريبة من قطاع غزة حيث تم لقاء هناك . وقال وليد حمدية: بدأت توجيهات ضابط المخابرات الإسرائيلية لي بأن أتقرب من قيادات حماس حتى أصل إلى مواقع قيادية في الحركة وقال لي الضابط الإسرائيلي "أبو صقر": لماذا لم تصل إلى موقع قيادي حتى الآن فالجبهة الشعبية يصل العضو فيها خلال ستة أشهر وبدأت عملية توجيه ودفع كي أصل إلى موقع قيادي ،وتدرجت في مسؤوليات في

جهاز الدعوة لحركة حماس حتى أصبحت مسؤولا عن جهاز الدعوة في منطقة الشجاعية بغزة بعد أن اعتقلت إسرائيل المسؤول السابق لإفساح المجال لي ، وفي عام ١٩٩١ اقترحت على الكابتن "ميني" أن يقوم باعتقالي وكان هدفي الأساسي التغطية على علاقتي بالمخابرات الإسرائيلية وفعلا اعتقلت خمسة أشهر ، وسلمت المخابرات الإسرائيلية كافة أسماء جهاز الدعوة والذين كنت أنظم لهم استعراضات بالزي العسكري الخاص بحماس وبعد ذلك بدأت عملية متابعة المطاردين من حركة حماس من طرفي وإبلاغ المخابرات الإسرائيلية بأي معلومات احصل عليها فزودتني المخابرات الإسرائيلية بقنبلة "مفخخة" وعلبة ديناميت كي أسلمها إلى المطارد محمد قنديل وتابعت رصد محمد قنديل حتى وصلت المخابرات الإسرائيلية إليه مع اثنان من المطاردين من حماس واستشهد الثلاثة محمد قنديل وياسر الحسنات ومروان الزايغ من الجناح العسكري لحركة حماس ، وحول استشهاد ياسر النمروطي قائد الجناح العسكري لحماس في غزة قال حمدية : فقد تابعت ياسر النمروطي ؛ لأنه حضر إلى منزلي وكان مطاردا وأعطاني الشهيد النمروطي مبلغ خمسة آلاف دولار لشراء أسلحة وأدوات للعمل في المنطقة فأبلغت الضابط الإسرائيلي أولا بأول على الهاتف ، فزودني الضابط الإسرائيلي ببندقية وقنابل "مفخخة" أيضا ، وفعلا تم تزويده بها ، وكنت قد زودت مساعده محمد أبو الخير ببندقية "كارلو" عن طريق المخابرات الإسرائيلي ة، وبعد خروج ياسر النمروطي من عندي واستلامه الأسلحة ، قامت المخابرات الإسرائيلية بمتابعته حتى وصلت اليه في مكان بعيد عني واستشهد في ١٧ تموز ١٩٩٢ بعد مواجهة مع الجيش الإسرائيلي ، وتسلمت مبالغ كبيرة من المخابرات الإسرائيلية لقاء هذه المعلومات ، ولكنهم قرروا اعتقالي بعد أربعة أيام من اغتيال ياسر النمروطي لإبعاد الشبهة عني لمدة ٤٠ يوما ، وبعد خروجي من السجن قال لي الضابط "أبو امجد"، لقد ضيعت فرصة فأنت الآن مسؤول منطقة الشجاعية بحركة حماس ونريد دعمك للوصول إلى هدفنا في مركز قيادي للحركة ، فأبلغت الضابط بأن عز الدين الشيخ خليل تسلم مسؤول الدعوة خلال اعتقالي ، فقام الضابط الإسرائيلي باعتقاله حتى أعود لمركزي ، ثم جرى

اعتقالي مجددا بإطار عملية المبعدين إلى مرج الزهور وقال لي الضابط: "هذا الإبعاد لفترة مؤقتة" وأعطاني خمس دنانير وعليها رقم هاتف ، وبعد عودتي من مرج الزهور ضمن مجموعات المبعدين من حماس . وقال حمدية: "إن دوري في اغتيال الشهيد عماد عقل قائد الجناح العسكري لحركة حماس في غزة بعد عملية اغتيال ياسر النمروطي فقد عرفت أن عماد عقل كان يتردد على منزل نضال فرحات فأبلغت ضابط المخابرات الإسرائيلي فأخذني إلى لقاء سري في مستوطنة "غوش قطيف" في غزة وقال لي الضابط الإسرائيلي: "إن رئيس الحكومة الإسرائيلية حتى أصغر إنسان في إسرائيل يريد رأس عماد عقل"، وكان لقاءا مع عدد من ضباط المخابرات الإسرائيلية فعرضوا على مكافأة نصف مليون دولار مقابل رأس عماد عقل ، فأبلغتهم سلفا بمكانه في منطقة الشجاعية في بيت "فرحات"، فطلبوا مني شراء بنطلونين نفس اللون تماما وفعلا قمت بشرائهما فأخذوا واحدا منهم ووضعوا في الثاني جهازا لاسلكيا صغير جدا ، وطلبوا مني أن أرتديه عندما أذهب إلى منزل فرحات حيث يوجد عماد عقل ، بحيث يكون الكلام الذي يدور وانا هنالك مسموع لدى المخابرات الإسرائيلية ، فدخلت منزل عائلة "فرحات" وجهاز اللاسلكي في سروالي مفتوح ، فأقمنا صلاة المغرب وكان عماد صائم وتناولنا الإفطار على سطح المنزل وفجأة حاصر الجيش الإسرائيلي المنزل من كل الجهات ، وأطلق الشهيد عماد الرصاص فأصيب بقذيفة إسرائيلية واستشهد وبقي الحصار لمدة ساعتين تقريبا وطلب الجيش من كل سكان المنزل الخروج ، وخرجت معهم إلى الشارع فشهر الجنود أسلحتهم علي وقال ضابط: نريد هذا ، وأخذوني بعيدا عن منزل فرحات فسألني ضابط المخابرات : ماذا حصل؟ قلت له: استشهد عماد عقل ، فأحضر سيارة عادية وركبنا بها وفي السيارة طلب مني خلع السروال ففعلت وناولني السروال الآخر وذلك ليستعيد جهاز الإرسال ، وبعد ذلك قابلت الضابط الإسرائيلي وحصلت على مكافأة اغتيال عماد عقل بما يعادل خمسة آلاف دولار ، وكان استشهاد عماد عقل في ٢٤ نوفمبر ١٩٩٣ . وواصل حمدية في اعترافاته: في شهر شباط ١٩٩٤ حصل لقاء مهم مع ضباط المخابرات الإسرائيلية حيث

لاحظت في لهجة الضابط الإسرائيلي التهديد حيث قال لي بأنني سلمت خمسة من قادة وكوادر الجناح العسكري لحركة حماس والذين اغتالتهم إسرائيل وهم: ياسر النمروطي عماد عقل محمد قنديل ياسر الحسنات مروان الزايغ (مؤسس الجناح العسكري لحركة حماس في غزة). أي ثلاثة قادة من الجناح العسكري للحركة ، وكانت لهجة التهديد بسبب مكوثي فترة بدون تزويدهم بمعلومات جديدة ، وبعد إقامة السلطة الفلسطينية تقابلت مع ضابط المخابرات الإسرائيلي في معبر "بيت حانون" فطلب مني آنذاك أن لا أتصل هاتفيا من منزلي خوفا من مراقبة السلطة الفلسطينية للهاتف وبدأت المخابرات الإسرائيلية تزودني بالأسلحة لبيعها إلى المطارد الشهيد كمال كحيل وعوض السلمي، ثم بدأت مطالب المخابرات الإسرائيلية بأن أصل إلى يحيى عياش وأن اتصل به ، وحتى أيار ١٩٩٥ والمخابرات الإسرائيلية تلح علي بأن أجلس مع يحيى عياش وسعيت لذلك ؛ ولكنني فشلت في أن اصل إلى عياش رغم أن المخابرات الإسرائيلية زودتني بأسلحة كثيرة لإيصالها إلى عياش عن طريق الشهيد عوض السلمي كطعم حتى أصل إليه حتى اعتقلت من قبل المخابرات الفلسطينية في غزة . ووفق المحضر الرسمي فقد بدأت اعترافات العميل وليد حمدية حيث يقول :" قصة حياتي أنني من مواليد ١٩٦٣ درست الصف الابتدائي بمدرسة الوكالة بغزة والتحقت بالثانوية العامة أول ثانوي سنة ١٩٧٨ ثم حصلت على الثانوية العامة والتحقت بالجامعة الإسلامية سنة ١٩٨١ وبدأ ميولي الدينية بداية من سنة ثانية ثانوي وانضممت فعلا للحركة الإسلامية والذي نسبني للحركة فوزي سلمان عبد العال وأخذني إلى الشيخ أحمد ياسين بطريقة خاصة حيث أوهمني أن فوزي عبد العال وأنا نريد البحث عن الحركة الإسلامية وقابلت أحمد ياسين في بيته بجورة الشمس بالمجمع الإسلامي وأعطيته العهد والبيعة

وجاء في الاعتراف : وحصلت لقاءات بيني وبين المخابرات حتى تاريخ الإبعاد على أثر خطف الجندي نسيم توليدانو ، ووفق سماع خبر خطف الجندي نسيم توليدانو قمت بالاتصال بضابط المخابرات أبو أمجد تليفونيا ، وثاني يوم اتصلت به بالمغرب فطلب مني الاتصال به بعد ساعتين

والساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل جاء الجيش لاعتقالي دون إخباري أو علمي بذلك حيث أن كل مرة يقولون لي وأخذوني بالجيب العسكري إلى منطقة مستعمرة "القبة" بعد المنطار وتم نزولي بساحة سوق الجمعة وكان يوجد باص وكان عدد كبير من المعتقلين وتم ترحيلنا إلى أنصار ٢ ودخلنا في الخيام أنصار وتحولنا بالليل إلى سجن النقب مع المجموع كله ، وبعد ذلك تم ترحيلي مع المجموع من المعتقلين بداخل الباصات ، ومشت بنا الباصات وكان بالباص أيضا عز الدين الشيخ خليل ومرتجى زيادة ، ... ، ومشينا مسافة طويلة وفي منطقة الشمال عندما وقف الباص جندي وسحبني من الباص ونزل الكمامة عن وجهي ووجدت أمامي أبو أمجد ضابط المخابرات وأبو خضر من قيادة المخابرات المسؤول عن أبو أمجد وقالوا لي سأبعد فترة مؤقتة وأعطاني خمس دنانير وعليها رقم تليفون مكتوب عليها وقال يمكن الدخول إلى سوريا اليوم وتطلب الرقم ، عند الاتصال أطلب أبو إبراهيم ووقتها سأخبرك بكل شيء عن مهماتك ، وركبت بالباص ثانيةً واستكملت طريقنا بالأحداث ومكوثنا بمنطقة بمرج الزهور حال دون اتصالي بهم ، وغبت عن مرج الزهور مدة ثلاث أيام وكان معي ماهر العجلة ماهر تمراز ، وذلك للتدريب على يد الجبهة الشعبية " القيادة العامة " وعندما رجعت من الإبعاد ، بلغت المخابرات الإسرائيلية عما حصل بالإبعاد كاملا ، وبلغتهم بذلك وبلغتهم عن عدم رجوع عز الدين الشيخ خليل بسبب الاعترافات عليه لم يرجع ، والذي لم يرجع من مرج الزهور عددهم ٤ أشخاص لوجود اعترافات عليهم . وكان اللقاءات مكثفة بيني وبين المخابرات لشرح ما حصل بالإبعاد في مرج الزهور ، ثم روحت إلى بيتي بعد ذلك وكانت اللقاءات بنفس المستوطنات ولا أعرف أن كانت "بغوش قطيف" أو بمستعمرة بمنطقة ايرز وثاني لقاء من الإبعاد تسلمت مبلغ عشرون ألف شيكل من ضابط المخابرات أبو فرحان وحصل تغير للمخابرات وتم تشغيلي من قبل أبو فرحان وحصل تغيير أبو جودة من قيادة المخابرات بدل أبو خضر ، وحضر الكابتن ميني وأبو فرحان وأبو جودة وأبو أمجد بلقاء موسع بعد رجوعي من مرج الزهور إلى سجن النقب وحصلت لقاءات مكثفة من قيادة المخابرات

الإسرائيلية معي واستلمت عشرون ألف شيكل ووقعت على إيصال بالاستلام وكان بتاريخ ١٣/ ٩/ ١٩٩٣م .

***

متابعة للاعترافات : أما دوري في عملية استشهاد المطارد "عماد عقل" وهو من كتائب عز الدين القسام ، كان لي لقاء مع نضال فرحات وكان عماد عقل يتردد على بيت نضال فرحات وكان المنزل مأوى له من ضمن المأوي التي يتردد عليها عماد عقل ، ذهبت لنضال على البيت وخرجت معه مشوار ، وعندما رجعت على بيت نضال جلست بالصالة الخارجية وبعد دقائق ناداني نضال فرحات ودخلت بالداخل ووجدت عبد الفتاح السطري وعماد عقل وسلمت عليهم وجلست جلسة معهم ، ثم روحت إلى بيتي ، وصار لقاء لي مع المخابرات الإسرائيلية مع أبو فرحان داخل إحدى المستعمرات غوش قطيف ، القبة ، مستعمرة بمنطقة ايرز " وقال لي ضابط المخابرات أبو فرحان أن رئيس الحكومة الإسرائيلية وحتى أصغر إنسان بإسرائيل يريد رأس عماد عقل ، ثم روحت بعد ذلك إلى بيتي ، وبعد ذلك التقيت بعماد عقل ثانية وجلست معه لمدة ساعة ، وعرفت أن عماد عقل يريد بعد المغرب بساعة أن يروح ويخرج من منزل نضال فرحات ، واتصلت بأبو فرحان ضابط المخابرات الإسرائيلي وبلغته بذلك بأن عماد عقل سينام الليلة بمنزل نضال فرحات ، وحصل اهتمام من ضابط المخابرات أبو فرحان اهتماما كبير جدا ، وطلبوني للاجتماع ومقابلة ، وحضر بالاجتماع أبو أمين من قيادة المخابرات وأبو جودة أيضا وأبو فرحان وحصل تشديد عليّ بأن يكون الاتصال سريع ، وسألت ضابط المخابرات أنه توجد مكافأة مليون دولار للشخص الذي يسلم عماد عقل فقالوا سأكون مبسوطا ، وطلبوا مني شراء بنطلونين لون بعض على مقاسي وقمت بشراء البنطلونين ، وأخذوا البنطلونين مني وتم أخذهم ذلك ، ووجدت بإحدى البنطلونين مخيط جهاز يعطي إشارات ، وجهاز إرسال بطريقة خفية دون أن يشعر أحد بذلك ، وتم وضع بيت نضال فرحات تحت المراقبة ، وتم شرح لي كيفية استخدام جهاز الاتصال بواسطة زر أحمر مجرد الضغط عليه يعرف

أن عماد عقل موجود ، والضغط لمدة تعطي إشارة أن عماد عقل خرج ، وفضلا على أن الكلام وما يدور بالجلسة يكون مسموع لدى المخابرات ، وثم حين وجود عماد عقل الاتصال بأبو جودة بان عماد عقل موجود بدار نضال فرحات وانتهت المكالمة معه ، ووجدت أخو نضال محمد وقال كلم عماد موجود بالداخل وكنت مجهز نفسي بلبس البنطلون بناء على تكليف من أبو فرحان ضابط المخابرات لي بذلك ، وذهبت لبيت نضال والجهاز مفتوح وعماد عقل كان مجتمع مع أيمن أبو هين قبل ذلك وأقمنا صلاة المغرب بالطابق الثاني على السطح ، وكان عماد صائم وتم إفطاره على السطح ، وجلست مع عماد ، وحدثت المفاجأة للجميع بحضور الجيش ، وتم محاصرة عماد من قبل قوات الجيش وحصل مداهمة للمنزل واستشهاد عماد عقل بزاوية المنزل بعد الممر ، وفضلت الدار محاصرة لمدة ساعة تقريبا أو ساعتين وأصدر أوامره الجيش بخروج أهل المنزل شخصا شخصا وخرج نضال وقالوا الجيش نريد الراجل الختيار أولا ويعنوني ، وسلطوا عليّ السلاح عادي ، ثم تم أخذي وراء دار طلال فرحات تحت المظلة وسألوني عما حصل وقلت لهم تم استشهاد عماد عقل ، وأحضروا سيارة فلوكس وقالوا لي أدخل بالداخل السيارة وشلحوني البنطلون ، وتم قص جيبة البنطلون وتم أخذ الجهاز ثم لبست البنطلون ثانية ، وتم قص جيب البنطلون من الداخل " جيبة داخلية " وحصلت لي مقابلة مع المخابرات الإسرائيلية وقابلت أبو فرحان وأبو جودة ضابط المخابرات الإسرائيلية ، واستلمت مكافأة مبلغ عشرون ألف شيكل من أبو فرحان ووقعت على وصل بالاستلام في نهاية المقابلة ، وحصل استشهاد عماد عقل المطارد من كتائب عز الدين القسام بتاريخ ٢٤/ ١١/ ١٩٩٣م ، وبعد قتل عماد عقل حصل لقاء بيني وبين المخابرات الإسرائيلية بمنطقة المستوطنات وكان اللقاء مع أبو فرحان وحدد لقاء باجتماع القيادة من المخابرات وفي نهاية اللقاء حضر ضابط المخابرات أبو جودة ، وشرح لي مبررات أن الشبهات بعيدة عني حول مقتل عماد عقل ، وفي نهاية اللقاء استلمت مبلغ " ١٥ مليون شيكل إسرائيلي " ، وحدد لي موعد سبق اللقاء القادم ، واجتمعت مع أبو فرحان حسب الموعد المحدد وكان أبو فرحان لوحده ،

وسألني عن معلومات جديدة ولم يكن يوجد لدي معلومات جديدة بعد هذا الحادث وهو مقتل عماد عقل المطارد من كتائب عز الدين القسام . والتزمت داخل البيت مدة شهر وذلك لمرضي ، وعندما تم إلقاء القبض على أخي فؤاد واعتقاله بتهمة حيازة سلاح "كلاشين" وبهذا الوقت قمت بالاتصال بأبو فرحان تليفونيا ، وحكيت له الموضوع وحدد لي ميعاد ، وبهذا الميعاد كان ضابط المخابرات أبو جودة وأبو يونس من طاقم التحقيق واثنين آخرين من المحققين لأول مرة ألتقي بهم ، وتم سؤالي عن قصة أخي فؤاد ، وقلت لهم أنه ناشط من تجار السلاح ، وبعد الجلسة خرج المحققين ، وفضل أبو جودة لوحده ، وانتهى اللقاء ، وتسلمت مكافأة تبلغ عشرون ألف شيكل ، مكافأة لتسليم عماد عقل ، وبلغته عن وجود "كارلو" مع نضال فرحات وقلت له أنني جربت " الكارلو" مع نضال فرحات ، وحصل لقاء آخر بعد ذلك تقريبا في شهر ٢/ ١٩٩٤م وكان يوجد ضابط المخابرات أبو جودة وأبو فرحان ، وبهذا اللقاء رسم في ذهني صورة تهديد بطريقة غير مباشرة لشرحه أنني قمت بتسليم خمسة مطاردين من كتائب عز الدين القسام ، وعندما روحت إلى البيت طلب مني نضال فرحات سلاح ، وكان عندي إمكانية لإحضار سلاح من ابن عمي يوسف حمدية يسكن بتل السبع ، وعندما رفضت المخابرات تزويدي بالسلاح طلبوا مني المخابرات إحضار سلاح من يوسف حمدية من السبع وبالفعل قمت بتنسيق الموضوع مع يوسف حمدية وعلى علم المخابرات ودفع نضال المصاري بتل السبع من المجموعة ، وهي مجموعة نضال واحضر ت "الكلاشين" ودفع نضال ثمنه ٢٨٠٠ دينار أردني وساعدته بنقل "الكلاشين" من مخصوم ايرز حيث كان موضوع داخل كيس رز ، وكانت المخابرات الإسرائيلية مشرفة على موضوع نقله من ايرز لداخل القطاع ،وفي يوم كان ينام نضال فرحات عند منزل صبحي أبو كميل ووسام ، وجواد أبو حليمة وبهذه الليلة تم إلقاء القبض على المطارد صبحي أبو كميل ، وكان يوجد ارتباط قوي بين نضال فرحات وبين صبحي أبو كميل المطارد وتم إلقاء القبض على المجموعة كلها ، وعندما علمت باعتقالهم قمت بالاتصال بأبو فرحان وطلبت منه الإفراج عن هؤلاء وفعلا خرج نضال فرحات وجواد أبو

حليمة ثم وسام فرحات ، وبعد اعتقال صبحي أبو كميل تم اعتقال نضال فرحات ، ثم بتاريخ نهاية شهر ٣/ ١٩٩٤م تم اعتقالي ، وقبل اعتقالي بهذا التاريخ أي بعد إلقاء القبض على صبحي أبو كميل ، حصل لقاء بيني وبين المخابرات وكان ذلك بالمجدل بالشقة نفسها ، وكان بالاجتماع ضابط المخابرات أبو أمين من قيادة المخابرات ومعه أبو جودة وأبو فرحان ضابط المخابرات ، وحصل بالاجتماع كيفية مواجهة المرحلة الجديدة ، وكانت المخابرات تطلب مني بهذا اللقاء سفري من القطاع ، حتى تحضر السلطة وأنا أكون غير موجود ، وكان اقتراح أبو أمين ضابط المخابرات السفر بمجرد حضور السلطة للقطاع وكان ذلك خوفا عليّ من ضربي واعتقالي من السلطة بصفتي عضو قيادي بالحركة الإسلامية وتم الاتفاق لي مع المخابرات على السفر وهم يدبلجون موضوع السفر لي والموافقة من قبل المخابرات على سفري ، ورحت إلى القطاع ووجدت عدم إمكانية لسفري وتم الاتصال بأبو فرحات ضابط المخابرات تليفونيا ، وأخبرته بعدم وجود إمكانية لسفري ، وسألني ما رأيك باعتقالي إداري ووافقت على الاعتقال ، وتم اعتقالي في تاريخ ١٨/ ٤/ ١٩٩٤م إداريا لمدة أربعة شهور ، وتم الإفراج عني بتاريخ ١/ ٨/ ١٩٩٤م وكانت السلطة موجودة بالقطاع ، وبعد خروجي من السجن التقيت بالمخابرات بالمجدل عن طريق ايرز ، وكانت طريقة الدخول إلى إسرائيل بالهوية الإسرائيلية لمنطقة ايرز ، وأمام المركز "هرتسيليا" الطبي بايرز كان الاتفاق أن أقف أمام المركز ، وجاءت سيارة فلوكس تندر لونها ابيض وبنمر عربية ، وركبت بها بالكرسي الخلفي وكالعادة نمت داخل السيارة ، وتم تغطيتي ببطانية ، ودخلت السيارة إلى منطقة عسكرية وانتقلت من هذه السيارة لسيارة أخرى نوع فلوكس باص لونه أبيض والسيارة مقفولة كاملة ، وسارت السيارة إلى الشقة بالمجدل وجلست بالشقة ووجدت ضابط المخابرات أبو فرحان ، وكنت مجمدا أثنائها من تنظيم حماس على أثر مشكلة سابقة ، وتم استلامي مبلغ ٦٠٠٠ شيكل ، وتم تكليفي بعدم الاتصال من بيتي خوفا من المراقبة لتليفوني من قبل السلطة وبعد نهاية اللقاء تم رجوعي للقطاع ، وبعد رجوعي من هذه المقابلة ،حصل أن حضر صقر الفيومي وقال لي يوجد مسدس

ثمنه ألفين شيكل ومطلوب ألف شيكل حاليا إحضاره ، وتم اعتقالي من قبل السلطة الفلسطينية لمدة سبعة أيام ، ثم بعد خروجي سألت صقر الفيومي ، أين المسدس فقال الراجل أحضره ولم تكن موجود ، ثم قال لي صقر الفيومي يوجد عشر قذائف "كاتيوشا" ،وبتاريخ ٢٠/ ١٠/ ١٩٩٤م تقريبا ذهبت لصقر الفيومي إلى منزله وأعطاني قذيفة "انيرجا" وشكل لونها أسمر وطولها تقريبا ٣٠سم موجودة داخل باكيت كرتون أسطواني الشكل أقل من قطر حجم زجاجة الكولا ، وأخبرت سفيان محسن سليم بوجود عشر قذائف "كاتيوشا" وهل نستطيع توصيلها إلى كتائب عز الدين القسام ؟ وأخذتها من صقر الفيومي وحضر سفيان سليم ، وأخذها مني وكان معه رمضان الرملاوي يقود سيارة فيات لونها ابيض وكنت قد دفعت لصقر ثمنها مبلغ عشرة مليون ، وثاني يوم حضر شخص مع رمضان الرملاوي وهو شخص ملتحي ويقود سيارة لونها سكني نوع فورد أو دلتا وكانت الساعة الثامنة والنصف صباحا تقريبا ، وطلبوا مني باقي القذائف ، وتمت موافقة صقر الفيومي على القذيفة بثمن ١٢ مليون ، وجاءني سفيان سليم وقال لي كمال كحيل المطارد يريد باقي القذائف وعرفت أن القذيفة وصلت للمطارد كمال كحيل من خلال سفيان سليم وحضر معه منصور الشمالي " أبو أيمن " وطلب مني باقي القذائف ، وعند يئست من إحضار صقر الفيومي القذائف الباقية ، حصل لقاء بيني وبين المخابرات الإسرائيلية بالمجدل بنفس الطريقة وكان بتاريخ ١٦/ ١١/ ١٩٩٤م ، وبلقائي هذا أخذت ألف شيكل من أبو فرحان ضابط المخابرات الإسرائيلي . وبتاريخ شهر ١٢/ ١٩٩٤م أخبرت أبو فرحان ضابط المخابرات الإسرائيلي وأبلغته بما حصل حول قذيفة "الكاتيوشا" وشرحت له أين وصلت القذيفة وعن أبو أيمن الشمالي ، وسألوني عن وصفها وشكلها وأبدو استعدادهم لإمدادي بالسلاح من أجل توصيله للكتائب ، وتم دراسة هذا الموضوع من قبل المخابرات الإسرائيلية ، ثم حضر عوض سلمي المطارد ومعه أبو أيمن الشمالي وجلست مع عوض سلمي ، وكان ذلك بتاريخ ٢٧ رمضان ١٩٩٥م وأبلغت ذلك للمخابرات ، وكان باللقاء أبو جودة ضابط المخابرات موجود وكان الاجتماع بالمجدل وأبو فرحان ضابط

المخابرات الإسرائيلي ، وأحضر لي أبو جودة صور قذائف مشابهة من أجل التعرف على نوع القذيفة الموجودة التي وصلت لكمال كحيل ولم أجد لها مثيل ووصفتها لهم ، وأخذت موافقة من المخابرات الإسرائيلية بتزويدي بسلاح لعوض سلمي المطارد ، بتاريخ ٢٧/ ٣/ ١٩٩٥م حصل لقاء بيني وبين المخابرات الإسرائيلية وكان باللقاء أبو فرحان بالمجدل ضابط المخابرات الإسرائيلي ، ووصاني بعدم تسليم نفسي للسلطة حتى يكمل موضوع السلاح لعوض سلمي ، وأخبرته ما حصل معي ومع عوض سلمي وتردده على منزلي من أجل إحضار السلاح وماذا عملت له ، وحدد لي أبو فرحان لقاء بالمجدل ، وحصلت المقابلة وقام بتسليمي "عوزي" مفككة موضوعة داخل "نيون" ، والنيون موجود عندي بالبيت ، وحضر عوض سلمي وكان معه شخص يدعى عماد عقل ، واستلم "العوزي" عوض سلمي ، وأخذت منه مبلغ ١٥٠٠ دينار ثمن "العوزي" ، وأخبرت أبو فرحان ضابط المخابرات تليفونيا بوصول "العوزي" إلى المطارد عوض سلمي ، ثم جاءني المطارد عوض سلمي أيضا يطلب سلاحا ، وحصل لقاء بيني وبين المخابرات الإسرائيلية مع أبو فرحان وأبو جودة وكان اللقاء بالمجدل ولا أذكر التاريخ ، وكلفت من قبل أبو جودة وأبو فرحان بالبحث عن المهندس يحيى عياش والاتصال بهم ، وقمت بالاتصال بالمطارد عوض سلمي وطلبت منه رؤية والتعرف على المهندس يحيى عياش ، وقال لي عوض سلمي أنه يريد "إم ١٦" فقال عوض سلمي أن السلاح للمهندس يحيى عياش ، والمخابرات الإسرائيلية كلفتني بالبحث عن المهندس يحيى عياش والجلوس معه ، وحصل لقاء بيني وبين المخابرات الإسرائيلية بالمجدل وكان ذلك في نهاية شهر ٥/ ١٩٩٥م تقريبا ، وأخبرت المخابرات بذلك فقامرا بتزويدي " بمسدس ١٦ مل داخل علبة تربنتينا" ملحومة ، وقمت بتسليم المسدس لعوض سلمي وأعطاني مبلغ ثمن المسدس ١٥٠٠ دينار ، وأخبرت ذلك لأبو فرحان ضابط المخابرات وكانت مكافأة لي . ومازال طلب المخابرات يلح عليّ بالجلوس مع المهندس يحيى عياش ، وعوض سلمي يريد إم ١٦ متطورة ، وأنا أقوم بإبلاغ أبو فرحان ضابط المخابرات بذلك ، ودرست المخابرات الإسرائيلية الوسائل لي من أجل

الجلوس مع المهندس يحيى عياش ، وكانت الدراسة من قبل أبو فرحان وأبو جودة ، وقاموا بتزويدي بقذيفة ، وقالوا لي أن هذا القاذف خطير ، وأطلب من عوض سلمي أن يحيى عياش يقول لي حتى يكون سند لي ويكون تكليفي من قبل قيادة كتائب عز الدين القسام ، وتم استلامي القذيفة لونها أصفر طولها ٣٠ سم داخل كرسي كنب وسند خشبي للكنبة ، ومررت بها ، وكانت المخابرات الإسرائيلية قد وضعت القاذف به ودخلت بها من ايرز ، و أثناء حادثة السبع بعدها طلبت مني المخابرات الإسرائيلية عندما أحضر إلى المقابلة أن أقف أمام المركز الطبي بايرز وفي يدي جريدة وستأتي السيارة لنقلي إلى شقة بالمجدل . وحصلت أربعة لقاءات بهذه الطريقة بعد موضوع الشاحنة ، وبكل لقاء كنت مزود بسلاح من قبل المخابرات : " العوزي ثم المسدس ثم القذيفة " . وعندما استلمت القذيفة من المخابرات الإسرائيلية من ضابط المخابرات أبو فرحان وأبو جودة زودني بصورة لقاذف من أجل مقابلة المهندس يحيى عياش ، وثم أخذ عوض سلمي القذيفة والصورة وطلب مني "إم ١٦" ، وأخبرت ذلك لأبو فرحان ضابط المخابرات بعدم وجود إمكانية لمقابلة المهندس يحيى عياش ولابد من إحضار سلاح طويل له "جاليلو" أو " إم ١٦" مطورة . وقلت للمخابرات بعدم وجود إمكانية إلا بسلاح طويل لمقابلة المهندس يحيى عياش ، وأخبرني ضابط المخابرات أبو فرحان بوجود موافقة من قيادة المخابرات بتزويدي بذلك ، ولعدم وجود أبو فرحان لأنه بمأمورية ، قمت بالاتصال تليفونيا وقالوا لي سيحضر أبو فرحان يوم الأحد بتاريخ ٢٠/ ٨/ ١٩٩٥م وبهذه المكالمة كان يوجد حصار على المطاردين بالشيخ رضوان من قبل السلطة ، وأخبرت أبو فرحان ضابط المخابرات أن وائل نصار اعتقل ، وقال لي أبو فرحان وصاحبك عوض سلمي معه ، وكلفني بمعرفة الشخص الثالث الذي تم اعتقاله ، وطلب مني أن أكون حذرا بهذه المرحلة . وهذه هي إفادتي وقصتي كاملة بارتباطي مع المخابرات الإسرائيلية أقولها بكل صراحة وبدون ضغط أو إكراه من أحد . وبعد أن أدلى المتهم بأقواله تم استجوابه ومناقشته ...

تم إقفال المحضر بعد إدلاء المذكور بإفادته وبعد أن تم استجوابه ومناقشته اقفل المحضر على

ذلك وأخذت توقيعه وبصمته .

وأصدرت عائلة العميل وليد حمدية المسؤول السابق لجهاز الدعوة في حركة حماس بيانا أعلنت فيه براءة عائلة حمدية من هذا العميل وطالبت السلطة الفلسطينية بإعدامه .

أولا نعلن براءتنا كاملة من هذا الشخص ومن أي عمل قام به ونطالب السلطة الفلسطينية بتنفيذ حكم الإعدام فورا أو تسليمه لنا لنقوم نحن بتنفيذ حكم الله. وبالنسبة لموقف حركة المقاومة الإسلامية "حماس" فقد كان العميل وليد حمدية عضوا في الحركة وكانت الحركة غطاءا له في جميع تصرفاته.. ومنذ انتشار الخبر قامت حركة حماس بتوزيع بيان تعلن فيه عن عدم مسئوليتها عنه. ؟ وأضاف بيان عائلة حمدية :وبالنسبة لموقف السلطة فقد توجهنا نحن عائلة حمدية بشكل رسمي وفردي منذ بداية الحدث لاستيضاح الأمر ولكن لم يتم إفادتنا بأي شيء وقد أغلق الملف تماما طول السنوات السابقة ومن هنا نتساءل عن سبب السكوت طوال هذه المدة . ونتوجه إلى الشعب الفلسطيني ببياننا هذا لتوضيح موقفنا من هذه القضية بإعلاننا البراءة من وليد حمدية ومن كل الأعمال التي قام بها ، والكل يعلم بأن الشعب الفلسطيني لا ولن يخلوا من الأبطال والشرفاء والمجاهدين وكذلك الكل يعلم بأننا في عائلة حمدية قدمنا الشهداء والأسرى ومازال أسرى العائلة يقبعون في سجون الاحتلال كغيرهم من أبناء الشعب الفلسطيني المناضل . ويذكر بان محكمة أمن الدولة الفلسطينية انعقدت في مقر جهاز المخابرات العامة الفلسطينية بغزة وأصدرت حكما بالإعدام على العميل وليد حمدية رميا بالرصاص حتى الموت لمشاركته في عملية اغتيال خمسة من قادة وكوادر الجناح العسكري لحركة حماس.

***

كان الأستاذ جهاد عبد الكريم روح الفضل يخرج من مسجد العمري في غزة بعد صلاته العشاء ، ووقف خارج بيت الله ينتظر صديقيه عزمي عبد السلام ابن عمه والمدرس مثله ، وقريبهم حسام موظف في مستشفى الشفاء في قلب مدينة غزة ، فاقترب منه شابان ، فقال احدهما بعد التحية والسلام : الأستاذ جهاد عبد الكريم روح الفضل !

ـ أنا هو أهلا بكما أي خدمة اقدمها لكما ؟

قال الآخر : تقبل الله صلاتك أولا .. أنا نزار خلدون ..وهذا صديقي عصام عبد الغفور

ـ أهلا بكما .. وأنا جهاد روح الفضل من سكان هذه المنطقة

ـ نعرف .. والدي خلدون يرعب بالجلوس معك

ـ والدك ! لماذا وأين تقطنون ؟

ـ قريب من هنا .. سمع والدي ووالد الصديق عصام انك تهتم بالأعلام الذين تغتالهم إسرائيل منذ ظهور الحركة والثورة الفلسطينية ويحب أن يسألك عن بعضهم فأشار البعض إليك

ـ لست صحفيا ؛ ولكني اهتممت بقصصهم إلى حد كبير

اقترب عزمي وحسام منهم ، ووضح لهما جهاد الموقف بعد أن عرفهما على الشابين فقال حسام فرحا ومهللا : ووقعتم على المرجع في ذلك الموضوع .. محاضراتك عن شهداء الاغتيال أثمرت دعاية كبيرة لك

غمر الشباب الضحك وقال عزمي : أهلا بالشباب .. وأشار لاحدهم وقال : كأني أعرفك أين التقينا .. أنت عصام عبد الغفور صبرة شقيقك أستاذ مثلنا

قال عصام : صحيح وهو عاصم عبد الغفور صبرة

هتف جهاد مبتهجا : يا رجل هو زميل في مدرسة المخيم ما أخباره ؟ هو سافر للخليج من زمن يسير

قال عصام : اجل ، ترك الوكالة للعمل في السعودية أهلا بكم

فقال حسام : حياكم الله خذ أرقامهم يا جهاد حتى تتصل بهم وتتفقون على زيارة والديهم

فقال نزار : وانتم مدعون للقاء

فقال : لن نتخلف عن الدعوة .. صح يا عزمي

***

قبل أن يغادر عام ٢٠٠٤ الوجود شهد استشهاد زعيم منظمة التحرير الفلسطينية التاريخي منذ عام ١٩٦٩ المناضل ياسر عرفات يوم ١١نوفمبر ٢٠٠٤ كان إعلان وفاة الرئيس والزعيم التاريخي لفلسطين ياسر عرفات في باريس الفرنسية بعد صراع قصير مع المرض الغامض ، بدأ حصار مقر عرفات في رام الله يوم ٢٩مارس٢٠٠٢ ، لم يكن عام ٢٠٠٤ بالنسبة للشعب الفلسطيني بالعام الاعتيادي مثل باقي الأعوام ، بل شهد ثلاثة اغتيالات كبرى كانت كفيلة بتغيير الواقع الفلسطيني برمّته ؛ ولكنه شعب اعتاد على اغتيال زعمائه الأشاوس منذ تواطأ الاستعمار الغربي على زرع كيان صهيوني وحشي في فلسطين ، كيان زعم أنه تعرض لإبادة نازية فجاء يمارس الإبادة والتطهير العرقي على شعب فلسطين بمزاعم توراتية لا أساس لها من الصحة ؛ لكنها أفكار تخلب لب الضعفاء والسخفاء والساسة الغربيين فكان اغتيال الشيخ أحمد ياسين مؤسّس حركة حماس في ٢٢ آذار ٢٠٠٤ ، فاغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي أحد مؤسّسي حركة حماس في ١٧ نيسان ٢٠٠٤، وختم العام باغتيال الرئيس ياسر عرفات في ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٤.

ثلاثة اغتيالات خطيرة وإجرامية عصف بأمة فلسطين تبعها قرار إسرائيلي كبير جاء دون سابق إنذار في شهر آب ٢٠٠٥، وهو الانسحاب الكامل من غزّة ،كان اغتيال القائد ياسر عرفات رأس مثلّث الاغتيال لأبرز قيادات الساحة الفلسطينية إن لجهة السلطة ومعها منظمة التحرير الفلسطينية، أو لجهة حركة حماس وما تمثّله في الساحة الإسلامية الفلسطينية ، وبالتالي إسقاط الصورة السائدة لتلك العلاقة الخاصة التي تربط ياسر عرفات بالشيخ أحمد ياسين ، وكل قائد منهم تعرض لعدد كبير من محاولات الاغتيال في فلسطين وفي لبنان والشام وحتى تونس كما

اغتيل القائد خليل الوزير والقائد صلاح خلف ، ونقول الأعمار بيد الله وحده ولا تدري نفس بأي ارض تموت .. كل نفس ذائقة الموت قصر العمر أو زاد .

برزت روايات تؤكّد أنّ اغتيال الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات كان قراراً إسرائيلياً بتغطية أميركية دولية ، كانت سفينة "كارين أي" الحجة والسبب الأساس في قرار اغتيال الرئيس ياسر عرفات ، فبعد أن ضبطت إسرائيل في بداية عام ٢٠٠٢ سفينة "كارين أي" المحمّلة بخمسين طناً من الأسلحة على متنها ، حيث كانت متّجهة إلى قطاع غزّة بقيادة القبطان البحري عمر عكاوي ، وهو فلسطيني الجنسية داهمتها مجموعة من الكوماندوز الإسرائيلي لدى وصولها إلى البحر الأحمر ، وخلال التحقيق مع عكاوي قال: "إنّ من وجّه إليه الأمر بقيادة السفينة هو شخص من السلطة الفلسطينية يدعى عادل عوض الله الذي اشترى السفينة في لبنان من أجل المهمة"، إلا أنّ عوض الله نفى أن يكون لمسؤول كبير في السلطة علاقة بالسفينة . وقال: "أعتقد أنّها كانت هدية من الأسلحة من حزب الله أو شيء من هذا القبيل."

***

واعتقلت قوات الاحتلال عمر عكاوي في ١/ ١/ ٢٠٠٢ في أثناء قيادته السفينة كارين، كما اعتقلت جميع الأفراد الذين كانوا على متنها واقتيادها لميناء أسدود المحتل، وذلك بتهمة نقل أسلحة ومعدات حربية تخص الانتفاضة الفلسطينية والمقاومة.

وأصدرت محكمة الاحتلال بعد عدة سنوات من اعتقاله حكما بالسجن على عكاوي لمدة ٢٥ عاما وجاء في لائحة الاتهام بتهمة الانتماء لحركة فتح ، ونقل أسلحة للفصائل الفلسطينية بهدف تنفيذ عمليات فدائية ضد المحتل.

وكان الشاب عكاوي قد سافر إلى لبنان والتحق بجامعة بيروت العربية للدراسة ، والقبطان عمر محمد حسن عكاوي من حي النصر غرب مدينة غزة ، وهناك التحق في صفوف حركة فتح وتلقى تدريباته العسكرية الأولية فيها والتحق في صفوفها وحصل عام ١٩٧٩ على بعثه لدراسة البحرية تخرج منها عام ١٩٨٣ وعاد ليلتحق بالبحرية الفلسطينية في اليمن ، وبعد

تخرجه بدأ في اليمن ببناء القوة البحرية الفلسطينية ، وعمل كقبطان على الخطوط التجارية الدولية أكسبته خبرة وتجربة مهنية ، وانخرط القبطان البحري في فعاليات الانتفاضة الفلسطينية الثانية بعد أن اقتحم أرئيل شارون باحات المسجد الأقصى ، وكان خلال تلك الفترة يقوم بفعاليات مختلفة منها نقل السلاح والذخيرة إلى داخل فلسطين ، وهو متزوج وله ابنة واحدة اسمها «ملك» وتخرجت من كلية الطب البشري جامعة الزاوية في ليبيا وحاصلة على شهادة الدكتوراه بتقدير امتياز ، وخرج من السجن عام ٢٠٢٥فقال : بعد ٢٤ سنة في سجون الاحتلال أشعر اليوم بالحرية التي كنا نفتقدها، كما أشهر بالشموخ والعزة ، ويجب أن تكون غزة مرفوعة الرأس، وهي تستحق كل تضحية

***

نفى الرئيس عرفات في حينه علاقة السلطة الفلسطينية بالسفينة كارين، وشكّل لجنة تحقيق لمحاسبة من كان خلف استقدامها ، إلا أنّ إسرائيل ورئيس حكومتها في حينها أرييل شارون حمّل عرفات المسؤولية الكاملة ، في هذه الأجواء المشبوهة قامت إسرائيل بمنعه من مغادرة رام الله ؛ لذلك لم يحضر عرفات مؤتمر القمة العربية في بيروت في ٢٦ مارس ٢٠٠٢ خشية ألا يسمح له بالعودة إذا غادر الأراضي الفلسطينية ، عقدت القمة يوم ٢٧ مارس ٢٠٠٢ في بيروت ، وكانت إحدى القمم الأكثر أهمية في تاريخ القمم العربية إذ تبنت مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (كان ولياً للعهد السعودي يومذاك) بشأن تطبيع العلاقات الإسرائيلية العربية شريطة الانسحاب إلى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧.

الأمير عبد الله بن عبد العزيز أعلن من خلالها مبادرته داعيا إلى انسحاب إسرائيل الكامل من جميع الأراضي العربية المحتلة منذ ١٩٦٧، تنفيذا لقراري مجلس الأمن (٢٤٢ و٣٣٨) واللذين عززتهما قرارات مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ ومبدأ الأرض مقابل السلام ، وإلى قبولها قيام دولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة وعاصمتها القدس الشرقية ، وذلك مقابل قيام الدول العربية بإنشاء علاقات طبيعية في إطار سلام شامل مع إسرائيل وفي ٢٩ مارس من نفس السنة

حاصرته القوات الإسرائيلية داخل مقره في المقاطعة مع ٤٨٠ من مرافقيه ورجال الشرطة الفلسطينية ، وهكذا بدأت حالة من المناوشات التي يقتحم خلالها الجيش الإسرائيلي ويطلق النار هنا ويثقب الجدار هناك ، بينما كان عرفات صامدا في مقره متمسكا بمواقفه ، في تلك الفترة الحرجة بدأ يتقاطر عليه في مقره بالمقاطعة مئات المتضامنين الدوليين المتعاطفين معه ؛ كذلك تعرض عرفات من قبل الإدارة الأمريكية وإسرائيل لحملة لإقصائه عن السلطة أو إبعاده عن مركز القرار فيها بدعوى تحميله مسؤولية ما وصلت إليه الأوضاع في أراضي السلطة الفلسطينية من تدهور ، ففي يوم ٢٤ مايو ٢٠٠٢ طلب الرئيس الأمريكي جورج بوش تشكيل قيادة فلسطينية جديدة ، وبسبب الضغط الدولي وانسداد الأفق السياسي اضطر عرفات للتنازل عن بعض صلاحياته لرئيس الوزراء محمود عباس؛ ولكن عباس سرعان ما استقال وتولى المنصب أحمد قريع ، في يوم الثلاثاء ١٢أكتوبر ٢٠٠٤ ظهرت أولى علامات التدهور الشديد لصحة ياسر عرفات ، فقد أصيب عرفات كما أعلن أطباؤه بمرض في الجهاز الهضمي، وقبل ذلك بكثير، عانى عرفات من أمراض مختلفة ، منها نزيف في الجمجمة ناجم عن حادثة طائرة سقطت في صحراء ليبيا ، ومرض جلدي (البرص) ، وأوجاع عامة عولجت بأدوية في العقد الأخير من حياته ، والتهاب في المعدة أصيب به منذ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٣. وفي السنة الأخيرة من حياته تم تشخيص جرح في المعدة وحصى في كيس المرارة ، وعانى ضعفًا عامًا وتقلبًا في المزاج ، فعانى من تدهور نفسي وضعف جسماني.

تدهورت الحالة الصحية للرئيس الفلسطيني عرفات تدهورًا سريعًا في نهاية تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٤، قامت على إثره طائرة مروحية بنقله إلى الأردن ، ومن ثمة أقلته طائرة أخرى إلى مستشفى بيرسي العسكري في فرنسا في ٢٩أكتوبر .٢٠٠٤ وظهر الرئيس العليل على شاشة التلفاز مصحوبًا بطاقم طبي وقد بدت عليه معالم الوهن مما ألم به.

في تطور مفاجئ أخذت وكالات الأنباء الغربية تتداول نبأ موت عرفات في فرنسا وسط نفي لتلك الأنباء من قبل مسؤولين فلسطينيين،وقد أعلن التلفزيون الإسرائيلي في ٤

نوفمبر ٢٠٠٤ نبأ موت الرئيس عرفات سريريًا وأن أجهزة عرفات الحيوية تعمل عن طريق الأجهزة الإلكترونية لا عن طريق الدماغ.

وبعد مرور عدة أيام من النفي والتأكيد على الخبر من مختلف وسائل الإعلام، تم الإعلان الرسمي عن وفاته من قبل السلطة الفلسطينية في ١١نوفمبر ٢٠٠٤ وقد دفن في مقر المقاطعة في مدينة رام الله بعد أن تم تشيع جثمانه في مدينة القاهرة أولا ، وذلك بعد الرفض الشديد من قبل الحكومة الإسرائيلية لدفن عرفات في مدينة القدس كما كانت رغبة عرفات قبل وفاته.

***

روايات إسرائيلية عن جريمة الاغتيال لعرفات : أريبل شارون كان له الآن اليد العُليا في مُكافحة الإرهاب بمقياس الصهيونية وأمريكا ، وخلال تلك الفترة عندما أصبح الوضع الأمني أكثر هدوءً بعض الشيء بدأ يفكر في حل سياسي للصراع التاريخي في الشرق الأوسط، إن تقاربه الوثيق مع الرئيس بوش الابن والعلاقة العميقة التي طورها مع الإدارة الأمريكية بأكملها المبنية على مقايضة تجميد المُستوطنات مُقابل تفويض مُطلق في عمليات القتل المُستهدف برعمهم جعلت شارون يشعر أن الأمريكيين يُريدون بصدق مُساعدة دولة إسرائيل، وقد أعطته بعض الضمانات الجديدة .

وقال فايسجلاس: "توصل شارون إلى نتيجة مفادها أنه لا يهم من يجلس في البيت البيض أنهم يرون دائماً في المُستوطنات على أنها مُشكلة كبيرة" ، وبالنسبة لشارون فإن المُستوطنات التي روج لها بإخلاص في مواقفه السابقة ليست قضية دينية وأيديولوجية ، وبدلاً من ذلك كانت اعتبارًا أمنياً "في اللحظة التي أدرك فيها أنهم عبء وليست ميزة لم يكن لديه مُشكلة في إجلائهم وإدارة ظهره للمُستوطنين"، وقال فايسغلاس إن شارون الصقر المحلق الذي بنى حياته المهنية على سياسته العُدوانية تجاه العرب بشكل عام والفلسطينيين بشكل خاص "خضع لتغيير جذري ، لقد أراد الخُروج من المنصة كجنرال مشوب بالقتال وأصبح صانع سلام عظيم" .

لكن شارون ما زال يعتقد أن هُناك عقبة رئيسية أمام تحقيق هذه الرؤية: ياسر عرفات ، توصل رئيس الوزراء إلى قبول أنه لا تُوجد طريقة لمنع إقامة دولة فلسطينية مُستقلة ؛ لكن هذا لم يُقلل من كراهيته لزعيمهم ، واعتبر عرفات شخصاً "أقام نظاماً إرهابياً في المناطق التي حكمها ودرب الإرهابيين بطريقة منظمة ورعاية الدولة وحرضهم ومولهم وجهّزهم ؛ بل وقام بتسليحهم، وإرسالهم للقتل في جميع أنحاء إسرائيل"، في مُحادثة هاتفية مع وزير الدفاع الروسي سيرجي إيفانوف وصف شارون عرفات بأنه "كاذب وقاتل أمر بقتل الأطفال والنساء والرضع".

تلقت المُخابرات الإسرائيلية جزء كبير من أرشيف ياسر عرفات عندما استولت قوات الجيش الإسرائيلي على جُزء من مقره بالقرب من رام الله ، وقدمت هذه المواد مئات الدلالات لاتهامات شارون بذلك (القتل لديهم لا يحتاج لأدلة) ، كان عرفات قد أمر بخط يده بتحويل مبالغ طائلة لدعم نشاطات فتح الإرهابية ، كما تورط الرئيس الفلسطيني ودائرته في قدر غير مسبوق من الفساد ، وأشارت الوثائق إلى أن عرفات نكث مراراً بوعوده لإسرائيل والمُجتمع الدولي ببناء دولة ديمقراطية حقيقية ذات اقتصاد حديث وقوة مُسلحة واحدة ، لقد فشل في الانتقال من رئيس مُنظمة حرب العصابات إلى زعيم دولة ديمقراطية واستمر في إدارة السُلطة الفلسطينية بنفس أساليب التلاعب والفساد وسياسة فرق تسد التي استخدمها في إدارة مُنظمة التحرير الفلسطينية بهدف ضمان بقائه كزعيم فلسطيني ، كجُزء من خُطة لنزع الشرعية عن عرفات منح شارون بضعة صحفيين وبالتالي العديد من الصحفيين غير الإسرائيليين(حق الوصول إلى هذا الأرشيفات ليتم نشرها في جميع أنحاء العالم ، كما أصدر توجيهاً لتحويل الأموال من الصُندوق السري لمُدير الموساد من أجل المُساعدة في النشر الخارجي لكتاب حول هذه الوثائق) ، تمكن شارون بإقناع الإدارة الأمريكية بأن عرفات لا يُمكن إصلاحه ، حصلت إسرائيل على دليل قاطع على تورط عرفات في تهريب أسلحة على متن سفينة "كارين إيه" من إيران إلى الجماعات الإرهابية في السُلطة الفلسطينية ، بعد أن سيطرت القافلة البحرية ١٣ ، في عملية سفينة نوح على السفينة في البحر، وتم اعتقال طاقمها واستجوابهم ، نفى رئيس السُلطة الفلسطينية أن يكون هو أو أي من موظفيه متُورطين في رسالة خاصة إلى الرئيس بوش ، ومع ذلك فإن المعلومات الاستخباراتية بما في ذلك التنصت على المُكالمات الهاتفية والوثائق ونُصوص الاستجواب التي تم أخذها إلى البيت الأبيض من قبل أحد كبار مُوظفي وحدة أمان في حقيبة مُقيدة بسلاسل في معصمه ، كانت أكثر إقناعاً عندما علم بوش أن عرفات كذب عليه بوقاحة أعلن أن الرئيس الفلسطيني غير ذي صلة ، وفي ٢٤ يونيو ٢٠٠٢ دعا الشعب الفلسطيني إلى انتخاب زعيم جديد ، في تشرين الثاني ٢٠٠٢ في أعقاب عدة هجمات مُروعة ضد إسرائيليين

أصدر شارون أمرًا بتطويق المُقاطعة وهو مقر عرفات في رام الله وترك عرفات وبعض رجاله المحاصرين بالداخل ، كانت تعليماته هي جعل الحياة بائسة لـ "كلب المقاطعة" كما كان يُسميه أحياناً ، وأمر بقطع الكهرباء وأحياناً قطع إمدادات المياه ، ثم أمر شارون مجموعة من الجرافات المُدرعة بهدم جدار آخر للمُجمع كُل بضعة أيام ، ومع ذلك كانت هُناك خلافات حول ما يجب فعله أخيرًا مع عرفا ت ، اعتقد البعض أنه يجب أن يكون هدفا للتصفية وأن إسرائيل يجب أن تضربه ، يعتقد البعض أنه يجب أن يتعرض للضرب في الخفاء دون ربط العمل بإسرائيل، وكان آخرون يؤيدون نفيه ، بينما قال البعض إنه يجب تركه بمُفرده "ليتعفن" في المُقاطعة .

وصلت المُداولات حول عرفات في نهاية المطاف إلى واشنطن ، خشي مسؤولو إدارة بوش من أنه مثلما قرر شارون تصفية ياسين فإنه سيأمر أيضاً باغتيال عرفا ت ، وفي اجتماع بالبيت الأبيض في ١٤ نيسان ٢٠٠٤ طالب بوش بأن يتعهد شارون بعدم المس بعرفات ، وبحسب أحد المُشاركين في الاجتماع قال شارون للرئيس إنه فهم طلبه وقال كلما ت "أرى وجهة نظرك"، رأى بوش أن رئيس الوزراء كان مراوغاً وواصل الضغط حتى وعد شارون صراحة بعدم قتل عرفات ، حتى قبل هذا الوعد توصل شارون بالتشاور مع قادة الجيش الإسرائيلي ورجال المُخبرات إلى نتيجة مفادها أنه يجب ألا يُنظر إلى إسرائيل على أنها مُتورطة في مقتل ياسر عرفات بأي شكل من الأشكال واصبح هذا أكثر أهمية بعد أن قطع شارون الوعد للرئيس بوش .

وبعد ذلك وفجأة استسلم الرجل الذي تمكن من الإفلات من الموت مرات عديدة لمرض معوي غامض ومات !!! توصلت الاختبارات المعملية التي أُجريت بمُبادرة من جهات مُختلفة إلى نتائج مُختلفة ، وبحسب بعض الاختبارات كانت هُناك آثار للبولونيوم وهي مادة مشعة تُستخدم في الاغتيالات ، وجدت على ملابس عرفات ورفاته ، قال خُبراء آخرون أنه مات موتاً طبيعياً ، الملف الطبي لعرفات من المُستشفى العسكري الفرنسي قرب باريس والذي سمح له شارون بنقله جوا حتى لا يموت في منطقة تحت السيطرة الإسرائيلية يُثير تساؤلات كثيرة ولا يستبعد احتمال وفاته بمرض الإيدز ، نفى المُتحدثون الإسرائيليون بشكل قاطع تورط إسرائيل

بأي شكل من الأشكال في مقتل عرفات، "لم نقتل عرفات" هذا ما كرره أعضاء بارزون في مُجتمع المخابرات والمُستوى السياسي.

من ناحية أُخرى لا شك في أن توقيت وفاة عرفات كان غريباً للغاية ؛ حيث جاء بعد وقت قصير من اغتيال ياسين ، يُمكن للمرء أن يقول على وجه اليقين إن شارون أراد التخلص من عرفات والذي رآه "الوحش ذو الذراعين" والذي فشل في قتله قبل عشرين عاماً ، إذا أمر شارون بالفعل بتصفية عرفات فقد تم ذلك في سرية مُطلقة في اجتماعات أصغر بكثير من أي عملية قتل أُخرى مُستهدفة ، وقد حدد شارون بنفسه الهدف من مثل هذه العملية دون أن يعترف بذلك: "الأحداث الأخيرة من المُرجح أن تكون نُقطة تحول تاريخية"

***

تضاربت الأقوال كثيرا في وفاة ياسر عرفات ، إذ يعتقد بعض الفلسطينيين والعرب بأن وفاته كانت نتيجة لعملية اغتيال بالتسميم، أو بإدخال مادة مجهولة إلى جسمه، فيقول طبيبه الخاص الدكتور أشرف الكردي إن وفاة عرفات نتجت عن تسميمه ، وطالب بتشريح الجثة ، مؤكدًا أن تحليل عينات الدم لا يكفي وحده للكشف عن الإصابة بالتسمم ، مشيرا إلى أن الأمر في حاجة إلى تشريح للجثة وتحليل عينات الأنسجة ، للتأكد من السبب الحقيقي على وجه اليقين.

وتعليقا على تفاقم النزيف الدماغي لدى عرفات ، قال الكردي إن هذا النوع من النزيف ينتج عما يعرف بتكسر الصفائح الدموية ، الذي يسببه التسمم، أو الإصابة بالسرطان، أو الاستخدام الطويل والمتكرر للأدوية ، واعتبر أن الأعراض التي ظهرت على عرفات أثناء مرضه ربما تكون ناتجة عن الإصابة بنوع من السم الطويل الأجل ، هذا مع العلم أن الأطباء الفرنسيين بحثوا عن سموم في جثة عرفات بعد موته في باريس ، وبحسب التقرير الطبي الفرنسي فقد وردت به أنه بعد الفحوصات الطبية الشاملة التي كانت سلبية بما فيها دخول سموم للجسم ؛ كذلك رجح بعض الأطباء من عاينوا فحوصاته الطبية ومنهم الأطباء التونسيون وأطباء مستشفى بيرسي المتخصصون بأمراض الدم أن يكون عرفات مصابا بمرض تفكك صفائح الدم ، وتجدر

الإشارة إلى أن زوجة الرئيس الفلسطيني السيدة سها الطويل هي المخوَّلة الوحيدة بحسب القانون الفرنسي بالإفصاح عن المعلومات الطبية التي وردتها من مستشفى بيرسي والأطباء الفرنسيين، وهي لا زالت ترفض إعطاء أية معلومات لأيَّة جهة حول هذا الموضوع .

***

الاغتيال قانون أساسي في إسرائيل والواقع التاريخي يؤكده ، فكل فشل عسكري بتحقيق أهدافه يلجئون للاغتيالات للشخصية السياسية والقيادية ؛ فليس من المستبعد أن لها يدا في الجريمة فالبطولة عندهم بالإبادة والاغتيالات والرب يمهل ولا يهمل ، دخل عام ٢٠٠٥ بأهم تلك الاغتيالات في القضية الفلسطينية ، ومنذ ظهر الكفاح المسلح الفلسطيني في منتصف الستينات علنا والاغتيالات والغدر لا يتوقف لقادة النضال وللشعب الفلسطيني .

اقترح رئيس الوزراء آرييل شارون الانسحاب من غزة في عام ٢٠٠٣، واعتمدته الحكومة في يونيو ٢٠٠٤، ووافق عليه الكنيست في فبراير ٢٠٠٥ كقانون تنفيذ خطة الانسحاب ، كانت دوافع الانسحاب وفقًا لمساعدة شارون الأولى هي عزل غزة وتجنب الضغط الدولي على إسرائيل للوصول إلى تسوية سياسية مع الفلسطينيين.

انسحاب إسرائيل من قطاع غزة هو الانسحاب الأحادي لجميع قوات الأمن الإسرائيلية والمستوطنات من قطاع غزة ، وكان في أغسطس-سبتمبر ٢٠٠٥ ، تم تنفيذ خطة الانسحاب في أغسطس ٢٠٠٥ واكتملت في سبتمبر ٢٠٠٥، أجبرت القوات الأمنية الإسرائيلية على مدى عدة أيام المستوطنين الذين رفضوا قبول حزم التعويض الحكومية وإخلاء منازلهم بشكل طوعي قبل الموعد المحدد في ١٥ أغسطس ٢٠٠٥ ، تم الإخلاء من جميع السكان الإسرائيليين، وهدم المباني السكنية الإسرائيلية .

***

اغتيال وديع

زار جهاد روح الفضل وابن عمه عزمي وقريبهم حسام الدين بيت الطبيب المتقاعد خلدون في حي الرمال غرب مدينة غزة وبعد تعارف سريع اتصل بوالد عصام عبد الغفور أبو عاصم الذي حضر وابنه عصام للسهر في بيت أبي نزار خلدون وبعد الاحاديث المكررة والأخبار المنتشرة قال الطبيب : لقد تأخرتم عنا أليس كذلك يا أبا عاصم ؟

قال أبو عاصم الصيدلي المتقاعد من دائرة صحة غزة : فعلا يا أبا محمود .

محمود هو الابن الكبير لخلدون فلم يكن الشاب نزار الابن الكبير .

قال جهاد مبررا التأخر على الزيارة : أنا اعتذرت لنزار خرجت مع أبي لمصر لقضاء حاجة عند قريب لنا أبي سميح .. ترمل فهو يعيش في بور سعيد آخر القناة

قال نزار : نقلت هذا الخبر لأبي

قال خلدون : أهلا بكم نحن مثلكم نسمع أخبار الاغتيالات والخيانات والعملاء ويجري بيني وبين الجار العزيز أبي عاصم الاحاديث حولها بحكم الفضول والمعرفة .. كنا مرة في مجلس وذكرنا مجموعة من الأسماء ودار خلاف أدبي حول من الفاعل جماعة صبري البنا أم موساد إسرائيل ، فقال بعضهم كلاهما واحد وبعض رفض الاشتراك بينهما وقال آخر : أبو نضال تاجر اغتيالات لمن يدفع ولا تهمه القضية أو التحرير .. مستغل تارة من بعث العراق وتارة أخرى من بعث الشام أو من معمر ليبيا .. إسرائيل لا تدفع له ؛ بل تغطي إجرامها بحقنا باتهام صبري .

فقال أبو عاصم : اختلفنا باغتيال وديع حداد ابن صفد وصديق حبش هل اغتيل كما اشتهر أم كانت وفاته طبيعية؟ .. فذكر احدهم أن الأستاذ جهاد روح الفضل مختص بمتابعة قضايا وملفات الاغتيال منذ درس في الجامعة الإسلامية احد المدرسين تحدث عنك

قال حسام : نعم ، صديقنا مهتم جدا بذلك الأمر ، ويقرأ كل ما يكتب عن الاغتيالات سواء من حماس والقسام أو من فتح والفصائل الأخرى أو مستوى مشاهير العالم لديه أرشيف جيد

كثيرا ما تصفحت صفحات منه

قال جهاد موضحا : بدأ اهتمامي بقصص وروايات الاغتيال منذ الإعدادية ؛ فكنت أرى أن هؤلاء أبطال ؛ لذلك تسعى الدول والسياسة والغل لاغتيالهم ، ثم اهتممت باغتيال الشخصيات الفلسطينية خاصة رجال المقاومة الفلسطينية في لبنان المستباح استخباريا بسبب في رأيي طوائفه الكثيرة وتقاسمهم السلطات فبدأت أتوسع في القراءة عما يكتب عن اغتيالهم في الصحف المتوفرة في غزة ثم كتب الجاسوسية التي تصدر عربيا وعالميا وصهيونيا

ولما سكت قال عزمي : ثم عرف المقربون هذا الاهتمام وشاع اسمه بين الجيران والطلاب .. الرجل من مواليد صفد شمال فلسطين اعتقد كان مولده ١٩٢٧ أليس كذلك يا جهاد ؟

قال جهاد وهو يتناول الشاي من نزار : صحيح ولد المناضل الطبيب وديع حداد في مدينة صفد في العام ١٩٢٧ ، وكان والده مدرساً للغة العربية في إحدى المدارس الثانوية في مدينة حيفا ، وبحكم وجود والده في مدينة حيفا فقد تلقى تعليمه كله في هذه المدينة ، أثناء وجوده على مقاعد الدراسة بمراحلها المختلفة تميّز بذكائه المتقد ونشاطاته المميزة وتفوقه في مادة الرياضيات ، كما أنه كان شابا رياضياً يمارس رياضة الجري وأنشطة رياضية أخرى.

وكما يقال نتيجة للمأساة التي حلت بالشعب الفلسطيني نتيجة النكبة عام ٤٨، اضطر للهجرة من وطنه ولجأ مع عائلته ووالده إلى مدينة بيروت حيث استقر بهم الحال هناك ككثير من شعبنا المطرود من مدنه وقراه وخربه وسهله وجبله ، وفي هذه الأثناء التحق الشاب وديع بمقاعد الدراسة في الجامعة الأميركية في بيروت ليدرس الطب، وتوفي في ٢٨ مارس عام ١٩٧٨في ألمانيا الشرقية حيث كانت المانيا قسمين شرقي سوفيتي وغربي امريكي وأُشيع أنه توفي بمرض سرطان الدم ؛ ولكن بعد ٢٨ عاماً اعترفت إسرائيل مؤخراً وعن طريق أحد ضباط مخابراتها الذي كتب جزءاً من حياته الاستخبارية بأنها اغتالته بدس السم له في الشوكولاتة عن طريق عميل عراقي كان يشغل منصباً رفيع المستوى .. كان المناضل قيادي في حركة القوميين العرب منذ إنشائها في أول الخمسينات وأحد مؤسسي الجبهة الشعبية لتحرير

فلسطين ، هو ورفيق دربه د .جورج حبش .. بعد نكسة ٦٧ وانتهاء القومية العربية بالهزيمة المدوية لقومية ناصر ولقومية البعث الاشتراكي

قال عصام : وهل ثبت أن اغتياله بالسم يا أستاذ جهاد ؟

ـ جيد يا صديق عصام! أنا ذكرت المعلومات العامة الصحفي بسام أبو شريف اصدر كتابا عن زميله في الجبهة الشعبية وذهب إلى الاغتيال بالسم كما سعت إسرائيل لاغتيال أبي الوليد مشعل بعمان بالسم .. وعادة إسرائيل لا تعترف بمثل هذه العمليات الخاصة إلا بعد زمن يقصر أو يطول .. فالرئيس عرفات ضمن هذه اللائحة السرية من الاغتيالات الخفية التي ستعترف بها بعد حين .. نحن وانا نقول انه مات مغتالا بالسم كما ذهب أبو شريف وغيره .. هناك كما هو معروف علميا وطبيا سموم لا تكتشف في الشريح الطبي وإسرائيل لديها مختبرات لصنع ذلك في كتب صهيونية موسادية ذكر لقصة اغتيال حداد ؛ لكن بمعجون الأسنان .. فلعلكم تذكرون قائمة اغتيالات جولدا مائير اثر عملية ميونخ حيث عملت قائمة للاغتيال .. فالاغتيال السياسي دين عند الموساد والشاباك والجيش الصهيوني وكان يلجأ للاغتيال الصامت لأن الموساد كان متخوفاً من استخدام الأسلحة النارية في العواصم العربية في كثير من المحاولات مثل بغداد ودمشق وبيروت القاهرة حسب خطر وقوة العاصمة العربية أو الأوروبية فقرأنا عن اغتياله لأبي جهاد في تونس العاصمة دون أي هيبة من دولة تونس ؛ وكذلك الاغتيال في بيروت لقادة فتح الثلاثة وغسان وغيرهم ، لأن خطر القبض عليهم في دمشق وبغداد وبيروت كان ببساطة أكبر من اللازم مخاطرة ، ولذلك تم البحث عن طُرق اغتيال أكثر صمتاً ، تلك التي لها توقيع أقل وضوحاً وتجعل الوفاة تبدو طبيعية أو عرضية ، على سبيل المثال ، مرض أو حادث سيارة ، في مثل هذه الحالات حتى لو كان هُناك اشتباه في وجود لعبة خبيثة ، بحلول الوقت الذي يمكن فيه فعل أي شيء سيكون القتلة قد ذهبوا بعيداً أو خرجوا من البلد ، بينما في حالة الإصابة باستخدام الأسلحة النارية ، سيكون من الواضح على الفور أن القتلة لا يزالون في المناطق المجاورة ، قرر الموساد استغلال اختراقه الاستخباراتي العميق لتنظيم حداد وتخصيص

مُهمة تصفيته إلى تكليف العميل العراقي الذي كان يتمتع بدرجة عالية من الوصول إلى منزله ومكتبه، باغتيال وديع حدا د باستخدام السُم .

قيل في ١٠ كانون الثاني يناير ١٩٧٨ قام موقع الحُزن بتحويل معجون أسنان حداد إلى أنبوب مُماثل يحتوي على سُم قاتل، والذي تم تطويره بعد جُهد مُكثف في المعهد الإسرائيلي للبحوث البيولوجية   جنوب شرق تل أبيب ، وهو أحد أكثر المواقع حراسة مُشددة في إسرائيل ، تم تأسيسها في عام ١٩٥٢ وما زالت تعمل كمُنشأة تطور فيها إسرائيل عوامل الحرب البيولوجية الدفاعية والهجومية ، في كل مرة يُنظف فيها حداد أسنانه، تخترق كمية دقيقة من السُم القاتل الغشية المُخاطية في فمه وتدخل إلى مجرى الدم ، إن التراكم التدريجي في جسده عندما يصل إلى كتلة حرجة سيكون قاتلاً.. هكذا تكتب كتب إسرائيل واعتراف موسادهم

بدأ وديع حداد يشعر بالمرض وتم نقله إلى مُستشفى حكومي عراقي ، أخبر الأطباء هُناك أنه في منتصف شهر يناير بدأ يُعاني من تقلصات شديدة في البطن تم تشخيصه لأول مرة على أنه يُعاني من التهاب الكبد ، ثم نزلة برد شديدة ، عالجه الأطباء بالمُضادات الحيوية القوية، لكن حالته لم تتحسن، بدأ شعره يتساقط وارتفعت درجة حرارته ، كان الأطباء في بغداد في حيرة من أمرهم ، كانوا يشتبهون في أن حداد قد تسمم ، أمر عرفات أحد مُساعديه بالتواصل مع جهاز المُخابرات الستاسي في ألمانيا الشرقية لطلب المُساعدة، في السبعينيات من القرن الماضي زودت ستاسي المنظمات الإرهابية الفلسطينية (حسب زعم إسرائيل) بجوزات سفر واستخبارات ومأوى وأسلحة ، اعتبر زعيم ألمانيا الشرقية إريك هونيكر وآخرون في ذلك البلد، عرفات على أنه ثوري حقيقي مثل فيدل كاسترو وكانوا على استعداد لمساعدته.

في ١٩ مارس ١٩٧٨ تم نقل حداد جواً إلى مُستشفى مرموق في برلين الشرقية وهو مستشفى يخدم أعضاء مُجتمعات المخابرات والأمن، قام مساعدوه بتعبئة حقيبة له مع أدوات النظافة الخاصة به، بما في ذلك أنبوب من معجون الأسنان القاتل.

المواد الاستخباراتية التي وصلت إلى الموساد بعد أن استقل الطائرة من بغداد إلى برلين تبعث

على الرضا "كان حداد قد انتهى تماماً عندما وصل إلى ألمانيا" هكذا أقر تقرير في اجتماع للقيادة يوضح: "خبراء المعهد البيولوجي يقولون إنه رجل ميت يمشي" . تم قبوله تحت اسم مستعار أحمد الدكلي ٤١ سنة ، خمسة أقدام وست بوصات ، لقد كان بالفعل في حالة سيئة، نزيف في العديد من الأماكن، بما في ذلك تحت الجلد، وفي لسانه ، ولوزتيه، وأغشيته الجنبية، و داخل جمجمته، مع وجود كميات كبيرة من الدم في بوله، تم إعاقة عمل نخاع العظام ، مما أدى إلى انخفاض في عدد الصفائح الدموية الحمراء في دمه، على الرغم من مُعاملته كمريض مُتميز، استمرت حالة حداد في التدهور ، الأطباء العسكريون أفضل الأطباء في ألمانيا الشرقية ، يضعون مريضهم في كُل اختبار يمكن تصوره : الدم والبول ونخاع العظام والأشعة السينية، كانوا يعتقدون أنه قد تسمم ، إما بسم الفئران أو ببعض المعادن الثقيلة ، ربما الثاليوم، لكنهم لم يتمكنوا من العُثور على دليل مادي ، وبحسب معلومات وصلت إلى إسرائيل من وكيل في ألمانيا الشرقية ترددت صرخات الألم التي أطلقها حداد في جميع أنحاء المستشفى ، وأعطاه الأطباء جُرعات مُتزايدة من المهدئات .

توفي وديع حداد في مُستشفى برلين الشرقية في ٢٩ مارس ، بعد عشرة أيام من وصوله ، بعد ذلك بوقت قصير تلقى رئيس ستاسي إريك ميلكي تقريراً كاملاً ، بما في ذلك نتائج تشريح الجثة الذي أجراه البروفيسور أوتو بروكوب ، من جامعة هومبولت في برلين الشرقية، وهي إحدى الهيئات الرائدة في العالم في مجال الطب الشرعي ، وكتب أن السبب المُباشر للوفاة هو "نزيف المُخ والالتهاب الرئوي بسبب اعتلال العمود الفقري" وأنه في ضوء الأعراض والتشخص قيد المناقشة ، كان هُناك مجال للشك في أن أحدهم قد اغتاله ، لكن في الطب، كان يعترف في الواقع أنه ليس لديه فكرة عما قتل حداد .

شعر الموساد وقادة جهاز الدفاع الإسرائيلي بسعادة غامرة نتيجة العملية، لقد تم تحييد أحد أقوى أعداء إسرائيل وأكثرها فاعلية ، قال شمشون يتسحاقي: "كنت سعيداً جداً عندما سمعت أن حداد قد مات" وان إسرائيل لم تعترف قط بأنها قتلت حداد، شدد على "لا تأخذوا

كلامي كتأكيد على تورطهم في القضية "لكنه أعلن أن "كل من تلطخت يده بدماء يهودية محكوم عليه بالموت .. هذا ما نشر إسرائيليا عن قتل وديع .. المهم انهم غدروا بالسم هل هو بالشكولاتة أو معجون الأسنان ؟ الله اعلم .

قال خلدون : أحسنت يا أستاذ جهاد ! لقد كان اغتيالا سواء بالسم أو غيره

قال : نعم .

اثنى السامعون عليه وقال أبو عصام : أبو جهاد خليل الوزير اعترفت إسرائيل بالقضاء عليه في عاصمة تونس تونس

قال جهاد : رحمه الله ؛ بل صوروا عملية الاغتيال بالفيديو وقتل أمام زوجته .. تونس دولة مخترقة كغيرها من بلدان العرب وفيها جالية يهودية فيسهل العمل فيها كان تعاون بين الخارج والداخل

قال نزار : لابد أن نسمع منك قصة اغتياله هو وصلاح حلف فهم قامات ثورية كبيرة

قال خلدون : أبو إياد لم يقتله الموساد أستاذ جهاد

رد فقال قائلا : جماعة صبري كانت مخترقة لحراس أبي الهول .. وبعضهم يقول أن الفاعل حمزة عميل صهيوني مخترق لتنظيم صبري

ـ عسانا نتكلم عنهما في مجلس آخر

ـ إن شاء الله

***

صفية حسن روح الفضل موظفة في مجموعة الشمس العالمية في بيروت ، قبل ظهر ١٤ من شباط عام ٢٠٠٥ نقل إليها جهاز الخلوي خبر انفجار قرب فندق سان جورج ، فاتصلت بشقيقها عبد الله حسن رئيس قسم امتلاك العقارات بيعا وشراء في المجموعة فقالت : هل سمعت بخبر الانفجار ؟

ـ سمعت كسائر سكان بيروت وتقول الأخبار العاجلة أن هناك اغتيال لرئيس الوزراء

ـ رفيق

ـ نعم بعض المحطات تبث ذلك

ـ لماذا ؟!

ـ يشار لحزب الله نيابة عن سوريا .. ها هي سيارات الإسعاف والإطفاء تزعق في الشوارع يبدو أن هناك ضحايا كثر ..مع السلامة

في صباح يوم الاثنين ١٤ فبراير، زار رفيق الحريري مجلس النواب اللبناني ، ثم مقهى «كافيه دي ليتوال» لمدة عشرين دقيقة ، غادر المقهى في موكب من ست سيارات واتبع طريقا ظل سريا حتى اللحظة الأخيرة ، بعد ست دقائق ونصف من مغادرة المقهى ، مع اقتراب الموكب من فندق سان جورج على الكورنيش ، انفجرت شاحنة مفخخة، ودمرت الموكب ، وقد قيل إنه عُثِّر على أدلة دامغة تثبت تورط عناصر من حزب الله في عملية الاغتيال وعقب اغتيال الحريري حصلت عدة انفجارات واغتيالات ضد شخصيات مناهضة للوجود السوري في لبنان وقد قيل أن النظام السوري وراء الاغتيال .

فندق سان جورج أقدم فنادق العاصمة اللبنانية بيروت ويعتبر أشهر فنادقها ، بني الفندق أوائل الثلاثينيات في عهد الانتداب الفرنسي في وسط بيروت وهو المركز المالي والتجاري والإداري النابض بالحيوية في البلاد في قلب العاصمة اللبنانية ، وهي عادةً ما تركز على الأعمال التجارية والمالية والثقافة والترفيهية ، ويطل الفندق مباشرة على شاطئ البحر المتوسط، واشتهر

كونه مقرا لأثرياء لبنان وقادته والشخصيات الزائرة.

تأثر الفندق بشكل كبير أثناء الحرب الأهلية اللبنانية ؛ حيث احترق ثم تحول متراسا للمتحاربين ، وتم تعميره بعد نهاية الحرب وصار تحت سلطة الجيش السوري حتى منتصف التسعينيات إلا أن التفجير الذي أودى بحياة رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري ، حيث قضى في التفجير إضافة للحريري عدد من رواد الفندق والعاملين به كما دمر أجزاء منه ، تسبب في إغلاق الفندق بعدها لمدة عامين بداعي التحقيقات في اغتيال الحريري.



خلّف الانفجار حفرة بعرض ثلاثين قدماً في الكورنيش ، قُتل ما مجموعه ٢٢ شخصًا، بينهم الحريري، وأصيب ٢٢٠ آخرون، واشتعلت النيران في عشرات السيارات ، وهدمت عدة مبان كان انفجارا كبيرا ومرعبا لأهل بيروت . . ودفن الحريري مع الحراس الذين قتلوا في التفجير في موقع بالقرب من مسجد محمد الأمين.. وأسرة الحريري أسرة من صيدا جنوب لبنان .

وأعلنت جماعة تطلق على نفسها اسم «جماعة النصرة والجهاد في بلاد الشام» مسؤوليتها عن الانفجار ، والتي لم يسمع عنها من قبل ، وأظهر شريط بثته قناة الجزيرة الإخبارية رجلًا ملتحيًا يعتقد أنه فلسطيني يدعى أحمد أبو عدس ، ادعى الهجوم، تمت مداهمة منزل أبو عدس لكنه لا يزال مفقودًا ، وتكهن تقرير الأمم المتحدة حول جريمة القتل بأنه ربما كان هو الانتحاري ، لكنه نقل أيضًا عن أحد الشهود الذي قال إن لا علاقة لعدس بالتفجير.

في أعقاب اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري في ٢٠٠٥، والتورط المزعوم لسوريا في وفاته ، اجتاحت البلاد انتفاضة عامة أطلق عليها اسم ثورة الأرز ، وباعتماد قرار مجلس الأمن الدولي ١٥٥٩، اضطرت سوريا إلى إعلان انسحابها الكامل من لبنان في ٣٠ أبريل ٢٠٠٥، وكما هو معلوم دخل الجيش السوري إلى لبنان في كانون الثاني ١٩٧٦، بينما كانت نار

الحرب الأهلية مستعرة لمدة عام فقط (أي عام ١٩٧٥)، تحت غطاء الجامعة العربية باسم قوات الردع العربية ليضع حدًّا للحرب الأهلية والنزاع العسكري القائم وليعيد الأمور إلى ما كانت عليه قبل الحرب فانخرط بتلك الحرب الأهلية ، بينما رفضت دخوله الحركة الوطنية اللبنانية وما تمثلها من الأحزاب اليسارية وإلى جانبها الفصائل الفلسطينية ، رحبت في البدء أحزاب اليمين اللبناني أي الأحزاب المسيحية والمسلمون المحافظون بالأمر بالجيش السوري .

***

نهاية المجرم شارون

قبل ذهاب ٢٠٠٥ انجلط المجرم شارون ، ولم يفرح شارون كثيرا باغتيال قادة النضال الفلسطيني فقد تضاعف المرض معه ، في ١٨ ديسمبر ٢٠٠٥، أُصيب شارون بجلطة دماغية خفيفة، وهو نوع نادر نسبيا تسمى الانسداد المفارق ، وهي جلطة تتشكل في الدورة الدموية الوريدية ، نقل إلى مستشفى عين كارم في القدس ، وفي الطريق إلى المستشفى ، فقد وعيه ، وضع شارون تحت أدوية مضادة للتخثر ، أخرج من المستشفى بعد يومين ، واستمر في أخذ الإنيكسوبارين ، وتم تثبيت موعد لعملية جراحية لاحقة من أجل إجراء قسطرة القلب لإصلاح ثقب في قلبه ، وكان من المقرر أن تكون يوم ٥ يناير ٢٠٠٦ ، في ٤ يناير ٢٠٠٦ عشية موعد العملية (قسطرة القلب)، وهو في المنزل أصيب شارون بجلطة ثانية نزفية حادة ، هو نزيف حاد بالمخ ، أحضر إلى المستشفى، خضع لعملية معقدة لمدة سبع ساعات لإصلاح النزيف الدماغي. بعد العملية، ووضع تحت علاج دوائي لمنع النزيف. .ثم خضع لعملية طويلة – ١٤ ساعة ، وقد أفادت بعض التقارير أنه كان مشلولا في الجزء الأسفل من جسمه ، في حين قال آخرون إنه كان يجاهد من أجل حياته مرة أخرى ، وظل شارون مخدرا في الغيبوبة لتخفيف الضغط على دماغه والحفاظ على ثبات الضغط الدموي وكذا للسماح لدماغه للتعافي من الصدمة والتهيؤ للجراحة اللاحقة.. بعد إجراء مشاورات أعلن أن شارون غير قادر مؤقتا على أداء سلطته ونتيجة لذلك ، عُيّن نائب شارون ، إيهود أولمرت نائبا لرئيس الوزراء ، وتأكد رسميا منصب رئيس مجلس الوزراء الإسرائيلي بالنيابة.. وظل في غيبوبة طويلة حتى مات في ١١ يناير ٢٠١٤ وقد قضى سنوات في الغيبوبة والعذاب ، توفي شارون في تمام الساعة الثانية مساءً من يوم السبت الموافق ١١ يناير ٢٠١٤ في مستشفى شيبا تال هاشومِر. وقد أعلن التلفزيون الإسرائيلي، وفاة رئيس الوزراء الأسبق أرييل شارون عن ٨٥ عاما، بعد غيبوبة دامت ٨ سنوات.

***

قال حسام الدين : هل فعلا ستكون انتخابات للمجلس التشريعي للسلطة يا قوم كما ينشر ويذاع ؟

قال عزمي : كانت الانتخابات السابقة عام ١٩٩٦ أي قبل عشر سنوات صح يا جهاد !

قال جهاد : ما أخبار أم عدنان ؟

ـ احسن ربما نشد الرحال لمصر لما تتحسن قليلا .. وحتى حسام زوجته تعاني ؟

قال حسام : بسبب ضعف الخدمات الطبية المتوفرة .. وهذا حال الدنيا .. لماذا الانتخابات ؟ وهل سيشترك الإسلاميون فيها ؟

قال جهاد : كما ينشر ويعلن أصدر اتفاق مارس ٢٠٠٥ العام الماضي إعلان القاهرة الفلسطيني الذي دعا إلى إجراء انتخابات تشريعية بنظام تصويت مختلط حيث كانت انتخابات عام ١٩٩٦ تستند إلى نظام انتخاب الأغلبية مع الدوائر الانتخابية المتعددة الأعضاء، كانوا يرغبون بتدجين حركات الإسلامي السياسي والجهادي ، وفي وقت سابق أجريت الانتخابات البلدية لعام ٢٠٠٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

إعلان القاهرة ٢٠٠٥

تلبية لدعوة كريمة من جمهوريّة مصر العربيّة الشقيقة ، و برعاية مشكورة منها، عقد في القاهرة مؤتمر الحوار الفلسطينيّ خلال الفترة من ١٥ – ١٧ / ٣/ ٢٠٠٥ بمشاركة الرئيس الفلسطينيّ محمود عباس و بحضور اثني عشر تنظيماً و فصيلاً

*أكّد المجتمعون على التمسّك بالثوابت الفلسطينيّة دون أيّ تفريط ، و حقّ الشعب الفلسطينيّ في المقاومة من أجل إنهاء الاحتلال ، و إقامة الدولة الفلسطينيّة كاملة السيادة و عاصمتها القدس ، و ضمان حقّ عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم و وممتلكاتهم .

* وافق المجتمعون على برنامجٍ لعام ٢٠٠٥ يرتكز على الالتزام باستمرار المناخ الحالي للتهدئة مقابل التزام (إسرائيليّ) متبادل بوقف كافة أشكال العدوان على أرضنا و شعبنا الفلسطينيّ أينما

وجد ، و كذلك الإفراج عن جميع الأسرى و المعتقلين

* أكّد المجتمعون أنّ استمرار الاستيطان و بناء الجدار و تهويد القدس الشرقيّة هي عوامل تفجير.

* بحث المجتمعون الوضع الفلسطينيّ الداخليّ ، و اتفقوا على ضرورة استكمال الإصلاحات الشاملة في كافة المجالات ، و دعم العمليّة الديموقراطيّة بجوانبها المختلفة ، و عقد الانتخابات المحليّة والتشريعيّة في توقيتاتها المحدّدة وفقاً لنظامٍ انتخابيّ يتمّ التوافق عليه ، و يوصي المؤتمر المجلس التشريعيّ باتخاذ الإجراءات لتعديل قانون الانتخابات التشريعيّة باعتماد المناصصة في النظام المختلط ، كما يوصي بتعديل قانون الانتخابات للمجالس المحليّة باعتماد التمثيل النسبيّ

* وافق المجتمعون على تفعيل وتطوير منظمة التحرير الفلسطينيّة وفق أسسٍ يتمّ التراضي عليها بحيث تضمّ جميع القوى و الفصائل الفلسطينيّة بصفة المنظمّة الممثّل الشرعيّ و الوحيد للشعب الفلسطينيّ ، و من أجل ذلك تمّ التوافق على تشكيل لجنة تتولّى تحديد هذه الأسس ، و تتشكّل اللجنة من رئيس المجلس الوطنيّ وأعضاء اللجنة التنفيذيّة لـ (م. ت. ف.) و الأمناء العامّين لجميع الفصائل الفلسطينيّة وشخصيّات وطنيّة مستقلّة ، و يدعو رئيسُ اللجنة التنفيذيّة لهذه الاجتماعات.

* أجمع المشاركون على أنّ الحوار هو الوسيلة الوحيدة للتعامل بين كافة القوى دعماً للوحدة الوطنيّة ووحدة الصف الفلسطينيّ ، و على تحريم الاحتكام للسلاح في الخلافات الداخليّة ، واحترام حقوق المواطن الفلسطينيّ وعدم المساس بها، وأنّ استكمال الحوار في المرحلة المقبلة يعدّ ضرورة أساسيّة نحو جمع الكلمة وصيانة الحقوق الفلسطينيّة.

***

قال جهاد وهو يعيد نص بيان القاهرة للمصالحة الوطنية : سنرى فعلا انتخابات وستشارك فيها حركة حماس خلال هذا الشهر إنهم يرون أن تدجين الحركة بالحكم والسلطة كما حصل لفتح

قال حسام : والجهاد !

قال عزمي : قيل انهم اعتذروا كالسابق لا يرتاحون للعبة الانتخابات في ظل الاحتلال وهم حركة جهادية وما الفائدة من حكم الناس في ظل سلطة أوسلو واحتلال صهيوني ..

قد عقدت الانتخابات في ٢٥ يناير ٢٠٠٦، كانت انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني الثاني ،وهو السلطة التشريعية للسلطة الوطنية الفلسطينية فكانت النتيجة انتصارا لحركة حماس وصدمة لحركة فتح وإسرائيل وأمريكا راعية الانتخابات ولو من وراء الستار ، وكذلك الدول العربية الداعمة للسلطة ويعيشون تحت الرعاية الأمريكية ، فازت الحركة ب ٧٤ مقعدا من المقاعد الـ ١٣٢ في حين أن حركة فتح حصلت على ٤٥ مقعدا فقط ، وقد افتتح المجلس التشريعي في ١٨ فبراير ٢٠٠٦ .

استقال رئيس الوزراء أحمد قريع الذي أشرفت حكومته على انتخابات المجلس التشريعي الثاني وظل رئيسا مؤقتا للوزراء حتى ١٩ فبراير ٢٠٠٦ عندما شكل زعيم حماس إسماعيل هنية أبو العبد حكومة جديدة ، واجهت صعوبات معقدة ومعوقات لتشكليها .

***

رفضت حركة فتح الانضمام إلى تحالف جديد بقيادة حماس ، سيكون تشكيل الحكومة المقبل في ٢٦ يناير ٢٠٠٦ ، قال زعيم فتح صائب عريقات أن حزبه لا يريد الانضمام إلى حكومة حماس ، وقررت اللجنة المركزية لحركة فتح أن حركة فتح لن تنضم إلى الحكومة المقبلة .

أعلنت حماس أنها ستحاول تشكيل حكومة تكنوقراط إذا لم يكن من الممكن إقامة حكومة مع فتح وجميع المجموعات السياسية.. شكلت حماس بشق الأنفس حكومة بدون فتح الحزب العلماني الذي سيطر على السياسة الفلسطينية لعقود ، وحزب سلطة أوسلو لقد أذهلتهم شعبية حماس وفوزهم الكبير ، عين إسماعيل هنية رئيسا للوزراء في ١٦ فبراير ٢٠٠٦ وأدى اليمين في ٢٩ مارس ٢٠٠٦..

اسر جندي صهيوني

كثيرا ما سعت الفصائل بمختلف مسمياتها لأسر جنود إسرائيليين لاستبدالهم بأسرى في سجون ومعتقلات إسرائيل الممتلئة بهم ، بعد اعتقال الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط في ٢٥ يونيو ٢٠٠٦ في غزة ، شنت إسرائيل سلسلة من الغارات على غزة والضفة الغربية ، دمرت إسرائيل البنية التحتية المدنية ، واعتقلت العشرات من أنصار حماس بمن فيهم وزراء مجلس الوزراء المنتخبين وأعضاء المجلس التشريعي في الضفة الغربية ، في ٢٨ يونيو قام الجيش بغزو غزة وأدت الغارات الجوية إلى قصف الهياكل الأساسية مثل الجسور ومحطة الكهرباء، في ٢٩ يونيو اعتقل الجيش الإسرائيلي من الضفة الغربية ٨ وزراء و ٢٦ عضوا من أعضاء المجلس التشريعي بالإضافة إلى العديد من القادة السياسيين الآخرين ، بحلول أغسطس ٢٠٠٦ اعتقلت إسرائيل ٤٩ من كبار مسؤولي حماس ، وجميعهم من الضفة الغربية منهم ٣٣ برلمانيا لأنهم من الناحية الفنية كانوا أعضاء في منظمة إرهابية ـ حسب زعم إسرائيل والغرب الصهيوني ـ على الرغم من أنهم قد لا يكونوا ضالعين في أعمال إرهابية بأنفسهم ، كان معظم المعتقلين أعضاء معتدلين في حماس .



وكذلك تدهورت الأوضاع على أرض الواقع على الفور تقريبا ؛ لأن حركة فتح لم تقبل الهزيمة بسهولة ، تم التعبير عن توترات فتح وحماس في تدهور كبير للقانون والنظام وأدت حوادث العنف المفتوح بين المجموعتين إلى سقوط عشرات القتلى وخاصة في قطاع غزة ، في سبتمبر ٢٠٠٦ وبدعم من فتح اضطر القطاع العام الذي لم يكاد يتقاضى أجرا منذ مارس إلى الإضراب. لقد أراد الاندماجيون من فتح مساعدة حماس على أن تصبح أكثر اعتدالا حتى يصبح الائتلاف ممكنا ، الحرس القديم لفتح من جهة أخرى أراد

استبعاد حماس من العملية السياسية من خلال ضمان فشلها.

بعد أشهر من المحادثات المتقطعة وقعت حركة فتح وحماس في ٨ فبراير ٢٠٠٧ اتفاقا لتشكيل حكومة وحدة وطنية تهدف إلى إنهاء تشنج العنف وحظر المساعدات الدولية الذي أعقب تشكيل الحكومة الأولى التي تقودها حماس.

اتفاق مكة بين حماس وفتح هو اتفاق بين حركتي فتح وحماس وقع في مدينة مكة في ٨ فبراير ٢٠٠٧ م بعد مداولات لمدة يومين وتم الاتفاق على إيقاف أعمال الاقتتال الداخلي وتشكيل حكومة وحدة وطنية ، تم الاتفاق برعاية الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز آل سعود .

نص اتفاقية مكة:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١﴾ الإسراء[١] صدق الله العظيم

بناءً على المبادرة الكريمة، التي أعلنها خادم الحرمين الشريفين، الملك عبد الله بن عبد العزيز، ملك المملكة العربية السعودية، وتحت الرعاية الكريمة لجلالته، جرت في مكة المكرمة، بين حركتي فتح و"حماس في الفترة من ١٩ إلى ٢١ محرم ١٤٢٨، الموافق من السادس إلى الثامن من شباط – فبراير ٢٠٠٧ حوارات الوفاق والاتفاق الفلسطيني، وقد تكللت هذه الحوارات بفضل الله سبحانه وتعالى بالنجاح حيث جرى الاتفاق على ما يلي:

أولًا :التأكيد على تحريم دم الفلسطيني، واتخاذ كافة الإجراءات والترتيبات، التي تحول دون إراقته مع التأكيد على أهمية الوحدة الوطنية ، كأساس للصمود الوطني والتصدي للاحتلال، وتحقيق الأهداف الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني ، واعتماد لغة الحوار كأساس وحيد لحل الخلافات السياسية في الساحة الفلسطينية.

وفي هذا الإطار نقدم الشكر الجزيل للأخوة في مصر الشقيقة والوفد الأمني المصري في غزة ، الذين بذلوا جهودًا كبيرة في تهدئة الأوضاع في القطاع خلال الفترة السابقة.

ثانيًا :الاتفاق وبصورة نهائية على تشكيل حكومة وحدة وطنية فلسطينية، وفق اتفاق تفصيلي معتمد بين الطرفين ، والشروع العاجل في اتخاذ الإجراءات الدستورية لتشكيلها.

ثالثا :المضي قدما في إجراءات تفعيل وتطوير وإصلاح منظمة التحرير الفلسطينية ، وتسريع إجراءات عمل اللجنة التحضيرية، استنادًا لتفاهمات القاهرة ودمشق. وقد جرى الاتفاق على خطوات تفصيلية بين الطرفين بهذا الخصوص.

رابعًا :تأكيد مبدأ الشراكة السياسية على أساس القوانين المعمول بها في السلطة الوطنية الفلسطينية ، وعلى قاعدة التعددية السياسية، وفق اتفاق معتمد بين الطرفين.

إننا إذ نزف هذا الاتفاق إلى جماهيرنا الفلسطينية، وجماهير أمتنا العربية والإسلامية وكل الأصدقاء في العالم ، فإننا نؤكد التزامنا به نصًا وروحًا، من أجل التفرغ لإنجاز أهدافنا الوطنية، والتخلص من الاحتلال ، واستعادة حقوقنا والتفرغ للملفات الرئيسية، وفي مقدمتها قضايا القدس واللاجئين والمسجد الأقصى والأسرى والمعتقلين ومواجهة الجدار والاستيطان.

والله الموفق.

مكة المكرمة في ٢١ محرم ١٤٢٨، الموافق الثامن من شباط –فبراير ٢٠٠٧.

***

لم ينجح اتفاق مكة بحقن الدم الفلسطيني فحسمت القسام الأمر ، بعد أن استولت حماس على غزة في ١٤ يونيو ٢٠٠٧ في معركة غزة (٢٠٠٧) رفض رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محمود عباس حكومة الائتلاف التي تقودها حماس وعين في ١٥ يونيو ٢٠٠٧ سلام فياض رئيسا للوزراء في الضفة الغربية لتشكيل حكومة جديدة ، اعترضت حماس على هذه الخطوة بأنها غير قانونية، على الرغم من أن سلطة الحكومة الجديدة تزعم أنها تمتد لتشمل جميع الأراضي الفلسطينية فهي تقتصر في الواقع على المناطق الخاضعة للسلطة الفلسطينية في الضفة الغربية وتستبعد غزة.. هكذا انتهى حق حماس في قيادة حكومة السلطة الفلسطينية.

***

وحدثت معممة كبيرة بين حزب الله الشيعي اللبناني وأنصاره وحلفائه وطيران إسرائيل المتطور وكان ذلك في ١٢ يوليو ٢٠٠٦ والتي اطلق عليها لبنانيا حرب تموز والتي استمرت ٣٤ يوما في مناطق مختلفة من لبنان وفي العاصمة بيروت وفي شمالي إسرائيل ، في مناطق الجليل الكرمل ومرج ابن عامر . . وقعت الغارة الأخيرة في الساعة ٤٥, ٧ صباحا في ١٤ أغسطس ٢٠٠٦ واستهدفت بساتين الأطراف الشرقية لمدينة صور ، وبعد ١٥ دقيقة من هذا القصف دخل تطبيق قرار وقف الأعمال العدائية بين الخصمين ، الذي نص عليه القرار ١٧٠١ لمجلس الأمن الدولي حيز التنفيذ ونص القرار ١٧٠١ على إنهاء العمليات القتالية من كلا الجانبين وإضافة ١٥٠٠٠ جندي لقوة يونيفيل لحفظ السلام مع انسحاب الجيش الإسرائيلي إلى الخط الأزرق وانسحاب قوة حزب الله إلى شمالي نهر الليطاني وانتشار الجيش اللبناني في الجنوب اللبناني ، بعد وقف إطلاق النار شهدت الضاحية الجنوبية لبيروت ، معقل قيادة حزب الله عودة النازحين والمهجرين الذين تهجروا خلال ٣٣ يوما من القتال الضاري كما شهدت الطرقات والشوارع المؤدية إلى المدن والبلدات جنوبي نهر الليطاني مثل ذلك .

***

مشروع طلاق

كان الدكتور بلال يونس في زيارة لبيت والده الكائن في الحي الشمالي في مدينة الشفا عاصمة بلاد الشفا ، وكان سبب الزيارة مرض الوالدة السيدة خلود لطفي أخصائية أطفال في مستشفى الرازي احد اشهر مستشفيات البلاد وهو مشفى قطاع خاص ، تعرضت الدكتورة لحادث مروري أضر بها وقضت يومين في المشفى ، ثم رجعت للبيت للراحة من اثر الحادث ، فلما انتهى الدكتور الجراح بلال يونس من الحديث مع أمه عن وضعها وحالها الصحي وقدمت له خادمة البيت كوبا من الشاي التفت لأبيه وقال متفائلا : الوضع مطمئن كما فهمت منك ومن أمي .



ـ نرجو ذلك ، كان الحادث رهيبا ومؤذيا ولولا لطف الله .. هذا الحديد مفيد ومضر خير وشر !

فتمتم الجميع بحمد الله ، ووضع الأب الكوب على منضدة صغيرة أمامه وقال : لم تحضر أم شريف معك عساها بخير .

لم تحمل زوجة بلال ولم تلد شريفا بعد ، رغم زواجهما من سنتين ؛ ولكن بلال كان ينادى بأبي شريف قبل الزواج .. فلحقت الكنية بينهم زوجته تمام احمد .

فرد قائلا : ستأتي بعد قليل ، هي الأخرى أمها تعبانة بعافية

قالت أمه بقلق : مالها ؟

ـ لا شيء يا أم ياسين ، وعكة صحية عارضة ؛ لعلها إنفلونزا كما لمحت تمام

قال أبوه : لماذا لم تصحبها ؟!

ـ فضلت أن ازور أمي أولا ، ولما اسمع التفاصيل من تمام نقوم أو أقوم بزيارتها، لست محظوظا بحماتي.. لا تراني كفئا لابنتها .

قالت أمه مفسرة ضيقه ومبررة جفاءها لابنها : لا تنسى إنها كانت ترغب بتزويج ابنتها من

ابن أخيها ؛ فذلك ترك شيئا في نفسها لك أو حتى لو تزوجت غيرك ، واختارتك الفتاة وقدمتك على ابن خالها ، فأصهارك ناس طيبون .

قال بتذمر وضيق ؛ كأنه لم يكن راغبا بفتح امر علاقته بحماته : ما زالت تعاملني بجفاء رغم كل هذه الأيام والشهور ، وهذا يلاحظ بيننا عندما اجتمع مع بعض أنسبائها الآخرين بحضرتها أشعر ؛ كأنني خطفت ابنتها رغما عنها حتى العدايل(أزواج الأخوات) يشعرون بذلك بينا .

قال الأب معقبا ومهونا : هذه المشاعر كل إنسان حر بها .. قل لي ما قصة الجثث في مستشفى البركة ؟

سعد بلال بتغيير الموضوع عن حماته فقال : آ .. قصة عجيبة وغامضة ! .. ثلاث جثث كانت على شاطئ المدينة أحضرتها فرق الإسعاف لقسم الطب الشرعي وبصفتي عامل ومتدرب فيه قمت بالتشريح مع رئيس القسم وكتابة التقرير لكل جثة بمساعدة مدير القسم الدكتور زاهر هذا منذ اكثر من شهر .. ثلاثة شبان ـ يا أبي ـ مقتولون بالرصاص الحي ؛ كأنهم يعملون في البحر أو الصيد قذفهم البحر للساحل على شاطئ هود ، وعثر عليهم بعض الصيادين ونقلوا لغرفة الطب الشرعي .. ولم يتقدم احد يستفسر عنهم وعن غيابهم ، فاضطرت دائرة البوليس في المدينة لنشر إعلان عنهم للجماهير في كل البلاد ؛ ليس في هود فقط ولحتى الآن لم يتقدم احد ليسأل عنهم كأهل وأقارب ، فتعتقد الشرطة المحلية أنهم من بلاد أخرى وجرفهم التيار العاصف قبل أسابيع إلى شاطئ مدينة هود ؛ حيث اعمل أنا وأم شريف ـ وضحك ـ التي قبلت الاسم على مضض .. وضحك ضحكة قصيرة أخرى .

قالت خلود أمه بحيرة : لا احد جاء لينظر إليهم !

ـ جاء ناس لا بأس بهم للمشاهدة وانكروا معرفتهم بهم بعد رؤية الوجوه ؛ فلذلك ترى الشرطة أنهم من بلاد أخرى

ـ ألم يكن معهم أوراق بطاقات ؟

قال بتفكر وتأمل : أشكالهم عربية مثلنا ، لا يشبهون الأجانب ، لا أوراق أو وثائق مجردون من كل شيء حتى اللباس الداخلي والخارجي عراة ، حتى لا عملة في جيوبهم لعريهم لتدلنا على بلدهم على الأقل ؛ لكن مكتوب أو مرسوم على أجسادهم صورة حيوان وكلمة تختلف عن الآخرين في كل جثة ، لم تفهمها الشرطة مكتوبة بإبر الحبر أوشام كما يفعل السجناء أو زعران الحارات أو حتى بنات الملاهي والفساد في العالم

قال : هل صورتها ؟

ـ فعلت .. أتحب أن تنظر إليها ؟

ورفع الموبايل الخاص به عن الطاولة الصغيرة وقال بعد لحظات : انظر إلى هذه الصور كلها مرسومة على الكتف الأيمن من الخلف







اخذ يونس الهاتف المحمول ينظر للصور كانت الصورة الأولى صورة رأس كلب عليها كلمة امل مقطعة الحروف ، والثانية صورة نفس الكلب وعليها كلمة مجد مقطعة والثالثة نفس الكلب مع كلمة حلم مقطعة .

بعد صمت قد بدا طويلا دفع الأب الخلوي لزوجته وهو يقول : ماذا تعني صورة الكلب ؟ وهل كلمة امل تعني اسم شخص أم الأمل ؟ وكذلك مجد هل هو اسم ذكر أم أنثى أم المجد ؟ وكذلك الكلمة الثالثة ؟ المهم رأس الكلب هل هو راس كلب فعلا؟

قال بلال : الأرجح كما تقول الشرطة ، وكل من نظر الصورة قال هو رأس كلب أكيد والكلمات غير واضحة المغزى منها والمقصد .

تناول الهاتف من أمه بعد تأملها للصور والكلمات الثلاثة وقال : أعندك ملاحظة ؟

قالت مبتسمة : فعلا الأمر غامض ما يعني رأس الحيوان ؟ .. هل دفنت الجثث ؟

تناول القهوة من الخادمة ورشف رشفة منها وتركها على طاولة صغيرة أمامه وقال : لا نعرف الأسماء ، ولم يظهر احد قد تعرف عليهم ، والشرطة ترى انهم صيادون ؛ ولعل الإلهام هذا كان بسبب وجودهم في منطقة صيد أهل هود وهذا غير دقيق .. لم يعرفهم أي صياد ولم يشهد أحد أنهم شوهدوا من قبل .. ستبقى الجثث في عهدة المستشفى لبعض الوقت ، ثم يتم دفنها بمقبرة القبور المجهولة

قالت : قبور مجهولة !

ضحك بلال وقال : نعم يا عزيزتي هناك قبور مجهولة لا أهل لها ، والسبب قد يكونون من المغتربين والمهاجرين للبلد للزيارة والعمل ، ثم يموتون ولا أقارب لهم ولا يتصل أهلهم بالحكومة .

ـ عجيب !

ـ بل قد يكونون من أهل البلاد مشردين لا تهتم بهم عائلاتهم للفقر فتقوم الدولة أو الجمعيات بدفنهم ودفع تكاليف الموت والدفن والقبر

قال الدكتور يونس : ها هي تمام تقرع الجرس !

***

دخلت الطبيبة تمام احمد فعانقت حماتها وسألتها عن صحتها تلك اللحظة ، فطمأنتها وأثنت عليها وصافحت حماها وسألته كالعادة عن أحواله ، ثم سئلت عن صحة أمها فقالت : لفحة هوا تقول من الجو وهي بخير وتهديكم السلام

فقال بلال : سأقوم بزيارتها غدا قبل العودة لهود

فقالت تمام بزعل بين وجفاء : لا تزعج نفسك الأمر بسيط مجرد لفحة هوا

فقالت أمه : كيف لا يزعج نفسه يا تمام ؟! الكسل تعوده سيء يا حبيبتي .. عليك أن تذهب حتى لو لم تكن حماتك مريضة يا تمام !

ـ سأزورها بإذن الله

قالت تمام مبينة جفاءها بوضوح : أنا قلت له هذا ؛ لأنني قلت لما وصلنا المدينة دعنا نذهب معا ، ثم نذهب لبيت عمي معا ونطيل الجلوس معهم فقال أنا اذهب لأمي وأنت اذهبي لأمك ونلتقي في بيت أبي وها نحن التقينا يا عمتي .

قال الأب ساعيا لتلطيف التوتر والجو : أهلا بك يا ابنتي .. وسلامة أمك ألف سلامة .. وما أخبار إخوتك وأخواتك ؟

قالت : كلهم بخير وفي شوق لرؤيتكم .

هز رأسه بقول : شكرا شكرا

أحضرت الخادمة الشاي من جديد وأخرجت تمام سيجارة وقالت : سأدخن في الشرفة مع كوب الشاي . أخذت كوب الشاي وانتقلت لشرفة البيت فحموها يكرهون رائحة الدخان .

قالت الأم موجهة الكلام لبلال : هي زعلانة من عدم زيارتك لأمها ؛ وكما يقال آخاذة على خاطرها !

قال يونس مؤكدا : هذا ظاهر .. هل الزيارة هي السبب ؟!

قال بلال مضيفا : الزيارة هي السبب الظاهر للمشاكل بيننا .. اعتقد أن السبب لهذه الحركات عجزنا عن الخلفة رغم أننا قريب من السنتين فقط متزوجين

قالت أمه : هل فحصتم ؟

ـ أنا لست مستعجلا .. كثير من الناس يتأخر معهم الحمل .. هي فحصت اكثر من مرة وتزعم أن المشاكل عندي

قال أبوه : عندنا أطباء ومختبرات جيدة لفحص القدرة الحيوانية والبويضة للذكر والأنثى

ضحك بلال وقال : أنا اعمل مثلكما ـ يا أبي ـ في مستشفى.. صحيح مختبرات المستشفيات الخاصة لها الأفضلية في مثل ذلك الفحص والتحليل .

قالت الأم مشجعة الخطوة : ربما أنك تخجل من عمل الاختبار بين الزملاء والزميلات .

تنحنحت تمام وهي تقترب منه وهي تقول : آسفة أنا لا ادخن إلا لما أتضايق من شأن ما

قال يونس : البيت بيتك ما أخبار شقيقك الدكتور راضي ؟

قالت وهي تجلس وتترك الكوب على منضدة : بخير ويسلم على أشخاصكم .. ألا تريد العودة لهود اقترب الليل ؟

ـ سننام في الفندق ونزور حماتي قبل الظهر غدا ثم نعود للوطن الصغير عصرا فنحن في إجازة

قالت بجفاء وحدة : أمي لا ترغب بزيارتك فالأفضل أن نعود للديار

قالت خلود : ولماذا تنامون في الفندق ؟ الغرف كثيرة يا بلال

ـ احب أن نأخذ راحتنا .. شكرا لكم .. الحمد لله على السلامة يا أمي

ـ سلمك الله حافظوا على بعضكم بعضا .

قال يونس مرشدا : حافظوا على أنفسكم ، واذا حدث تطور بشأن الجثث اشبع فضولي

ـ إن شاء الله .. فالأمر يستحق المتابعة .. من اطلق عليهم النار وألقاهم في البحر ؟

تصافحوا وخرج الزوجان غاضبين بدون مواربة ، ولما سمعوا إغلاق الباب قال يونس : سنسمع خبر الانفصال قريبا .. فالغضب بينهم مكتوم سينفجر .

هتفت خلود : الانفصال ! هذا أنت متشأم للآخر .. يا يونس اغلب مشاكل الزواج بسبب الخلفة ، قد سمعت الكثير من القصص في قسم الأطفال من أمهات مطلقات أو حتى أزواج مطلقين وكل طرف يلوم الطرف الآخر ويحمله سبب الانفصال .

علق فقال : لم تستطع كبت مشاعرها وغضبها أمامنا يا خلود ..هذا ما أحسست به من كلامهم

ـ هي لا تعرف كظم غيظها يا يونس ؛ كأنها طبيعة فيها .. الدكتورة ياسمين قد تتعشى معنا ستأتي مع زوجها

ـ حياهم الله حتى هي الأخرى لم تحمل بعد ميادة

ـ حملت مرة وحدث إجهاض ، وسبب لها مشاكل في الرحم وهناك أمل أن ينجح الحمل مرة أخرى وكله بأمر الله .

ـ ما شاء الله أبي ! والدي المرحوم انجب عشرة سوى الموتى يقال أن أمي مات لها طفلان قبل ولادتي ولو بقيت حية لربما ولدت المزيد

قالت : لا تنسى أن العشرة من ثلاث نساء يا يونس

ـ طبعا لا انسى .. أمي بعد ولادة أمينة بأقل من سنة أو سنتين ماتت ربما بسبب أحداث نكبة فلسطين والانتقال للضفة الغربية ، ففي سنة النكبة ولدت أنا ، ثم ولدت أمينة في شتاء سنة ١٩٥٠ وتدهورت صحتها ربما بضعف العلاج والأحداث العنيفة ، فتزوج أبي من ابنة خالته السيدة الفاضلة حليمة في لبنان فآل روح الفضل ينتشرون في بلدان شتى قرب الموانئ للبحر الأبيض المتوسط كما تعلمين ، وولدت السيدة حليمة له أربعة ، وها هم اليوم يعيشون في صور ، ثم تزوج بعد موت أمي ـ رحمها الله ـ أيضا السيدة شهدة محمد علي روح الفضل أم عبد الكريم من غزة أثناء تجارة له هناك فقد كان يجلب بضاعة من موانئ مصر عن طريق غزة أو ميناء غزة

ـ عجيب حالكم بل حالنا جميعنا فكلنا من نفس الحمولة الإفريقية كما يقال ..أنت سكنت هذه البلاد ، وأبوك رحل للبنان بعد هزيمة ٦٧ ؛ بل قبل النكسة العربية الكبرى ، وزوجته شهدة انتقلت لغزة للعيش عند والدها في غزة

ـ رحل أبي قبل المعركة بسنين ناحية صور عام ٦٣ ومات سنة ٧٠ في صور وتلك انتقلت لغزة السبب مرض أبيها محمد وهي ابنته الوحيدة فاحب والدها أن تعيش عنده لحاجته إليها ولم يرغب بالزواج على أمها بعد موتها فقبل أبي للصداقة والقرابة بينهما قبل عام ٤٩ بحكم انهما تجار وأثرياء ، وأبي تدهورت صحته قبل الانتقال لصور عند أقاربه وبعض أعمامه ولم يرحل إلى هنا لأن اغلب أمواله كانت تستثمر مع أقاربه في صور ؛ ولأن امرأته حليمة بنت صور ، فعائلة روح الفضل كثير من رجالها التحقوا بالجيش العثماني للجهاد والتجارة ، ثم استقروا في بلاد الشام كفلسطين كلها والشفا وصور في لبنان ، وأبي عاش أخر حياته في صور ، فبعد النكسة ودمار دول العرب مات رحمه الله وهو نادم على تركه يافا الغالية ، وأصول أجداده

وحتى أجدادك تعود لشمال أفريقيا يقال من بلدة ليبية قريبة من طرابلس الليبية ، سافروا للجهاد في الجيش العثماني كمتطوعين ، هو وأعداد من القبيلة ، ثم انتقل جدي حسن ليافا بزوجته العثمانية وقد تعرض لإصابات بليغة كما قيل في احدى معارك الجيش التركي قبل السلطان المشهور عبد الحميد بسنوات طويلة وأنا وأختي أمينة أم سارية جئنا الشفا لدراسة الطب فيها وتحت رعاية أقارب أبي واهلك ، ثم تزوجنا هنا ؛ لأن والدنا عبد الله مات في لبنان ـ رحمه الله ـ أثناء الدراسة فرأينا البقاء هنا أفضل .

ـ كانت الدولة العثمانية دولة كبيرة كما تعلمنا ، وتجمع شعوبا شتى من أوروبا واسيا وأفريقيا

ـ صحيح كانت إمبراطورية ، قد حكمت اكثر من أربعين دولة معاصرة ومستقلة اليوم من القارات الثلاثة

قالت بتذكار للماضي : كان والدي الحاج لطفي يظن انك ستتزوج زميلتك ميساء من كثرة ما كانت تأتي معك ومع أمينة .

ـ ربما كانت تفكر هي بذلك ؛ لكن والدك ـ رحمه الله ـ من أول سنة اعلمني أنه سيزوجني منك

دهشت للتصريح وقالت : أبي قال لك ذلك !

ـ قلت لك ذلك مرارا!

ـ كنت أظن أن ذلك مجاملة يا يونس !

ـ صدقي حقيقة ، واعتقد أن ذلك كان عن رغبة من أبي وكلام بينهم في ذلك الأمر .. أنا كنت اسمح لميساء بالمجيء إلى شقتنا لتعلق أمينة بها ؛ وربما ظنت أمينة مثل هذا الظن ..فأنا كنت اعرف من سأتزوج بعد إنهاء البكالوريوس، وحتى الطب أبي اختاره لي ولأختي .

ـ تذكرت ..طيب ماذا فعلت لتلك المرأة الفقيرة أم ماجد ؟

ـ شيء بسيط .. كما قلت لك سابقا هي خرجت من غزة لمعالجة ابنها ، اسمه محمد استشهد والده في غارة أو قصف إسرائيلي فقتل الأب ضمن من قتلوا وأصيب الشاب بإصابات متوسطة عولج في مصر أولا ثم انتقل لهنا لمزيد من العلاج ، وهم يعرفان زوجة أبي شهدة روح الفضل

أم عبد الكريم وأخواتي وأخواني في غزة ، فأرسلته لطبيب عظام أخصائي ليتابعه ، فهو يحتاج لإقامة في مستشفى واستأجرت لهم شقة مفروشة حتى يكتمل العلاج والعودة .

ـ جزاك الله خيرا .. أهل غزة كان الله في عونهم ، فمنذ النكبة وهم يعانون ويعانون .

زيارة حماتي

رفضت تمام أن تقوم بزيارة أمها مرة أخرى بصحبة بلال ، فتحدث مع زميله راضي احمد طبيب مستشفى البركة عن رغبته بزيارة أمه فاعتذر له عن عدم إمكانية مغادرة المستشفى وقال له : أمي سليمة إذا كان سبب الزيارة المرض كما أخبرتني ، فهي بخير بعض الألم ؛ ربما إرهاق العمل متى ستعود إلينا ؟

ـ زرت أمي كما تعلم بعد خروجها من المستشفى وبعد غد سأباشر العمل إلى اللقاء

ـ نتعشى سوية لما تعودوا كيف تمام ؟

ـ زعلانة ؛لأنني لم أرافقها عند زيارتها لأمها صباح اليوم

تنهد راضي وقال : على كل حال سنتحدث لما تعودا لهود مساء الغد سلم

ـ شكرا صديقي

ذكرنا سابقا حين تخرج بلال من كلية الطب والتحق بمستشفى البركة في هود للحصول على اختصاص الجراحة العامة والطب الشرعي ، فتعرف على الدكتور راضي احمد رئيس القسم ، ولما تخرجت بعده بسنة تمام احمد واستطاع شقيقها أن يجد لها شاغرا في المستشفى لتعمل فيه وتعرفت على بلال ضمن الكادر العامل ، وكان قد تحدث مع راضي عن رغبته بالزواج من طبيبة كوالده يونس عبد الله ، فذكر له أخته المتعينة حديثا ، فالتقيا بالتنسيق مع راضي واتفقوا على الزواج ، ولما علمت أم راضي بمن هو الزوج اعترضت عليه ، وذكرت أنها حدثت شقيقها عن زواج ابنه من ابنتها لما تقرر تمام الزواج ، ولما عرف شقيقها المقصود وابنه بذكر بلال انسحبوا بهدوء ، وتزوج بلال من تمام زميلته وأخت مديره راضي ، واعتذر راضي لأمه بأنه لم يكن يعلم بتخطيطها لتزويجها من ابن أخيها المهندس جهاد ، فلزمت الصمت والغيظ ، وسكتت عن ذلك

ولم تصر على الرفض لما ادركت أن هوى ابنتها بالزواج من الدكتور ، ولكنها ظلت تحقد على بلال وحتى راضي لحقه بعض الحقد ، وكذلك البنت وعتبت عليها تعلقها السريع ببلال .

هذه قصة بلال وتمام بإيجاز ، في اليوم التالي بعد نزولهم للإفطار في مطعم الفندق وأثناء شرب القهوة قالت تمام : عندي زيارة لصديقة قبل العودة لهود .

تبسم الشاب وقال : حسنا ! وأنا سأزور ابن خالي تيتي

ـ لماذا ؟ وهي تشعل سيجارتها

ضحك لاهتمامها بزيارة المهندس تيتي وقال : وأنت لماذا ستزورين صديقة ؟

أجابت بقولها : فرصة بما أننا في العاصمة يا حبيبي .. ما رأيك أن تقوم بعمل فحص لقدرتك الجنسية ؟

ـ قدرتي الجنسية قوية ، وقمت بعمل اكثر من فحص منذ بدأت الشكوى

ـ لم تخبرني !

ـ ولماذا أخبرك ؟ .. الأمر لله يا تمام .. الإنجاب بمشيئته ليس بمشيئتنا

ضحكت لحظات ونفخت الدخان في الهواء الأعلى وقالت : صدق لا أصدقك ، قال راضي انك ترفض عمل أي فحص .

ـ قصد راضي والله اعلم عندهم في البركة ، وثانيا لا دخل لراضي في أمورنا الخاصة الذي يسمع شجارنا يظن أننا لنا عشر سنوات متزوجين

ـ أنا أريد الأطفال .. لنا اكثر من سنتين متزوجون يا بلال !

قام وقال : هيا نجلس في صالة الاستقبال .. اذهبي لزيارة صديقتك .. وخذي السيارة سأزور ابن خالي بسيارة أجرة سأتصل بمكتبه بعد قليل

انتقلوا لصالة استقبال الفندق وطلبوا القهوة المرة ولما جلسوا أشعلت تمام سيجارة أخرى فقال مداعبا : لعل الدخان هو المعيق للحمل هل فكرت بذلك ؟

ضحكت بصوت مرتفع قليلا مما لفت بعض الجالسين إليهما وقالت : الدخان يا شاطر لا يعيق

الحمل ، كل البنات اليوم تدخن وتحشش .. قيل قد يؤثر على الحمل بعد الحمل .. ها هي أختي زينة تشرب الكحول ومرات تحشش وتحمل وتلد .

ـ افرضي يا سيدتي أنني غير صالح للإخصاب

ردت بسرعة وبدون تمهل : ننفصل على طول لماذا ننتظر ؟

حضرت القهوة وقال بتهكم : أترغبين بالانفصال بعد سنتين زواج ؟ .. جيد وقتما ترغبين في الانفصال أنا جاهز.. نحن تزوجنا بتشجيع من راضي ؛ لأنني قبل تعيينك معنا ساررته برغبتي بالزواج من طبيبة تعمل في المستشفى فوقع الاختيار عليك منه وشجعك للعمل في البركة

ـ يا ليته ما وقع !

قال محتدا : هذه إمارات البغض .. كيف قبلت بي وقد مكثنا اشهرا ندرس بعضنا ؟

ـ لا ادري ! راضي اقنعني بمحاسنك ومفاتنك وشبابك

ـ وهل أنا سيء ؟ هل عمري مددت يدي عليك ؟ هل عمري شتمتك أو شتمت اهلك ؟

قالت : لا انكر ذلك ! لا ادري منذ رفضك الفحص بدأت أكرهك

ضحك وقال : أنت بدأت تكرهينني من كلام امك في حقي .. لست ساذجا .. فهي تسيء إليّ أمامك وتصمتين وأمام أزواج أخواتك

ـ أتريد أن ارد على أمي ؟

ـ امك أخذت مني موقفا متشنجا لما قبلتم بي دون ابن أخيها

ـ تأكد يا عزيزي أنا ما فكرت يوما بابن خالي كزوج حتى تفاجأت من اختيارها .. أنا اعلم أن أمي تحب شقيقها زيدان جدا اكثر من سائر إخوتها ، وهو يبادلها الحب والود بنفس الدرجة وهو الذي شجعها على دراسة الجامعة وساهم في تعليمها

ـ أنا لا اكرهها يا سيدتي ! وفي نفس الوقت لا ازعم أني احبها .. مثلها مثل سائر الناس .. وأنا لم اقل لك حبي والديّ كحب أمك .. المعاملة شيء والحب شيء آخر

ـ هل تريد المزيد ؟ وأشارت لكوب القهوة

قال : لا ، سأذهب لتيتي فهو كما تعلمين مهندس معمار حدثني عن شقة في هذه المدينة في حي والدي .. هناك من يرغب ببيعها فاتصلت به ليلا فذكرها لي .. متى نلتقي للعودة لهود ؟

أجابت بحيرة : لا ادري بالضبط !

فهم معنى لا ادري فقال : حسنا ! بعد زيارتي لشركة تيتي واذا تمكنت من رؤية الشقة سأشاهدها واذا كنت مشغولة سأركب سيارة أجرة لهود أو حتى حافلة .. راضي دعانا امس للعشاء معه في البيت بعد آذان المغرب وبعد العشاء هناك أمسية طبية في جمعية الأطباء في هود سأرافقه لتلك الأمسية الأدبية .. مفاتيح السيارة في الغرفة إلى اللقاء

فقالت وهي تهز رأسها : فكر في الانفصال اذا لم يحدث الحمل خلال الشهور المتبقية من هذه العام

فقال بهزء وابتسامة : أنا جاهز له بدون تفكير وفي أي وقت ؛ كما تزوجنا بهدوء نفترق بهدوء

تمرد تمام

كان الدكتور بلال رغم بساطته في التعامل مع الناس يعي ويستوعب مشكلته مع زوجته منذ بدأت اتخاذ قصة الحمل قضية لصنع المشاكل رغم اتفاقهما أثناء الاستعداد للزواج بتأخير الحمل على الأقل لخمس سنوات ، وكان يعرف السبب الحقيقي لافتعال المشكلة وأن القصة ليست قصة حبل وولادة ؛ فهي لم تكن مشكلة قبل سنة ؛ ولكنه اكتشف السبب بعد الزواج بشهور لآخر عام ٢٠٠٤ ، وعذر راضيا لجهله بالقصة ، اكتشف أن تمام كانت لها صداقة مع زميل في الجامعة أثناء الدراسة في كلية الطب ، وكان المتوقع أن تتزوجه بعد التخرج بسنة أو اكثر ، ولما علمت برغبة أمها بتزويجها من ابن أخيها جهاد زيدان ، لم تتقبل الأم زواجها من غيره البتة ، ولما اقنعها راضي بالزواج من بلال سكتت الأم على مضض بحكم أن راضيا سيد العائلة بعد موت أبيه ، وهو الكبير للأسرة حسب التقاليد ؛ لأنها رفضت التفكير بجهاد كزوج رغم تلميحات أمها ، وظل زميل الجامعة الدكتور مراد بدو يرغب فيها رغم زواجها منه من بلال وسيقبلها ولو تطلقت ، فكانت ترى أنها بالطلاق منه يمكن موافقة أمها على السيد مراد ؛ لأن

ابن خالها تزوج ابنة عمته التي هي ابنة خالتها ، ولا شيء يربطها ببلال كطفل مجرد صديق لشقيقها الكبير ، واهل مراد زوجوه قريبة له قبل التخرج بشهور لرفضهم زواج ابنهم من صديقة كلية ، ولم يستطع رفض الضغط والحرج ، عرف السيد بلال تلك العلاقة والصداقة من صديق لهما درس معهما في الجامعة عمل واشتغل فترة قصيرة في مستشفى البركة ، ولما تعرف على بلال ذكر له قصتها مع ذلك الزميل المدعو مرادا ؛ لأنه تفاجأ أنها تزوجت بلال يونس ونسيت مرادا ، ولم يكن يعرف الزميل أن صديقها مرادا قد تزوج مجبرا من قريبة لأبيه ، وادرك بلال الحقيقة وسبب افتعالها قصة الحمل والتأخير فقال لنفسه : حنت لعشيقها فهو أيضا لا يعرف سبب تركها لمراد والقبول به ، فصار يأخذ ابر مانع للحمل كلما يزور والديه في الشفا وهو راغب بالانفصال عنها ، ويؤخر الأمر لعلها تعود لرشدها وتنسى صديق الجامعة ومن اجل خاطر والديه ، فقد كلف زواجه مبلغا كبيرا دفع اغلبه والداه ، ولصداقته لراضي احمد أيضا ومساعدته في الزواج منها ، وللصداقة الكبيرة بينهما منذ التحق بمستشفى البركة ، وهو مدرك أن راضيا لا يعرف قصة حب تمام ومراد ، فهو يعمل في المستشفى منذ تخرج من كلية الطب ، وفرق كبير بينه وبين تمام في العمر .

لما انتهى من زيارة تيتي واطلع منه عن تفاصيل الشقة وموقعها بالضبط ومساحتها ، ووعده المهندس لما تفرغ من ساكنيها سيتحدث معه لمشاهدتها ويطلعه على ثمنها التقريبي ، وغادره وزار بيت حماته واطمئن عليها ، ومع آخر رشفة لفنجان القهوة ودعها مخبرا بالعودة لهود ومكان عمله ، واتصل بصديق نقابي اسمه فارس والتقيا في مدخل العمارة التي يعمل بها فقال فارس : هناك مطعم نجلس فيه ونشرب شاي أو قهوة .

فتبعه وهما يتحدثان عن صحة وأخبار بعضهما ، ولما جلسا وطلبا القهوة قال بلال مجاملا : ما أخبار النقابة ؟

ـ جيدة ـ وضحك ـ ولا اعتقد انك جئتني في مثل هذا الوقت لتسألني عن أخبار النقابة

جاراه في الابتسام وقال : صدقت يا صديقي .. جئتك ببعض المال للزميل خالد ؛ لابد أنه ما

زال محتاجا للمساعدة بعد الحادث المرعب

قال : نعم ، ما زال متعبا يا صاحبي وما زال يعرج من حادث الصدم وما زال الحزن على وفاة زوجته ـ رحمها الله ـ يغمره ، كانت الضربة حيث كانت تجلس .. وما زال الأصدقاء مثلك يقدمون له المال والزيارة والدعم المعنوي كذلك .

ـ سأزوره المرة القادمة .. دفع اليه المال وقال : ابلغه سلامي الحار شفاه الله

ـ بارك الله فيك يا بلال! انتم أسرة كريمة فقد ساعد مستشفى والديك في معالجته بعد أن ترك مستشفى الدولة لديهم جانب من الإحسان .

رشفا ما تبقى في أكوابهما من القهوة وغادرا وهما يدعوان لأنفسهما بالصحة والعافية .

اتصل بلال بتمام على الموبايل فعلم منها أنها أغلقت حساب الفندق وما زالت مع بعض صديقاتها فودعها قائلا : نلتقي في البيت سلمي على صويحباتك .

وقال لنفسه بسخرية : أرجو ألا تكوني على موعد مع مراد بدو ، تظن أن شيئا يخفى على الناس ألم نقرأ قديما أيام الإعدادية أم الثانوية قول زهير :

(ومَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امرِئٍ من خَلِيقَةٍ ... وَلَو خَالَهَا تَخْفَى على النَّاسِ تُعْلَمِ)

انتقل إلى ساحة نقل الركاب لمدينة هود ، واستقل سيارة أجرة مثل الآخرين ، ذهب لشقته واغتسل وبحث عن مفاتيح سيارة زوجته ، فلم يجدها فادرك أنها مع السيدة ، ولما اقترب المغرب ولم تحضر تمام اتصل بمكتب سيارات أجرة ، سيارات الأجرة في المدينة لها أنظمة منها السيارة الثابتة على نفس خط السير بين المدن والمركز ، ومنها سيارات يسمح لها بنقل راكب أو اكثر بدون الالتزام بخط ثابت وتوصل الراكب لأقرب مكان من مقصده ، ولما حضرت السيارة اغلق الشقة وركب إلى بيت شقيق تمام ، واستقبله الزوجان بالابتسام والاستفهام عن تمام ، فذكر أنها لم ترجع من العاصمة ، وشرح الأمر فقال راضي : حياك الله ننتظر قليلا لعلها تحضر أنت أخبرتها !

ـ معها علم يا أبا أسامة ! وشرح لهما الموقف بالتفصيل وعن سبب الافتراق عن بعضهما أثناء

وجودهما في الشفا .

قدم لهما الشاي ، واستمع راضي لأخبار العاصمة وصحة أم ياسين والدة بلال ، وقالت زوجته سلمى عبد الرحيم : لا ادري ما الذي يضايقك من الخلفة ؟!

ضحك وقال باسما : تمام تزعم أنني أنا العاجز عن الإخصاب

ـ هل فحصت قدرتك ؟

ـ فحصت من أول ما بدأت المشكلة ؛ ولكنها لا تصدق لذلك ترغب بالانفصال

هتف راضي متفاجأ ومنزعجا من دلالات الكلمة : الانفصال ! كثيرا ما يتأخر الحمل ؛ ربما لخمس أو اكثر هل هناك شيء آخر ؟ قد يحدث التأخير قدرا أو اتفاقا !

قال : يبدو أن أم أسامة سمعت شكواها من العزيزة تمام .. الحبل والولادة من الله وكما ذكرت لنا سنتان وكم شهر نعيش الحياة الزوجية .

مضى الوقت بالثرثرة والحبل والأطفال ، ولم تحضر تمام فقالت : دعنا نتعشى يا راضي

ـ سأتصل بها انتظري قليلا

رن على شقيقته فاعتذرت عن حضورها العشاء وتحججت بحضورها فيلم سينما مع زميلاتها فضحك بلال في سره وقال لنفسه : مع صديقاتها أم مع صديقها !

فلما قضوا نهمتهم من الطعام وعادوا لغرفة الجلوس قالت أم أسامة : هل من زعل بينكم ؟

ـ ولماذا الزعل ؟! أخذنا إجازة يومين لزيارة أمي بعد خروجها من المستشفى .. أنا ذهبت لأمي أولا ، وهي ذهبت للاطمئنان على أمها أولا ونمنا في الفندق ، لم ننم عند أهلينا لنرفع الحرج ، وفي الصباح كما قلت لكم مررت على شركة ابن خالي المهندس تيتي الهيثم من اجل شراء شقة كان حدثني عنها ثم زرت أم راضي وركبت سيارة للشقة واغتسلت وجئت إليكم بسيارة أجرة فمفاتيح سيارتها معها بحكم العادة ؛ لأنني كما ذكرت سابقا أني تركت سيارتي معها .. لا زعل بيننا إلا موضوع الحمل وحديثها عن الطلاق اذا لم يحدث الحمل خلال شهور ؛ كأن الحمل بأيدينا .. فها هم يعملون عمليات إخصاب بالأنابيب ولا يحصل حمل .. أين الأطفال ؟ نسيت

أن اسأل عنهم

قالت : عند أمي ؛ لأننا سنذهب للمحاضرة في الجمعية.. قم جهز نفسك يا دكتور راضي .

نهض الدكتور فقالت : أتحب أن تشرب شيئا قبل الذهاب يا دكتور بلال ؟

ـ قهوة لعلنا لا ننام في الجمعية بسبب السفر

ضحكت وقالت : يا دكتور كلهن ثلاث ساعات

ـ لا تنسي انني ركبت سيارة أجرة بين المدينتين

أشارت للخادمة بصنع القهوة وقالت بعد انصراف راضي : أترغب بالطلاق ؟

ـ لا ، هي افتعلت قصة الحبل لتصل لهذه الفكرة ؛ وكما قال راضي قد يبقى الزوجان سنوات دون خلفة

ـ ولماذا ترغب هي بذلك ؟

ضحك وقال : لا ادري يا سلمى ! أسأليها لما تقابليها في المستشفى (فهي طبيبة نسائية في قسم الولادة في مستشفى البركة في مدينة البحر هود ، تعرفا على بعض وبعد حين تزوجا وهي من سكان المدينة من عائلة تعيش في هود)

ـ سوف أسالها .. يبدو انك تتقبل فكرة الانفصال

ضحك طويلا وقال : نحن زوجان يا أم أسامة ، لم نتزوج عن قصة غرامية لندافع عن غرامنا ، فلي شقيق اكبر مني بسنوات صار متزوجا ثلاث مرات

ـ ثلاث مرات أم ثلاث زوجات

حضر راضي قبل أن يجيب بلال : أنا جاهز يا سلمى

ـ سألبس جلبابي فقط (سلمى متدينة) واصلي العشاء ..لم تجب على السؤال يا دكتور

ضحك بلال وقال : أخي ياسر يا دكتور .. لما اشتغل بعد تخرجه من كلية التجارة تزوج فتاة تعرف عليها أثناء العمل في البنك ثم طلقها بعد شهور لأسباب خاصة ؛ ربما ذكرت بعضها للدكتور ، ثم تزوج أخت صديق له واستمر زواجهما سنتين ثم انفصلا نتيجة شجار حاد بينهما

وعنده الثالثة عملت سكرتيرة له في البنك فهو مدير فرع من فروع البنك في العاصمة وهو اكبر منى بخمسة أعوام

انصرفت لصلاة العشاء ولبس ملابس الخروج .



الدكتورة يسرا

كانت يسرا يونس في زيارة لبيت شقيقتها ياسمين يونس ، وكان زوج ياسمين يرحب بها ويطمئن على صحتها وأخبارها ، وكان ذلك اللقاء في أول الليل ؛ لأن ياسمين تعمل دكتورة في الجامعة وتحاضر في مادة التاريخ بكل أقسامه القديمة والمتوسطة والمعاصرة ، وكانت رسالة الدكتوراه حول القضية الفلسطينية وموقف الأنظمة العربية منها ، وأما الآنسة يسرا فهي متخرجة من كلية التجارة والاقتصاد وهي تحمل شهادة دكتوراه في المحاسبة المالية وتعمل في القسم المالي لمجموعة الشركات التي يملكها خالها الهيثم وأخوته أولادهم ، ثم شقيقها ياسر فرع المحاسبة المالية مثلها ويعمل مديرا لاحد فروع البنك ، وكانت تدير قسم المحاسبة لشركات خالها الدكتور المهندس هيثم لطفي روح الفضل ، فلما أدخلت الخادمة الشاي والماء أشعلت سيجارة ، والكل فعل مثلها فقال زوج ياسمين المهندس جبور : ألم تجدي ابن الحلال لليوم كبرت يا دكتورة ؟

ضحكت وقالت : كلما نلتقي تسألني هذا السؤال العتيد ؟

فقهقهوا وقالت ياسمين ساخرة : طلقني وتزوج يسرا ما دمت مشفقا عليها .

فصرح مجاريا الفكرة : فكرة جريئة يا يسرا ! ..أنا قابل لها ، واعتقد جواز ذلك شرعا

فقالت ياسمين : سأتصل بابن عمتي الشيخ الدكتور سارية صلاح الدين

فصاحت يسرا للمزيد من الأجواء المرحة : أنا لا اقبل بالزواج من رجل مستعمل

قال مستسلما : معك حق ! أنا مستهلك صحيح .. أنا عندي طفلة واحدة غير مستهلك كثيرا

ـ أين هي لم تسلم على خالتها ؟ هل هي نائمة ؟

قال جبور : أخذتها أختي للسوق .. قرب عيد ميلادها الخامس .. الخامس يا ياسمين!

قالت ياسمين محتجة : الخامس يا حضرة المهندس .. تجهل عمر وحيدتك ..كيف لو عندنا خمسة ستة ؟ كما قال يا يسرا ذهبت بها عمتها لشراء هدية عيد الميلاد أو هدايا عيد الميلاد .. العمة لا تقبل بهدية واحدة .. لتشجعنا على المزيد من الخلفة لتكثر الهدايا .. نعود للجد لماذا

رغبت بهذا اللقاء ؟

قال : أأقوم ؟

قالت يسرا مشيرة له بالبقاء جالسا : لا تقوم.. ليس سرا يا أبا ميادة .. جئت أرى أولا أختي الأكبر مني ، وثانيا سمعت أن طفلنا بلالا سيطلق تمام وأنا علاقتي بالسيد بلبل ضعيفة

ضحك جبور وقال : بلال هو الوحيد الذي درس طبيبا مثل والديه

فقالت يسرا غامزة : لذلك هو المفضل لديهما

فقالت ياسمين معترضة على الغمز : لا تنسي انه الابن الأصغر فينا .. نعم سمعت من أمي بمثل ما سمعت ؛ ولكن لم يحدث الطلاق بعد .. فشقيق تمام يسعى لإصلاح البين بينهما ؛ كما أخبرت أمي .. والسبب تأخر حملها .. مستعجلة على الحمل ، وتزعم أن السبب من بلال ويرفض أي فحص جنسي .. وهو غير مرتاح من ناحية أمها فهي تكرهه كره البين كما يتحدث

فقال جبور موضحا سبب الكره : لأنها كانت ترغب بتزويجها من ابن أخيها زميلنا في النقابة المهندس جهاد زيدان ؛ ولكن ابن أخيها تزوج كما نعلم

فقالت يسرا مبينة سبب فضولها : أصبت بالدهشة لما سمعت الخبر ، فهم يعملون في مستشفى البركة ، وكذلك شقيقها راضي الذي جمع بين رأسين بالحلال .. أليس هكذا يقال ؟

ـ يقال نيال من جمع بين رأسين بالحلال أو على مخدة بالحلال .. بس نحن ينام كل منا على مخدة وأنت لم تجدي الرأس الثاني .. أنا سمعت قصتك من ياسمين

حدقت في وجهه وقالت : قصتي ! لم اجد ابن الحلال بعد يا مهندس جبور .. قبل أيام أكملت التسعة والعشرين

قالت ياسمين : بيني وبينك سنة وشهر ، أنا تزوجت منذ ست سنوات ، وأنا ادرس الدكتوراه التقيت بهذا الفارس الظريف وحصل النصيب

فقال مفتخرا : ونعم النصيب! كان أول لقاء لنا يا يسرا في العيادة كنا مرضى كنا في عيادة أخصائي الأمعاء والمعدة في انتظار دورنا ، ثم تطور التعارف والانتظار لصداقة ، ثم زواج

شرعي .. هذه قصة حبنا الكبرى
قالت يسرا باسمة : سمعتها كذا مرة .. أدام الله الحب والوفق بينكما .. وأنا متأكدة مليون في المائة أن السيدة صديقة العيادة أخبرتك قصتي وأشبعت فضولك
ـ أنا صحيح سمعتها منها ولم اسمع منك شيئا
ضحكت تبسما وقالت : تعرفت على وحيد مثل أي فتاة تتعرف على شباب الكلية والشعبة وهو كان يسبقني بسنة واحدة ، ولما قويت علاقتي به تفاجأت بفتاة تزعم انه كان صديقها وحبيبها وتنصحني بالبعد عنه ، وهو انكر أي علاقة بها غير أنها زميلة وصداقة كلية ، فلما واجهتها بذلك كذبته ، وزعمت انه عاشرها كزوجة ، ولن تسمح له بالغدر بها ، وذات ظهر كنا نجلس في مطعم الكلية نشرب الشاي ؛ كما شربناه الآن فاقتربت منا وأمام الطلاب أسأت لنا ، فعضب من تطفلها وصفعها كفا ساخنا سمعه كل من في المطعم وسمع صراخها فيه للقريب والبعيد ، وطلب منها مغادرة قاعة مطعم الطلاب ، فقالت بهياج : تضربي يا حقير لعنة الله عليك . وأخرجت مسدسا واطلقت عليه رصاصات فخر ميتا قبل أن يهجم عليها بعض الطلاب ويأخذون المسدس منها ، وحدثت فضيحة في الجامعة وحضرت ؛ كما هو معتاد الشرطة والتحقيقات البوليسية ، وتبين انه مارس الجنس معها ؛ ولم تكن بنتا كما أخبرتني ، وزعمت في التحقيق انه تزوجها عرفيا ، ولم يثبت ذلك ، ولكن لم تعرف الشرطة من فض بكارتها أولا ؛لأنه ثبت أن لها علاقات قبيحة قبل الجامعة ، وقضي عليها بالحبس عشرة أعوام ؛ لأن أهلها تصالحوا مع أسرة القتيل .. وأنا تعقدت من الحب والرجال ، كانت صدمة قاسية لي .. وشرطة وتحقيق وتوقيف.. ولعلك الآن تكتفي من سماعك لقصة حبي ومقتل حبيبي .
ضحك ساخرا : ومن اجل هذا الحادث تركت الزواج وقبلت العنوسة .. عجيب ! لليوم لم تندقمي برجل ينسيك مقتل الشاب .. هل ملئت القاعة صياحا وبكاء ؟!
غمر الابتسام الجميع وقالت ياسمين : لا اعتقد ذلك يا جبور .. وهي لم تعش مع الشاب سوى بضع شهور ، ولا اعتقد أنها تعلقت به كثيرا لتذرف الدمع والحداد

قال مندهشا : آ !! هناك أشياء أخرى لم تفصح بها أو عنها

قالت وهي تقف : لما أقرر كتابة قصة حياتي سأخبرك وادفع لك بالمسودة لتقرأها وتراجعها قبل النشر .. المهم يا ياسمين أن حكاية الطلاق صحيحة

ـ صحيحة كخبر ، ولم يحدث الطلاق ، هناك همس بذلك .. تمام ترغب بالخلفة المبكرة .. واخوك يرفض قبل مرور خمس سنوات على الأقل ويسعى راضي كما اخبرني ياسر بتهدئة التوتر وما دام الطلاق دخل الحياة أراه يا جماعة سيحصل !

أشعلت يسرا سيجارة مرة أخرى وقالت : شكرا لكم لديّ سهرة الليلة .

صافحت زوج أختها وأختها وغادرت الشقة تتبعها الخادمة ، ولما هدأ الجو قال : أنا فعلا مستغرب رفضها للزواج .. البلد ملأنة بالشباب العزاب !

ـ الأسرة كلها مستغربة مثلك ذاك العزوف عن تكوين أسرة ، وحاولت مرارا كشف السبب ولم تفصح إلا بتلك القصة السخيفة صديق عشيق ومات هل أحد عليه الدهر ؟

ـ ولا أنا اصدق .. القتل والموت والخيانة كل يوم في هذا العالم .. الناس خلقت لتموت .. فلم استطع جرها لكشف سر التمرد على الزواج

ـ ستُبْدِي لكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جاهلًا ... وَيَأْتِيكَ بالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوَّدِ

ـ صحيح ستبدي لنا الأيام سر الجفاء والمخفي

قالت : نحن أخوات ؛ولكننا لم نكن صديقات رغم تقاربنا في السن ، حتى لا اعرف من تصاحب ومع من تجلس ، فوالدانا منذ دخلنا الجامعات تركوا لنا كل الحرية .. وأنا تعلقت بدراسة التاريخ وقراءة الصحف والمواقع الإخبارية من عهد الإعدادية المتوسطة

ـ أختي تأخرت هل اتصل بها ؟

ـ دعها على اقل من مهلها ، فدرة تحب ميادة جدا

ـ هذا بين

***

عام الفصل

سبق الكلام أن صراع حركة فتح وحماس اشتد بعد تقدم حماس في انتخابات ٢٠٠٦ انتخابات برلمان السلطة ، وصدمت فتح والعالم الحر زعما من النتيجة ، فلم تفلح عملية تدجين حماس ببعض المقاعد كما يحصل للإسلاميين في الدول التي تقلد الغرب في الانتخابات باسم الديمقراطية وحكم الشعب ، استمرت أجواء التوتر والقتل في قطاع غزة مع دخول عام ٢٠٠٧ ، حتى بادر الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز إلى دعوة حركتي فتح وحماس إلى التحاور في مكة المكرمة كما سبق ذكر ذلك أيضا ، على مدار ثلاثة أيام بين أعلى الهرم القيادي في كلتا الحركتين محمود عباس ومحمد دحلان عن فتح ، خالد مشعل وإسماعيل هنية عن حركة حماس ، ووقعت الحركتان على ما بات يعرف بـ اتفاق مكة في فبراير/ شباط ٢٠٠٧، وكلف الرئيس محمود عباس نتيجة للاتفاق المبرم ، إسماعيل هنية بتشكيل الحكومة «حكومة الوحدة الوطنية»، إلا أن الاتفاق المشار اليه فشل بعد عدة أشهر رغم الأجواء الإيجابية التي رافقت الإعلان عنه ، وبعد اتفاق مكة بأسابيع قليلة تجددت الاشتباكات بين مسلحي فتح وحماس، وهو ما انتهى بسيطرة حماس على قطاع غزة فيما عرف باسم «الحسم العسكري»، ليتحول الانقسام الجغرافي إلى انقسام سيطرة سياسية كاملة يوم ١٤ يونيو/ حزيران ٢٠٠٧م.. وشكل الحسم السريع مفاجأة قاسية أخرى لفتح أوسلو .

واستخدم اسم صراع الأخوة للصراع في غزة بين القوة التنفيذية التي شكلها سعيد صيام المؤلفة من عناصر كتائب عز الدين القسام ، الذراع العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس من جهة ، وبين قوات الأمن التابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية ، حيث تتمتع حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح بنفوذ قوي فيها ، كانت رئاسة داخلية غزة لا تستطيع تنفيذ الأوامر لرفضهم التعاون مع قيادة الحكومة المكونة من حماس ، فأنشأت الحكومة شرطة جديدة لتنفيذ واجبات وزارة الداخلية ، من جهة أخرى أطلق مصطلح «الأخوة» بسبب توزع أبناء البيت الفلسطيني الواحد على أكثر من فصيل.

أحتدم القتال في منتصف شهر مايو من عام ٢٠٠٧ واستمرت عمليات القتل والخطف المتبادل بين الجانبين حتى ١٤ يونيو سنة ٢٠٠٧ حين سيطرت حماس على كل المواقع الأمنية في قطاع غزة الذي وقع بذلك تحت السيطرة الكاملة لحماس والقسام ، كما فرَّ قادة الأجهزة الأمنية وأعضاء من فتح إلى الضفة الغربية ومصر وإسرائيل عن طريق مراكب أبحرت من مقر الرئاسة الفلسطينية «منتدى الرئيس» .

شكّلت الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة الفلسطينية والتي توالي حركة فتح حجر الزاوية في الفلتان الأمني الذي شهده قطاع غزة قبل أحداث الرابع عشر من حزيران عام ٢٠٠٧ ، ووصل القتل العشوائي في شوارع القطاع على اللحية وعلى الهوية ، كما تسبب تردي الأوضاع الأمنية في إغلاق كل الشوارع والمحلات وتردي الحالة الاقتصادية.

وحسب إحصائية أعدتها الهيئة الفلسطينية المستقلة لحقوق المواطن ، فقد قُتِلَ نتيجة الفلتان الأمني خلال الفترة المتراوحة بين يناير ونوفمبر ٢٠٠٦ نحو ٣٢٢ فلسطينيًا منهم ٢٣٦ في قطاع غزة و٨٦ في الضفة الغربية .

وفي رام الله، أعلن الرئيس الفلسطيني عباس إقالة حكومة إسماعيل هنية ، وتشكيل حكومة جديدة في الضفة ، وقد رفضت حركة حماس على لسان الناطق باسمها تشكيل حكومة طوارئ واعتبرته «انقلابًا ضد الشرعية وتجاوزًا لكل القوانين الفلسطينية وقال إسماعيل هنية إن حكومته جاءت «بإرادة شعبية ديمقراطية»، وأنها «ستمارس عملها ولن تتخلى عن مسؤولياتها ، ووصف القرارات التي اتخذها الرئيس الفلسطيني بإقالته وإعلان حالة الطوارئ في الأراضي الفلسطينية بأنها «قرارات متسرعة»، وأكّد أن حركة حماس لا تعتزم إعلان دولة في قطاع غزة ، وأوضح أن «قطاع غزة جزء لا يتجزأ من الوطن الفلسطيني العزيز وشعبنا في القطاع جزء لا يتجزأ من شعبنا في كامل أماكن وجوده واستمرت الأمور بحكومتين واحدة في الضفة الغربية وأخرى في قطاع غزة لليوم

***

كان الدكتور راضي حانقا يتحدث مع أخته تمام في بيته التي اتفق معها أثناء العمل أن تتعشى معه لمناقشة موضوع الانفصال ، فلما انتقلوا لصالة البيت وبدأت تمام بالتدخين وقدمت القهوة قال وهو ينظر لأم أسامة : هل فعلا السبب في الرغبة بالطلاق الخلفة والذرية ؟

لم ترد بسرعة ، وبتمهل قالت ؛ كأنها آسفة ونادمة : يبدو أني تسرعت بقبول الزواج منه ..كان عليّ أن أطيل فترة الخطوبة .. تزوجنا سريعا يا راضي ..لا اعلم لماذا قبلت سريعا ؟!

فقال متهكما من تبريرها : وهل كنت ستكتشفين عيوبه لو طالت المدة ؟! فترة الخطوبة يا دكتورة لا تكشف الكثير من حياة وأسرار الخطيب.. هي فترة مبالغة في الحب والعواطف واللبس والأكل والهوايات والنفاق بصراحة .. والدكتور بلال بدأ لي رجل رزنين ومتزن وابن عائلة مثقفة محترمة ، لم يكّون علاقات وصداقات مع طبيبات وممرضات المستشفى ، حدثني عن رغبته بالزواج قبل عملك في المستشفى ، فهو باشر العمل قبلك بشهور ، كان يبحث عن امرأة محترمة بمعنى الكلمة ، ولما ذكرتك له رحب بذلك بحكم انه يعرفني وتعرف عليك

قالت سلمى : وأنت لم مستعجلة على الخلفة .. أأنت خائفة أن يتركك ؟ فلن يربط الأولاد الرجل اذا شاء الطلاق .. فكم رأينا من نساء ورجال يتطلقون وعندهم أبناء ؟

نظرت لزوجة أخيها وقالت بعبوس : أنت تظنين أني أريد الخلفة ليرتبط بي اكثر .. فرباط الزوجية اقوى من ذلك يا سلمى .. أنا احب أن أصير أما أنا صبرت سنتين وهو غير مبال برغبتي

فقال : الفطرة تطلب منا ذلك .. هو يرفض العجلة ؛ كما أحسست من الحوار معه أنه شعر أن زواجكما غير مستقر ؛ لعل تصرفات بدت منك دفعته لعدم العجلة

صاحت بحدة : ما هي هذه التصرفات ؟ أحدثك عنها ؟

ـ لم يتحدث عنها بصراحة .. فهمت ذلك من كلمات تخرج دون تروي منه .. ولا تنسي أن امك تسيء إليه بقصد أو غير قصد ؛ كأنه تزوجك رغما عن العائلة وغصبا عنك .. حتى في زيارة العيد تعامله بخسة ولؤم حتى أزواج أخواتك شكوا لي ذلك .

قالت : أمي اتخذت موقفا حادا بسبب حبها لأخيها الذي لا اعرف سبب هذا الحب الكبير له دون سائر الأخوة والأخوات .. لي أبناء خال وخالات كثر

قال محاولا التفسير : يبدو أن له علاقة مميزة معها قبل أن نخلق ، وخالي أبو جهاد يعزها ويفضلها على سائر الأخوة والأخوات .. وهذا يحدث والقرآن ذكر مثله يا سلمى في قصة يوسف بين الأب وابنه حتى دفعهم إلى السعي لقتله والتخلص منه

قالت سلمى : نعم قصة مليئة بالحكم والعظات والعبر

فقال ناصحا : أعطيه الطمأنينة في حياة البيت وقليلا من الصبر .. ولا تسمعي لتحريض أمنا فالحياة الزوجية امر مقدس وميثاق غليظ

صاحت محتجة : أمي لا تحرضني على الطلاق يا راضي ! ولا تتدخل في حياتنا .. والحب بين الناس ليس ملكنا هو بيد الله .. لم تحبه ! كيف نجبرها على النفاق له ؟ وأنا لو علمت بشكل جدي بأنها ترغب بتزويجي ابن أخيها ما قبلته كان مجرد ابن خال .. وكلام يقال ويهمس به

***

لم يتعرف احد من سكان وأهالي الشفا على الجثث الثلاث التي القيت من جهة البحر على ساحل صيد هود ، ورغم النشر في اغلب صحف البلاد لم يتقدم احد وعرف من هم ؟ فترجح لدى البوليس أن الجثث جاءت من بلاد أخرى قد جرفها التيار والعواصف البحرية والأغرب انهم قتلوا وجردوا من ثيابهم وأشياءهم ليصعب التعرف عليهم ، ورغم مضي شهور على الحادث لم يظهر من يعرفهم لذلك قررت شرطة هود بدفنهم في مقبرة المجاهيل ، وتم الدفن بإشراف البلدية والمحافظ وقيادة البوليس ، ورسمت على القبور الصور التي ظهرت على أكتافهم لظهور أهاليهم في قادم الأيام ، وظهر الكثير من الكلام في الصحف على تلك الصور وتعليقات جادة أو ساخرة ولم يستطع احد تفسير الحروف التي ظهرت على رأس الكلب الرسم المشترك على الجثث الثلاث .

فقال راضي لبلال : خلصنا من هذه الجثث الغريبة والمجهولة الهوية .

قال بلال بحيرة : من أين أتوا ؟ ولماذا لا يحملون هويات أو أي وثائق؟ أو حتى عملة ؟ كأنهم هبطوا من كوكب آخر .

ـ منذ ظهروا ونحن نعيش غموضا غريبا في هذه المشفى ، فكل من يتقدم لمشاهدة الجثث نقول ها اقترب الكشف عن هوياتهم .. فالذي قتلهم جردهم من كل شيء ..والتشريح يشير أنهم ضربوا بالرصاص أولا والغرق أفقدهم الحياة ، لا دليل على موتهم في البر

قال بلال مبديا رأيه : قد يكونون قتلوا على البر ثم قذفوا في الماء أو قتلوا على ظهر قارب أو سفينة ثم طرحوا في البحر ولما فقدوا الحياة جرفهم التيار لشاطئ هود .. بعد القتل سلبوا وثائقهم وفلوسهم ولو كان معهم عملة لربما عرفنا من أين جاءوا ؟ هل هم القتلى فقط ؟

ـ التشريح حدد أنهم ماتوا من أيام ؛ ربما اكثر من أسبوع عند ظهورهم على الشاطئ

ـ لعلنا انتهينا من حكايتهم

قال راضي مغيرا موضوع الجثث الغامضة : متى ستتصالح مع تمام ؟

ـ يا صديقي الفاضل .. هي التي هجرت البيت وليس أنا .. أنا تزوجتها عن رضى وقبول ؛ كما تعلم .. وكان ذلك على يدك يا أبا أسامة والبيت مفتوح وقتما تشاء .. لا اعلم لماذا أخذت إجازة وعادت للشفا ؟ أنا جاهز للإتيان بها من عند أمكم .

قال بضيق وألم : أنا تحدثت معها وظلت مصرة على الرغبة بالحمل ، وعليك أن تعمل فحصا في المستشفى حتى تتأكد أنك قادر على الإخصاب .. فهي تدعي أنك تجلب تقارير مزورة

قال متساهلا : اذا كان هذا الحل يرضيها نعمل فحصا في مختبر البركة ولا يهمك يا دكتور راضي

عانق راضي بلالا وقال بفرح وسعادة : أصيل أصيل يا أبا شريف .. إن شاء الله نفرح بشريف بلال .. بارك الله فيك خير البر عاجله

تقدم بلال بعد أيام بعمل فحص للحيوانات المنوية وقدرتها للإخصاب ؛ لأنه يقال يحتاج الأخصاب لعدد كبير من الحيوانات المنوية لنجاح الإخصاب للبويضة ، وتحدث راضي مع أخته بعمل بلال للفحص في مختبر البركة ، وبين لها أن النتائج جيدة ، وهناك امل كبير بحدوث العمل فردت بجفاء : لم يعد هو الرجل المناسب للعيش معه لي شهر في بيت أمك .

ـ حسن ! لماذا ترغبين بالطلاق يا بنت الناس ؟

ـ لم اعد احبه .. أمي تشدد عليّ بتركه والخلاص منه

فقال : اخشى أن يكون الحمل القشرة لطلب الطلاق ..ولماذا امك تحب طلاقك؟ لا ادري ما فعل لها بلال روح الفضل ؟ ما هو منذ توظف وهو يعمل في هود .

ـ اسمع منها .. أنا مللت منه وهو رجل بارد غير مبالي بالحياة الزوجية

ـ ولماذا اسمع منها ؟ المهم أن اسمع منك .. ألزمته بعمل التحليل عندنا حتى لا تظلي تقولين يزور التقارير .. هناك امر غامض بينكما لم يكشف عنه !

***

تضايق راضي من تصرفات أخته وعدم قبولها شفاعته بالعودة لزوجها ، ولما التقى ببلال أثناء العمل قال له : أنا في حيرة من تصرفات تمام .. تقول لي اسمع من أمك !

قال بلال : اسمع من أمك ! حتى لو كانت أمك لا ترتاح لي فما دخلها يا راضي؟ .. لم ترفض أختك الزواج مني لما كشفت أمك امر ابن خالك قبلت بدون تردد ..بل كانت تسمع تلميحات امك عن رغبتها بتزويجها لجهاد وكانت ترفض التفكير فيه بشكل جدي كما سمعت ذلك منها مرارا .

ـ سأذهب وإياك عصرا للشفا ، واسمع أنا وأنت من أمي وقد قبلت ذلك على التلفون .. أنا يا صديقي ارغب بعودة الأمور إلى الطريق المستقيم.. أنا آسف عن عجزي معها .. النساء عنيدات عندما يركبهن الشيطان .. ربما هنّ الشيطان .

قال بلال بتردد : لا ادري ! هل سمعت بأنها طلبت النقل من هنا ؟

قال بدهشة حقيقية : ماذا ؟! هل حصل ذلك حقا ؟!

قال موضحا الخبر : زميل في الإدارة اتصل بي مستفسرا عن سبب رغبتي بالانتقال إلى مستشفيات الشفا فقلت له لم افكر بالنقل بعد فقال : كانت زوجتك تطلب نقل .. فهل ستنتقل وحدها ؟

قال بامتعاض : لم تخبرني اللعينة بذلك .. هذا لا يبشر بخير .. لابد أن هناك شيئا اكبر بينكما يا بلال !

ـ ها أنت ترى أنني مسالم لا ارغب بتخريب بيتي ..وطاوعتك في الفحص لصداقتي الكبيرة لك .. اليوم سنسافر للعاصمة

قال راضي بعضب : غدا حتى تهدأ أعصابي .. هناك امر كبير يا بلال ليتك تصارحني

ـ بماذا أصارحك ؟ البنت قبلت بي لما عرضتني عليها ، واحتفلنا في بيتك بالقبول وكانت سعيدة وأبدت امتنانها لك .. وأهلي لا يتدخلون بحياتي كما تعلم .. وزياراتنا للمدينة قليلة إلا اذا اضطررنا لذلك أو زيارة مناسبات اجتماعية أو عيادة مريض .

قال مستسلما للحيرة : نعم ، أنت إنسان جيد ! وأنا سعدت بزواجك من أختي وفرحت لها

ـ أشكرك ، غدا ننزل وقد أسبقك لزيارة الوالدين ، ولما تجلس مع أمك وترى الجو مناسبا اتصل

بي لنلتقي ببيت والدك المرحوم .

ـ لا بأس

بعد ظهر اليوم التالي ركب بلال سيارته نحو مدينة الشفا ، وزار بيت والديه ووجد أمه وحدها فقال : أبي لم يعود بعد !

ـ سيأتي بعد قليل ، وسيأتي ياسر وزوجته للعشاء والسهر .. متى ستذهب لبيت حماتك ؟

ـ عندما يتصل راضي المسكين

***

بلال وسعاد

تناول بلال العشاء مع والديه وأسرة أخيه ياسر في بيت وفيلا يونس عبد الله ، وحضرت العشاء أيضا شقيقة يونس الطبيبة أمينة عبد الله ، وابنتها البكر الطبية سعاد وأخصائية طب أطفال منذ عهد قريب ، وتعمل حاليا مع خالها وزوجته في مستشفى الرازي ، والرازي هو احد اشهر أطباء المسلمين القدامى ، وحين انتهى العشاء عادوا للترحيب ببعضهم ويقدمون الشكر للوالدين أصحاب الفيلا ، وكانت أمينة الله تقول لبلال : هل ما زالت زوجتك عند أمها ؟ ألا ترغب بالعودة ؟ حسب ما سمعت من أبيك لها شهر هاجرتك ؟ ماذا تريد منك ؟

قالت خلود قبل جواب بلال : حضر اليوم سعيا وراء عودتها والصلح .. وها هو ينتظر اتصالا من شقيقها الذي ورطه معها ليتصالحا

قال ياسر : إنها تسعى للانتقال إلى هنا

فقال يونس مضيفا : هذه إشارة أنها مصممة على الطلاق يا بلال !

قال ياسر ثانية قبل رد بلال : تحدثت مع أخيها ميلاد حول الموضوع فبيننا معرفة بسيطة فقال بصراحة يا ياسر البنت تسمع كلام أمها اليوم اكثر من زمان ، وهي قبلت بشقيقك خجلا من راضي أخينا الأكبر ، وهو كبير الأسرة بعد وفاة أبي ، ولعدم رغبتها بالزواج من ابن خالنا وهناك امر آخر سأكشفه لك حتى لا تفاجأوا بحصول الطلاق وليس كرها بأختي .. هي أختي

مهما قلت في حقها .

قالت والدته بذعر وقلق : امر آخر !

قال ياسر ملتفا لبلال : اعتقد أن بلالا يعرفه ويكتمه ، وهو أن لها صديقا من أيام الجامعة كان راغبا بالزواج منها ؛ ولكن زواجها السريع من بلال افسد المشروع ، وعلم السيد ميلاد أن صدقاتهما تجددت من سنة تقريبا فهو يعرف صديقها أيام الكلية ؛ لأنه رآهما في مطعم يأكلان ولما اقترب منهما ليسلم عليهما عرفه فورا وتذكره ، فقال لي نظرت إليها وقلت مغتاظا طبعا : أليس هذا مرادا صديق الكلية يا تمام ؟ فادركت أن صداقتهما تجددت فالأفضل لشقيقك أن ينفصلا بكل هدوء

قالت الحاجة أمينة بانفعال وإعجاب من شجاعة ميلاد : والله هذا أخ صادق يا بلال ! .. أعرفت شيئا وتكتمه ؟

ضحك بلال وذكر لهم بكل صراحة : نعم ، عرفت بعودة العلاقة القديمة بينهما ؛ ولكن هذا لا يدفعني لاتهامها بالخيانة الزوجية ، فالتسرع في مثل هذا القضايا غير محمود ، فتوظف طبيب في البركة درس معها الجامعة كلية الطب ، ولما علم بزواجها مني استغرب وذكر لي دون وجود راضي بقصتها مع مراد وظن بأنهما سيتزوجان كما قيل في الجامعة ؛ وتفاجأ جدا بزواجها مني ، وذكرت له قصتي معها فقال محذرا : انتبه كانت علاقاتهما قوية في ساحات الكلية ولست أدري كيف قبلت بك فقد انتشر غرامهما بقوة بين الزملاء ؟!.. وبعد فترة لاحظت كثرة الاتصالات الخلوية بينهما ، وادركت أنها تزوجت مني ؛ لكي لا تتزوج جهادا ابن خالها ، ومراد هذا من مدينة الهدهد على ما سمعت منه إن لم انس ، فكلام ياسر صحيح .. والأعجب صراحة ميلاد معك ! أنا عجبت من بغض أمها لي وعرفت السبب فيما بعد ؛ لأنني تزوجتها دون رغبة منها وتزوجتها بترتيب من الشقيق الأكبر زميل القسم ، واعتقد أن الدكتور راضي لا يعرف بحكاية مراد ، لأنه منذ توظف بعد الجامعة وهو يشتغل بهود ، وبينه وبين أخته سنوات عديدة ، فوليها هو راضي بحكم وفاة أبيها احمد .. أنا مدرك أن الطلاق سيحصل اليوم أو غد ؛ لكن لصداقتي

لراضي أحببت أن تبدأ هي حتى لا أتكلف مالا كثيرا عند الطلاق ؛ لأنها لا تستحقه .. ها هو اقترب نصف الليل ولم يتصل راضي الذي ذهب للتفاهم معها ومع أمه

قال ياسر : اتصل به

نهض بلال ودخل مكتب والده واجرى الاتصال ولما عاد وقال : انتهى ما بيني وبين تمام نصحني بإحداث الطلاق ، فلا هي ولا أمها ترغبان ببقاء عقد الزواج ، ولم تنجح مساعيه بردع الصدع وأنها ستتنازل عن مؤخر العقد ، ولا تريد شيئا من أثاث البيت .. أرأيتم ؟!

فقالت أمينة بدون تمهيد كما يقال وكأنها حضرت العشاء لهذه الغاية : هذه ابنتي دكتورة مثلك تزوجها .

دهش السامعون فقالت الفتاة بحياء : أمي وهل أنا ابحث عن زوج ؟!

فقالت أمها بحزم : أنت أرملة مثل أمك ؛ ولكنك صغيرة ولم تنجبي بعد .. فلماذا لا يتزوجان يا يونس ؟!

ضحك يونس : هذا الأمر يرجع له يا أمينة .

قالت خلود : الدكتورة سعاد نعم الزوجة .. ولم تأخذ حظها من الزواج كم شهر عشت مع تركي ؟

قالت أمها : اقل من سنة .. مرض فجأة كما يقال ، ثم توفاه الله حتى المسكين لم يخلف .. فكر بابنة عمتك يا دكتور بلال .

قال ياسر مبهورا : والله يا عمتي أنك جريئة ! نيابة عن بلال سيفكر لما ينته من السيدة تمام

قالت أمينة : لم نسمع كلمة من بلال

ضحك بلال وقال كأنه مواسيا نفسه : لست حزينا على خسارتي لتمام ، لم تكن الحياة طيبة معها كان عليّ أن اصبر يا أم سارية لنصل إلى المحطة الأخيرة .. فقد أكرمني الزميل راضي بتزويجي من شقيقته ؛ فكان عليّ أن اصبر حتى النهاية .. والحمد لله على كل حال .. وأنا أشكرك يا عمتي من قلبي على هذه العرض .. لا تظنوا انني حزين متيم بحبها ، ولكني اعجب من قبولها

لي دون تردد لما عرضني شقيقها عليها ، وقضينا بضعة اشهر شبه مخطوبين ونعمل في مكان واحد .. ولكن كما ذكر ياسر لابد أن العاشق الولهان جدد اتصالاته بها وحنت لأيام الكلية ، فجعلت تأخير الحمل عذرا لبدء النزاع .. والتفت لابنة عمته قائلا : وفعلا سأفكر بك يا دكتورة أنت كنت متزوجة لما تزوجت تمام

قالت الدكتورة : شكرا كنت كما قلت شبه مخطوبة ، نحن حضرنا للعشاء بصحبتكم ، فقد تحدثت والدتك الكريمة مع أمي ومعي فكان عليّ أن ألبي الدعوة شكرا امرأة خالي والشكر للجميع .

***

تم ترتيب الطلاق بكل هدوء بين الزوجين بلال وتمام ، ورجع بلال وراضي لمدينة هود على أن يبقيا صديقين ؛ كأن لم تكن هناك مشكلة بينهما ؛ بل تلقى بلال اعتذارات من مدير قسم الجراحة العامة لفشله في صدع الأمر ، ثم باشر الشاب بشراء الشقة من تيتي ابن خاله ، وطلب من شقيقه ياسر بالإشراف على طلائها وصيانتها لبعده عن الشفا ، ولما انتهى الأمر طلب الانتقال لاحد مشافي مدينة الشفاء ، وخلال شهر تم نقله بشفاعة وتدخل من والده يونس لعلاقته بوزارة الصحة بحكم امتلاكه شركة في مستشفى خاص ، واستقر في مشفى لإكمال اختصاص الجراحة العامة في العاصمة ، ولما نقل أثاث شقة هود ودع زملاء مشفى البركة ، واستقر في شقته الجديدة ، وخلال هذه الفترة أخذ يتردد على فيلا عمته أمينة ليجلس مع الدكتورة سعاد صلاح الدين ، وقد ادرك أن هذا الترتيب كان من أمه لما ادركت فشل زواجه من تمام وان البنت نفضت يدها من الزواج نتيجة حديث هاتفي جرى بينهما ، وقبل مضي بضعة شهور على الطلاق حدث الاقتران ، وكانت سعاد تعمل في مستشفى الرازي مع والدته في قسم الأطفال .

***

كانت يسرا يونس تجلس في بيت بلال تبارك له بالزواج ، وتقدم لكل واحد منهما هدية بتلك المناسبة ، وكانت خادمة الدكتور هي نفس خادمة هود ، وقد قبلت بالسكن والعيش والرحيل

معه تقدم لهما الضيافة من فواكه وشاي ، وأشعلت يسرا سيجارة وقالت : أتمنى لكما الخير والسعادة كيف وجدت ابن خالك يا دكتورة ؟

ضحكت سعاد وقالت : ماذا تريدين أن أقول عن ابن خالي ؟ هو ابن خالي .. سمعت من أم ياسين أنك ستسافرين إلى لبنان .. هل ستتركين العمل مع أخوالك ؟

فقال بلال منتبها للسؤال : فعلا سمعنا ذلك الكلام من أمي .. هو في هناك شغل ؟ لبنان بلد مسكين اكثر من عقد حروبه الأهلية ، والاحتلال الصهيوني لسنوات طوال ، وقبل سنتين حرب تموز كما يقال في الجرائد والأخبار .

قالت : الشغل يا عريس في كل مكان .. حتى أثناء الحرب لا يتوقف الشغل بشكل كامل .. نحن اقصد أخوالي لهم شركات في بيروت ولديهم استثمار جيد فيها وفي مصر وليبيا ، ولنا أقارب فيها يعملون فيها أيضا .. فلابي أخوة في لبنان يعيشون في صور وبعض أبنائهم يعملون معنا في بيروت .. فلك أعمام ثلاثة هناك يا عم بلبل .. وعائلة روح الفضل أو فضل الله الكبيرة لها عائلات هناك .. وأعمامك الثلاثة هم أخوال زوجتك الأميرة .

ـ اسمع بهم ، ولا اذكر انهم جاءوا هنا إلا عندما كنا صغارا .. لم يتيسر لي السفر لصور أو حتى بيروت .. هل زرت لبنان يا سعاد ؟

قالت سعاد : حصل قديما قبل الجامعة كان الوالدان يذهبان للمشاركة في مناسبات اجتماعية فلابي شقيقة متزوجة من أبناء العائلة .. كثيرا ما زارتنا أيام مرض والدي رحمه الله

قالت يسرا : لقد قابلتها كذا مرة في بيت الوالد .. لكنها منذ مات أبوك لم تحضر .

قالت سعاد : صحيح وهي طبيبة مثلنا وخالي إحسان طبيب وزوجته .

قالت يسرا : قديما كانوا يأتون كما تقول أم ياسين ، وأبي كذا مرة زارهم ، فامرأة أبيه تعيش معهم ، وما زالت حية حسب معلوماتي .

قالت الدكتورة : نعم أمي أيضا حدثتنا عنهم وهم يعملون بالتجارة كمثل جدنا عبد الله ـ رحمه الله ـ حتى أن جذورهم الأولى من شمال أفريقيا كما نسمع

قال بلال : كثير من قبائل العرب عاشت في بلدان أفريقيا بسبب الفتوحات العربية والإسلامية أيام الصحابة وبني أمية ، والأصل كله من اليمن وجزيرة العرب ، كانت القبائل تغزو وترجع للشام والعراق .. هذا الكلام وغيره سمعته من ياسمين ثم قال : ماذا ستعلمين هناك ؟

ـ إدارة قسم المحاسبة كما افعل هنا عمل مؤقت .. يبدو أن هناك اختلاسات غير واضحة وأبناء حسن وحسين لم يكتشفوها واي قسم هو مصدر الاختلاسات

قالت سعاد : شغل مؤقت إذن

ـ حسب الجو والراحة وحسب معرفة المشكلة وما تستغرق من وقت لمعرفة موقع الاختلاس قد يطول المكث وقد يقصر اذا كشفت النقص والخطأ وأعود .

حضرت سيارة الطعام وقامت الخادمة بإدخال المواد من عمال المطعم ، ولما جهزت المائدة جلسوا حولها قالت يسرا : بسم الله .. كنت أظن أن ياسمين ستحضر كما اتفقنا

قالت سعاد : اعتذرت لأخذ ميادة للعيادة قد ارتفعت حرارتها فجأة

قال بلال : قلت لها دعيني افحصها فقالت يا دكتور أنت دكتور جراحة وأمي طبيبة أطفال فقلت فسعاد دكتورة أطفال فضحكت وقالت : حجزت عند أمي

قالت سعاد : وحدك ستسافرين من الشركة

ـ في البداية وحدي واذا اكتشفت شيئا سيلحق بي فريق من المحاسبين

كانت أسرة خلود من الأسر الثرية في مدينة الشفا وبينها وبين يونس قرابة وكلاهما من عائلة روح الفضل الاسم المشهور ، وبعضهم ينادى بفضل الله ، وكان الآباء والأجداد يعملون في التجارة والاستيراد منذ سكنوا البلاد ؛ فلذلك لم انتقل يونس للشفا للدارسة كان له أقارب من العائلة فزوجوه خلود وتزوجت أخته أمينة منهم للاستقرار بين أقاربهم للابد حتى ترجع يافا في يوم من الأيام ، فأملاك الأسرة كثيرة في يافا وعموم فلسطين ؛ لذلك لما استشعر عبد الله روح الفضل الخطر الصهيوني أيام الإنجليز نقل بعض أعماله وأمواله جهة الضفة الغربية والشرقية ولبنان وغزة ؛ لذلك لما حدثت النكبة الفلسطينية الشهيرة ، لم يترك في يافا إلا العقارات والدور

، ولم يكن بحاجة لأموال وعطف وكالة الغوث ، فهو لا يحمل وصف لاجئ ، وتعتبر هي التي ساعدت في استقرار الشعب المشرد في الشتات الفلسطيني على الرغم من حاجة الناس للمساعدة بسبب فقدان أملاكهم وقراهم ومدنهم من العدوان الظالم والتطهير العرقي الذي اتبع بحقهم ، وتشتت الشعب في البلدان المجاورة لفلسطين ، فكان لوالد السيدة خلود وإخوتها مشاريع في الشفا والبلدان المجاورة ، فكل الدول تحتاج للاستثمار فما بالك بالدول العربية التي خرجت من ربقة الاستعمار والحروب المتتابعة والانقلابات الثورية ؛ كما حدث في مصر والعراق وسوريا واليمن وليبيا ، وكذلك الصراع المستمر على السلطة بين نفس الفريق الثوري ، وذا يطهر وذا ينقلب ، وكان السيد هيثم شقيق خلود زمن هذه الرواية هو الرجل الأول في إدارة مشاريع أسرته سواء في الشفاء أو غيرها ؛ فكانت شركاتهم تستثمر بعضا من أموال العائلة في بيروت ، فيملكون مجموعة من الفنادق مع شركاء لبنانيين ، ولهم شراكة في العقارات والصحافة والتجارة العامة ، فبيروت كانت قلب الصحف في الشرق الأوسط ، كما أنها وكر لجواسيس العالم ، ولهم كذلك استثمارات مستقلة ، فهذه التي حدثت فيها اختلاسات كما ذكرت يسرا يونس فطلب منها خالها الهيثم السفر ومراجعة الدفاتر والحسابات فهي تحمل شهادة دكتوراه في المحاسبة ، ولمحنا أنها عزباء بسبب حادث جرى لها أثناء بكالوريوس المحاسبة باغتيال صديقها بعد معرفة لم تمتد لسنة .

***

حرب فلسطين ممتدة من ستين سنة ومن قبل منذ الاستعمار الإنجليزي لفلسطين ، تقف وتشتعل حتى يقضي الله أمرا كان مقدورا ، شعب تعود الموت العنيف سواء في الشتات أو ارض بيت المقدس وأكناف بيت المقدس ، بلاد رويت بدم المناضلين من شتى الفصائل ، في منتصف شهر يناير ٢٠٠٨ مطلع العام الجديد وحين تغلبت المقاومة الإسلامية الفلسطينية على القطاع الغزي ارتفعت نسبة القتال ، وإسرائيل صنيعة الاستعمار ومخلبه لا تستطيع الحياة بدون حرب ومعارك والا فقدت أهميتها الاستعمارية ، تأمل في تاريخها الدموي منذ أن أعلنت دولة ، تبدأ إسرائيل عملية توغل كبرى في مدينة غزة ، فتقتل ١٣ عضواً من حركة حماس ، وبعد هذا التوغل تحتدم المواجهات ما بين الجيش الإسرائيلي والمقاتلين الأبطال في غزة ، ورداً على الهجوم على مدينة غزة في ١٥ كانون الثاني ، تنهي حماس والقسام والفصائل قرار تعليق إطلاق الصواريخ الذي تفرضه على نفسها منذ سيطرتها على غزة في حزيران/ يونيو ٢٠٠٧، وتطلق بالاشتراك مع تنظيمات أخرى أكثر من ١٢٠ صاروخاً خلال ١٥-١٧ كانون الثاني ، فتصعّد إسرائيل بدورها، وتقرّر إغلاق جميع معابر غزة (بما في ذلك وقف عمليات تسليم المساعدات الإنسانية) وفي ٢٢ كانون الثاني تتراجع إسرائيل عن قرارها ويتم رفع الحظر التام عن الواردات إلى غزة (الوقود، الغذاء، الدواء) الذي يهدّد حياة المدنيين ، وذلك بشكل محدود جداً نتيجة الضجة العالمية حوله.

وفي نفس الشهر كانون الثاني انعقد في دمشق ٢٣كانون الثاني ٢٠٠٨ - ٢٥ كانون الثاني ٢٠٠٨ "المؤتمر الوطني الفلسطيني " بمشاركة ممثلي ثمانية فصائل جهادية فلسطينية حركة حماس وحركة الجهاد الإسلامي ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة ، منظمة الصاعقة ، حركة فتح الانتفاضة المنشقة عن حركة فتح الأم عام ١٩٨٣ ، جبهة النضال الشعبي الفلسطيني ، جبهة التحرير الفلسطينية ، الحزب الشيوعي الفلسطيني الثوري وحضور مئات الشخصيات يمثلون مؤسسات أهلية فلسطينية وعربية.. وكلهم ظاهريا يعارض سلطة أوسلو

في رام الله منذ ١٩٩٣ .

اصدر معارضو سلطة أوسلو في ختام المؤتمر بياناً يتضمن : فلسطين التاريخية حق الشعب الفلسطيني ؛ حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولة مستقلة عاصمتها القدس ؛ العودة حق طبيعي للاجئين منذ ستين سنة مضت ، مقاومة الاحتلال بكل الوسائل حق مشروع بما فيها الكفاح المسلح ؛ رفض سياسة "فريق أوسلو" ضد المقاومة ؛ احترام إرادة الشعب بما أفرزته نتائج الانتخابات سنة ٢٠٠٦؛ ضرورة أن تحتكم حركتا حماس وفتح لغة الحوار على أساس اتفاق القاهرة (مارس ٢٠٠٥) واتفاق مكة (فبراير ٢٠٠٧)؛ مطالبة مصر بكسر الحصار المفروض على قطاع غزة.

***

مجموعة الشركات العاملة للمهندس الهيثم روح الفضل في بيروت كانت تستورد الكثير من البضاعة نحو السيارات الصغيرة والقوارب للصيد ، سيارات التحميل الصغيرة للبضائع ، العدد للبناء ومواد الإنشاء والكهرباء والصرف الصحي والتمديدات الصحية ، وكانت تسمى مجموعة الشمس للمواد العامة ، وكانت لديهم شركة خاصة أخرى مستقلة عن مجموعة الشمس لاستيراد الملابس والأغطية ، ولديهم شاحنات كبرى لنقل البضائع بين بعض البلدان حول الشفا أو داخل بلاد الشفا كلها ، وهذه الشركة أيضا مستقلة الإدارة عن شركات الهيثم الأخرى .

كان في استقبال الدكتورة المالية يسرا في مطار بيروت فتاتان وشاب من أبناء عمومتها ، وهي على معرفة شخصية بهم الثلاثة بحكم زيارتهم للشفا للقاء خالها حيث يعملون في شركات يملكها هو وإخوته منذ زمن والده ، وزيارة والديها فهم أقارب وأبناء عمومة ، فأولاد جدها عبد الله بحكم أحداث فلسطين المؤلمة وقبل أحداث فلسطين تفرقوا في مناطق مختلفة فبعضهم استقر في الشفا وآخرون في غزة ، وآخرون في صور وعمتها فاطمة تزوجت في القدس .

قاد الشبان قريبتهم وابنة عمهم يونس إلى احد فنادق خالها الهيثم في بيروت ، فهو له شراكة مع

ثلاث فنادق بيروتية ، وشاركوها العشاء ووعدتها صفية حسن وجميلة حسين بالمرور عليها صباحا لأخذها لدائرة المحاسبة في الشركة العامة مجموعة الشمس ، وكان قد انتشر خبر قدومها إلى الشركة قبل الحضور شخصيا لمراجعة دفاتر المحاسبة بالمجموعة ، وهذا الأمر متكرر ليس جديدا ، فكلما يكتشف خطأ مالي يرسل الهيثم محاسبا أو اكثر لتدقيق السجلات .

استقبل مدير الشركة مجموعة الشمس الدكتورة في مكتبه صباح اليوم التالي وشاركها التدخين وفنجان القهوة مع الترحيب ثم قال : يا أستاذة يسرا اكتشفنا خللا في الدفاتر القانونية للمحاسبة فكان لابد من اطلاع الدكتور الهيثم المدير العام على ذلك قبل الجرد السنوي الكامل

ـ هل حددت أين وقعت الاختلاسات المالية ؟

ـ بالضبط نجهل أين ؟ هذا مهمتك يا دكتورة أن تعرفين أين الخلل المالي ؟ .. لما اطلعت على التقرير الشهري استعدادا للجرد وإنشاء موازنة العام لتبيان قيمة الضريبة المستحقة لاحظت فرقا في الإدخال والإخراج ، فلم استطع التغاضي عن الفرق وراجعت دفاتر اليوميات والفواتير لا يوجد هذا الفرق . .فكلمت المهندس فقال سأرسل محاسبا كالعادة واذا احتاج الأمر اكثر من واحد سأرسل مجموعة .

قالت وهي تهز رأسها بالفهم والقصد : حسنا ! سأبذل جهدي في معرفة أين الاختلاسات ؟ هل طلبت من دائرة المحاسبة حسن التعاون وإظهار كل السجلات التي يتطلبها التدقيق المالي والمحاسبي ؟

ـ سيأتي مدير دائرة المحاسبة بعد قليل للترحيب والتفاهم على خطة العمل بينكم

ـ ألم تخمن أين ربما يكثر الفساد ؟

ـ مبيع السيارات لم اكتشف شيئا ، لعل الخلل في مبيعات الكهرباء مواد الكهرباء مثل أسلاك التمديدات الكهربائية مثل المفاتيح والقواطع والأباريز المقابس سرقتها اسهل من السيارات وكذلك مواد الطلاء فهناك كما تعلمين طلاء الجدران والمنازل مواد طلاء السيارات

***

قضت ليلتها الأولى بعد الرجوع من الشركة في فندق شهير على شاطئ بيروت ، وسهرت معها بنات أعمامها حسن وحسين صفية وجميلة ، وتلقت اتصالات من أعمامها الثلاثة وكلهم دعاها لزيارة صور حيث ينشطون في أعمالهم هناك ، فعمها حسن اصغر من والدها بسنوات وكلهم رحل مع أمهم ووالدهم وإخوته إلى لبنان بحكم أن أمهم من أصول لبنانية قبل زواجها من عبد الله روح الفضل ، فهي تحمل جنسية لبنان وتزوجها عبد الله روح الفضل بعد نكبة فلسطين أثناء عيشه في رام الله وقبل احتلال رام الله رحل للبنان بزوجته حليمة وأولاده الستة ، سكن والدها وجدها يافا أيام الدولة العثمانية ولما سقطت الدولة في الحرب الأولى انتقلوا للضفة الغربية ولما أعلنت الوحدة بين الضفتين سافروا للبنان موطنهم القديم في صور ؛ حيث لهم أقارب من عشيرة روح الفضل ، فكان الانتقال في أراضي الدولة العثمانية سهلا وميسورا بحكم رحلة الحج أو التجارة أو الخدمة في الجيش العثماني أو الإدارة العثمانية بحكم اللغة العربية ، ثم صاهر عبد الله روح الفضل الأسرة بحكم المعرفة اليافوية ومصاهرات متكررة وبعد حين في الستينات توفي زوجها عبد الله في صور واستقرت بأولادها الأربعة في لبنان للعيش مع الأهل ولم ترجع للضفة ولا زوجها عبد الله حيث توفي في صور ودفن فيها ، ولما كبر الأولاد وتعلموا كغيرهم ، منهم عمل في التجارة كحسن وحسين ولهم مزارع في اطراف صور الشرقية ، وفاطمة تزوجت قريب لأبيها يعيش في مدينة القدس الإسلامية ، وأما حسان ويقال أحيانا إحسان فكان طبيبا درس في الجامعة الأمريكية ببيروت ، واشتغل فترة وسافر أوروبا لدراسة الاختصاص بجراحة الأعصاب ، ثم عاد للبنان من المانيا عند أخوته بصور وقد تزوج فتاة المانية التقى بها أثناء الاختصاص طبيبة مثله ، وله مستشفى صغير في ضواحي صور مثل شقيقه يونس في الشفا يعمل به هو وزوجته الألمانية .

وعدت يسرا أعمامها بزيارة اليهم لما تنته من شغلها ومهمتها المالية ، وقبل العودة للشفا ، واستمرت في مراجعة الدفاتر المالية والأوراق مدة عشر أيام ، ووفر لها مدير المجموعة كل ما يلزم وتعاونت معها ابنتي عمها طوال هذه الفترة ، وكان المهندس عبد الله حسن يساعدهم في

بعض الأحيان وابدى إعجابه بيسرا ولمح برغبته بالاقتران بها لأخته وابنة عمه وليسرا نفسها حتى أنها قالت : لما نكمل المهمة نتحدث في الأمور الشخصية والخاصة ، وتبين أن الاختلاس كان يحدث في قسم بيع قطع السيارات كثيرا دون الأقسام الأخرى ، وتبين أن السبب الحقيقي للفروق بين المستورد والصادر المباع الإهمال في التسجيل ولم يكن القصد السرقة والاختلاس وتمت إعادة التدقيق في سجلات قسم قطع السيارات واكسسوارتها فقد بيعت الكثير من البضاعة بدون وثائق بيع للتهرب من الضريبة ، فرفضت الإدارة هذا التصرف المسيء للشركة وسمعتها بالتهرب الضريبي لكسب بضع آلاف من الدولارات .

واحتفل المدير العام بانتهاء المراجعة واكد للعاملين بصدق التعامل مع المبيعات ولا داعي لفعل ذلك من اجل بضعة آلاف من الضرائب ، وكان المهندس عبد الله حسن يجلس مع يسرا في كازينو ترفيهي وهو يقول : لقد أحسنت بإعادة الوئام للشركة .. ومتى سنذهب لصور فالكل ينتظر ؟

ـ متى تحب ؟

ـ أنا جاهز .. سأقوم بتوصيلك وقضاء ليلة وأعود .

ـ حضر الطعام

وضع النادل المشويات فقالت : أتشرب يا عبد الله ؟ اذا كنت تشرب فاطلب لا تخجل مني .. لي أصدقاء وصديقات يشربون بوجودي .

ضحك بصوت عال إلى حد ما وقال : أنا لا اشرب ، ليس كل من يعيش في بيروت يسكر ويزني يا دكتورة .. إنما الفرصة متاحة لكثرة الطوائف والأغراب .. أتشربين أنت ؟

ضحكت مثله وقالت : أنا مثلك لا اشرب يا صديقي رغم حضوري الحفلات والسهرات أنت لم تتزوج كما فهمت منك ؟

ـ فكرت مرة ثم تراجعت

ـ فكرت مرة ثم تراجعت كيف ولماذا تراجعت ؟!

ـ تعرفت على فتاة تعمل معنا ؛ لعلك التقيت بها أثناء التدقيق إنها السيدة ليلى منير ولما عرفت أن ابن عم لها طلب يدها اعتذرت لها رغم اختيارها لي .. وتعلقي بها فترة

قالت : ولم تفكر بغيرها !

ـ لم يحدث النصيب بعد ..أأنت متزوجة ؟ فهمت من صفية انك لم تتزوجي لليوم مع انك اكبر مني كما قيل لي ؟

أجابت بابتسامة لم يفهما جيدا : لا .. رفضت كل من لمح أو تقدم

ضحك باسما وقال : هناك حكاية يبدو يا دكتورة

ـ السبب حكاية أيام الجامعة .. كم عمرك ؟

ـ لم ابلغ الثلاثين بعد بالضبط ٢٨ .. ها هي صفية قادمة

ـ وبدون جميلة

وضح فقال : زوجها لا يحب لها السهر في مثل هذه الأماكن

ـ معقول

ـ هل التقيت به ؟

ـ حصل في الفندق حيث أنام

سلمت وصافحت صفية على شقيقها وابنة عمها وقالت : جميلة اعتذرت بحكم المكان كما تعلم يا عبد الله !

وفسرت لابنة عمها : زوجها متدين اكثر من اللازم

قالت : اعرف ذلك من زوجها حيث رافقها عدة مرات للفندق يسلم ثم يجلس في صالة الفندق بعيدا عنا يراقبنا .. هل هو قريب لكم ؟

قالت صفية : هو مهندس كما أخبرناك ومثل عبود ، والده صديق عمي حسين من زمن بعيد اصله من صور هو لبناني اصلي ليس مثلنا

قال موجها الكلام لصفية : يسرا لا تشرب يا صفية ظننت أنها تسكر

ـ عرفت ذلك منها ؛ لأنني لم الحظ ذلك عند مجالستها عدة مرات في الفندق ، وهي عزباء مثلك لماذا لا تتزوجها يا عبد الله ؟

ضحكوا وقال : لا ترغب بالزواج عندها عقدة من الرجال كما لمحت !

ضحكت يسرا : سنتناول العصير .. وليست لديّ عقدة من الرجال .. لي أصدقاء في الشفا والعمل مع الرجال . ولما طلبت العصير والحلوى قصت عليهم قصة صديقها في الجامعة وحادث اغتياله

صفية : يا الهي ؟! كثير من شباب الجامعة يحبون ثم ينتقلون لأخرى ؛ كذلك البنات

قال : يبدو انه نال منها بوعده لها بالزواج ، ثم انقلب عليها فحقدت عليه

قالت باسمة :أحسنت ! هكذا قيل ؛ وربما هناك أمور أخرى لم اعرفها ، لقد ثبت أثناء المحكمة أنها لم تكن عذراء أو بكرا كما يقال ، ولم يثبت انه أول من نام معها مثل الأزواج .

قالت صفية معلقة : وهذا سبب لك عدم الزواج .. ابن عمك شاب ممتاز وهو منذ لم يوفق بالزواج من ليلى منير زميلتنا في المجموعة بسبب ابن عمها أو قريب لها هجر الزواج ولكنه اهتم بك صراحة .. من الأكبر فيكما ؟

قالت يسرا بابتسامة : أنا اكبر منه بسنة ونصف

قالت فرحا : ليس الفرق كبيرا يا عبد الله !

قال بشجاعة : هل ترغبين بالزواج يا سيدتي ؟

قهقهت يسرا وغمزت : لليوم لم التقِ بفارس الأحلام ، وأنا اعشق السهر والسينما والدخان وأنت لاحظت انك تصلي سواء في الفندق أو الشركة .. أنت ذكرت انك مهندس معماري مسئول شراء وبيع العقارات في مجموعة الشمس .

ـ عملت فترة في الإنشاء والتعمير ، كما تعلمون لبنان تعرض لحرب مستمرة منذ زمن بعيد منذ وجدت إسرائيل جنوب البلد جنوب الطلياني .. بيوتنا تعرضت كذا مرة للقصف في صور نعم أننا لا نعيش في المخيمات المجاورة لبيوتنا ؛ لأننا لسنا محسوبين على اللاجئين ، لنا اختان

تعيشان في مخيم البرج الشمالي قرب صور ، وكذلك بنات عمي حسين ، فشاركت أنا وأخي عبد الكريم المهندس مثلي في الإعمار ، ثم طلب مني والدي العمل مع المجموعة بطلب من ابن العم المهندس الهيثم وشقيقه المنصور ؛ لكننا نحن مهمتنا هذه الأيام شراء وبيع الأبنية وترميمها وإعادة تأهليها .. توقفت الشركة عن الإعمار من الصفر

قالت يسرا بجرأة : زرنا في الشفا العاصمة ؛ لنتعرف على بعضنا اكثر ، ولتعرف مسيرة الحياة قبل أن نفكر جادين بالزواج ما تقولين يا صفية ؟

ـ وأنا مستعدة لمرافقتك للسفر يا عبد الله!

قال مداعبا : صفية تحب السفر ، فكل سنة تذهب لبلد زارت سوريا والأردن ومصر

ـ لدينا مواقع سياحية يهتم بها السياح لم تزوري الشفا

قال : زرناها أطفالا .

ـ خلاص أنا ادعوكم لزيارة عمكم وأقاربكم من آل روح الفضل

قامت يسرا بزيارة لصور برفقة عبد الله وقضت ثلاثة أيام في ضيافة أعمامها الثلاثة ثم غادرت بالطائرة لبلاد الشفا وهي تهمس لروحها : حان وقت الارتباط يا ترى .

***

بعد رحيل يسرا من بيروت زار عبد الله حسن منزل أو شقة صفية شقيقته وزوجها الطبيب أخصائي العيون فقال مناقشا الأمر مع أخته وزوجها وموجها السؤال لها : هل ترينها المناسبة ؛ لتكون زوجة لي يا صفية ؟

قالت بتفكر ونظر وابتسامة : فتاة طيبة ! ولكنها كثيرة التدخين ، وتحب التشبه بالشباب في الثياب والعطر والمرح والقهقهة ؛ لكنها ذكية وتتقن عملها ، وتجامل بذكاء ، وهي ابنة عمنا في النهاية .. وانا ناقشت موضوعها مع زوجي العزيز الذي التقى بها اكثر من مرة أثناء زيارتها ليلا في الفندق فهو يقول إنها تليق بعبد الله حسن .

قال الطبيب باسم محمود : البنت من ناحية السن اكبر منك كما فهمت من صفية وهي مرحة

وكما قالت أختك كثيرة تعاطي التبغ وقالت لا تسكر ولا تتعاطى المخدرات وهي مثقفة ولاحظت ذلك لا تهتم كثيرا بالسياسة والأخبار كلام عارض في ذلك يا صديقي فإن كنت حقا راغبا بالزواج منها تفاهم معها بكل ما يخطر في البال وافهما بعضكما بشكل اكثر عمقا فهذه الأيام التي قضتها بيننا لا يمكن في نظري أن تحكم عليها بشكل جيد .. بسبب كما تعلم كثرة المجاملات أثناء اللقاءات بيننا

قال عبد الله : تابعت عملها في المجموعة عن بعد ، وهي كثيرة التدخين كما قلتم ولاحظت ذلك ، وتحب التنكيت حتى أثناء العمل ، وهل ترين سبب عزوفها عن الزواج قصتها مع ذلك القتيل ؟

قالت : فيها صفات طيبة ، ولديها أدب ولا تحب إبراز مواهبها في العمل ، تعتبر نفسها ضيفة على الشركة ، وحياتها في بلادها تحتاج للاستفسار يا عبد الله! فحياتها كما قالت بكل صراحة السهر مع رفاق العمل أو أصدقاء الجامعة ، ولم تشر لعلاقات جنسية وانفلات فلا ادري أما زالت عذراء لليوم !

ـ الماضي لا يهمني كثيرا .. المهم بعد الزواج في مثل هذه المسألة

قالت : الاختلاط في الجامعة والملاهي يدفع للشك والشكوك ، وعليك التعرف عليها اكثر ، فنحن أقارب الخطأ مضاعف في العائلة الكبيرة

ـ من ناحية الإعجاب أعجبت بها يا باسم .. فهي جادة في وقت الشغل ؛ كما لاحظنا .. وانا في النهاية سأتزوج

سألت : وبالنسبة لمكان الشغل

ـ فكرت في ذلك مذ فكرت بها كزوجة ولمست تجاوبا منها في ذلك ، إما أن ارحل أنا وإما هي هل يقبل والدنا برحيلي للشفا والحياة فيها ؟

ـ أبي كثيرا ما احب أن تتزوج ، ولا تقف الحياة على فتاة لم تسمح ظروفها للاقتران بك.. وعمك حسان تزوج أجنبية لا تفقه كلمة عربية واحدة قبل استقرارها هنا ..ولم اسمع أن أحدا اعترض

وقبل أبوك زواج أختيك لناس من سكان المخيم

ـ حالة عمي حسان تختلف ، هو ذهب للاختصاص في ميونخ ، ثم حدث الزواج وجاء إلينا متزوجا ، ووالده كان ميتا فهو ربما من يحق له الاعتراض على الاختيار

ـ لم اقصد ذلك التفصيل .. اقصد أنه تزوج من خارج اطار العائلة والمعارف .. على كل فكر وعندما نكون هناك نتحدث أو تحدث مع أبناء وبنات أخوالها .. وأرى أنهم سيصدقونك النصح .. فهم اخبر بها منا ، ويعرفون عنها اكثر ما نعرف نحن .. ما يقول باسم ؟

ـ كلام ونصح جيد ! ..الأهل هناك اعرف بها وبحياتها العامة والخاصة .. والعيش هناك لا يضير فهذه الشركات التي تعملون بها موجود مثلها هناك .

قال المهندس : أرجو ذلك .. فالصدق في النصح عزيز في هذا الزمن ..ولمحت من كلامها ليلة الكازينو أنها ترغب بالزواج ولو من قريب لها ..كانت في حيرة بدا لي من حسم الامر

قالت : صحيح ؛ ربما لصراحتنا في فتح موضوع الزواج بشكل مباشر ولم تمكث بيننا طويلا

ـ هي حسناء لا ادري فعلا لماذا لم تتزوج لليوم ؟!

قال باسم : لعل طموحها لأخذ الشهادات العليا صرفها عن إعطاء الزواج مساحة اكبر

قالت : أتراها ستتدين مثلك ؟

ـ نحن تربينا على ذلك يا صفية .. وحسب ما اسمع من والدي وعمك حسين أن أبا ياسين يصلي وزوجته مثلنا بل حجا قديما لبيت الله الحرام .. والتساهل مع الأبناء سببه ضغط المجتمع الذي يكاد يتفكك من الانبهار بالأجنبي .

***

ليلة ٢٢- ٢٣ كانون الثاني ٢٠٠٨هدمت حركة حماس الجدار الذي فصل بين قطاع غزة ومصر، وتدفقت جموع الفلسطينيين إلى الجانب المصري من أجل شراء المواد التموينية واستنشاق نسائم الحرية ، خلقت الصور والتصريحات التي نشرتها وسائل الإعلام العالمية حول الحدث انطباعا بأن الحديث يدور عن حدث له دلالات ومعانٍ بعيدة الأثر ، مثل سقوط جدار برلين ، كان ذلك نتيجة تشديد إسرائيل حصارها المفروض على غزة منذ أمد بعيد ، تقرّر حماس هدم الجدار الحدودي مع مصر ليتدفّق عشرات آلاف الفلسطينيين إلى داخل مصر لشراء الطعام ، والوقود، والدواء، والإسمنت، والماشية، وغيرها من البضائع ، ولم يكن بمقدور السلطات المصرية وقف هذا التدفق والاقتحام ، وتحاول مصر إيجاد حلّ طويل الأمد بتسليم السيطرة على معبر رفح إلى قوات الأمن التابعة للرئيس محمود عباس ، بالتعاون مع مراقبي الاتحاد الأوروبي ، ولا يتم التوصل إلى اتفاق بهذا الشأن، بسبب عدم رغبة كل من عباس، والاتحاد الأوروبي، وإسرائيل، ويقدّر عدد الفلسطينيين الذين عبروا إلى مصر خلال فترة هدم الجدار، التي دامت ١٢ يوماً، بحوالي ٧٥٠ , ٠٠٠ .

أثار هدم الجدار الحدودي الفرح لدي أهالي غزة الذين دخلوا للأراضي المصرية لجلب احتياجاتهم المعيشية من دواء وغذاء ووقود بعد شهور من الحصار وانعش آمال التجار المصريين ببيع بضائعهم بالسعر المطلوب ، وأوضح الأهالي هناك بأن السلع التي كانت تشهد ارتفاعا حادا في أسعارها مثل السجائر انخفض سعرها امس بعد أن جلب المدخنون كميات كبيرة منها من المناطق المصرية المجاورة لقطاع غزة ، وحسب الأهالي جلبوا كميات من السلع المفقودة في غزة واشتروا السجائر والغذاء والوقود ، وأشارت المصادر المحلية إلى أن أهالي غزة الذين عبروا الحدود وجدوا الكثير من التجار المصريين بانتظارهم لبيعهم بضاعتهم من سلع غذائية وغيرها من الاحتياجات مثل الملابس والإسمنت الذي كان مفقودا من الأسواق بالقطاع ، واقبل الغزيون الذين وصلوا للأراضي المصرية بكثافة على شراء الملابس التي ارتفعت

أثمانها في غزة والتي بدأت بالنفاد من السوق بفعل حصار دام أكثر من ثمانية أشه ر، كما بدأ تجار غزة بإرسال شاحنات إلى الأراضي المصرية لاستجلاب مواد وسلع أساسية وغذائية وأدوية نفدت من القطاع ، وكان مسلحون قاموا فجر امس بتفجير الجدار الحدودي وفتح ثغرات كبيرة بداخله، فيما بدأت جرافات فلسطينية بفتح باقي الجدار وإزاحة الأسلاك الشائكة وتسهيل مرور الأهالي الذين توافدوا بشكل كبير على الأراضي المصرية لشراء حاجياتهم الأساسية كالدقيق والملابس والأحذية ومواد البناء والوقود والسجائر التي ارتفعت أسعارها خلال الأشهر الماضية بصورة جنونية ، وحسب مصادر محلية فأن أهالي غزة لاحظوا بأن التجار المصريين كانوا مستعدين لوصولهم وكأنهم على علم بأن الجدار سيهدم وسيصل أهالي غزة لشراء احتياجاتهم ، وأشار الأهالي إلى حالة الفرح التي كانت تغمر تجار مدينة العريش المصرية ورفح الحدودية بعد أن وصلها أهالي غزة الذين جمعوا ما لديهم من أموال وعبروا الحدود لمصر لشراء احتياجاتهم من هناك قبل إعادة إغلاق تلك الحدود التي تم إزالتها من قبل المسلحين الفلسطينيين ، ويعاني قطاع غزة من حصار إسرائيلي خانق أدى إلى ارتفاع غير مسبوق في أسعار الكثير من السلع والمواد التموينية التي نفدت من الأسواق بعد أن أغلقت إسرائيل منذ منتصف يونيو الماضي كل معابر غزة بعد سيطرة حماس عليه بقوة السلاح.

***

قام الجيش الإسرائيلي الصهيوني المجرم في ٢٨-٢٩ فبراير ، بعدد من الغارات الجوية، معظمها على وسط وشمال غزة ، ويردّ الفلسطينيون بإطلاق عشرات الصواريخ وقذائف الهاون ، وخلال ليلة ٢٩ شباط – ١ مارس ، تبدأ إسرائيل بأكبر اجتياح بري لغزة منذ فك الارتباط معها عام ٢٠٠٥، فترسل أعداداً كبيرة من القوات البرية والدبابات إلى جباليا وبيت حانون ومدينة غزة يقوم الجنود بتفتيش المنازل منزلاً منزلاً، والاشتباك مع المقاتلين الفلسطينيين من الأهالي ، واحتلال المنازل لاستخدامها كنقاط تجمّع، وتوجيه نيران الدبابات نحو المباني السكنية والتجارية ، وجمع عشرات الفلسطينيين للاستجواب ، وتجريف شبكات الكهرباء والهاتف،

وتدمير العديد من المستودعات المشتبه بتخزين الأسلحة فيها، وعدد من مراكز الشرطة ثم في ٣ آذار ، تنسحب القوات الإسرائيلية، تسفر هذه العملية والجريمة ، التي دامت ٥ أيام ، عن مقتل ١١٠ فلسطينيي على الأقل، وجرح حوالي ٤٠٠ .

***

قدمت يسرا تقريرا للإدارة في الشفا عن رحلتها لبيروت وصفة عملها في التدقيق المالي واكتشاف مكان الخلل في قسم قطع وإكسسوارات السيارات ، وشكرها خالها ودفع لها مكافاة مالية سوى تكاليف الرحلة والأتعاب ، وارسل رسالة شكر لرئيس المجموعة على حرصه على أموال الشركة وانتباهه للخلل المالي قبل أن يتفاقم ، وذات مساء قالت لها أمها فهي تسكن في بيت الوالدين : المدير المالي في مستشفى الرازي قد يستقيل ما رأيك بالعمل معنا ؟ تحدثت مع هيثم واثنى على جهودك ونشاطك وترك الخيار لك .

قالت : أولا أين أبي ؟

ـ خرج قبل دخولك .. كيف كانت رحلتك ؟

قالت : كانت رحلة عمل كما تعلمين وتعرضت لخطبة

قالت متفاجئة: خطبة يعني عريسا زوجا !أين وجدتيه ؟!

ضحكت على لهفة أمها وقالت : مالك دهشت ؟! هو وجدني .. عريس يريد التعرف عليّ لمشروع خطبة .. مشروع زواج

ـ هو كان ينتظرك في هذين الأسبوعين !

قالت : هو ليس غريبا عن آل روح الفضل ..هو ابن عمي عبدالله حسن .

تنهدت خلود بعمق وقالت : المهندس ابن سارة وحسن .. تقابلنا كذا مرة .

ـ اسم أمه سارة .. منك اعرف مع اني رأيتها أثناء زيارتي لصور ؛ ولكنه شاب مؤدب ظهر لي التقيت به وبأخته صفية وزوجها باسم أخصائي العيون وابنة عمهم جميلة حسين وزوجها وتقرب إليّ بهذا القصد .

ـ كلهم اعرفهم برحلاتي الاجتماعية لصور ويكنون لنا الاحترام الكبير .. فيونس والدك اكبر إخوته العشرة .. هذا حسن أصيب في عام ٨٢ خلال الاجتياح الإسرائيلي للبنان .. تعرضت بيوتهم لقصف .. وتعالج في بريطانيا ، فله أصدقاء من الإنجليز عرّف أباك على بعضهم عندما كانوا في بيروت وكان هناك ضيف عندهم ..فجدك عبد الله توفي هناك ودفن في مدينة صور رحمه الله تعالى .

ـ نعم ، عرض عليّ التعارف بقصد الزواج ، وطلبت منه القدوم لهنا لمزيد من الصحبة والمعرفة فأخشى إن تزوجته أن انتقل إلى هناك ، ولا يطول العمل معكم .. فالعمل مع خالي حاليا افضل ربما يسمح لي بالرحيل للبنان والشغل في شركاتهم

قالت الأم : قد يحدث العكس ويقبل أن يستقر هنا ، فهو مهندس معماري ويعمل كما اعلم مع أخوالك ، وهو شاب جيد ! بس هو متدين وأنت متحررة اكثر منه

قالت كحلم : الإنسان يا أمي يتغير .. إما أن أتغير وإما هو أن يتغير .. وأنا لست ضد التدين فترة التحقت بحركة نسوية ثم هجرتها .. لديهم عقدة ضد الرجال ؛ كأن الرجال هم أصحاب مشاكل البلد .. وليس الأنظمة التابعة لأجندات غربية .

ـ أنا احب أن أراك أما ، وأتعجب حقيقة من هذه الأفكار والانقلاب في بضعة أيام .. كم عريس عرضت عليك ؟ وقلت لك دعينا من ذكرى ذاك الطالب

ـ لا اعتراض عندك

قالت مبتهجة :الشاب ممتاز ووالده حسن جيد واخو أبيك عمك يعني ! ودائما يتصل بأخيه الأكبر ، وكذا مرة نزل الشفا فأخته الطبيبة أمينة عمتك هنا

ـ إذن نؤجل حديث الانتقال ريثما نقابل عبد الله ، فهو منذ فابلني وهو يكاد يتحدث بالموضوع ظن أنني فتاة هبطت عليه من السماء ..وأنا استلطفته جدا ، وقلت لنفسي ؛ كأننا خلقنا لبعض كما يقال

قالت : واعتقد أن أباك لن يعترض فانت ابنة ثلاثين سنة

ـ اليوم الناس تقلل من المواليد ؛ لذلك يتأخر الزواج

قالت : ممكن

***

لما رجع الدكتور يونس قبل نصف الليل وشرب القهوة كاشفته زوجته خلود بما حدث مع يسرا ببيروت ، فأبدى سروره جدا وسعادته بكل وضوح وقال : والله هذه خبر جميل جميل جميل جدا أسعدتيني بهذا الخبر الرائع .. صار زواجها حلما في نفسي ! واذا حصل الزواج سأهديها فيلا ؛ لعله يستقر هنا ؛ كما حصل معي ومع أختي العزيزة أمينة .. وستكون هذه ثاني زيجة لعيلتي من الأقارب يا خلود الأولى لبلال قبل اشهر .. فالمصاهرات من الأقارب تقرب البعيد ، وتعيد لم العيلة .. وابن حسن اعرفه جيدا ، فاغلب زيارتي لأمي حليمة آراه مع سائر الأخوة .. وثانيا شركات الإعمار تملأ البلد يا خلود ، وتعمل معنا في القسم المالي .. واخي حسن اعتقد سيرحب بحياته هنا

قالت : المهم البنت تقبل بالعيش هنا يا يونس .. لبنان بلد فاتنة رغم ما جرى فيها من حرب أهلية ودموية قبل عقود مضت ، وما دامت إسرائيل في فلسطين لن نخلص من الحروب الدموية يا رجل كنا نقرأ في التاريخ انهم اجبن شعب واتعس شعب

قال : هذا صحيح يا خلود لولا أمريكا وأوروبا الغربية بعد إرادة الله سبحانه ما مكثوا في بلاد فلسطين ، لقد رأينا تنمرهم الكبير في عام ٦٧ غلبوا اهم دول العرب في العصر الحديث حتى أن مصر قبلت الصلح والخضوع لهم ، وهم اكبر امه عربية وأضعاف مضاعفة عن شعب إسرائيل .. لكن هو القدر والتاريخ الغريب .. شأن يثير الحيرة ! شعب ضئيل مزعجا لكل العالم لا يملون من الحروب بحجة الأمن الأمن

قالت : بالفعل ! حتى لم نعد نفهم ما هو مفهوم في قاموسهم !

ـ وحسن كما كل أفراد أبناء وأحفاد أمي حليمة زوجة أبي ـ رحمهم الله ـ لهم تعلق بالدين فقد كان والدها يوسف قد حج كذا مرة

ـ أشرت لذلك قالت أتغير أنا وإما أن يتغير هو

قال مسرورا : كلام جميل ورائع ! إن شاء الله يحدث النصيب.. هي تتخلص من عقدة الولد المقتول .. وهما أتصور من سن قريبة

ـ تزيد عنه سنة ونصف ، وأزيدك من الشعر بيتا .. ذكرت أنه متلهف على الزواج منها تقول : كأنه أول مرة يا يرى فتاة .

قال: أين هي ؟

قالت : ربما ترجع من سهراتها بعد قليل فهي في إجازة بعد نجاح مهمتها البيروتية

ـ أنا المهم عندي زواجها .. فياسر تزوج ثلاث مرات وبلال مرتين.. ثم نخلص من عقدة العزوبية ؛ خشية أن تصل لسن لا احد يتطلع للزواج منها .. يفرحني زواجها جدا جدا

قالت : سنة الحياة .. أنا شعرت أنها قد تقبل به فهي تتحدث عنه بشبه قبول له وميل له ، وهي تنتظر مجيئه لمزيد من المعرفة ، ولم يعلق على تدخينها ؛ بل سر لما علم أنها لا تشرب الخمر مع انه تحدث عن ذلك بلطف وذكاء كما تقول لم يحدثها عن الدخان أو اللباس أو حتى السهر والسينما والحفلات .. ربما اجل ذلك ريثما يحضر إلى هنا

ـ الحمد لله .. أسعدك الله بهذه الأخبار الطيبة !..الإنسان يفرح ويسعد بزواج أولاده وتعليمهم

***

نشرت خلود الأخبار من فرحها لياسر وياسمين التي قالت : أخيرا تغيرت والله خبر رائع يا أمي ! فالزواج رغم متاعبه لابد منه يا أمي .. العزباء في مجتمع شرقي تسمع الكثير من الغمز واللمز ويختلقون العيوب والقصص التي تضحك الجهاد في التي لا تتزوج ولو مرة واحدة على الأقل .

فقال ياسر متنهدا : هذه طبيعة البشر ، الثرثرة والحماقة والاستخفاف وترك الإعذار

فقالت الأم : كما قلت هذا امر طبيعي لا يجب أن يهتم به احد أو يكترث له .. لما قررنا إنشاء المستشفى مع شلة من الأثرياء والأصدقاء قالوا لماذا كل هذا التعب ؟ موظف غاب مريض

مات افتحوا عيادة ارخص واسهل .. ومشاكل الضريبة والإدارة

قالت ياسمين معقبة : أقوال الكسالى والضعفاء .. الناس تريد تطوير وتحديث وهم في نومهم غارقون .. أين عروسنا ؟

قال ياسر : عروسنا ستحضر فيلما كما قالت.. كم تعشق الأفلام الفارغة ؟ لما اتصلت بها اسمع التفاصيل ذكرت السينما وآخر فيلم يعرض هذه الأيام .

قالت ياسمين : هل يتابع الأفلام ابن العم ؟

أجابت الأم باسمة : بيروت أم الأفلام ، حتى أنها قديما كانت فيها صناعة للأفلام البيروتية مثل مصر وأما اليوم فلا ادري .. ولكن المهندس عبد الله متدين ؛ وليس متشددا كما نرى ونسمع

قال ياسر مظهرا انه يعرفه حق المعرفة : هو مثلي ومثلك يا أم ميادة يحافظ على الصلاة والتردد أحيانا على المساجد ولا يرتاد الملاهي وبيوت الخمر .. لقد عاشرته فترة في لبنان أو اكثر من فترة يا أمي

ـ لما نراه نتناقش ببعض الملاحظات هو عاش مع أختكم طول فترة عملها في بيروت

قالت ياسمين وهي تنهض : سأنصرف عند المهندس جبور زيارة ، وسيكون عليّ دور الحراسة لميادة سألتقي بها مرة ثانية

قال : ألا تأمنون على الخادمة ؟

ـ نأمن ؛ ولكن لا نحب ذلك .. سلموا على أبي لما يرجع من عند عمتي وتحياتي ليسرا

قالت وهي تسحب يدها المصافحة من يد ابنتها : مع السلامة .. هل ستفتحون فرعا في غزة كما تنشر في بعض الجرائد ؟ وجهت الكلام لياسر .

ـ لم يحسم الأمر .. للبنك فرع في رام الله عاصمة السلطة الفاشلة

ظل ياسر مع أمه حتى رجع أبوه بعد صلاة العشاء ، وطمأنهم على شقيقته وعلى صحتها ونقل لهم تحيات أسرتها وبلال ، ثم غادر ياسر لبيته ، ولما رجعت يسرا ليلا وجدتهم مستيقظين فأخبرتهم أن المهندس واخته صفية سيقدمون ليلة الجمعة مساء الخميس ١٣/ ٣/ ٢٠٠٨

ذهبت يسرا ليلا لمطار الشفا الدولي لاستقبال أبناء عمها حسن عبد الله وصفية ، ووصلت طائرتهم عند منتصف الليل ، فاحتضنت صفية بحب وضحك ، وصافحت عبد الله ورحبت بهم في الشفا ، وركبوا السيارة بعد استلام حقائب الملابس وختم الجوازات ، وكان المهندس قد رتب الحجز في فندق خمس نجمات في الشفا من بيروت قبل السفر ، فذكر لابنة عمه اسم الفندق وعنوانه فقالت : معروف لي فندق الأزهار ، واستمعوا لأخبار بعض والأهل ، ورحب الاستقبال بالمهندس وتوثق من الأسماء وصور بعض الأوراق وساقهم احد الخدم إلى الجناح المحجوز ـ وهو جناح بغرفتين وتوابعها ـ وبعد فترة سهر قصيرة استأذنت يسرا على وعد أن تلاقيهم نهار الغد بعد صلاة الجمعة لتصحبهم لزيارة والدها بداية ثم عمتها على أن يتناولوا العشاء مع الأسرة في بيت العم يونس .

وأثناء تناول الإفطار صباحا في قاعة طعام الفندق ؛ حيث البوفيه المفتوح المعتاد في الفندق قالت صفية ضاحكة : يبدو أنك متلهف على الزواج منها كدت تحتضنها في المطار .

ابتسم لأخته وقال : الزواج آية من آيات الله يا أم خالد .. لقد راقت لي في بيروت ، ولما عرفت أنها لا تسكر ازدادت شجاعتي نحوها.. أرجو أن تقبلني .. فهي جيدة ! ولو رغبتك بتحقق ذلك ما رافقتيني .

تابعت الضحك : نعم ، يسرا ممتازة وتليق بك غير أنها ابنة عمنا الكبير كذلك ، بدت لي مرحة وجميلة ومحبوبة منذ ترافقنا في المجموعة تلك الأيام حتى أن زوجي اعجب بها وبمرحها وكنت مندهشة لعدم زواجها لليوم واعتقد أنها تليق بك يا حضرة المهندس !

ـ هل تريدين المزيد من الشاي ؟ أرجو أن نتفق ونتفاهم على الحياة القادمة .. لقد دخلت مخي كما يقال .

ـ اذا سمحت فلنستعد .. بعد ساعات ستأتي لنزور عمي أبي ياسين هل هذا الاسم موجود في عائلة جدي ؟ ثم عمتي أم سارية .. هل ستراها توافق عليك ؟

ـ الإشارات توحي بذلك .. كانت تتقبل الجلوس معي بدون حرج .. وعيناها ترسل رسائل الود كما فعلت عيوني .. كانت تقابلنني بأريحية بينة قبل أن نشير لزواج .

قالت : حب من أول نظرة .. يا سلام على الحب من أول نظرة !..ولولا القبول المبدئي ما شجعتك على السفر إلى الشفا .. هذه علامة ود يا حضرة المهندس .

ـ لا ادري ! .. أبي قال اذا قبلتك تابع بدون تردد

قالت صفية حسن : أبي يحب لنا الزواج من الأقارب ، وأسرة روح الفضل خاصة يقال انهم لم يكونوا يحبون تغريب النكاح قبل النكبة ، بنات روح الفضل للفضلي ..كما احب لنا العمل معهم .. أنا من رائحة عطرها ليلة امس ظننت أنها قادمة لتقابل خطيبها الغائب عنها من أيام

ضحك وقال : يا للنساء ! هذا علامة أخرى على الانسجام .. الله قدر سفرها للبنان وأن نلتقي

ـ لكنها تتبرج كما نرى وأنت بالنسبة لها شيخ .

ـ الصلاح هداية من الله .. لعل الأيام تحدث أمرا بإذن الله .. وهي فتاة متعلمة ومثقفة ؛ وليس لديها أفكار الحادية ، وبدت لي طموحة ما دامت اجتهدت وصارت دكتورة مالية ودقيقة في العمل ، وراجعت ملفات الشركة بهدوء وروية أعجبت المدير الرئيسي وفرح جدا بإدارة ملف الشك بالاختلاسات ، وكان همها كشف الحقيقة وسبب الفروقات المالية وأهم من التهرب الضريبي .. كثير من الشركات في العالم إن لم يكن كلها تتهرب من الضرائب أو حصة منها ، بل كما نقرأ بعض الإدارات توظف موظفين للاحتيال على الأرباح ودخل الشركات سواء في البلدان المتقدمة أو النائمة .. فالمجلات العالمية تنشر مثل هذه الحيل والخداع

قالت : صحيح ! وأنا وجميلة سعدنا بصحبتها لتلك الأيام ، كما سعدت هي بصحبتنا وقرابتنا وعبرت لنا عن ذلك بكل صراحة

بعد الساعة الثانية ظهرا حضرت يسرا للفندق ، وجلست في صالة الاستقبال قليلا معهم وأخبرتهم أن الوالد وأمها في انتظارهم للترحيب بهم ، ولما انهوا شرب القهوة وذهبوا لسيارتها قالت لعبد الله : اذا كنت تتحرج من قيادتي والجلوس بقربي فقد لاحظت ليلة امس تململك

تبسم وهو ينقل النظر بينهن وقال محرجا : شغلي مع الجميع مع الجنسين يا دكتورة .. نحن نعمل مع مهندسات في الإعمار وقبل العمل في مجموعة الشمس ولدى فرعنا نساء .. وأنت اخبر بشوارع البلد .. أليس كذلك يا أم خالد ؟

ـ صحيح يا دكتورة .. والمهندس راغب بالتعرف عليك والثرثرة معك فهو غارق في الحب

صاحت يسرا ضحكا : غارق في الحب كلام خطير ! اعتراف مهم يا صفية .

ـ هو لماذا حضر ؟

قالت يسرا معاندة : لزيارة أقاربه عمه وعمته وأقاربه هنا .

قالت : هذا طبيعي يا ابنة العم ؛ لكن جاء لمزيد من التفاهمات والمعرفة بابنة عمه

قالت : اركبوا اركبوا أهلا وسهلا بكم نحن أهل وأصدقاء .. أيام لا تنسى في بيروت كنتم لطفاء معي جدا .. عسى أن نفهم بعضنا بشكل طيب .. فتربيتي شيء وتربية عبد الله شيء آخر أنا فتاة ازعم أنني متحررة .. لا اعرف صلاة ولا صيام .. وحياتي المسائية بعد العمل اللهو والسهر ، والأصدقاء من الجنسين

جلس بجوارها في المقعد الأمامي ، وتحركت السيارة ثم سمعته يقول : الإنسان يتغير يا دكتورة أنا اعرف من أنا وأنت تعرفين من أنت .. واعرف مخرجات جامعاتنا والحركات النسوية وشعاراتها في بلاد المسلمين خاصة

قالت : لا انتمي لجمعية نسوية أو حركات تحرير النسوان ، ولا حزب .. أنا لي عضوية في جمعية المحاسبين في الشفا فقط

قالت صفية : والنوادي المجتمعية

ـ اشتركت في كذا نادي اجتماعي ثقافي بحسب الأصدقاء والزملاء ، ثم هجرتها وأنا أمارس نشاطي في نادي الجمعية .. لدينا نادي جميل وقاعات رياضة وسهر وحدائق فحسب وندوات ثقافية وطبية من حين للآخر وذلك حسب نشاط لجنة الثقافة .. يعملون لنا ندوة عن ضرر

الدخان ونكون في حالة تدخين أثناء المحاضرة .. يشعر الإنسان أو قل أنا أن الحياة عبث في عبث

قال عائدا لموضوع الزيارة الرئيسي : نحن أشارنا في كازينو بيروت عن فكرة الزواج

قالت يسرا بدون خجل : ومن اجل ذلك جئت ديارنا .. أتراك مستعجلا على الزواج من قريبتك التي راقت في عينيك أثناء عملها في بيروت ؟

قال متشجعا : مقدمات الزواج مطلوبة حتى نتشجع في النقاش فهل عرف الأهل شيئا ؟

ـ نعم شرحت لهم ما فهمته منكم

قالت صفية بلهفة : ما قالت امك وأبوك ؟

ـ بصراحة لا مانع عندهم اذا حصل اقتران بيننا ؛ ولكن الأمر يعود لنا يا عبد الله

قال: أكيد ؛ لكن رضا الأسرة عامل مساعد .. نحن الذين سنتزوج ومباركة الأهل مطلوبة

قالت صفية : يبدو أن عمي مثل أبي يحب زواج الأقارب !

التقى عبد الله حسن بعمه يونس وزوجته خلود ووجد منهما ترحيبا كبيرا بفكرة اقترانه بيسرا ، وزار عمته برفقة يسرا والتي بدورها حمسته على زواج ابنة عمه يونس وبينت له إعجابها به لما رجعت من بيروت حتى أن يسرا أصابها الخجل من مدح عمتها لها أمام عبد الله وصفية وظنت أنها تتكلم عن واحدة غيرها ، حتى أن الضيفين أصابتهما الدهشة من كلام عمتها عنها ، وقدمت لها يسرا الشكر على مدحها لها حتى أنها همست لصفية يريدون أن أتزوج منه الآن قبل غد وحتى أن صفيه همست لها : هم يحبونك ويحبون العائلة ، فعمتك تزوجت من آل روح الفضل وكذلك والدك العزيز ويبدو انهم يئسوا من فكرة الزواج عندك ، فضحكت يسرا وقالت : الأخيرة هي الصح ، ثم عادوا ليلا لبيت العم يونس وتناول العشاء مع عدد من أبناء العم والأصهار ، وتلقى منهم فرحا وتشجيعا بالزواج من الدكتورة يسرا ، وفي اليوم التالي لبى دعوة عمته وبعض أبنائها الذين تيسر لهم حضور الدعوة ، وكان خبر فكرة زواجه من يسرا قد شاعت في الأسرة قبل مجيء الشاب للشفا ، وقام بزيارة للدكتور الهيثم صاحب الشركات

المتنوعة في بلدان العرب ، والتقى بيسرا في مطعم كبير في المدينة وتناولا العشاء ، وساقته لمقهى مختلط ودار بينهما حديثا صريحا عن رغبته بالزواج منها وقالت : ادركت ذلك منذ زرتني في الفندق مع صفية لأول مرة ..كدت تلتهمني بعينيك ؟

ضحك للتعبير وقال : لما قلت لك فكرت بالزواج من تلك الفتاة ، ولما هددت من قريبها تركت الأمر لقضاء الله ، ولما أخبرتني صفية عنك وعن مجيئك للشركة رغبت بالنظر إليك فزرتك في الفندق معها بحجة الترحيب بابنة العم وهذا واجب عليّ ، ولما أبديت قبولي الأولي بدأت صفية وجميلة بالإشارة إلى ذلك الاقتران ، ووجدت الفتاتان انك ترحبين بالزواج كأي أنثى في العالم فكان لقاء الكازينو والحديث حول ذلك بوضوح اكبر

قالت : حقيقة وليست ترغيبا بحضرتي أنني ارتحت لفكرة الزواج منك ، ولكن لما علمت بتدينك قلقت قليلا لبعدي عن التدين منذ زمان .. خشيت الزواج منك شخصيا لهذا الحال لم أصادق يوما فتاة ملتزمة أو شابا نحو ذلك ، فكل جلسائي مثلي تقريبا .. لا يعني هذا انني أكره المتدينين .. عرفت فتيات متدينات في المرحلة الثانوية .. هذا يجوز وهذا لا يجوز حول اللباس وتغطية الشعر .. والكوافير والمكياج ومرافقة الشباب .. ولكن مع الحوار والتلميحات الذكية منا أنا وأنت ادركت أننا سنتفاهم .. ولست متعصبة يا عبد الله للأصدقاء .. فقد بدلت الكثير منهم .. عدد بسيط من طلاب الجامعة بقينا على اتصال .. فمن تزوج منهم قلت علاقته بنا سواء ذكورا أم إناثا .. الحياة والعمل يباعد بين الاحبة ورفاق الجامعة وكذلك الهجرة شرقا وغربا

حرك رأسه مؤكدا الملاحظة وقال : صحيح ! الشغل يأخذ وقت الجميع .. والحياة العملية ليست كحياة أخذ المصروف من الأسرة .. وأنا لمست صراحة انك ممكن أن تتغيري برغبتك فإنك محبة للعلم والدرجة العلمية .. وما دمت لم تعرفي طريق الشراب خلال كل هذه السنوات من المدنية شعرت أنك إنسانة فعالة وأنك جادة في الحياة ؛ لكن فكرة العزوف عن الزواج حيرتني وحيرة صفية وجميلة ابنة عمنا وزوجيهما بحكم أن نعيش في بيروت وقرب بعضنا

تبسمت وقالت : وانا مثلكم احترت من نفسي ، لم تكن علاقتي بذاك المقتول قصة عاصفة ..

هي حدثت ضمن الفصل الثاني ، ولم اكن اعرف بعلاقته بتلك الفتاة عندما تودد إليّ فخضت الصداقة معه كتجربة ليس أكثر من ذلك ، وهو لم يحدثني عنها ولو بهمسة واحدة .. فتاة جامعة متحررة كما يقال يحق لها أن تتخذ صديقا أو حبيبا .. ولما قتل لهجره لها صدمت فعلا وحقا ورأيت أن ما بينهما اكبر من قصة حب بين طالبة وطالب .. كانت تحسب نفسها زوجة له مع انه ثبت لدى التحقيقات البوليسية أنها لا تملك وثيقة زواج عادي ولو زواج سري بينهما أو حتى عرفي .. فرفضت بعدها أي صداقة عاطفية مع أي شاب سعى للتقرب كل سنوات الجامعة .. صداقة وبس .. ومن حاول إنشاء علاقة حب ابتعد عنه ، ويجد لدي نفرة من كلمات الغزل والإعجاب وتلك الألفاظ ؛ فيبتعد ويبحث عن غيري ، وشغلت نفسي بالدراسة والعمل مع خالي هيثم وتشجيعه ، وعملت في الشركة قبل سنة من التخرج .. وعشقت الدخان والأفلام واللهو ، ولم اكن اجد فرقا بيني وبين أي شاب اعرفه خلال تلك السنوات .

ـ هذه الأفعال قد يحدث الخلاص منها بأحداث الحياة العملية .. والإنسان لابد له من وقت من اللهو والمرح ، وذلك له أشكال وصور يا دكتورة .. وصلاتي لا تمنعني من اللهو والسمر

قالت : كم يوما ستمكث بيننا ؟

قال باسما : حسب رغبتك .. ألك شروط خاصة لحياتنا نتحدث عنها ؟ فأنا قلت لصفية أتقبلها بكل حسناتها وسيئاتها قبل مغادرة بيروت ، وأبي وحتى أمي رحبت بهذا الزواج اذا حصل ولمست ذلك عند أسرتك وأسرة عمتي .

أجابت : المهم عندهم أن أتزوج ، فأبي سعيد مثل أهلك وحتى أمي ؛ لأنها أحضرت لي عددا من العرسان من أبناء صديقاتها أو أطباء مشفاها أو أقاربها

قال موضحا : أنا لن أتدخل في لباسك عربي غربي ديني حتى ولو كان هنديا .. أنا لست شيخا أو إماما لمسجد أو ابن جماعة دينية .. المهم في ذلك الأدب والحشمة .. والدخان رغم بغضي لرائحته فهو شأن خاص بك ، أنا تعلقت به فترة ؛ ولكنها لم تطل ، أنا درست الهندسة في مصر والخمر لم اشربها ولم أذقها في حياتي صغيرا أو شابا .. والأفلام والسينما والمسرح عرفتها كأي

شاب سواء في مصر أو بيروت ؛ لكن من باب الفضول والأصحاب والملل ، ولن أمنعك من هذه الهواية مع انني استغرب من تعلق الناس بها ، وكل الأفلام اليوم تعرض في الفضائيات وربما القصد منها الصحبة والخروج من جدران البيت .

فسرت تلك الهواية : هي فعلا صحبة الشباب ، ونوع من المرح وترك البيوت والغرف وقل إضاعة الوقت وقت الفراغ .. أيام الجامعة ترك الدراسة والمذاكرة وأيام العمل الراحة بعد الدوام اليومي والروتين

عقب على السبب فقال : هو هذا السبب الصريح والمناسب ، وهذا ما كان يحدث معي .. الآن فكري بي كزوج يا يسرا .. لست كاملا ، لا احد يخلو من العيوب والنقص

ـ قضية العيش .. اذا حصل الزواج بيننا كما نحب أين سنسكن هنا أم هناك ؟

ـ هذا سؤال ناقشتني فيه صفية .. بالنسبة لي واحد سواء عشت هنا أم هناك .. فالعمل مع الدكتور المهندس هيثم لا يفرق ؛ فبإمكانه أن ينقلني إلى هنا وبإمكانه نقلك هناك

ـ هذا صحيح ؛ ولكن والديّ يحبان لي العمل في محاسبة المستشفى ؛ لأن مدير الإدارة المالية سيرحل ، وخالي هيثم لم يعترض على انتقالي للعمل مع والديّ ، وهو له اسهم في مستشفى الرازي .. وهذا العرض علمته بعد عودتي من بيروت .

قال : بالنسبة لي ليست مشكلة يا دكتورة

ـ وأنا مثلك لم تكن فكرة العمل في بيروت مشكلة .. خلاص نعيش هنا ونجرب الحياة الزوجية هنا ؛ فإذا استمرت حياتنا ننظر أين يكون المستقر ؟ لأنهم يقولون الحياة قبل الزواج شيء وبعده شيء آخر

ـ يقال ذلك .. هيا نذهب للمشي في شوارع المدينة بعض الوقت ونأخذ صفية من الفندق

***

جلس عبد الله وصفية في صالون العم يونس ، وكانت يسرا قد أخبرتهم (الوالدان) بأهم التفاهمات بينها وبين المهندس ، ولما انتهت كلمات الترحيب والمجاملات الأسرية نظر يونس

إلى ابنته التي كانت تجلس بين صفية وعبد الله ، وكانت تهمس في أذنه بشيء فقال : آ يا دكتورة يسرا ماذا أنتجت المباحثات السرية بينكما ؟

ضحكت هي والآخرون وقالت : انتهت المباحثات قبل المجيء لإعلان النتائج في البيان الصحفي .. تكلم يا سيد عبد الله فأمي وأبي يتابعون الأحداث أولا بأول .

عادوا للضحك والابتسام فقال عبد الله : يا عمي العزيز ويا أم ياسين بدأت الحكاية كما تخبرون في بيروت لما فتح الموضوع الذي تعلمون أثناء وجودها بين أهلها في لبنان ، لم تبدِ رفضا أو قبولا صريحا فاتفقنا أن احضر لهنا وإكمال المحادثات السرية على رأيكم .. سعينا لنفهم بعضنا اكثر .. لاختلاف مكان عيشنا ، واتفقنا في الخلاصة أن يبقى كل شخص على ما طبع عليه ، فلن أتدخل ـ يا عم ـ بما تلبس وبما تتعطر ، ولا أتدخل بتناول الدخان حتى تبتعد عنه بمحض إرادتها إن شاء الله ، ولا منعها من مشاهدة الأفلام كما تحب ، واتفقنا على تخفيف السهر في الليل لنسهر في بيتنا المشترك ، والقرار المهم أن أعيش هنا ؛ فإذا نجحت حياتنا الزوجية واستقرت نفكر بعد بأي مكان نستقر .. فأنا لي شقة في صور في عمارة أبي وتركتها لأختي سيرين وزوجها مهران ؛ لأنني كما تعلمون منذ عدت من مصر وأنا اعمل مع العم الهيثم ومنصور .

قالت خلود بفرح وتشجيع : جيد ! ممتاز يا ابن العم .. أنا منذ فاتحتني بلقائكم فرحت لكما واستبشرت خيرا ، فأنا سعيدة فعلا يا عبد الله بأنك أخرجتها من فكرة العنوسة وكره الرجال ولما تحدثت عنك بعد عودتها القصيرة ادركت أن تغيرا حدث ليسرا .. وأنتم تليقون لبعضكم وبارك الله لكم وجمع بينكم على الخير

قالت صفية ببشر وفرح : رائع يا أم ياسين ! ها هي حماتك سعيدة بزواجك من ابنتها .. فنعلن الأفراح يا عمي !

قال يونس مغتبطا مثلهم : الحمد لله .. مبارك يا عبد الله ومبارك يا يسرا وإن شاء الله تتوفقون في حياتكم الأسرية كما وفقت أنا وأمكم خلود .. أنا جئت للدراسة هنا من صور قد لا تذكرون أن جدكم أبي لما تعب صحيا هاجر من رام الله إلى أقاربه في صور .. وأرسلني لتعلم الطب في

الشفا ثم لحقت بي أمينة .. ولما توفي أبي وتزوجت خلود اتخذت الشفا وطنا ، وأختي أم سارية مثلي ..وأهلا بك بكم بين أهليكم وعشيرتكم .. قدر عائلة روح الفضل أو فضل الله أن تنتشر في أقطار شتى .. وهذا الانتشار كثير للعائلات في زمن حكم الأتراك القديم فكلها بلاد واحدة يومذاك كما قرأتم في كتب التاريخ .. فحتى أننا نرى في حياتنا بشرا من القوقاز والأفغان والهند والمغرب والأرمن وغير هم .

وتذكروا حياة ياسر وزوجاته الثلاثة ، ثم بلال الذي تزوج من شهور ، وحمدوا الرب على ما أعطاهم ووهبهم من الخير ، وشكر عبد الله عمه وزوجته على كلامهم الطيب .

قالت يسرا : أشكركم جميعا ، وشكرا لصفية وجهودها الناعمة وشكرا لعبد الله

ـ خلال أيام سأعود أنا ووالدي واخي الكبير عبد الكريم ومن احب من الأعمام

قالت صفية : هل سأعود معكم أم انتهت المهمة ؟

قال عبدالله : سأدعوكم أنت وأبو خالد .. فأبو خالد زوجها من أبناء أخوالي .. فالقرار بيده يا صفية .

قالت خلود : التقينا في احدى زياراتنا للحاجة حليمة أم حسن ، وهو كما ذكر لنا يعمل أخصائي عيون

فقال يونس : ذات مرة عرضنا عليه العمل معنا هنا فاعتذر ولم يرغب في ترك بيروت

فقالت صفية : المحترم لم يحدثني بذلك العرض ؛ لعله خشي أن اضغط للرحيل

ـ ربما اعتبره كلام مجاملة يا أم خالد

ـ ممكن يا عمي .

قال عبد الله متمما التفاهمات السرية : سيكون العقد خلال الشهر القادم بعد أسبوعين .. ستقوم يسرا باستئجار شقة بعد كتابة عقد الزواج ، رأينا أن لا تكون هناك فترة خطوبة طويلة ، وقد تفاهمنا بشكل جيد على العيش معا ، وقلنا الحياة الزوجية غير حياة ما قبل الزواج .. العيوب والأخطاء تظهر أثناء الزواج الحقيقي ، ونطمع أن تستمر حياتنا الزوجية بما يرضي الله

قالت خلود بإعجاب : حقيقة انك رجل فهمان يا مهندس عبد الله! .. وصريح لا تحب اللفلفة والدوران للوصول للغاية المقصودة

قالت يسرا : أحسنت يا أمي ! أنا تخيلت لما عدت من بيروت سنمكث سنة أو اكثر نتعرف على بعض .. فوجدته يحب الاختصار ، ومن اجل ذلك عجلت بالموافقة .. وكما قال اذا نجحت حياتنا استمرينا بالعيش معا .. فمشاكل ما بعد الزواج ليست ؛ كما هي مشاكل ما قبل الزواج تحل بالطبطبة وتقبيل اللحى

قال يونس سعيدا بدا لهم : سهل الله الأمر ، وبعد عقد الزواج

قال عبد الله : سيعود الضيوف للبلد ونقوم بتأثيث الشقة بالأثاث المناسب ونعلن يوم الفرح ودعوة المعازيم والمدعوين .

قالت خلود وقد غمرها الانفعال والسعادة بزواج ابنتها العزباء : ليس سرا أن عمك يونس سيهديكم فيلا حدثني عن ذلك من قبل منذ بدأ الحديث عن الزواج

قالت يسرا بانفعال : فيلا يا أبي ! وقامت بمعانقة أبيها وأمها متمتمة بالشكر والثناء

ـ نعم ، لما ذكرت خلود بفكرة زواجك من عبد الله قلت اذا استقر هنا سأهديكم فيلا ولولا استعجالكم على الزواج لقدمتها لكم قبل الاقتران .. سأطلب من خالك هيثم أو تيتي تأمين فيلا لتستقروا فيها ولو بعد حين .

***

انتهاء الهدنة ٢٠٠٨

أُشهر في حزيران ٢٠٠٨ اتفاق لمدة نصف سنة بين غزة وإسرائيل ، اتفقا من حيث المبدأ على وقف لإطلاق النار على عدة مراحل في غزة ابتداءً من ١٩ يونيو، يستمر ستة أشهر، على أساس التفاهمات التالية بينهما : تبدأ إسرائيل بتخفيف الحصار على غزة بعد أن تثبت حماس قدرتها على إقناع جميع الفصائل بالالتزام بالهدنة ؛ تنظر إسرائيل في إمكانية إعادة فتح معبر رفح في حال دامت الهدنة أكثر من أسبوعين وفي حال تم إحراز تقدّم ملموس بشأن التوصل إلى صفقة لإطلاق سراح جلعاد شاليط الجندي الأسير في قبضة الفصائل وفي حفظ كتائب عز الدين ؛ وعلى أن توافق حماس أيضاً على وقف عمليات التهريب ذات الصلة بعملياتها العسكرية، ولكنها تربط وقف تهريب البضائع التجارية بأن تقوم إسرائيل برفع الحصار، وأضيف أن تلتزم حماس بالاتفاق إلى حد كبير إلى ٤ تشرين الثاني ٢٠٠٨

لم يمش الاتفاق بشكل تام ، فهذه طبيعة جنس اليهود بخرق العهود والمعاهدات والتفاهمات غير أن إسرائيل لم تخفف الحصار بشكل ملموس ، ففي خلال فترة شهرين بعد بدء وقف إطلاق النار ، لم يدخل إلى غزة إلا ١٦٣, ٧ شاحنة واردات ، وهو ربع عدد الشاحنات التي دخلت القطاع خلال الشهرين السابقين لفوز حماس في انتخابات يناير ٢٠٠٦، ووفقاً لتقرير لوكالات أخبار في (٩ تموز/ يوليو)، فإن في نية إسرائيل، من هذا التاريخ فصاعداً، إغلاق معابر غزة لمدة يوم واحد مقابل كل صاروخ يتم إطلاقه من فصائل الجهاد في غزة ، وبالعكس من ذلك ، السماح بإدخال ٥ شاحنات إضافية محمّلة بالأغذية و٢٠٠ طن من الإسمنت إلى غزة (زيادة على الحد الأدنى للسلع الإنسانية) مقابل كل يوم يمرّ دون إطلاق أي صاروخ .

***

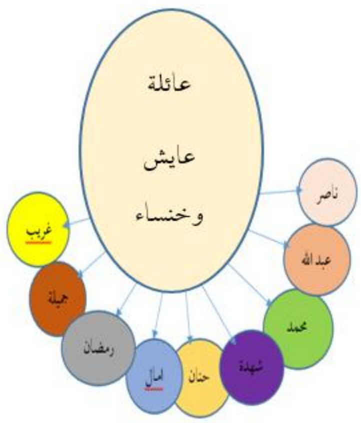
جرت أحداث الزواج بين عبد الله حسن ويسرا يونس كما خطط لها بين الشابين ، وأقيم حفل الزواج في صالة احد الفنادق الضخمة في المدينة في منصف تموز ٢٠٠٨ ، واستقر المهندس في الشفا زوجا وموظفا ، فعمل في شركة إعمار ومقاولات من الدرجة الأولى تملكها عائلة الهيثم روح الفضل ، واستلمت يسرا إدارة القسم المالي في مستشفى الرازي بناء على استقرار عبد الله في الشفا .. وكان ذلك بعد كتابة العقد وقبل حفل الزفاف .

وأصابت الدكتورة خلود لطفي وعكة صحية بعد زواج ابنتها بأسابيع ، تبين لهم أن تعاني من سرطان في المعدة ، وهو سبب كثرة المغص المتكرر معها ، واشتغلت الأسرة بمتابعة مرضها والعلاجات التي تقدم لها ؛ ولكنها فقدت الحياة بعد ستة شهور من المعاناة وكان ذلك في فبراير من عام ٢٠٠٩ ، وكانت الوفاة والأجل المحتوم بعد أحداث حرب غزة حرب الفرقان ، فغمر الحزن عائلة روح الفضل ، واستسلموا للقضاء الحتمي على كل البشر ، وأن كل نفس مخلوقة لها اجل محتوم مقدر في كتاب الحق تعالى وعلى أهل الإسلام الاستسلام والرضا بقدر الله تعالى ، وكان أكثرهم حزنا وتفجعا زوجها يونس ، فهي شريكة العمر في السراء والضراء ، ولما هلكت زوجته قرر الدكتور يونس التقاعد عن إدارة المشفى الذي أنشأه من عقود مع أثرياء وأصدقاء من الشفا ، واستقر في البيت يراجع مؤلفاته الطبية والثقافية .

***

وبينما هم في هذا الحال الحزين جاء هم ضيف من غزة عن طريق مصر راغبا بالدارسة الجامعية في جامعات الشفا ، وبدأ باللقاء بخاله يونس فهو ابن أخته خنساء الغزاوية من زوجة أبيه شهدة روح الفضل الزوجة الثانية لعبد الله روح الفضل ، فلوالده زوجة من مدينة غزة المدينة سبق الحديث عنها فقد رحلت زوجة أبيه لقطاع غزة قبل أحداث ٦٧ مطلع الستينات لوفاة أمها وترمل والدها ، وسافرت لمراعاة والدها ، وكانت ولدت من عبد الله روح الفضل بنتين وولدين قبل الرحيل ، واخته خنساء تزوجت في غزة من أقارب والديها تزوجت من ابن عم أمها

المدرس عايش إبراهيم ، فكان غريب آخر من ولدته الخنساء مطلع العام ١٩٩٠ قد انهى الثانوية العامة واحب دراسة الصيدلة في جامعات الشفا ، فرحب به يونس احسن ترحيب ، وكان ذلك عن مراسلات لم تنقطع بينهم ، وحديث جرى أثناء زواج يسرا ؛ حيث حضرت الخنساء واختها الصماء وأخواها عبد الكريم وعبد السلام وبعض أفراد أسرة روح الفضل ، ومنهم الأستاذ عايش والد غريب ، وتحدث مع أقاربه عن رغبته بتعليم ابنه غريب في جامعات الشفا ، فرحب يونس وآل روح الفضل بحضور الشاب للتعليم بينهم ، وسبب تأخر حضوره لليوم هو الأحداث التي تعصف بغزة بين كل فينة وأخرى حتى تمكن من الخروج بسلام وبدون اعتقال من إسرائيل أو مصر تجاه مصر أولا ، فهي تشارك بإيذاء سكان غزة الذين لهم صلات بالفصائل أو لأقاربهم المجاهدين ، فالسيدة الفاضلة شهدة محمد علي روح الفضل ولدت خنساء عام ٥٤ ثم صماء سنة ٥٦ ثم عبد الكريم سنة ٥٧ والرابع والأخير كان عبد السلام ٥٩ وقبل رحيل عبد الله لصور انتقلت بأطفالها لغزة وكان الانتقال بين الضفة الغربية والقطاع سهلا واقل تعقيدا من فيها بعد بسبب الاحتلال للضفة والقطاع في حرب حزيران ٦٧ والسيدة خنساء تزوجت من المدرس عايش إبراهيم من نفس الأسرة في غزة ، فغزة مدينة تجارية بين فلسطين والشام ومصر قبل الاحتلال الصهيوني وأنجبت خنساء وولدت تسعة أنفار وابنها البكر ناصر عايش وكان آخرهم غريب وذلك سنة تسعين وعادة دول المخابرات تعاقب كل أفراد العيلة بسبب عمل احدهم أو بعضهم بفصيل مجاهد أو حزب مغضوب عليه من النظام الحاكم أي بعامل القريب والصديق بجريرة غيره ، والادعاء بأنه لم يخبر النظام بأفكار ابنه أو أخيه أو صديقه ، أي أن تكون العائلة جواسيس على بعضهم بعضا تأمل هذا الانحطاط الخلقي والسياسي ، كما يقال سياسة القطيع



والمعيز ، وقام غريب بعد الوصول للشفاء بلقاء خاله يونس وقام بزيارة خالته الكبرى أم سارية برفقة الدكتور بلال وسعت العائلة له بالدراسة في كلية الصيدلة حسب رغبته في جامعة الأمة حيث تسمح علامات الثانوية التي حصلها بدراسة التخصص الصيدلي فيها ، واستأجر شقة صغيرة قرب الجامعة وأصرت العائلة الكبيرة في الشفا المساهمة في الإنفاق سواء على المحاضرات أو إيجار الشقة ، وخضع لذلك بعد قبول والده ذلك الإحسان مع أن آل روح الفضل في غزة لديهم صندوق تعليم وتكافل اجتماعي ومدعوم من أقاربهم في رام الله وصور وسوريا والشفا ومنهم انفسهم فهم سكان أصليون في غزة أو قل اغلبهم ، لأن بعض أفراد العائلة الكبيرة انتقلوا لغزة بعد نكبة ٤٨ بأموالهم وتجارتهم ، وبعضهم رحل للضفة الغربية وآخرون إلى لبنان وخاصة صور لحياتهم فيها قبل احتلال دول الشام الأربعة من قبل الاستعمار الغربي .

***

قبل هلاك شارون بسنوات أنشأ حزب كاديما صهيوني أي إلى الأمام ، هو حزب إسرائيلي تأسس في نوفمبر ٢٠٠٥ بمبادرة من أريئيل شارون بعيد انسحابه من حزب الليكود بسبب توترات ومواجهات داخلية مع خطه السياسي والاقتصادي لحكومته في الحزب من زعامات جديدة مثل بنيامين نتنياهو ، وبشكل أساسي خطة فك الارتباط والمضي قدما في إخلاء المستوطنات الإسرائيلية بقطاع غزة التي تبناها وقد انضم إليه العديد من أعضاء الكنيست والسياسيين من خارجه ومن حزب الليكود أمثال جدعون عزرا وأحزاب أخرى بينهم قياديين في حزب العمل أمثال شمعون بيريس وحاييم رامون .

ومن بين الأهداف المركزية لكاديما الحفاظ على دولة إسرائيل بكونها الوطن القومي الآمن للشعب اليهودي، وإعادة نفخ الروح الوطنية في دولة إسرائيل، مع منح المساواة للأقليات المقيمة في إسرائيل ، كما تبرز أفكار الحزب أهمية ضمان يهودية الدولة عبر ترسيم الحدود الثابتة والنهائية والدائمة لدولة إسرائيل من خلال تسوية سلمية تضمن المصالح الوطنية والأمنية لدولة إسرائيل وذلك عبر تطبيق حل الدولتين بحيث تقام دولة فلسطينية كوطن لكل الفلسطينيين ، أي لن تسمح إسرائيل بدخول لاجئين فلسطينيين إلى أراضيها، وأن تكون هذه الدولة الفلسطينية نقية من الإرهاب ، وهذا الحل يتضمن ضم مناطق هامة بالنسبة للأمن الإسرائيلي ومواقع وأماكن مقدسة للديانة اليهودية ذات مدلولات ورموز وطنية ، مثل القدس الموحدة ، عاصمة إسرائيل ، وضم أقصى حد ممكن من المستوطنين اليهود ، مع التشديد على الكتل الاستيطانية ذات الكثافة اليهودية ، وضرورة الوصول إلى ذلك عبر التفاوض مع الفلسطينيين.

بعد مرض شارون تولى قيادة الحزب ايهود أولمرت رئيس الوزراء الإسرائيلي ومن بين قيادته شمعون بيريز ، اشترك الحزب في الانتخابات البرلمانية الإسرائيلية في دورتها ال١٧ في ٢٨ آذار ٢٠٠٦، محققا فوزا سياسيا جيدا ؛ ولكنه دون التوقعات آنذاك ، حيث حاز على ٢٩

مقعدا من أصل ١٢٠ في الكنيست وأصبح بذلك يمثل أكبر كتلة في الكنيست بقيادة تسيبي ليفني التي قررت عدم المشاركة في حكومة ائتلافية برئاسة بنيامين نتنياهو، وأنها ستقود الحزب من مقاعد المعارضة لإيمانها – على العكس من زعيم الليكود – بضرورة تطبيق حل الدولتين عبر المفاوضات.

يعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت ، في خضم التحقيقات الجارية معه في اتهامات جنائية ، أنه سوف لن يخوض انتخابات حزب كاديما (المقررة في ١٧ سبتمبر)، وأنه سوف يستقيل من منصبه كرئيس للوزراء ما إن يتم انتخاب زعيم جديد للحزب ، في ١٧ أيلول، تفوز تسيبي ليفني بفارق ضئيل في انتخابات الحزب ، ويقدّم إيهود أولمرت استقالته رسمياً بعد أربعة أيام ، ولكنه يظل رئيس حكومة تصريف أعمال، ويتم تكليف ليفني رسمياً بتشكيل حكومة ائتلافية جديدة في ٢٢ أيلول ثم تعلن ليفني أنها غير قادرة على تشكيل الحكومة وهكذا يتم تحديد موعد للانتخابات البرلمانية في ١٠ فبراير ٢٠٠٩ .

***

نعود للوراء قليلا ، فقد انهار وقف إطلاق النار في غزة انهيارا كليا في ١٤ كانون الأول ٢٠٠٨ يعلن خالد مشعل رئيس مكتب حماس في دمشق (١٤ ديسمبر) أنه، نظراً لاستمرار الحصار، والهجمات الإسرائيلية عبر الحدود، فإن حماس لن تمدّد هدنة الستة أشهر عند انتهائها رسمياً (المقرر في ١٩ كانون الأول) ، ولكن في اليوم نفسه تعرب قيادة الحركة في غزة عن استعدادها للنظر في تمديد الهدنة ، وتلتقي مع ممثلين عن الفصائل الأخرى من أجل مناقشة التمديد .

في ١٥ كانون الأول تغتال إسرائيل قيادياً بارزاً في الجهاد الإسلامي في جنين ، وهو جهاد أحمد نواهضة ابن بلدة اليامون غرب محافظة جنين ، ابن لعائلة مجاهدة ربته على حب الجهاد والمقاومة وقدمت من أبنائها الشهداء والأسرى ، فشقيقه مراد أمضى ٥ أعوام في سجون الصهيونية ، وشقيقه كفاح حكم عليه بالسجن لـ ٢٨ عامًا وأفرج عنه في صفقة "وفاء الأحرار" وأبعد إلى قطاع غزة، انتمى جهاد إلى صفوف حركة الجهاد الإسلامي وذراعها العسكري سرايا القدس،

فكان نعم المجاهد الذي حفظ الوصية ، وقد تعرض للاعتقال لدى أجهزة أمن السلطة لـ ٤٠ يومًا ، شارك في عددٍ من العمليات الجهادية التي تكلف بها ، ومنها عمليات إطلاق النار التي كانت تستهدف جنود ومستوطني الاحتلال، بتاريخ ١٥ ديسمبر عام ٢٠٠٨م ، كان على موعد مع الشهادة بعد لقاء بوالدته حيث قامت قوات الاحتلال باغتياله وإطلاق رصاصات حقدها عليه في بلدة اليامون ليرتقي مقبلاً غير مدبر ، ملتحقًا بركب من سبقه من الشهداء.

هذا الاغتيال دفع الحركة في غزة إلى إطلاق ٣ دزينات من الصواريخ على المناطق الإسرائيلية في ١٦-١٧ كانون الأول ، فتردّ إسرائيل بغارات جوية عنيفة ؛ وينتج عن ذلك سلسلة من الهجمات المتبادلة بين حماس وإسرائيل ، وفي ١٨ كانون الأول، تعلن حماس أنها لن تجدد وقف إطلاق النار ؛ فتنتهي الهدنة رسمياً في اليوم التالي ، ويستمر تبادل إطلاق النار بين الطرفين بلا هوادة.

يعلن في ٢١ ديسمبر مجلس الوزراء الإسرائيلي أنه أعطى الجيش الضوء الأخضر للهجوم على أهداف غير محددة تعود لحماس في غزة ، وتطلق وزارة الخارجية الإسرائيلية حملة دبلوماسية مكثّفة لحشد التأييد لشن هجوم عسكري ، وعلى الرغم من محاولة حماس في ٢٢ كانون الأول، دفع جميع الفصائل في غزة للعودة إلى الهدنة ، يتواصل تبادل إطلاق النار، في ٢٣ كانون الأول، يُقتل ثلاثة من أعضاء حماس ، كانوا يقومون بزرع قنبلة على جانب الطريق قرب السياج الحدودي ، إثر إطلاق الجيش الإسرائيلي النار عليهم ، فتردّ حماس بإطلاق ٨٠ صاروخاً وقذيفة هاون ، وفي اليوم التالي، يحصل إيهود باراك على موافقة مجلس الوزراء على خطة تفصيلية للهجوم ، وفي ٢٦ كانون الأول، يعطي باراك القادة العسكريين الضوء الأخضر النهائي.. فكانت الحرب في اليوم التالي حرب الفرقان التي استمرت ثلاثة أسابيع متتالية .

كان اليوم الأول لها السبت ٢٧ كانون الأول ٢٠٠٨ يبدأ بالهجوم الجوي الغادر في منتصف النهار ، بمشاركة ٨٨ طائرة تقوم بضرب ١٠٠ هدف خلال دقائق معدودة ، تسفر عن مقتل ٢٢٨ فلسطينياً على الأقل ، وجرح أكثر من ٧٠٠، وقيل هو أعلى معدل لعدد القتلى في يوم

واحد منذ عام ١٩٦٧ ، وتشمل المناطق المستهدَفة بيت حانون ، وبيت لاهيا ، والبريج ، ودير البلح ، ومدينة غزة (وسط المدينة وأحياء الدرج، والشجاعيّة ، وتل الهوى ، والتفاح، والزيتون) وجباليا ، وخان يونس ، والمغراقة ، ورفح ، والشاطئ ، وكانت أهداف الضربات مراكز الشرطة المدنية ، ومن بينها مركز في مدينة غزة يتم استهدافه أثناء حفلة تخرّج من أكاديمية الشرطة يُقتل على الأقل ٦٠ من المجندين الجدد ، وقواعد تدريب ، ويطلق الفلسطينيون حوالي ٨٠ صاروخاً وقذيفة هاون.

وأصاب صاروخ فلسطيني يوم ٣٠ كانون الأول ، مدينة بئر السبع ، الواقعة على بعد ٤٠ كيلومتراً من حدود غزة ، مسجّلاً الضربة الأبعد مدى حتى ذلك التاريخ ، ومع اتضاح معالم المرحلة الأولى ، ركزت إسرائيل على القدرات العسكرية لحماس والمقاومة ، بما في ذلك مواقع إطلاق الصواريخ وتصنيعها؛ وعلى قادة المقاومة والقادة العسكريين ، بما في ذلك مقرات رئيس الحكومة إسماعيل هنية ؛ وعلى أنفاق التهريب على امتداد حدود رفح ؛ وعلى المرافق الأساسية مثل شبكة الكهرباء في غزة ،كما تم استهداف العديد من المواقع المدنية بما في ذلك الجامعة الإسلامية في غزة والمدارس والمساجد بزعم أنها مخازن أسلحة ، وصادق المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغّر على بدء المرحلة الثانية بعد أن رفض مقترحاً فرنسياً للهدنة يدعو إلى وقف فوري لإطلاق النار.

بدأت المرحلة الثانية عصر يوم ٣ كانون الثاني ٢٠٠٩، بإطلاق وابل كثيف من القذائف المدفعية وأُرسلت قوات برّية إلى داخل غزة للمرة الأولى: ألوية المظليين وغيفعاتي وغولاني ، واللواء المدرع ٤١٠، إلى جانب دعم مدفعي ووحدات هندسة واستخبارات خاصة – بحيث تخطى العدد الإجمالي، بقليل ١٠ آلاف عسكري ـ وانتشرت القوات الإسرائيلية بسرعة لتقسيم القطاع إلى ثلاث مناطق عملياتية رئيسية: منطقة شمالية تشمل المساحة الواقعة بين حدود غزة الشمالية ومفترق نتساريم ، ومنطقة وسطى تغطي المساحة الواقعة بين مفترق نتساريم وخان يونس ، ومنطقة جنوبية تغطي المساحة الواقعة بين خان يونس وحدود رفح.

وخلال الأسبوعين التاليين، ركّزت العمليات الإسرائيلية على تأمين السيطرة على مناطق مفتوحة وعلى تطويق المدن ومخيمات اللاجئين ، لكنها تجنبت التوغل عميقاً في المناطق كثيفة السكان ، وبعد قتال عنيف في أطراف القسم الشمالي من مدينة غزة ، وسّع الجيش الإسرائيلي هجماته على خان يونس في جنوبي غزة ، وأعلنت الحكومة الإسرائيلية في ١١ كانون الثاني توجّهها لاستدعاء قوات الاحتياط ، وبينما امتدت الحرب إلى أسبوع ثالث على النسق السابق نفسه إلى حد كبير ، بدأ الضغط الدولي على إسرائيل يتنامى ، مع تعبير اللجنة الدولية للصليب الأحمر عن قلقها إزاء الخسائر البشرية الفلسطينية في صفوف المدنيين ، وفي ١١ كانون الثاني، قامت إسرائيل بالتوغلات البرية الأعمق داخل مدينة غزة ، فشنّت هجوماً على جبهتين أدى إلى مواجهات قتالية وصفت بالأشد عنفاً منذ بدء الحرب، وهو ما دفع العديد من السكان إلى الهرب ، ورفع عدد الغزيين الذين تركوا منازلهم إلى نحو ٩٠,٠٠٠ .

وفي ١٥ كانون الثاني قصفت إسرائيل مجمّع أبنية تابع لوكالة "الأونروا " في مدينة غزة، مستخدمة قذائف شديدة الانفجار وقنابل الفوسفور الأبيض ، وأدّى الهجوم على المجمع الذي يؤوي ٧٠٠ مدني إلى احتجاجات دولية شديدة اللهجة ، وفي ١٨ كانون الثاني ٢٠٠٩ ، تم التوصل إلى اتفاق لوقف النار، بعد ثلاثة وعشرين يوماً من بدء الهجوم الإسرائيلي ، واستُكمل الانسحاب الإسرائيلي يوم ٢١ من الشهر نفسه.

تتفق معظم المصادر على أرقام الخسائر البشرية الفلسطينية ، سقط ١,٤١٧ قتيلاً فلسطينياً، بينهم ٩٢٦ من المدنيين و٢٥٥ شرطياً مدنياً غير مشاركين في العمليات العسكرية و٢٣٦ مقاتلاً ، وبين الضحايا المدنيين قُتل ٣١٣ طفلاً بالإضافة إلى ١١٦ امرأة ، وما لا يقل عن ٧ من العاملين في القطاع الطبي ، وقُدّر عدد الفلسطينيين الجرحى بـأكثر من ٥٠٠٠ .

كان نحو ٨٠٠,٠٠٠ شخص تقريباً ضمن مرمى الصواريخ في إسرائيل ، وقد أُغلقت المدارس العامة والجامعات في أنحاء القسم الجنوبي من البلد ، وأُصيب ما لا يقل عن ٥٨٤ شخصاً بالصدمة ومتلازمة القلق .

ومن اشهر من استشهد في معركة الفرقان وزير داخلية غزة سعيد محمد شعبان صيام في ١٥ يناير ٢٠٠٩ وزير الداخلية في أول حكومة لحركة حماس ونائب في المجلس التشريعي الفلسطيني اغتالته إسرائيل في ١٥يناير٢٠٠٩ ، يعتبر سعيد صيام من أبرز قادة حماس السياسيين الجدد في القطاع ويلقب بالرجل الحديدي في حركة المقاومة الإسلامية حماس وهو عضو المكتب السياسي لحماس .

لقد اسر واعتقلته قوات الاحتلال أربع مرات إدارياً (بدون تهمة) في سجون الاحتلال بين عامي ١٩٨٩م – ١٩٩٢ م ،أبعدته قوات الاحتلال الإسرائيلية إلى مرج الزهور بجنوب لبنان لمدة عام ، اعتقل لدى جهاز الاستخبارات العسكرية التابع للسلطة الفلسطينية حركة فتح في عام ١٩٩٥م .

بدأ اسم سعيد صيام يظهر على قوائم الاغتيال الإسرائيلية بعد اغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي والشيخ أحمد ياسين عام ٢٠٠٤، وتصدر قوائم الاغتيال بعد توليه منصب وزير الداخلية وتشكيل القوة التنفيذية شرطة حماس وغزة ، ونشرت الصحافة العبرية اسمه ضمن ١٦ اسماً مرشحة للاغتيال قبيل الحرب على غزة .

أثار صيام غضب حركة فتح وقياداتها حين عقد سلسلة مؤتمرات صحفية كشف فيها عن وثائق تثبت تورط قيادات في الأجهزة الأمنية الفلسطينية بالتجسس على دول عربية وإسلامية وما زاد التدهور في العلاقة مع حركة فتح عقد سلسلة من المؤتمرات الصحيفة أعلن فيها عن تورط قيادات في حركة فتح في مخططات تفجير واغتيال في قطاع غزة بعد سيطرة حركته على القطاع .

قصفت طائرات الاحتلال الحربية في يونيو ٢٠٠٦م مكتب وزير الداخلية آنذاك سعيد صيام وذلك في إطار العدوان على غزة بعد اختطاف الجندي الصهيوني جلعاد شاليط .

نجح الوزير صيام في حماية الجبهة الداخلية في معركة الفرقان (الحرب على غزة ٢٠٠٨– ٢٠٠٩)، بعد أن قصف الاحتلال أكثر من مئة موقع حكومي ، جُلها تتبع لوزارة الداخلية،

أودت بحياة قرابة ٢٥٠ رجل أمن، و تمكن من إعادة رجال الأمن إلى الشارع بعد ساعات فقط من استهداف المقرات الأمنية كافة ، ما أظهر حكمته البالغة في إدارة الأزمة .

استشهد سعيد صيام في استهداف طائرات الاحتلال الحربية من نوع F ١٦ لمنزل شقيقه في حي اليرموك في مدينة غزة ، برفقة نجله محمد وشقيقه وزوجة شقيقه، بالإضافة إلى عدد من الفلسطينيين ، ليختتم بذلك حياة برع فيها مربياً وداعية ومجاهداً وقائداً ووزيراً وشهيداً .

وحركة حماس نعته وقالت أنه لحق بإخوانه القادة الشهداء الذين ارتقوا من قبل أمثال الشيخ أحمد ياسين والدكتور عبد العزيز الرنتيسي وإبراهيم المقادمة والمهندس إسماعيل أبو شنب وجمال منصور وجمال سليم والشيخ صلاح شحادة وأخيرا بالشهيد القائد الشيخ نزار ريان الذي ارتقى هو الآخر في غارة مماثلة استشهد هو و١٥ من أفراد أسرته.. قبل سعيد بأيام قليلة .

***

الشيخ نزار

ومن نال شرف الاستشهاد في معركة الفرقان القائد العالم نزار عبد القادر محمد ريان العسقلاني اغتيل في أول يوم من عام ٢٠٠٩ في معركة الفرقان في جباليا شمال القطاع من غزة ، وهو يوصف بداعية إسلامي، وسياسي ، وعسكري، وشهيد، ومجاهد، وقائد سياسي وعسكري بارز في حركة المقاومة الإسلامية حماس ، وهو محدّث وعالم متخصص في الحديث النبوي الشريف ، أستاذ جامعي في علم الحديث ، وأستاذ شريعة بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة ، ولد في مخيم جباليا وتعود أصول أسرته إلى قرية نعليا إحدى قرى مدينة المجدل عسقلان.

اغتالته إسرائيل في أول أيام عام ٢٠٠٩ مع ١٥ من أفراد أسرته ، بقصف جوي على منزله بمخيم جباليا في قطاع غزة اشترك في العمل العسكري مع كتائب القسام ، شكل مع مجموعة من قيادات حماس حزب الخلاص الإسلامي في بداية عهد سلطة أوسلو غزة ، وشارك قيادة حركة حماس في مفاوضات مع الفصائل وخارجها كما شارك في القيادة السياسية لحماس، كما شغر عضوية المكتب السياسي في حركة حماس الداخل لعدة دورات متتالية حتى استقالته من عضوية المكتب السياسي في عام ٢٠٠٨وذلك للتفرغ للبحث العلمي.

اغتيل في أثناء الحرب الإسرائيلية على غزة ٢٠٠٨ في قصف جوي صهيوني على منزله في مخيم جباليا مع زوجاته الأربعة وإحدى عشر من أبنائه وبناته تتراوح أعمارهم ما بين العامين والاثني عشر عاماً، ولم يخضع للتحذير والرحيل .

وكان يشارك مقاتلي القسّام رباطهم واشتباكهم مع قوات الاحتلال في الاجتياحات المتكررة لأحياء غزّة وشمالها على وجه الخصوص ، وعرف عام ٢٠٠٤ بدوره في المساهمة في التصدي لمحاولة اجتياح الاحتلال شمال القطاع ، واشتهرت عبارته "لن يدخلوا معسكرنا يعني لن يدخلوا معسكرنا"، التي قالها خلال رباطه في الصفوف الأمامية خلال ما تسميها المقاومة الفلسطينية "معركة الغضب" التي قاومت فيها الاحتلال ١٧ يوما (من ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٤

إلى ١٦ أكتوبر من العام نفسه).

مثّل حركة حماس في لجنة الانتخابات المركزية التي تولت عقد الانتخابات التشريعية ٢٠٠٦، وفازت فيها حماس بنحو ثلثي مقاعد البرلمان ، وكان قبلها قد أفتى بجواز دخول الحركة في الانتخابات التشريعية.

استشهد ابنه إبراهيم قبله بسنوات في عملية اقتحام مستوطنة إيلي سيناي في أكتوبر ٢٠٠١ مع رفيقه عبد الله شعبان ، في نوفمبر ٢٠٠٦، اعتلى نزار ريان مع مئات المواطنين في جباليا منزل محمد بارود ، القيادي في لجان المقاومة الشعبية، الذي طلب منه الجيش الإسرائيلي إخلاءه تمهيدا لقصفه، وقرر ريان وأنصاره حماية البيت وصاحبه بأجسادهم.

***

قامت ياسمين يونس ليلة بزيارة شقيقتها يسرا فقد سمعت أنها مريضة ، فرحبا بها وسألاها كالعادة عن زوجها وميادة ابنتها الوحيدة لم تلد غيرها لتلك اللحظة فقالت باسمة : استغلوا هذه الزيارة لزيارة أمه

فابتسموا لهذا العذر ، فقالت تسأل عن وضعها الصحي : سمعت من أبي انك مريضة ولم تذهبي للعمل صباح اليوم .

قالت : التهاب قصبات كما يقول أطباء المستشفى ، وطلبوا مني ترك الدخان الذي أدمنت عليه وعبد الله ينصحني بذلك ما رأيك ؟ هل استطيع فعل ذلك بعد كل هذه السنوات من التدخين يا دكتورة ؟

تبسمت ياسمين دكتورة التاريخ : افهم من ذلك انني ممنوع من التدخين يا حضرات !

ـ لدينا حجرة خصصت للتدخين ، فأنا لا احب إزعاج عبد الله برائحة الدخان واستخدم أنواع من العلكة لتخفيف رائحته عنه

ضحك عبد الله وقال وهو يقف : أتسمحون لي بدخول المكتب لتأخذوا راحتكم في الحديث والغيبة ؟

ضحكت ياسمين قليلا وقالت: الغيبة ! وهل هناك امتع من الغيبة بنقل أخبار الناس يا شيخ عبد الله ؟ اجلس ..اجلس آسف .. صدق لا أسرار يا عبد الله ..فنظراتي إليك لا تقول دعنا وحدنا ؛ بل أنا احب سماع قصصك عن لبنان وأحداث بيروت ؛ فكما تعلم أنا اعشق التاريخ وسير الأبطال وحرب تموز الأخيرة لقد كنت شاهدا فيها .. وشغلت الإعلام الفضائي والصحف والمشعوذين وتحرير فلسطين .. مسكين الإعلام العربي .

فقال : حدثتني يسرا عن غرامك في التاريخ بشكل عام وقضية فلسطين بشكل خاص وأسرار التآمر العالمي على فلسطين وهبتها لبني صهيون بمكر خبيث .. كانت حربا كغيرها من الحروب قصف وقنابل .. الشخص بعد حين يتعود على صوت القنابل وصراخ الجرحى والنساء ..

والحافظ هو الله سبحانه .. يكتظ الناس في الطوابق السفلى والأقبية أثناء القصف .. وأنا قضيت الشهر في مدينة صور ، توقف العمل ولم يبق في المكاتب سوى الحراس وشركات الأمن الخاصة وتعرضنا لقليل من الأضرار والخسائر كان الضرر الأكبر على ضاحية بيروت

ـ إذن ابق واجلس إلا اذا استثقلت الجلوس معي .

جلس وتناول الشاي من الخادمة وقال : أبدا أبدا ؛ إنما قلت ربما بينكم كلام خاص

ضحكت ياسمين وقالت : كلام خاص يا سيدي ! وبعد خروجي ستسمعه منها فزالت عنه الخصوصية .. لن نتآمر عليك ما صدقنا وهي تجد زوجا مثلك !

فضحكوا جميعا وقالت ساخرة : أنا كنت أظن أن يسرا لن تعانق رجلا في يوم من الأيام ، ولما قابلتك في عملها اليسير في بيروت عادت تهمس بالحب وابن عمها اللطيف الخفيف علمنا أنها عادت أنثى مثلنا .

فقالت يسرا بعد تكرر ضحكهم : ها هي ابنة عمك تكشف الأسرار .. عبد الله يعلم انني أحببته من تلك الزيارة أو قولي أعجبت به أو أعجبنا ببعض ؛ لعلها تكون الأصح ، وهو كذلك وسأخبرك بخبر صغير وهو

قالت : وهو ؟!

ـ انني احمل جنينا في رحمي

قالت بابتسامة : أبي اسر لي بذلك ، وتمنى لو كانت أمي حية لتحضن ابن يسرا كانت مرعوبة من عدم زواجك يا يسرا ، وانا سعيد بهذا الخبر ومن اجل ذلك جئت أيضا ، وأتم الله عليكم الفرح بالطفل

وقامت تعانق أختها رغم محاولة تلك ألا تفعل خشية العدوى ، وباركت للمهندس وقالت يسرا : سيسميها المهندس خلود إن كانت أنثى

ـ يا سلام على الحب والوفاء !

***

ذكرت ماضيا أن السيدة الطبيبة أمينة عبد الله روح الفضل أنهت الثانوية في صور اللبنانية بسبب هجرة أبيها لصور عام ١٩٦٣ ، وتبعت شقيقها يونس ابن أمها وأبيها لدراسة الطب في مدينة الشفا عاصمة بلاد الشفا ، وكانت اصغر من شقيقها يونس بعامين ودرست الطب مثله ، وكانوا يعيشون في كنف ورعاية العائلة الكبيرة من آل روح الفضل أو فضل الله ؛ فلذلك لم انهوا الدراسة كأطباء تزوجوا من أقاربهم ، فيونس تزوج خلود لطفي طبيبة مثله ، وكانت تصغره بسنتين ، وأما أمينة فنكحت قريب من العائلة اسمه صلاح الدين محمود روح الفضل ، كان يعمل موظفا في دائرة الأوقاف ورعاية المساجد بعد تخرجه من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ثم توظف واشتغل في إمامة مسجد في قلب الشفا ، فولدت منه الطفل الأول بنتا سميت سعاد عام ٧٦ في فبراير منه ، وهي التي تزوجها الدكتور بلال يونس بعد طلاقه لتمام احمد وقد كانت أرملة ، ولما درست الثانوية انتقلت لكلية الطب كوالدتها ، ولما تخرجت تزوجت قريب لأبيها ؛ ولكنه توفي قبل انتهاء سنتين من الزواج ، يبدو أنه كان مريضا قبل الزواج ، ولما ترملت تزوجت ابن خالها الدكتور بلال يونس كما سبق الحديث عن ذلك ، وقد وضعت مولودها الأول في آخر عام ٢٠٠٨ وسمته صلاح بدون الدين ، وقبل بلال ذلك بدون تردد فصار ينادى بأبي صلاح بدلا من أبي شريف ، فهو عاشره قبل وفاته ، وهو زوج عمته أمينة حماته اليوم ، وقد حضر عددا من الجمع والصلوات في مسجده كلما زار عمته ، ونعود لأمينة وضعت الطفل الثاني أنثى سميت سلوى وكان ذلك عام ٧٧ ، وكان حظها مثل أختها دراسة الطب نحو سعاد ، وكذلك تزوجت من أقارب والدها صلاح الدين ، وسنة ٧٩ وضعت أمينة الدكتور الشرعي سارية صلاح الدين وهو أول ذكر تضعه ، درس الشريعة تأثرا بوالده وعمه جمال الدين محمود الذي يعمل محاضرا في جامعة في مدينة الشفا ، وبعد سارية حدثت عملية إجهاض، ثم أنجبت المهندس سميحا عام ٨١ وختمت بعبيدة صلاح الدين عام ٨٣ وترملت أمينة بعد تخرج سعاد من كلية الطب بسنة واحدة ودرس عبيدة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية .

دراسة الشريعة تستغرق اربع سنوات على الأكثر ومثلها لدراسة الماجستير والدكتوراه ؛ لذلك في خريف ٢٠٠٦ كان سارية يحمل تلك الشهادات العلمية والأكاديمية ، وكان أثناء دراسة الدكتوراه قد اشتغل في جامعة محاضر على شهادة الماجستير ، وكانت دراسته الأولى في الفقه وأصوله والثانية كانت في المصارف الإسلامية والأخيرة حول العقيدة والفرق الإسلامية القديمة والمعاصرة .

قبل الاشتغال بتحصيل الماجستير حبب إليه عمه جمال الدين النكاح من ابنة صديق له محاضرا في الجامعة التي يعمل بها ؛ وقبل الزواج منها ؛ ولكنه اجل المشروع حتى ينتهي من الدكتوراه وقبل والد الفتاة والفتاة نفسها وانشغلت بدراسة الماجستير ثم الدكتوراه مثله ، وكانت الفتاة تصغره بسنة واحدة وكانت تخرجت من كلية الآداب والتعليم بلسانس لغة إنجليزية تزوجها في صيف ٢٠٠٦ ، وظل يعيش في بيت والده وأمه وباقي الأخوة ، وكان له نشاط في الصحف والمجلات المنتشرة في البلد والعالم العربي والإسلامي ، وكان له نشاط سياسي في حزب قيامة الأمة ، وهو حزب يجمع بين الدين والمعاصرة ؛ وكأي حزب سياسي قائم في البلاد لهم اهتمام بالسياسة والانتخابات والحكومة ، ووضعت زوجته أول طفل له قبل حرب غزة ٢٠٠٨ بشهرين تقريبا .

استطاع عمه جمال الدين من تيسير عمل اكاديمي لهما في جامعة محلية في مدينة هود في كلية الآداب والعلوم ليحاضر في المادة الإسلامية لطلاب تلك الكلية وزوجته نور الشمس في مادة اللغة الإنجليزية وآدابها العالمية .

وكانت زوجته ابنة دكتور جامعي وقيادي في الحزب قيامة الأمة ، واسمها نور الشمس حسن وكان سارية ونور من نشطاء الحزب في مدافعة التغريب والانحراف والحركة النسوية المخالفة للإسلام والفطرة ، وكانت مهتمة بنشر الوعي بين النساء والطلاب وتبيان خطر التغريب وتفكيك الأسرة المسلمة مثل ما يحصل في الغرب وتثير سلبيات المجتمعات الغربية بالتفكك والانحراف وضياع الأطفال وكيف نقل العلمانيون آفات وعيوب مجتمع الغرب للمجتمعات

المسلمة قبل نقل مدنيتهم وصناعتهم إلى بلاد المسلمين ، وكيف شاع العري والسفور والميوعة وشرب الخمر علنا والملاهي والمراقص بين المسلمين .

ونشر الزوجان مقالات صحفية في دعم الجهاد وحركات الجهاد في فلسطين بكل الأسماء ، وتألما كغيرهم من أبناء الأمة على الأعداد التي سفكت دماءهم طائرات وأسلحة إسرائيل وأوروبا وأمريكا في جوف غزة في مطلع العام الحالي .

كان سارية يوما يجلس مع زميل كلية في مطعم الكلية يشربان الشاي ككل نهار ، فدحلت مدرسة مثلهم ألقت عليهم التحية ، وتنحت إلى طاولة لا يجلس عليها احد فجلست عندها ، فقال الزميل نهاد ماجد : أتعرف هذه الدكتوراه مارسيل كارل ؟

ـ اعرف أنها زميلة في الكلية فقط.. وهي تعلم مادة اللغة الإنجليزية مثل زوجتي نور الشمس

هزّ نهاد ماجد رأسه مؤكدا ذلك : صحيح ، هي لطيفة ، وهي ليست عربية ؛ ولكنها تتقن العربية مثلنا يا دكتور سارية

ـ لاحظت ذلك في اجتماع مع العميد .. لكنك فاجأتني بأنها ليست عربية

ـ نعم هي غربية المانية قريبة من الخمسين سنة

ـ لا يظهر أنها أوروبية أو المانية

تبسم نهاد وقال : وأنا لماذا أحدثك عنها ؟ لغرابتها .. هي عاشت طفولتها بمصر أيام عبد الناصر الزعيم الناصري المشهور .. أنت ولدت اعتقد بعد هلاكه وفشله في كل الحروب التي خاضها .. أمها مصرية وأبوها ألماني .. أمها أجنبية مصرية ليست مسلمة .. الغريب ..

ـ ما الغريب يا دكتور نهاد ؟!

ـ تزوج والدها الألماني أمها أثناء وجوده بمصر وولدت بمصر ، وتعلمت بمدارس أجنبية بمصر ، ثم انتقلت لبرلين ؛ حيث درست الدراسات العليا ، وأما الغريب فإنها تزوجت شابا عربيا من فلسطين لا يحمل أي شهادة علمية .. مجرد عامل محل .

ـ فعلا غريب .. كيف حصل ذلك ؟!

قال نهاد ماجد : كما أثرت فضولك أثارت هذه الحكاية فضولي .. هذا الشاب واسمه داود سعيد ، كان يعمل عاملا في شركة إسرائيلية لها فروع في أوروبا انتقل للعمل في فرع برلين الغربية قبل اتحادها مع ألمانيا الشرقية ، وتعرفت عليه في حانة أثناء سهرة ماجنة كما أخبرتني هي وبعض الزملاء من الكادر ، فأحبته وزعمت لهم أنها أرغمت أهلها على الزواج منه ، وحصل ذلك فهو عربي مثلنا ولكنه يحمل جنسية إسرائيل كسائر العرب الذين لم تطردهم إسرائيل من بلادهم الأصلية ، ولما عادت لمصر كان معها كزوج ، ويعمل في الاستثمار والاستيراد ؛ حيث ترك الشركة الإسرائيلية ، ثم انتقلت للعمل في هذه البلاد من سنوات قليلة بما يسمى تبادل خبرات ، وعملت في جامعة هود أرأيت الدنيا يا صديقي ؟

ـ فعلا قصة غريبة ، وظلت زوجة لذلك الشاب لليوم !

وتابع نهاد : نعم ، وهي متعلقة به تعلقا لليوم ؛ لأننا شاركناها وزوجها عدة مناسبات اجتماعية وصحية بحكم الوظيفة في هذه الكلية .

كان سارية يهز رأسه اندهاشا لتصريف القدر : هل أنجبت منه ؟

فكر قليلا وقال : كعادة الأجانب طفلة واحدة فقط ، وهي اليوم طبيبة في ألمانيا ، ولم يصدف أن رأيتها هنا أو في بيتها ؛ لأنني كنت اسمع بزياراتها لوالديها ، وهي لطيفة كما قلت لك ؛ بل تفخر بزوجها العربي لدرجة تعجب منها .

ـ وهل يشتغل زوجها هنا ؟

ـ هو يعمل في شركة استيراد خاصة بهما ؛ كما كان يعمل في مصر قبل الانتقال لبلاد الشفا .

***

مر آنفا أن زواج بلال وتمام كان فاشلا ، وزعمت أن الطلاق سببه عجزه عن الإخصاب والإنجاب ، ثم حصل الطلاق كما ترغب وتريد ، وأنا وأنتم تعلمون السبب الحقيقي للانفصال عندما كانت طالبة كانت تحلم وتخطط مع مراد بدو ابن مدينة الهدهد احدى مدن بلاد الشفا بالزواج كنهاية لقصة حب جمعتهما في ساحات كلية الطب ؛ ولكنها ما كادت تتخرج كطبيبة حتى كان شقيقها الأول راضي يدبر لها نكاحا من طبيب زميل يعمل تحت رئاسته في مستشفى البركة في مدينة هود الساحلية ، وكان هناك ابن خال لها ينتظر هو الآخر تخرجها للزواج منها ؛ كما اتفقت أمها وأبوه الشقيقان على ذلك ، ففضلت أمام الواقع الزواج من بلال اختيار راضي واستمر الاقتران اكثر من سنتين بسلام ، والحقيقة أن السلام استمر عام ونصف فقط ؛ لأنها بدأت تضغط عليه بالإنجاب الذي اتفقا على تأخيره ريثما يستقر الزواج ، ولكنه عرف قصة تعلقها بمراد من زميل لهما عمل أسابيع في مشفى البركة ؛ فادرك بلال سبب الإلحاح بالخلفة رغم اتفاقهما قبل الزواج على تأخير فترة الولادة إلى خمس سنوات على الأقل ، ولم تعارض ، وكلاهما كان يرغب بالاختصاص الطبي ، وهي لما التقت بزميلها الدراسي مراد رغبها بالطلاق ليتزوجها مخبرا لها بفشل زواجه من قريبته التي اجبر على الزواج منها قبل نيل شهادة الطب ، فصارت كلما تنزل مدينة الشفا لزيارة والدتها ، يتفقان على اللقاء والسهر بحضور فيلم أو حفلة موسيقية بعد عشاء في مطعم ، المهم بعد مناورات وتبريرات حصل الطلاق الذي اغضب راضي منها ومن أمه التي دعمت ذلك لمقصد لم يعرفه ؛ لأن ابن شقيقها المهندس جهاد تزوج بعد زواج تمام بزمن قصير .

في مطلع سنة ٢٠٠٨ تزوجت من حبيبها مراد بدو ، ورفض راضي وميلاد مشاركتها فرحتها ولم تكترث لذلك ، ورفض شفاعة أمها وبعض أخواله وأعمامه لتغيير عناده وموقفه ، وكانت قبل الزواج انتقلت للعمل في احد مستشفيات مدينة الهدهد ؛ حيث يعيش مراد مع عائلته وعمله ، وبعد الزواج بفترة اكتشفت أن زوجها الجديد لم يطلق قريبته كما أوهمها ؛ إنما هجرها

لمشاكل عصفت بها ، وأن له منها طفلا فصدمت لم سرب إليها من أنباء ، وابتعلت الأمر وانه افسد زواجها من بلال للضغط على أسرته لتحقيق مأرب أخرى تجهلها ، وهدأها ؛ كما يقال بأنه يرتب معها موضوع الطلاق وهو غير مهتم بها ؛ إنما يهمه أقاربه وموقفهم منه .

ولما عرف أهلها أنها ضرة زادت شماتتهم منها ، وأصبحت سخرية لراضي وبعض العائلة وحتى من بعض أخواتها الأكبر ويسألونها كيف سخر منها وصدقت أنه مطلق مثلها ؟!

اضطرت لاستخدام موانع الحمل ؛ لأنها ادركت أن زواجها في مهب الريح وأكثرت من التذمر والاتهام بالغدر والخيانة ورفض الأمر الواقع والحرد والسفر لبيت أمها وأكثرت من الإجازات المهنية للضغط عليه بتطليق ضرتها .

قال أمها بسخط : ألم تخبريني بأنه طلق عبلة ولم تلد له وطلقها لهذا السبب؟

مسحت دموعا سقطت رغم أنفها وصرخت : صدقته صدقته وأنا مصدومة .. الذكريات أعمتني ظننت انه عاد رجلا ويستطيع اتخاذ القرار المرغوب فيه

قالت أمها : أنا تحمست لطلاقك من بلال صديق راضي ؛ لأنني ابغضه منذ تعرفت عليه كرهته ولم أحبه ..كان عليك أن تقترني بجهاد الذي انتظرك سنوات

ـ لم احبه هو الآخر .

قالت بسخرية : وهل أحببت بلالا يا دكتورة ؟

ـ لم احبه ، كان مراد اللعين يعلم مني برغبتك بتزويجي من ابن أخيك جهاد ، ورفض أهله للزواج مني لقصة حدثت بيننا أيام الجامعة ، وتلك القصة هي التي دفعتني لقبول بلال وتقديمه على جهاد .

ـ قصة لم اسمع بها !

ـ قصة مختصرة كنت يوما في زيارة لأسرته في مدينة الهدهد ، وحدث موقف مشين لشخصي فلم احتمل الموقف فصفعته كفا أمام امه الحقيرة فغضب وغضبت أمه وأقسمت أن لا يتزوجني

ـ ولماذا صفعته أمامهم ؟!

ـ زعم أمامهم أنني زوجة له مدعيا لي فيما بعد أن تصريحه ذلك للضغط عليهم بقبولي زوجة لابنهم .. وهذا غير صحيح ، لم أعاشره قبل زواجي منه ، كانت حيلة رخيصة أمام أسرته وعشيرته ..فما كان مني إلا أن صفعته وإنكار أني زوجة سرية وكذبته ، ثم بعد حين تصالحنا وبعدها زوجوه عبلة ، فقبلت بلالا كزوج لأنني لا أريد جهادا .

صاحت أمها مغتاظة : يا لك من سخيفة ! .. لولا كرهي لزوجك السابق لما سمحت لك بالطلاق .. لليوم أخوك راضي هاجرني من تحت رأس زواجك من الشيطان مراد ..ولولا زوجته الطيبة ما عرفت أخباره .. فهي تتواصل معي حتى أنه مرض فترة ورفض واصر على عدم سفري اليه .. وميلاد يأتي لأسمع منه الكلام المؤلم والموجع بسببك .

قالت تتذكر الماضي : لما التقينا بعد زواجي بسنة واشهر ذكرني بتلك الأيام اللعينة أيام الحب الموهوم .. وسهرنا في ملهى ليلي كعادة عرفناها في الجامعة ، ثم صرنا نلتقي كلما أغادر هود للشفا لرؤيتك ورؤية الأصدقاء والصديقات فنحن لم نفترق من زمن بعيد ..وناكل معا بحكم الماضي وذكرياته وكان بلال قليل النزول للشفا إلا مضطرا ولا يحب السهر والحفلات .. ثم تطور الأمر إلى حديث عن الزواج والغرام ..وأنه طلق امرأته ؛ لأنه لا يعرف العيش معها واجبر على الزواج منها .. وأعاد لها ذكريات تلك السنوات وما زال يحلم بأن نتزوج.. وصدقت الادعاء وزعم أنها مطلقة ويدفع لها نفقة ويبدو لي انه أعادها لذمته بعد زواجي بحكم أنها قريبته ، وله له منها ولد دون علمي .. تعرض لضغط شديد بدا لي ..خدعني .. لم اكن ضرة يا أمي عندما تزوجنا .. أمام كاتب العقد قال انه مطلق

أطفأت أمها سيجارتها بسخط وقالت : والآن !

ـ طلبت الطلاق ، ومنذ بداية المشكلة استخدم وسائل منع الحمل اللعينة .. وحمدت الله أن لم يحصل الحمل المنشود قبل استخدامها

قدمت الخادمة القهوة وقالت الأم وهي تشعل سيجارة جديدة : جيد ! خلال اقل من خمس سنوات تطلقين مرتين .. ما هذا الحظ العاثر والنكد !

قالت وهي تشرق بدموعها : نصيبي وقدري

ـ واذا رفض الطلاق وقد قبل ورضي بالتعدد

ـ قلت له ولأمه القبيحة يا أنا يا هي .. لن اقبل أن أكون ضرة مهما بذل من حوافز وإغراءات لقد كنت مخدوعة بكم .

ـ كيف سأتصالح مع راضي الذي خاصمني بسببك ؟

قالت تمام بغير مبالاة : سيعود إليك ، وسيضعف الغضب ، وتعود المياه لمجاريها .. هو وقف هذا الموقف الحاد منا لإرضاء بلال يونس .

أشعلت السيجارة بعدما خمدت أنفاسها وقالت : للأسف أنت لا تعرفين شقيقك راضي .. كان يغضب والده أحيانا ولا يبالي ..بلال تزوج قبلك تزوج ابنة عمته الدكتورة سعاد وهي تعمل في مستشفى والديه مع والدته الدكتورة خلود لطفي لعلك سمعت بموتها رحمها الله

وضعت كوب القهوة وهزت رأسها مرات ثم قالت : سمعت من بعض الزميلات وسمعت أنها حامل منه .. اشعر اليوم أنه كان على دراية بصداقتي لمراد وكتم ذلك عني وعن راضي .. وظن ربما قبل زواجنا السريع والتعس أنني نسيت أمره بعد التخرج والعمل معهم .. وهذا ما كان قبل عودة الصداقة والحنين لسنوات الحب الأولى .. للحب التعيس .. ويا ليتها ما عادت أنت لماذا كنت تكرهين بلالا ؟ هل فقط بسبب ابن خالي ؟

وضعت القهوة وأخذت نفسا من السيجارة : هذا احد الأسباب واهمها ، أنا في البداية كنت أظن أنك ستتزوجين صاحبك اللعين في الكلية .. فأختك ناهد كانت مطلعة على صداقتك مع صاحب الجامعة وعمقها ؛ ولكنها لم تكن تعرف اسمه ، وهي لم تهتم بشأنك الخاص مع من تسهرين تسافرين تلهين تشربين .. فظننته أو غلب على ظني أنه هو فارس الأحلام وأنك اخترتيه على جهاد فوقع بغضه في قلبي لما رجحت كفته على اختياري وخيبتي عند شقيقي .. ولما تقدم بلال إليك عرفت انني جاهلة ولكننا هكذا تربينا ألا نتدخل في شؤون الأبناء اذا دخلوا الجامعة وكبروا

في أول شهور ٢٠٠٩ حصلت تمام على وثيقة الطلاق من مراد ، وكانت خلال فترة المفاوضات قد امتلكت شقة خاصة في احدى عمارات الشفا ، وقررت العيش وحدها ورفضت عرض أمها بالعيش معها ، وتلقت رسالة شماته من راضي يعزيها بفشل الزواج من رفيق الجامعة ، فردت عليه برسالة الكترونية مماثلة شكرا لعواطفك نحوي عليك أن تتصالح مع أمك بعد حريتي من عدوك .

***

ذهب بلال وزوجته سعاد لزيارة الدكتور سارية صلاح الدين في مدينة هود ؛ حيث يعيش الدكتور بحكم عمله في جامعة هود محاضرا في كلية الآداب وسبب الزيارة إصابة زوجته نور الشمس بوعكة صحية ، فأحبت سعاد عيادة زوجة شقيقها ، ولما تمت الزيارة الاجتماعية اتصل بلال بالدكتور راضي صديق مستشفى البركة بسبب وجوده بهود ، فهما رغم تطليقه لأخته ظلا على صداقة واتصال بين بعضهم بعضا ، ولم تنشأ بينهما عداوة بسبب الطلاق ؛ لأن راضيا ادرك أن أخته هي التي أرادت الانفصال لقصة حب عاشتها أثناء الجامعة ، ولم يكن على علم بها بتلك العلاقة والقصة ، ولم يسمعها من الأسرة ، وكان اللقاء في مقهى مشهور في شارع مشهور في المدينة اسمه مقهى موسم الربيع ، ولما عانقا بعضهما ، وسمعا أخبارهما وسبب وجوده في هود قال بلال : اخو زوجتي وابن عمتي الدكتور الشيخ يعمل في جامعة هود .

دهش راضي وهتف : حقا ! الدكتور سارية صلاح الدين ابن عمتك الدكتورة أمينة في هود التقيت به واذكره عندما كنت زوجا لتمام احمد .. هل علمت أنها طلقت من جديد ؟

ـ سمعت يا صديقي الفاضل وأسفت لذلك! وقد وقفت معي موقفا نبيلا لا ينسى وأصارحك اليوم أن هذا الرجل الحقير هو الذي افسد زواجنا وليس الحمل

قال بأسف : علمت متأخرا من أخي ميلاد أشياء لم اكن اعرفها .. أنت كنت تعرف !

فسر موقفه فقال : منذ بدأت مشكلة الحمل أحسست أن هناك شيئا في غير محله ؛ لأننا كنا قبل الزواج اتفقنا على عدم الإنجاب لفترة من الوقت .. فلماذا غيرت بعد سنة .. والذي عرفني على قصة رفيق الجامعة طبيب اشتغل معنا فترة ؛ لعلك تذكر أن طبيبا عمل في المستشفى فترة قصيرة وذكر لنا أو لي انه درس معها ، وكان يعتقد انهما سيتزوجان فور التخرج ، وتفاجأ بزواجها مني ولكنه انتقل لمدينة أخرى كما تذكر، فلما بدأت اللهفة على الحمل ادركت بشيء يصير في البيت

قال صادما لبلال بسؤال : أتراها خانتك ؟

ـ لا ، لا ، لم تصل للخيانة الزوجية حسب علمي صدق ذلك .

ـ ألا ترغب بزيارتي في البيت فكثيرا سلمى تسأل عن أخبارك وتثني عليك ؟

ـ سأفعل في زيارة قادمة .. ما رأيك أن تجدد معرفتك بسارية بها أنه يعيش هنا يحاضر في جامعة هود هو زوجته .

ـ كنت سأطلب ذلك ، فيحتاج الإنسان لسماع أحكام الدين في مسائل تطرأ عليه.

ـ جيد !

اتصل بابن عمته ورحب الشاب الشيخ بهم ، وهو في انتظارهم لتجديد المعرفة ، واستقبلهم في غرفة الضيافة وهو يرحب بالدكتور راضي ، وهما يتذكران أيام زواج بلال من شقيقته ، وقدمت لهما خادمة الشقة الشاي الأحمر وأوراق النعنع الأخضر ، وتحدث سارية عن وظيفته محاضرا في الجامعة كلية الآداب مدرسا لمادة الثقافة والتراث الإسلامي وعقب راضي : وأنا اعمل كما تعلم في مستشفى الحكومة ، وانتهى اللقاء بدعوة لسارية للغداء مع أسرته لتتعرف زوجته على الدكتورة نور الشمس ، فرحب سارية بتلك الدعوة واعتذر بلال عنها

***

اغتيال المبحوح

ظهرت جريمة اغتيال صهيوني لمناضل فلسطيني في يناير ٢٠١٠ في دبي ، عثر على المجاهد القسامي محمود المبحوح مقتولاً في غرفته في أحد فنادق دبيّ في دولة الإمارات الخليجية في ٢٠ كانون الثاني ٢٠١٠ ، اغتيل محمود المبحوح أحد أعضاء كتائب عز الدين القسام في ١٩ يناير ٢٠١٠ بفندق في مدينة دبي عن عمر ناهز ٥٠ عاما ، وقد تم اغتياله بعد صعقه كهربائيًا داخل غرفته الفندقية ، ومن ثم جرى خنقه حتى لفظ أنفاسه دون أن تظهر أي إصابات على جسده ، هكذا قيل أول الإعلان عن تلك الجريمة القذرة من قبل شرطة دبي احدى إمارات دولة الإمارات السبعة في الخليج العربي ؛ لكن تشريح الجثة كشف عن آثار للسم في جسده ، ويذكر أن الرجل محمود المبحوح الغزي تعرض لأربع محاولات اغتيال قبل هذه العملية ، وهو قيادي بارز في حركة حماس ، وعضو مؤسس في كتائب عز الدين

القسّام التابعة لحماس ، ومقيم في سوريا بعد الخروج من غزة ، وكشفت تحقيقات شرطة وسلطات دبيّ أن المهاجمين عددهم ١١، ويحمل معظمهم جوازات سفر أوروبية (بريطانية وألمانية وإيرلندية)، وقد غادروا البلاد مباشرة بعد تنفيذ عملية الاغتيال ، وعلى الرغم أن أصابع الاتهام تتجه إلى إسرائيل ، إلا أن الأخيرة لا تعترف بدورها ؛ وهكذا تفعل عند كل اغتيال ، تنتظر فترة قد تطول أو تقصر ، ثم تستعرض عضلاتها الاستخبارية للعالم ، مع أن بصمات الإرهاب الصهيوني معروفة قبل ظهور دولة إسرائيل ككيان معترف به من كبرى دول العالم ، بل صرحت في ٣١ يناير أن المبحوح قد لعب دوراً رئيسياً في تهريب الصواريخ والأسلحة الأخرى من إيران إلى غزة. . ويعني هذا التصريح أن اغتياله مبرر .. كأن الاغتيال يحتاج لتبرير في قاموس الصهيونية .

حسب الإسرائيليين كان دور المبحوح رئيسيا في مساعي حماس لتهريب الصواريخ وغيرها من الأسلحة إلى قطاع غزة الذي تسيطر عليه حماس منذ ٢٠٠٧ ، وأنه كان عنصرا استراتيجيا بالنسبة لحماس فيما يتعلق بالتسليح من إيران ، كأن حماس تعتمد على شخص واحد فقط في إدخال الصواريخ والأسلحة لغزة ؛ حيث تتهم إسرائيل إيران بتزويد حماس بالأسلحة بحرا وبرا من خلال السودان ومصر ، وبينت إسرائيل أن الموساد حاول في أكثر من مرة اغتياله ، وتقول أنه هو من يقف وراء تهريب صواريخ ووسائل قتالية أخرى من إيران إلى قطاع غزة ، زاعمة أن شاحنة السلاح التي قصفها الطيران الإسرائيلي في السودان عام ٢٠٠٩، كان هو من يقف خلفها، على اعتبار أنها كانت تتجه لغزة ،كما ساهم في تشكيل كتائب عز الدين القسام ، وأسر وقتل جنديين إسرائيليين.

وصل محمود المبحوح يوم اغتياله إلى دبي قادما من دمشق بجواز سفر عراقي أو فلسطيني مزور باسم محمود عبد الرؤوف محمد حسن ، وكان ينتقل من دولة إلى دولة تحت غطاء تاجر دولي ونزل فندق البستان روتانا ، ثم ذهب لحضور اجتماع في القنصلية الإيرانية ، عاد بعده إلى غرفته حيث كمن له القتلة وصعقوه الكهرباء وحقنوه سما قبل أن يخنقوه بالوسادة ليلقى حتفه ، قام

الجناة بعدها بترتيب الغرفة لتظهر الوفاة كما لو كانت طبيعية ، ومن ثم غادروا دبي متوجهين لمدن أوروبية وآسيوية ، أعلنت حماس يوم ٢٠ يناير ٢٠١٠ بداية أن المبحوح توفي نتيجة مرض عضال ، ولم يعلن أي من أطراف القضية سواء حماس أو شرطة دبي أو الموساد أن الوفاة ناجمة عن اغتيال ، حتى وجهت حماس بعد عشرة أيام من وفاة الرجل اتهاماً للموساد باغتياله في دبي استنادا إلى معلومات من شرطة الإمارات قالت فيها أن أوروبيين كانوا خلف جريمة الاغتيال ، يوم الاثنين ١٨ يناير ٢٠١٠ وصل ٢٧ شخص في رحلات جوية من ست دول مختلفة في أوروبا يحملون جوازات سفر غربية (١٢ منهم بريطانيون و٦ أيرلنديون و٤ أستراليون و٤ فرنسيون و١ ألماني) واجتازوا التفتيشات بسهولة ، هبط ثلاثة منهم في ساعات الصباح وتقاطر الباقون حتى ساعات الليل في جماعات صغيرة تبلغ الواحدة ستة أشخاص، انتظر الأشخاص الـ ٢٧ شخصا واحدا ، كانوا يسمونه باسمه الشيفري «شاشة البلازما»، والمقصود هو الضحية المبحوح.

طوال ساعات الصباح وصل أعضاء الفريق الـ ٢٤ دبي، والثلاثة الآخرون هم قادة العملية ، في الساعة ٢:٠٩ بعد منتصف الليل ، هبط اثنان منهم: «غيل بوليرد» و«واين دابرون»، وسافرا إلى فندقيهما وسُجلا في الاستقبال ، طُلب إليهما أن يبرزا جواز سفر أثناء التسجيل وبطاقة الاعتماد لتغطية نفقات الغرفة ، وجد كلاهما تعليلا ما للدفع نقدا ، بعد عشرين دقيقة من هبوطهم هبط في دبي أيضا من هو في تقدير الشرطة المحلية قائد العملية الميداني: بيتر الفنغر . في الحال بعد أن اجتاز فحص جوازات السفر قام بما يسمى باللغة المهنية مسارا وهو حيلة للكشف عن التعقب وبلبلة المتعقِب ، يبدو «المسار» الذي يقوم به «بيتر» كمأخوذ من دورة في مدرسة للتجسس: فهو يخرج من باب المطار ويقف وينتظر ثلاث دقائق وينقلب على عقبيه ويعود من الباب نفسه للقاء مخطط له سلفا مع رجل آخر من الفريق جاء قبل ذلك في سيارة. استمر الحديث بينهما أقل من دقيقة وغادرا في اتجاهين مختلفين ، سافر بيتر في سيارة أجرة إلى فندقه ، تخيلوا ٢٧ شخصا ينتظرون على أهبة الاستعداد قدوم شاشة البلازما محمود المبحوح .

يوم الثلاثاء ١٩ يناير ٢٠١٠ في الواحدة والنصف ظهرا ترك «كواين دابرون» منفذ «المسار» الحجرة في فندقه وبعد ذلك بربع ساعة دخل فندقا ثاني ، دخل كواين المرحاض أصلع وخرج منه مع باروكة ، ثم سببان لتنفيذ «المسار»: الأول التحقق من أن أحدا لا يتعقبه ؛ والثاني تبديل الشخصيات بين المراحل المختلفة في العملية (التنكر في هذه الحالة)، ينتقل كواين في تنكره الجديد من «الفندق الثاني» إلى فندق ثالث ، يجلس وينتظر اثنين آخرين من أعضاء الفريق يلتقيان به هناك ، تم في هذا الفندق اللقاء الثاني مع أعضاء الفريق المتقدمين في حين كانوا ينتظرون ظهور شاشة البلازما في تلك الأثناء انتظروا الساعة الثالثة ، أعضاء الفريق يعلمون أن «شاشة البلازما» في الرحلة الجوية لكنهم لا يعلمون أي فندق اختار النزول فيه، هذه معلومة حاسمة من أجل العملية بطبيعة الأمر ؛ لأن كل فندق تختلف حراسته عن الآخر وطرق الهرب منه مختلفة.

يوم الثلاثاء ١٩ يناير الساعة ١٥:٣٥ بعد الظهر هبط المبحوح في نهاية الأمر في المطار ، وفي الساعة ١٥:٣٥ وقع الجواب عن السؤال الحاسم «في أي فندق سينزل» فـ «شاشة البلازما» ينزل في فندق البستان روتانا ، يتلقى أعضاء الفريق الموزعون على الفنادق الأخرى النبأ ويغادرون ، دخل اثنان من أفراد الفريق انتظرا في فندق البستان يلبسان ملابس تنس المصعد وراءه كي يفحصا في أي طبقة ينزل وأي غرفة يدخل ، صورت عدسة تصوير واحدا منهما يمر به في الممر ويفحص عن رقم الغرفة ٢٣٠ ويعود إلى المصعد.

في تلك الأثناء نفذت «غيل بوليرد» أيضا «مسارا»، تترك الفندق الذي أمضت فيه الليلة وتذهب إلى «الفندق الثاني»، تدخل نفس المراحيض وتُبدل باروكة إزاء عدسة التصوير نفسها مثل «كواين» ، ومن هناك تمضي إلى «فندق الثالث» حيث تلتقي كواين وبيتر وآخرين من أعضاء الفريق.

يوم الثلاثاء ١٩ يناير الساعة ١٠ ,١٦ بعد الظهر ، بعد أن أبلغ لاعبي التنس أن المبحوح موجود في الغرفة ٢٣٠ ترك القائد بيتر الفندق الثالث وانتقل إلى فندق مجاور نفذ منه مكالمتين هاتفيتين

الأولى إلى فندق البستان كي يحجز على الخصوص غرفة قريبة من ممر المبحوح (٢٣٧)، والمكالمة الثانية ليحجز رحلة جوية إلى ميونيخ عن طريق قطر ، بعد الساعة الرابعة بقليل يوزع اللقاء في الفندق الثالث ويسافر جميع الحاضرين في سيارات أجرة إلى فندق البستان ، كان «شاشة البلازما» قد خرج في تلك الأثناء إلى مجمع تجاري قريب وسجل فريق التعقب التفاصيل عن السيارة التي ركبها.

خرج المبحوح من المجمع التجاري إلى سلسلة لقاءات في المدينة ، تقول جهات خبيرة بالقضية أنه تمت هذه اللقاءات مع أناس اتصال محليين ومصرفي ساعدوا المبحوح على نقل الأموال الدولية التي أدارها.

في الساعة ١٦:٤٥ ينزل كواين في الغرفة ٢٣٧ مع المعدات التي كانت كما يبدو في حقيبة بيتر وبعد ذلك بدقائق معدودة تأتي «غيل» التي تصعد نحو الغرفة مباشرة ، بعد ذلك بنصف ساعة تصور آلة التصوير مقاتلا آخر ينضم إلى كواين وغيل ، ولسبب غير واضح دخل ردهة الفندق أصلع يلبس قبعة وبدأ بعد ذلك فورا وهو يصعد نحو الغرفة وعلى رأسه باروكة.

في ١٨:٣٠ دخل رجلان الفندق ، وكانوا جميعا مع قبعات بيسبول تخفي وجوههم وجميعهم يحملون الحقائب الرياضية ، تشك شرطة دبي بأنهم هم الأشخاص الذين نفذوا الاغتيال بالفعل برغم أن من المحتمل افتراض أن واحدا منهم على الأقل كان خبيرا باختراق الأبواب ، توجهوا مباشرة إلى المصاعد وارتفعوا نحو الغرفة ٢٣٧ ، في تلك الأثناء تبدلت فرق التعقب، وفي ١٨:٤٣ بعد اربع ساعات من ظهور لاعبي التنس في ردهة الفندق لأول مرة غادروا الردهة آخر الأمر ، في ١٩:٣٠ غادر بيتر دبي وقد انتهى دوره في العملية ، ومنذ تلك اللحظة تولى كواين وغيل زمام الأمور.

يوم الثلاثاء ١٩ يناير الساعة ٢٠ مساء تحل ساعات المساء وما يزال المبحوح في لقاءاته خارج فندق البستان ، وفي الساعة ٢٠:٠٠ بدأت مرحلة التطبيق من العملية ، خرج كواين وغيل من الغرفة ٢٣٧ ينظران في الرواق ، تقدم واحد من أربعة أعضاء الفريق الذين تخلفوا نحو باب

غرفة المبحوح ، تشهد تسجيلات النظام الإلكتروني في الفندق بأنه قد تم في هذه الساعة عملية اختراقية ما للقفل الإلكتروني للغرفة ٢٣٠ للتمكين من دخول الغرفة بمساعدة المفتاح الإلكتروني الذي كان في أيدي فريق الاغتيال ، تُمكن هذه العملية من دخول الغرفة والخروج منها من غير اختراق للقفل حقا، ولم تترك على باب المبحوح علامات خارجية ، يتأهب الجميع للحظة فقد دخل سائح غافل الطبقة وتوجه نحو الرواق ، توجه كواين اليه فورا وشغله بمحادثة سخيفة في حين كان فريق اختراق الغرفة يعمل.

في ٢٠:٢٤ عاد المبحوح إلى الفندق ودخل غرفته مباشرة وهناك في الداخل التقى فريق الاغتيال غيل وكواين يروحان ويجيئان في الرواق إزاء عدسات التصوير للتحقق من أن الرواق فارغ ، استمرت العملية كلها نحوا من عشرين دقيقة خرج بعدها أربعة أعضاء فريق الاغتيال (بدلوا بينهم لسبب ما القبعات) وغادروا الفندق ، وتركوا باب غرفة المبحوح مغلقا من الداخل بقفل وسلسلة.

في الصباح ٢٠ يناير بعد محاولات مكررة من عاملة الفندق لدخول الغرفة لتنظيفها استدعت أفراد الحراسة ، اخترق الباب وظهرت جثة «شاشة البلازما» على السرير وهو يلبس سراويل سوداء قصيرة فقط، لم يُعرف في البدء (بسبب جوازه المزور) وظهر في البدء أن سبب الموت طبيعي ، بعد ذلك بعشرة أيام بدأ الحديث عن اغتيال محمود وظهر الاسم الحقيقي له وبدأ التحقيق الجنائي .

***

تلك رواية الصحف العربية والمواقع الإلكترونية ، الآن نذكر الرواية الصهيونية التي ظهرت بعد زمن عن قصة اغتيال الشهيد محمود المبحوح في أمارة دبي في غرفة فندق من كتب الجاسوسية الصهيونية لترى حقد اليهود على شعب فلسطين حتى ولو كان منفيا خارج وطنه فترى أن كل هذه الخبائث للدعاية والحرب النفسية .

كشف كتاب تجسس صهيوني قصة اغتيال ابن القسام محمود : دخل محمود المبحوح إلى ردهة فندق البستان روتانا قبل الساعة ٨:٣٠ مساءً بقليل ، وهو أحد الضيوف العديدين الذين يحضرون ويذهبون إلى الفندق ، تم التقاط صورته بكاميرا الدائرة المُغلقة فوق المدخل، كان لديه شعر أسود وشعره مُنحسر قليلاً وشارب أسود كثيف ، كان يرتدي قميصاً أسود ومعطفاً كبيرا جداً بالنسبة له، كانت ليلة باردة نسبياً في دبي، وعادة ما تكون دافئة جداً.

لقد كان في دبي مُنذ أقل من ست ساعات ؛ لكنه التقى بالفعل بمصرفي كان يُساعده في ترتيب مُختلف المُعاملات المالية الدولية المطلوبة لشراء مُعدات مُراقبة خاصة لحماس في غزة ، كما التقى باتصالاته المُنتظمة من الحرس الثوري الإيراني الذي سافر لتنسيق تسليم شُحنتين كبيرتين من الأسلحة إلى التنظيم الإسلامي المُتطرف ، قام المبحوح بالعديد من الأعمال التجارية في دبي ، عندما طار إلى المدينة الصغيرة في ١٩ يناير ٢٠١٠ كانت هذه هي زيارته الخامسة على الأقل في أقل من عام بقليل ، سافر بجواز سفر فلسطيني وكانت الإمارات واحدة من الأماكن القليلة التي اعترفت بالأوراق الصادرة عن السلطة الفلسطينية والتي تضمنت اسما مُزيفاً ، في الواقع كان ناشطاً بارزًا في حماس وكان على مدى عُقود : قبل عشرين عاماً اختطف وقتل جُنديين إسرائيليين ومؤخرا بعد أن تم التخلص من سلفه عز الدين الشيخ خليل من قبل الموساد في دمشق،(كان عز الدين الشيخ خليل من حي الشجاعية في مدينة غزة ، كان أحد الأعضاء البارزين في الجناح العسكري لمنظمة حماس الفلسطينية الإسلامية عندما قتل بواسطة سيارة مفخخة في ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٤ في حي الزاهرة جنوب دمشق ، على الرغم من أنه لم تعلن أي

مجموعة مسؤوليتها عن اغتياله، فإنها تتسق مع الاغتيالات السابقة التي ترعاها إسرائيل، ومع التعهدات الإسرائيلية باغتيال قادة حماس ، وكان الجيش الإسرائيلي قد ذكر أن تفجيرين للحافلات أسفرا عن مصرع ١٦ مدنيًا في مدينة بئر السبع جنوبي إسرائيل في ٣١ أغسطس سيتم الرد عليهما بحملة اغتيال جديدة ضد قادة حماس ، وقد نفي خليل من الأراضي الفلسطينية في عام ١٩٩٢، وهو وأحد بين مجموعة من حوالي ٤٠٠ ناشط فلسطيني تم ترحيلهم إلى مرج الزهور في لبنان في مطلع التسعينات ، واتخذ من دمشق مقرا له مع كبار قادة حماس الآخرين ، وهي منطقة المفروض أن تكون أكثر أمنا من الضفة الغربية وقطاع غزة وطبقا للمصادر الفلسطينية فإن عز الدين الشيخ خليل هو الذي وضع أسس سياسة التسليح التي لاتزال تنتهجها حماس ، وأولها إقامة علاقات جيدة مع جميع الأطراف المحيطة بمصر لتسهيل عملية نقل السلاح ، وكذلك هو الذي أسس لعلاقات حماس مع المهربين من أبناء بعض القبائل في سيناء ، ناهيك عن قبيلة الرشايدة بالسودان ، كما استغل قدرته في التخفي والعمل السري وقيادة الآخرين لتنفيذ المهام الموكلة له بنجاح إلى أن اكتشفت إسرائيل شخصيته واغتالته ليكمل بعده المسيرة مساعده محمود عبد الرؤوف المبحوح، والذي أُغتيل بدوره في يناير ٢٠١٠، ليكمل المسيرة من بعده كمال غناجة) .

العودة لما كشفته كتب الجاسوسية الإسرائيلية عن اغتيال المبحوح : كان مسؤولاً عن تخزين أسلحة حماس ، خطوة أو خطوتين خلف المبحوح كان هناك رجل بهاتف محمول يتبعه في المصعد، قال الرجل في هاتفه: "تعال الآن"، ربما سمع المبحوح ذلك ، لكنه لم يُلاحظه ، لم يكن هُناك شيء غير عادي في إخبار سائح في دبي لصديقه أنه في طريقه إليه .

كان المبحوح بطبيعته رجلاً شديد الحذر ، كان يعلم أن الإسرائيليين يُريدون قتله ، قال لقناة الجزيرة في مُقابلة الربيع الماضي: "عليك أن تكون مُتيقظاً، وأنا والحمد الله يُسموني" الثعلب " لأني أستطيع أن أشعر بما ورائي حتى ما وراء ذلك الجدار ، الحمد لله، لدي شعور مُتطور للغاية بالأمان ، لكننا نعرف ثمن طريقنا، وليس لدينا مُشكلة في ذلك ، أتمنى أن أموت شهيدا "

توقف المصعد في الطابق الثاني، صعد المبحوح ، فيما ظل الرجل صاحب الهاتف مفتوحاً مُتجهاً إلى طابق أعلى كأي سائح عادي .

استدار المبحوح يسارا وتوجه نحو غرفته ٢٣٠ ، كان المدخل فارغا ، وبدافع العادة قام المبحوح بمسح إطار باب غرفته وآلية القفل بحثاً عن أي خُدوش وأي تلميح للعبث ولم يكن هُناك شيء ، فدخل الغُرفة وأغلق الباب خلفه ، سمع ضوضاء واستدار ولكن بعد فوات الأوان.

تمت المُوافقة على خُطة اغتيال محمود المبحوح قبل أربعة أيام في ١٥ كانون الثاني يناير خلال اجتماع تم الترتيب له على عجل في غُرفة الاجتماعات الكبيرة بالقرب من مكتب مائير داغان .

***

(مائير داغان ٣٠ يناير ١٩٤٥ - ١٧ مارس ٢٠١٦) هو سياسي إسرائيلي ورئيس جهاز الموساد العاشر، وُلد في قطار بين سيبيريا وبولندا ، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٥٠، تطوع بجيش الدفاع الإسرائيلي عام ١٩٦٣، عُين داغان قائداً لمنطقة جنوب لبنان عام ١٩٨٠، وبعدها التحق بجهاز الموساد ، ساهم داغان في التخطيط لاغتيال عماد مغنية ، كما ساهم أيضاً في عملية قصف القافلة السودانية المتوجهة إلى قطاع غزة عام ٢٠٠٩ ، استقال داغان من منصبه عام ٢٠١٠ بعد احتجاجات طالبته بالاستقالة بعد عملية اغتيال محمود المبحوح.)

بعد أن اخترقت المُخابرات العسكرية الإسرائيلية خادم البريد الإلكتروني الذي يستخدمه محمود واكتشفت أن المبحوح أنه حجز رحلة من دمشق إلى دبي في ١٩ يناير .

في ذلك الاجتماع كان هُناك حوالي خمسة عشر شخصاً جالسين حول طاولة طويلة بما في ذلك مُمثلين عن أجنحة المُخابرات والتكنولوجيا والأجنحة اللوجستية في الموساد ، كان أهم شخص في المؤتمر بعد داغان ، رئيس فرقة القتل قيسارية ، المقلب هوليداي وهو أصلع ومُمتلئ الجسم، أخذ على عاتقه قيادة عملية شاشة البلازما شخصياً .

لطالما كان المبحوح على قائمة القتل لدى الإسرائيليين ، قبل ذلك بعام تدهور الوضع على حُدود قطاع غزة بشكل سيئ لدرجة أنه في ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨ شنت إسرائيل عملية الرصاص

المصبوب ، وهي هُجوم واسع النطاق لمنع حماس من إطلاق صواريخ القسام والكاتيوشا على المُجتمعات الإسرائيلية ، استطاعت حماس إطلاق كمية كبيرة من الذخائر من قطاع غزة بفضل حيازة المبحوح للأسلحة وشبكة نقلها والمساعدة التي تلقاها من الحرس الثوري الإيراني لقد تحسنت المعلومات الاستخباراتية الإسرائيلية عن حماس بشكل كبير في السنوات الأخيرة وبدأت العملية بقصف جوي ضخم للقوات الجوية ، أطلق عليه اسم الطُيور الجارحة على الصوامع التي تم إخفاء صواريخ حماس فيها ، علم الموساد أن الشبكة التي يُديرها المبحوح كانت تُعيد تزويد مخزون حماس بالسلاح ، تم شحن الأسلحة من إيران إلى بور سودان على البحر الحمر ومن هُناك يتم تهريبها عبر مصر وسيناء إلى قطاع غزة عبر الأنفاق المُتعددة المُستخدمة لتجنب حرس الحُدود والدوريات المصرية ، قام الموساد بتتبع الشُحنات في البحر ، وعندما غادرت الشاحنات بور سودان في كانون الثاني ٢٠٠٩ نفذ سلاح الجو الإسرائيلي أربع غارات طويلة المدى ودمر القوافل والرجال المُرافقين لها.

وقال داغان: "ألحقت مثل هذه الأنشطة أضرارا كبيرة بمسارات التهريب من إيران إلى حماس، ليس تأثيرًا مُطلقاً ليس كافياً للفوز بشكل مُباشر ؛ ولكن سبب انخفاض كبير"؛ لكن لسبب ما لم يُسافر المبحوح في ذلك اليوم بالشاحنات ؛ بل غادر السودان في طريق آخر ، لتصحيح ذلك طلب داغان وحصل على موافقة أولمرت لعملية علاج سلبية ضد المبحوح ، وعندما تولى بنيامين نتنياهو السُلطة من أولمرت في آذار مارس ٢٠٠٩ جدد الموافقة.

كانت دبي المكان الأنسب لقتل المبحوح ، المناطق الأخرى التي قضى فيها وقتاً في طهران ودمشق والسودان والصين لديها أجهزة سرية فعالة ، وطرح المزيد من المشاكل لفريق ضرب الموساد ، من ناحية أخرى كانت دبي تعج بالسُياح ورجال الأعمال الأجانب ، وكان الموساد يعتقد أن لديها قوى إنفاذ واستخبارات أضعف بكثير، كانت دبي لا تزال دولة مُستهدفة مُعادية رسمياً لإسرائيل ؛ ولكن بحُلول هذه المرحلة قتل الموساد رجلاً في وسط دمشق وجنرالا سورياً في فيلته الخاصة ، وبالمُقارنة فإن أحد عناصر حماس في دبي السياحية سيكون هدفاً سهلاً نسبياً .

ومع ذلك استدعت العملية فريقاً كبيرًا مُقسماً إلى فرق أصغر والتي ستكون قادرة على تحديد الهدف عند وصوله إلى دبي وإبقائه تحت المُراقبة ؛ بينما يقوم الآخرون بإعداد وتنفيذ الضربة الفعلية في غرفة الفندق والتأكد من ذلك ، سيظهر أن المبحوح قد مات موتاً طبيعياً ، سيحتاجون بعد ذلك إلى إزالة جميع الأدلة ومُغادرة البلاد قبل العثور على الجُثة في حالة الاشتباه في وجود خطأ ، على أي حال لم يعتقد الجميع أن مهمة قتل المبحوح كان لها أهمية بما يكفي لتبرير الجهد والمخاطرة ، حتى أن البعض أخبر داغان أنه لم يستوف الشروط الأساسية اللازمة للعلاج السلبي ، اتفق الجميع في الموساد على أن المبحوح يستحق الموت ؛ ولكن من أجل تنفيذ عملية في بلد مُستهدف كان عليه أن يُشكل خطرا جسيماً على إسرائيل والتي سيكون لإزالتها تأثير مُدمر للغاية على توازن العدو.

في الحقيقة لم يكن المبحوح مُناسباً لي من المعيارين ، ولكن بعد كُل نجاحاتهم السابقة كان داغان ومسؤولو الموساد الآخرون مُمتلئين بالثقة بالنفس لدرجة أنهم مضوا قدماً على أي حال.

كان فريق من نُشطاء قيسارية (فرقة القتل) قد تعقب المبحوح لأول مرة في دبي في عام ٢٠٠٩ ليس لقتله ؛ ولكن لدراسة تحركاته وفي الغالب للتأكد من أنه رجلهم المطلوب ، بعد أربعة أشهر في نوفمبر تحديداً ذهب طاقم Plasma Screen إلى دبي مرة أخرى هذه المرة للقضاء عليه، قاموا بتسميم مشروب تم إحضاره إلى غُرفته بالفندق ؛ لكن إما أنهم أخطأوا في الجُرعة أو أنه لم يبتلع ما يكفي ، فقد أُغمي على المبحوح فقط ، وعندما وصل قطع زيارته وعاد إلى دمشق حيث أرجع الطبيب نوبة إغماءه إلى كثرة الترحلات ، قبل بهذا التشخيص ولم يشك في حُدوث مُحاولة اغتيال .

تسبب هذا التحول في الأحداث في إحباط عميق داخل الموساد ، لقد تم المُخاطرة بالناس والموارد ولم تنتهِ المهمة بعد ، أصر هوليداي على أنه لن تكون هُناك أخطاء هذه المرة: لن يُغادر فريق الاغتيال دبي قبل أن يروا بأعينهم أن المبحوح قد مات.

ظهر اعتراض واحد في اجتماع ١٥ يناير بالقرب من مكتب مائير داغان ، سيواجه قسم التوثيق

مُشكلة في إعداد جوازات سفر مُزيفة جديدة ذات مصداقية للفريق بأكمله ، حيث كان هُناك أكثر من عشرين شخص ذهبوا إلى دبي وكان البعض سيدخل نفس البلد بنفس الهويات وقصص الغلاف للمرة الثالثة في غُضون ستة أشهر فقط ، في أيام الموساد الأكثر خجلاً في عهد هاليفي كانت العملية ستُلغى لهذا السبب وحده ، لكن داغان وهوليدي قررا المُخاطرة وسيرسلون الفريق بالأوراق الموجودة.

لم يتوقعوا وقوع أي مشاكل على أي حال ، وأقروا بأن اكتشاف الجثة كان من شأنه أن يُثير الشُكوك وقد يتم إجراء تحقيق، لكن ذلك لن يحدث إلا بعد فترة طويلة من عودة الفريق إلى إسرائيل ، لن يتم ترك أي دليل للشُرطة للعمل معها ، لن يتم الكشف عن أي سر من أسرار الموساد ولن يتم القبض على أحد كل شيء سوف يُنسى بسرعة .

أملى داغان القرار النهائي على مُساعده الرئيسي: "شاشة البلازما" مصرح بتنفيذ العملية ، عندما غادر المُشاركون أضاف داغان بصوت عميق "وأتمنى التوفيق للجميع".

هبط أول ثلاثة أعضاء من فريق شاشة البلازما في دبي في الساعة ٦:٤٥ صباح يوم ١٨ يناير، وعلى مدار التسع عشرة ساعة التالية وصل باقي أعضاء الفريق السبعة والعشرون على الأقل في رحلات جوية من زيورخ وروما وباريس وفرانكفورت ، كان اثنا عشر من جوا زات سفرهم بريطانية وستة أيرلندية وأربعة فرنسيين وأربعة أُسترالية وألمانية ، كانت جميعها أصلية لكن لم يكن أي منها ينتمي في الواقع إلى الشخص الذي يستخدمها ، تم استعارة بعضها من أصحابها وسكان إسرائيل يحملون جنسية مُزدوجة وبعضهم حصلوا عليه بهويات مُزورة وبعضهم سُرق والبعض الآخر يخص المتوفى.

الساعة ٢:٠٩ صباحاً في اليوم التاسع هبطت " جيل فوليارد " و " كيفن دافيرون "، كان من المُفترض أن يكونوا المحاور الرئيسية للعملية التي تتحكم في غُرفة القيادة الأمامية وموظفي الاتصالات والحُراس والمُراقبين ، قاموا بتسجيل دخول إلى غُرف مُنفصلة في فندق جميرا ، دفع كلاهما نقداً على الرغم من أن العديد من أعضاء الفريق الآخرين استخدموا بطاقات الخصم

الصادرة عن شركة تُدعى بايونير، وكان الرئيس التنفيذي لها من قدامى المُحاربين في وحدة كوماندوز في جيش الدفاع الإسرائيلي .

أخذ مُوظف الاستقبال سري راهايو أموالهم وأعطى غرفة فوليارد رقم ١١٠٢ ودافيرون ٣٣٠٨ ، قبل الذهاب إلى النوم طلب فوليارد وجبة خفيفة من خدمة الغرف ، تناول دافيرون مشروباً غازياً من الميني بار الخاص به.

هبط "بيتر إلفنغر" قائد العملية في المطار بعد ٢١ دقيقة من حمل فوليارد ودافيرون جواز سفر فرنسي ، بعد إجازة مُراقبة جوا زات السفر قامت إلفنجر بعمل مُناورة مُراقبة مُضادة لمعرفة هل من أحد يُراقبهم حيث خرجت من باب المحطة وانتظرت ثلاث دقائق ثُم استدارت وعادت إلى الداخل لحضور اجتماع مُحدد مسبقاً مع عضو آخر في الفريق كان قد أتى إلى المطار في وقت سابق بالسيارة ، كإجراء وقائي كان جميع أعضاء فريق الاغتيال يغيرون الملابس ويُعيدون التنكر بشكل متكرر مثل الشعر المُستعار والشوارب المُستعارة ، هذا للتأكد من عدم اتباع أي شخص ولتمكين تبديل الهويات بين مُختلف مراحل العملية ، تحدث إلفنجر ومعارفه لُمدة تقل عن دقيقة قبل أن يأخذ القائد سيارة أُجرة إلى الفندق الذي يُقيم فيه.

بحُلول وقت مبكر من بعد الظهر كان الفريق بأكمله ينتظر وصول المبحوح ، كان من المُتوقع أن يطير في الساعة الثالثة ولكن لا تزال هُناك بعض الثغرات في المعلومات الاستخباراتية ، لم يعرف فريق شاشة البلازما أين سيقيم ؟ ومتى وأين سيجتمع؟ أو كيف سينتقل من مكان إلى آخر؟ الفريق الذي لم يتمكن من تغطية المدينة بأكملها قد يفقد المبحوح وكان من المُستحيل التخطيط مُسبقاَ لكيفية الاقتراب بها يكفي لقتله ، قال ضابط مُخضرم: "علينا تحديد طريقة الاغتيال وعلينا تحديد الهدف كيف ومتى يموت ؟".

انتشر بعض أعضاء الفريق في ثلاثة فنادق كان المبحوح قد أقام فيها في زياراته السابقة ، كانت فرقة مُراقبة أخرى في المطار تقضي الوقت في اتصالات مُباشرة مع غُرفة العمليات ، بقي سبعة أفراد مع إلفنجر في فندق آخر في انتظار التعليمات.

وصل المبحوح في الساعة ٣:٣٥ أرسله فريق إلى فندق البستان روتانا وتم إرسال رسالة إلى النُشطاء في الفنادق الأخرى تخبرهم بأنهم سيتركون مواقعهم ، استخدم أعضاء الفريق الهواتف المحمولة على نطاق واسع ولكن من أجل تجنب الروابط المُباشرة بين أرقامهم قاموا بالاتصال برقم في النمسا حيث تم تثبيت لوحة مفاتيح بسيطة مسبقاً لإجراء المُكالمة إما إلى هاتف آخر في دبي أو إلى مركز القيادة في إسرائيل .

كان أفراد الطاقم الموجودين بالفعل في بهو فندق البستان روتانا يرتدون ملابس التنس ويحملون المضارب لكن من المثير للفضول عدم ارتداء الأغطية المُرافقة المُعتادة ، بعد أن حصل المبحوح على مُفتاح غرفته دخل اثنان منهم المصعد من بعده ، عندما خرج من الطابق الثاني تبعوه على مسافة آمنة ولاحظوا أنه كان يُقيم في الغُرفة ٢٣٠ ، أبلغ أحد الرجلين عن ذلك عن طريق مُكالمة هاتفية تم توجيهها عبر النمسا قبل أن يعود الاثنان إلى الردهة .

بمُجرد أن عرف إلفنجر رقم غُرفة المبحوح ، أجرى مُكالمتين هاتفيتين، الأولى كان إلى فندق البُستان روتانا لحجز غُرفة ، طلب الغرفة رقم ٢٣٧ ، مُباشرة عبر الممر من ٢٣٠ ، ثم اتصل بشركة طيران لحجز مقعد في رحلة إلى ميونيخ عبر دولة قطر في وقت لاحق من ذلك المساء.

بعد الرابعة مساءً بقليل غادر المبحوح الفندق ، لاحظ الفريق الذي خلفه أنه كان يتخذ تدابير وقائية ، ويقوم بوعيه الخاص من تأمين نفسه ، كان لديه سبب وجيه للقيام بذلك : لقد مات جميع رفاقه في حماس منذ أواخر الثمانينيات في وفيات غير طبيعية ، لكن تحركاته كانت بسيطة وغير مُعقدة ، ولم يكن لدى الفريق مُشكلة في التركيز عليه.

كيفن دافيرون ينتظر في فندق البستان ، لوبي إلفنجر الذي وصل الساعة ٤:٢٥ سلم دافيرون حقيبة سفر، ثم ذهب إلى مكتب التسجيل ، التقطت الكاميرا الأمنية بوضوح جواز سفره الأوروبي المُغلف باللون الاحمر، بعد تسجيل الوصول إلى الغرفة ٢٣٧ ، أعطى المُفتاح إلى دافيرون، دون لفت الأنظار وغادر الفندق بدون حقيبة سفره .

بعد ساعتين جاء أربعة رجال إلى الفندق في أزواج ، جميعهم كانوا يرتدون قبعات بيسبول تُخفي

وجوههم، حملوا حقيبتين كبيرتين، ثلاثة منهم كانوا "مُحققين " في قيسارية، الرابع كان خبيرا في فك الأقفال ، ذهبوا مُباشرة إلى المصاعد والغرفة ٢٣٧ ، بعد ساعة من ذلك أي في تمام الساعة ٧:٤٣ شعر فريق المُراقبة في الردهة بالارتياح ، واستبدلت عيونهم بعد أربع ساعات من وصولهم لأول مرة وغادر لاعبو التنس المُزيفون الردهة .

في الساعة العاشرة صباحاً أفاد طاقم مُراقبة المبحوح أنه عائد إلى الفندق ، ظل دافيرون وفوليارد يُراقبان الممر بينما بدأ عامل الأقفال في تشغيل فتح القفل على الباب ٢٣٠ ، كانت الفكرة هي إعادة برمجته حتى يفتح مُفتاح الموساد الرئيسي الباب دون تسجيله ، ولكن في نفس الوقت لا يُعطل الوضع العادي عمل المُفتاح المناسب، نزل سائح من المصعد لكن دافيرون سرعان ما أشركه في مُحادثة بريئة مُشتتة للانتباه ، لم ير السائح شيئاً فيما تم التقاط القفل ودخل الفريق الغُرفة، ثم انتظروا... حاول المبحوح الهُروب مرة أُخرى إلى الممر، لكن اثنين من الفريق الذين يتمتعون بالذرع القوية أمسكت به، قام رجل ثالث بتكميم فمه بإحدى يديه وضغط باليد الخرى على عنق المبحوح بأداة تستخدم الموجات فوق الصوتية لحقن الدواء دون خدش الجلد، تم تحميل الأداة بكلوريد سوكساميثونيوم وهو مُخدر معروف تجارياً باسم سكولين يُستخدم مع أدوية أخرى في الجراحة ، ويؤدي من تلقاء نفسه إلى الإصابة بالشلل والاختناق لأنه يتسبب في توقف العضلات المُستخدمة في التنفس عن العمل.

حافظ الرجال على قبضتهم حتى توقف المبحوح عن المُقاومة ، وعندما انتشر الشلل في جسده وضعوه على الأرض، كان المبحوح مُستيقظاً يفكر بوضوح ويرى ويسمع كُل شيء، لم يستطع التحرك، تشكلت رغوة في زوايا فمه.

حدق فيه ثلاثة غُرباء بهُدوء وما زالوا يُمسكون بذراعيه برفق تحسباً لأي طارئ، وكان هذا آخر شيء رآه ، قام الجلادون بفحص نبضه في مكانين كما أمرهم طبيب الموساد بذلك والتأكد من أنه ميت هذه المرة ، انتزعوا حذائه وقميصه وسرواله ووضعوه في الخزانة بشكل أنيق ووضعوا الجسد على السرير تحت الأغطية .

استغرقت العملية بأكملها عشرين دقيقة باستخدام تقنية طورها الموساد لمثل هذه المهمات، قام الفريق بإغلاق الباب بطريقة يبدو أنه قد تم قفله من الداخل مع وضع السلسلة في مكانها ، علقوا علامة "عدم الإزعاج" على مقبض الباب وطرقوا باب رقم ٢٣٧ مرتين كإشارة أنجزت المهمة ثم ذهبوا إلى المصاعد ، غادر فوليارد بعد دقيقة واحدة ودافيرون بعد ذلك بأربع دقائق ثم فريق المُراقبة الذي كان في الردهة ، في غضون أربع ساعات كان مُعظم الفريق خارج دبي ولم يتبق أي منهم بعد أربع وعشرين ساعة .

في تل أبيب سادت حالة من الرضا الذاتي ، جو وُصف فيها بعد بأنه نشوة بالنجاح التاريخي ، شارك كل من مائير داغان وهوليداي الفريق الناجح – اعتقدوا أن مهمة أخرى قد تم إنجازها بخبرة ، أبلغ داغان نتنياهو بالقتل، قال : لن يزعجنا المبحوح بعد الآن .

عثر أمن الفندق على الجثة بعد ظُهر اليوم التالي بعدما لم يستجب أحد لضربات المُتكررة طوال اليوم ، ومع ذلك لا يبدو أن هُناك أي سبب يدعو للقلق ، من المُحتمل أن يكون تاجر في مُنتصف العُمر ميتاً في سريره في غُرفة مُقفلة مع عدم وجود علامات صراع أو صدمة مؤشرًا على أكثر من نوبة قلبية أو ربما سكتة دماغية ، تم نقل جُثمان المبحوح إلى المشرحة وسُجلت وفاته وفهرستها تحت اسم مُزيف في جواز سفره ، لم يحظ الأمر باهتمام أكثر أو أقل من أي أجنبي ميت من الطبقة المُتوسطة في دبي .

لكن في دمشق بدأ مسؤولو حماس يتساءلون لماذا لم يتم الإبلاغ عن الرجل الذي أرسلوه للتوسط في عدة صفقات أسلحة كما هو مقرر ، بعد ذلك بيوم في ٢١ كانون الثاني يناير سأل المبعوث المحلي في مراكز الشُرطة والمشارح حتى وجد جُثة المبحوح التي لم يُطالب بها أحد في درج مُبرد. اتصل مسؤول في حماس بقائد شُرطة دبي الفريق ضاحي خلفان تميم، وأخبره أن القتيل الذي يحمل جواز السفر الفلسطيني هو في الواقع عضو بارز في تنظيمهم، أخبر خلفان أن الوفاة لم تكن على الأرجح لأسباب طبيعية وعلى الراجح كان الموساد وراءها .

خلفان البالغ من العُمر تسعة وخمسون عاماً وحاصل على شهادة عالية جعل من مهمته

الشخصية تخليص بلاده من المُجرمين والعُملاء الأجانب الذين استخدموا دبي كقاعدة للقيام بنشاط غير قانوني ، صرخ في الهاتف: "خذوا أنفسكم وحساباتكم المصرفية وذراعيكم وجوازات سفركم المزيفة، واخرجوا من بلادي!"

ومع ذلك لم يكن بإمكانه جعل الموساد يتجول حول قتل الناس أيضاً ، أخرج خلفان الجُثة من المشرحة لتشريحها ، لم تكن النتائج نهائية ولم يكن من المُمكن تحديد ما إذا كان المبحوح قد قُتل لكن افتراض خلفان الأساسي كان أن مسؤول حماس كان على حق .

عيب واحد في العمليات الإسرائيلية لديهم بالمقارنة مع نُظرائهم الأمريكيين أو البريطانيين هو أنه يتعين عليهم استخدام جوازات سفر مُزورة ، يُمكن تجهيز فرقة وكالة المُخابرات المركزية بسهولة بجوازات سفر شرعية لوزارة الخارجية الأمريكية وإن كان ذلك بأسماء مُستعارة ولديهم أساساً هوية لا نهاية لها مدفونة تحت بند التالي حسب الحاجة ، يتم قبول جوازات السفر الأمريكية والبريطانية في كُل مكان في العالم ونادراً ما تلفت الانتباه المفرط .

جوازات السفر الإسرائيلية ليست كذلك ، إنهم غير مُجديين للدخول إلى العديد من البلدان الآسيوية والأفريقية حيث يهتم الموساد أحياناً بقتل شخص ما أو إجراء عملية سرية أخرى ، عادة ما يقوم الموساد بتزوير نُسخ من دول أخرى أقل ريبة ، لكن في عالم ما بعد ١١ سبتمبر أصبح تزوير جوازات السفر عملاً أكثر تعقيداً .

يمكن أن تعرض المستندات التي تم إنشاؤها بطريقة قذرة أو التي تم استخدامها في كثير من الأحيان للخطر على حياة البعثة ونشطاءها، لذلك عندما ألغى هاليفي المهمات لعدم وجود أوراق كافية ، لم يكن ذلك بسبب الجبن فقط، وعندما قام داغان بالتنمر على جوازات السفر والهويات المُتسرعة من التقنيين المترددين كانت تلك قيادة جريئة حتى سارت بشكل خاطئ .

سمح داغان لفريق شاشة البلازما باستخدام نفس الهويات أربع مرات في دبي ، لم يكن من الصعب على خلفان الحُصول على قائمة بكُل من دخل الإمارات قبل فترة قصيرة من قتل المبحوح ، ثُم غادر بعد وفاته مُباشرة ، كما لم يكن من الصعب تضييق هذه القائمة من خلال

مُقارنتها بأولئك الذين جاءوا وذهبوا في المرات الثلاث السابقة التي زارها المبحوح ، أعطى ذلك أسماء لخلفان ، والتي يُمكن بعد ذلك الرجوع إليها مع سجلات الفنادق التي تحتوي على كاميرات تسجل مكتب الاستقبال ، سرعان ما عرفت الشرطة من جاء ومتى وأين بقوا وكيف يبدون.

يفضل القتلة النقد ؛ لأنه مجهول الهوية بشكل عام لا يمكن تتبعه ، يُمكن أن تكون بطاقات الائتمان أو بطاقات الخصم **Payoneer** مُسبقة الدفع ، سيتم تسجيل مجموعة من المُكالمات إلى لوحة مفاتيح نمساوية وإذا كان شخص ما يبحث فسيتم مُلاحظته ، وكذلك الأرقام التي تستدعيها لوحة التبديل، لذلك لم تكن إعادة بناء حركة كُل عميل من عُملاء الموساد في شاشة البلازما والصلات بينهم صعبة للغاية ، كان يتطلب فقط غربلة الكثير من البيانات، من عدة كاميرات **CCTV** .

قام خلفان بتجميع سرد فيديو للعملية بأكملها، أظهرت الكاميرا الموجودة فوق باب حمام أحد الفنادق دافيرون وهو يدخل أصلع ويخرج برأس كامل من الشعر حتى دون أن يُلاحظ أنه كان أمام الكاميرا على الرغم من أنها لم تكن مخفية ، لم يكن هذا شيء من شأنه أن يمنح الفريق بعضاً في الوقت الفعلي لكن التنفيذ غير المُتقن لمُفتاح الهوية جعل الأمور أسهل للمُحققين بالتأكيد.

ثم عقد خلفان مؤتمرًا صحفياً ووضع الفيديو كاملا على الإنترنت ليراه العالم ، دعا داغان إلى "أن يكون رجلاً" ويتحمل المسؤولية تجاه الضربة، وطالب بإصدار مُذكرات اعتقال دولية لنتنياهو وداغان وقد أصدر الإنتربول بالفعل أوامر اعتقال بحق جميع الأعضاء السبعة والعشرين وإن كان ذلك بأسمائهم المستعارة .

الدول التي استخدمت إسرائيل جوازات سفرها كانت غاضبة ، تعاون الكثير منهم بهدوء مع الموساد ؛ ولكن ليس إلى درجة السماح لمواطنيهم وهميين أم لا، بالانجرار إلى مؤامرات اغتيال. أمرت بعض الحُكومات مُمثلي الموساد في بلدانهم بالمُغادرة على الفور ، ولم تسمح للوكالة باستبدالهم لعدة سنوات ، كُلهم توقفوا عن تعاونهم مع الوكالة الإسرائيلية.

لقد كانت كارثة ولدت من الغطرسة ، قال أحد الرؤساء السابقين للمخا برات الألمانية: "أنا أحب إسرائيل وأحب الإسرائيليين "، لكن مشكلتك كانت دائماً أنك تحط من قدر الجميع – العرب والإيرانيين وحماس ، أنت دائماً الأذكى وتعتقد أنه يمكنك خداع الجميع طوال الوقت، مزيد من الاحترام للطرف الآخر حتى لو كنت تعتقد أنه عربي جاهل أو ألماني عديم الخيال، وكان المزيد من التواضع قد ينقذنا جميعاً من هذه الفوضى المحرجة ".

على مستوى واحد لا شيء من ذلك مهم في إسرائيل، وقد أدت الإدانات الشديدة التي تعرضت لها على الساحة الدولية إلى جانب الإدانات المُماثلة التي تلقتها الأمة بانتظام لمُعاملتها للفلسطينيين إلى تصعيد وطني ، في عطلة الكرنفال في إسرائيل "عيد المساخر" التي وقعت بعد أسابيع قليلة من اندلاع القصة كان الزي الشعبي هو زي لاعب تنس يحمل مُسدسات، تطوع مئات الإسرائيليين من حاملي الجنسية المُزدوجة بجوازات سفرهم للموساد لاستخدامها في العمليات المُستقبلية ، غمر موقع المُنظمة على الويب بالاستفسارات حول الانضمام .

لكن الأمور كانت مُختلفة داخل الوكالة ، كان الانكشاف والاهتمام السلبي الذي تلقاه الموساد مُدمرين للغاية على المُستوى التشغيلي على الرغم من حقيقة أن خلفان لم ينجح أبداً في مُحاكمة أي من الجناة ، تم إغلاق أقسام كاملة من عمليات الموساد لأن الكثير من النُشطاء قد تم تفجير غطاءهم وبسبب الحاجة إلى تطوير إجراءات ومنهجيات جديدة بعد أن كانت الإجراءات والمنهجيات القديمة مُنتشرة في جميع وسائل الإعلام.

في وقت مبكر من يوليو ٢٠١٠ بعد أن أدرك أن قضية دبي منعت رحيله ليُصبح رئيس الموساد استقال هوليداي رئيس قيسارية ، في غُضون ذلك تبنى مائير داغان موقفاً عادياً ، بشكل عام اعتقد داغان بالتأكيد أنه "في بعض الحالات يتعين على مُدير الموساد تسليم المفاتيح إذا تعرض لحادث مؤسف يضر بالدولة ؛ لأن ذلك من شأنه أن يُخفف الضغط على الدولة"، لكن من وجهة نظر داغان لم يحدث شيء ولا خطأ ولا أخطاء، ولخص ذلك بعد العملية: "لقد أصابنا هدفاً مهماً، لقد مات، وعادت جميع القوات إلى المنزل" .

وضعت الدكتورة يسرا يونس ابنتها الأولى في شهر الصيف حسب الموعد المقدر ، وغمرتهم الفرحة بالمولود الجديد ، وزادت من أواصر المحبة بينهما ، فقد عانت يسرا كثيرا من الحمل ، ربما بسبب تأخر الزواج أو مشاكل أخرى ، وتلقت التهاني من الأصدقاء والأقارب وطلبت إجازة طويلة من المستشفى ، فسمح لها بذلك ، للولادة وللصحة التي تعبت خلال فترة الحمل والخطر الذي احدق بها .. استلم مساعدها إدارة القسم المالي على أن يبقى على تواصل مستمر معها عن طريق الموبايل .

كان غريب عايش روح الفضل ابن مدينة غزة حي الرمال الذي خرج منها للدراسة في مدينة الشفا عاصمة بلاد الشفا ، وكان قد جاءها لدراسة الصيدلة احدى تخصصات كلية الطب والصحة العامة وتستغرق الدراسة خمس سنوات وسنة سادسة للحصول على شهادة دكتور صيدلي حسب المقرر وقد يتحصل البعض على الشهادة بخمس سنوات متواصلة بدراسة فصول صيفية ، كان آل روح الفضل في فلسطين عامة يشجعون ابناهم على التعليم كأغلب سكان فلسطين بعد النكبة الشهيرة ، فلم يجد أبناء الهجرة واللجوء بين أيديهم سوى التعليم ، فلم يعد هناك فلاحة وزراعة ، استولى عليها بنو صهيون في غفلة من الوعي والضعف العربي والإسلامي بسقوط فلسطين كانت اكثر دول العالم العربي والإسلامي تخضع للاستعمار أو ما يسمونه الانتداب أو معاهدات الجلاء ، كان وضع العرب تلك الأيام من نكبة فلسطين يرثى له وما زال في رأي البعض ، فمصر كانت محكومة بالإنجليز ومثلها فلسطين والأردن ومشيخات الخليج ، والعراق مثل مصر ، وسوريا ولبنان خلال الحرب العالمية شهر باستقلالهما عن فرنسا شكليا وما زالت الإدارة الفرنسية فيها بأسماء عربية ، وعرب أفريقيا تحت نير الاستعمار ووعود بالاستقلال ، واليمن الجنوبي تحت حكم الإنجليز ، فلم يكن صعبا سلخ فلسطين أو نصفها عام ٤٨ عن بلاد الشام الأربعة ، بعد سقوط الخلافة العثمانية ضاعت الهوية وغرقت الأمة في تيه القومية والشيوعية وغيرهما من الأسماء والمصطلحات ، ومنذ هبطت هذه

العائلة أو العشيرة بلاد الشام وهي تنشط في التجارة والصيد البحري ؛ فلذلك سكنوا مدن الشواطئ كما كانوا في أفريقيا حيث سواحل البحر الأبيض الشمالية ،كانت العائلة في فلسطين قد أنشأت صندوق تعاوني أو تكافلي لمن يرغب بالدراسة على نفقة الصندوق قبل النكبة الفلسطينية يشمل كل أبناء العائلة في نواحي واطيان فلسطين على أن يسد المتعلم على حساب العائلة هذه الأموال بعد العمل والشغل بدون أي ضغط حسب طاقته وبدون فوائد للقرض التعليمي لتتاح لغيره الفرصة وهناك من يدرس على نفقة أبيه أو إخوته إن كانوا ميسورين ، فمن احب العلم والكليات وكان وضعه المادي ضعيفا يستعين بقرض حسن من مال الصندوق وكان هناك قسم في الصندوق للمساعدة على الزواج بدون سداد تشجيعا لأفراد العائلة على الزواج سواء من بنات العائلة أو عائلات أخرى لزيادة نسب المواليد في البلاد لمواجهة النقص بسبب الحرب المستمرة من مطلع القرن العشرين على الشعب الفلسطيني ، فكان أفراد العائلة الكبيرة يساهمون في هذه الصناديق التكافلية غير تكافلية الجنازات والعزاءات التي أصبحت مكلفة في الحياة الفلسطينية بسبب التهجير وافتراق الأقارب في بلاد الشتات .

سافر الطالب الغزي غريب عايش بناء على رسالة قصيرة إلى مدينة هود لمقابلة في مقهى الصيادين القريب من البحر في تلك المدينة ، ومع ساعات العصر كان يجلس في المقهى فاقترب منه صياد بلباسهم المعروف (سروال فضفاض وصدرية بدون أكمام وطاقية مخروطية) وسلم عليه وقال : الأخ من الشفا ؟

ـ اجل أنت الأخ حمدي أبو سلمى

ـ نعم ، أهلا بك في هود .. أنت غريب عايش تفضل بالجلوس .

ـ حياك الله يا عم حمدي

نادى الصياد أبو سلمى على نادل أو خادم المقهى : شاي يا بسيوني كوبان من الشاي الثقيل ثم قال لغريب : تناولت الطعام

ـ أكلت قبل الانتقال لهود شكرا

ـ حسن ! .. ستنزل غزة متى ؟

ـ على الصيف في إجازة الكلية مطلع تموز أو نصفه .. قالوا لي أن أثق بك يا أبا سلمى

ـ لا بأس أين ساراك في الشفا ؟

ـ اعمل في صيدلية ليلا بعد العاشرة صيدلية النحلة في شارع العز بن عبد السلام الحي الشمالي للعاصمة

ـ تعرف سبب المقابلة

ـ التعارف والمال

ـ جيد ! اشرب شايك .. هل ستعود للشفا الليلة أم تنزل في فندق هنا فندق صغير للصيادين وضيوفهم ؟

ـ لي ابن عمة هنا سأزوره ثم انظر الحال قد لا يسمح لي بالمبيت في الفندق .

ـ أين ؟

ـ دكتور شريعة في جامعة هود الدكتور سارية صلاح الدين روح الفضل

ـ حسن نلتقي في صيدلية النحلة بعد شهر سأتصل على تلفون الصيدلية ليلا .. اذا غيرت عنوانك اترك لي رسالة على تلفون هذا المقهى العم أبو سلمى من غريب عايش

ـ ماشي .. وضع كوب الشاي وقام وقال : إلى اللقاء

وتصافحا وترك المقهى وهو يقول : إلى بيت ابن الخالة أبو صلاح .

***

قبل هذا اللقاء الخاص بين حمدي وغريب كانت مجزرة أسطول الحرية وهي اعتداء عسكري قامت به القوات الإسرائيلية وأطلقت عليه اسم عملية نسيم البحر أو عملية رياح السماء مستهدفةً به نشطاء سلام على متن قوارب تابعة لأسطول الحرية ، حيث اقتحمت قوات خاصة تابعة للبحرية الإسرائيلية فجر الاثنين كبرى سفن القافلة (مافي مرمرة) التي تحمل ٥٨١ متضامنًا من حركة غزة الحرة- معظمهم من الأتراك -داخل المياه الدولية، وقعت

تلك الأحداث فجر يوم ٣١ مايو ، ٢٠١٠ في المياه الدولية للبحر الأبيض المتوسط ، اعتداء سافر وقرصنة بحرية حسب قانونهم الدولي ، وقد وصفت بأنها مجزرة، وجريمة، وإرهاب دولة ، وكانت الحركة من أجل كسر الحصار المضروب على قطاع غزة منذ زمن طويل واشتد يوم سيطرت حماس والمقاومة على القطاع دون حركة فتح ، غادر الأسطول قبرص متجهاً إلى غزة ، أسطول من ست سفن ضمنها سفينة تركية تسمى مرمرة ، اشترتها أو استأجرتها حركة غزة الحرة ، ومقرها الولايات المتحدة ، بالتعاون مع هيئة الإغاثة الإنسانية التركية، ، وهذه السفن محمّلة بالمساعدات الإنسانية ، وخلال الليل تحاول قوات كوماندوز تابعة للبحرية الإسرائيلية الاستيلاء على السفينة الرئيسية ، مافي مرمرة، في المياه الدولية ، وتطلق النار على ركابها، الذين يحاولون الدفاع عن أنفسهم باستخدام أدوات مرتَجلة للطعن وسكاكين ، مما يعثرون عليه على متن السفينة ، فيقتل تسعة ناشطين أتراك (وسوف يفارق الحياة ناشط عاشر في أيار ٢٠١٤ بعد أربع سنوات من الغيبوبة) ، ويُجرح ٥٣ ناشطاً من جنسيات مختلفة، وسبعة جنود إسرائيليين ، في اليوم التالي، يتم اقتياد السفينة، مع السفن الخمس الأصغر الأخرى، نحو ميناء إسدود الإسرائيلي على شاطئ المتوسط ، يُعتقل أكثر من ٦٠٠ ناشط ، ويتم ترحيلهم في غضون الأيام القليلة التالية ، وكان من بين ركاب السفينة مرمرة الشيخ رائد صلاح الناشط الفلسطيني ، رئيس الحركة الإسلامية في إسرائيل ، وحنين الزعبي عضو الكنيست من حزب التجمع الوطني الديمقراطي في فلسطين ٤٨ ، وفي ٣ يونيو من نفس العام ، سفينة سابعة، تحمل العلم الإيرلندي، اسمها راشيل كوري، تغادر قبرص محمّلة بالمساعدات وعلى متنها شخصيات عالمية (من بينهم برلمانيون أوروبيون، ودبلوماسيون سابقون)، وبنفس الطريقة الوحشية ، تسيطر إسرائيل على السفينة (٥ حزيران)، بعد الحصول على الإذن من إيرلندا ، وتقتادها إلى أسدود .

***

حمدي أبو سلمى

بعد هذه الأحداث المثيرة يحضر الصياد حمدي أبو سلمى للشفا ليلتقي بالشاب الصاعد غريب عايش ابن غزة المدينة ، وكان اللقاء حسب الاتفاق في فترة مناوبة غريب في صيدلية النحلة ووجد حمدي أن شابا يشارك غريبا العمل الليلي فقال وهو يشير بعينه للشاب معرفا : بشير ابن صاحب الصيدلية ندرس معا في نفس الجامعة ونفس التخصص .. وخاطب بشيرا قائلا : اسمح لي أخي بشير مرافقة قريبي محمود إلى المقهى أو المطعم القريب .

فقال الشاب مصافحا ومرحبا : أهلا بالسيد محمود ..تفضلا لا تتأخر يا صديقي سأنصرف بعد قليل

ـ هل احضر لك معي شايا أم قهوة ؟

ـ لا داعي سأشربها في البيت بمشيئة الله

فقال غريب : تشربها في الطريق هل سيحضر نضال لأخذك أم تكسي ؟

خرج غريب برفقة حمدي نحو مقهى في الشارع شارع الصيدلية ، ولما جلسا في المقهى طلب من الخادم كوبان من الشاي الثقيل ثم خاطب الضيف : ألك في الطعام رغبة ؟

ـ لا ، لا ، تعشيت قبل وصولي إليك .. هل ستسافر إلى غزة قد بدأت العطلة ؟

ـ سأغادر خلال أيام إلى القاهرة وقضاء أسبوع فيها لحمل رسائل وهدايا للأهل

ـ معي هدية لناصر .

قال غريب : هدية لناصر أبو فاضل ما هي ؟

ـ هي الرسالة التي وصلت قبل شهور ما كان فيها ؟

قال غريب : الرسالة خرجت من مصر وفيها زر مقهى الصيادين في مدينة هود على البحر وهناك سيتعرف عليك رجل اسمه أبو سلمى وبس .. وفهمت أن أوصاف شكلي عندك .

ـ وأنا أعطيت اهم مواصفاتك البدنية واسمك .. لم يعلموك بها ستأخذ معك لمصر .

ـ لا يا سيدي ؛ لكني فهمت أن حاجة مهمة ستحمل لمصر ، لن ادخل بها لغزة ، أنا سأتركها

لرجل في جامعة القاهرة واعتقدت يومها أنها مالا أو ذهبا .

ـ صحيح وهو سيوصلها لناصر في غزة .

ـ هكذا استنتجت ما الأمانة ؟

ـ مال ستحمل مالا في حقيبة خاصة لن تعرف عدده

ـ جيد ! وكيف ستعرف انه وصل للرجل المطلوب

ـ ستصل رسالة نصية هل أنت جاهز للعمل ؟

ـ أنا جاهز لتنفيذ المهمة البسيطة

ـ لما تحجز على الطائرة اتصل بي على مقهى الصيادين أو اترك رسالة عند صاحب المقهى حسنين علوان .. ويوم السفر سآتيك بالحقيبة

ـ على بركة الله .. هيا للصيدلية . وأخذ معه كأسا من الشاي المحمول لبشير

***

خرج جهاد من مسجد العمري بمدينة غزة منتظرا رفيقيه الحبيبين والجارين ابن عمه عزمي وقريبهم حسام الدين محمود ، وقبل مغادرة ساحة المسجد رأى نزارا وعصاما يشيران لهم بالانتظار قليلا ، ولما تصافحوا كعادة العرب وسأل جهاد عن صحة الأبوين والأهل وهذا أيضا في قاموس المجاملات العربية والأخلاقية ، قال نزار : الحمد لله كلنا بخير الوالد يرغب بالجلوس معكم ، فقد راقت نفسه للحديث مع حضرتكم رغم صغركم عن سنه وسن أبي عصام الجار ورفيق الدرب لأبي من أيام بيروت ولبنان أيام النضال قبل الخروج ٨٢ .. عملوا مع المنظمة قبل مجيئهم لغزة ، والدي طبيب وعمي ابو عاصم والد عصام دكتور صيدلة وكلاهما عمل في صحة غزة وتقاعدا



قال جهاد معتذرا : لو لا أننا سنذهب للسلام على ابن عمتي غريب ، فابن العمة يدرس صيدلة في بلاد الشفا وسمعت من صديقي عزمي أن إجازته أسبوعان زمان والا لذهبنا معكم ..فليالي الصيف طويلة ويحلو فيها السمر والسهر .. وانا احب أن أذاكر معلوماتي مع أهل الفضل الذين يحبون السماع والنقاش يا سيد نزار هل عاد أخوك قدس من مصر هو يدرس الطب في جامعة عين شمس كما نعلم ؟

ـ صحيح لا احد يناقش في قوة ذاكرتك يا أستاذ جهاد هو صديق ابن عمك غريب شقيق الأستاذ عزمي أنهيا الثانوية معا يا أستاذ عزمي .. وأخي قدس تمكن من الالتحاق بالجامعة قبل ابن عمك العزيز استطاع قبل حرب الفرقان الأخيرة أن يسافر لمصر والقاهرة .. وأما غريب عايش ابن عمتكم خرج بعد الحرب .. أخي لم يرجع هذا الصيف أحداث مافي مرمرة السفينة التركية أعاقته عن قضاء بعض الوقت هنا .. سأذهب أنا وعصاما معكم للسلام على غريب في حي الرمال ما زالوا يسكنون

قال عزمي : اجل ما زلنا من أهل الرمال.. كثير من آل روح الفضل يعيشون في الرمال وبعضهم بقي يعيش في حي الزيتون ..فآل روح الفضل الكثير منهم كان مقيما في غزة قبل النكبة ولحق البعض بهم من يافا أو الضفة .. قومنا تجار بحر وبر .. حياكم الله وبياكم .. وأنا وحسام نستمتع بمعارف جهاد عن أعلام الشهداء وهو العنوان الذي يشغله دائما .. وكم سقط من الشهداء من رجالات فلسطين مسلحين وغير مسلحين .. لقد ابتلي الشعب الفلسطيني ابتلاء عظيما بسقوط الخلافة الإسلامية .. كل الشعوب العربية حصلت على دولة مستقلة إلا نحن والكرد

قال عصام مواسيا للشباب : هذا قدر شعب فلسطين منذ قدم التاريخ .. لقد غزا هذه البلاد الفرس وقبلهم الكلدان واليهود والإسكندر والبطالسة ويونان سوريا والرومان والبيزنطيين

قال حسام مؤكدا : فعلا امر هذا البلاد وهذه الأرض الطاهرة مثير للحيرة ..هل تختلف عن كل البلدان ؟

قال نزار مضيفا : الحديث ذو شجون حقا .. يقال إن كل هذا الصراع العالمي من اجل عيون

مدينة السلام مدينة القدس مدينة الأديان السماوية .. مع أن القدس مقدسة حسب علمي عند أهل الديانات السماوية فقط .. القدس لم تعنِ شيئا عند الكلدان أو اليونان والرومان قبل ظهور النصرانية أم أن معلوماتي قاصرة في هذه النقطة

قال جهاد : وأنا مثلك لا اعرف أهمية دينية للقدس إلا عند أصحاب الديانات السماوية الثلاث ولكن هناك نقطة تاريخية مفيدة

قال عزمي : ما هي هذه النقطة المفيدة لنحكم عليها ؟

رجع الكلام لجهاد : النقطة التاريخية حسب ثقافتي أن فلسطين بالقدس وغزة وغيرها من المدن كان معبرا وممرا مهما للحروب بين أهل آسيا وأهل أفريقيا فهي القلب للعالم .. فمن يحارب في آسيا سيعبر فلسطين نحو سوريا وبلاد الرافدين ومن يقصد مصر وأفريقيا سيحتاج لدخول فلسطين ؛ بل في فترات تاريخية إسلامية كانت مدينة الرملة من أراد السيطرة على فلسطين عليه أن يسيطر عليها مدينة عجيبة قد بناها سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي الخليفة السابع اذا استثنينا ابن الزبير

قال نزار : تفسير رائع .. حدث صلح مهما بين صلاح الدين الأيوبي وملك الصليبين ريتشارد قلب الأسد صلحا مهما سمي صلح الرملة .. كل الغزاة احتاجوا لاجتياح فلسطين كما تعلمنا حتى في الحرب العالمية الأولى كانت مسرحا للعمليات بين تركيا الإمبراطورية وإمبراطورية بريطانيا والحلفاء

قال عصام : والصليبيون لماذا جاءوا إليها ؟

قال جهاد : حركة الصليبين كانت حركة دينية وخص نص لإقامة دولة صليبية في القدس وعملوا تطهيرا عرقيا لسكانها ؛ فيقال إنهم اهلكوا ستين ألفا من المسلمين فيها وحدها

تنهد نزار وقال : التاريخ محير هذا هو بيت ابن عمتكم عريب .

***

نهاية الربيع

كانت نهاية شهر ديسمبر ٢٠١٠بداية ما سمي بالربيع العربي ، وكانت الشرارة والانطلاقة الأولى من تونس ؛ حيث قامت تحركات شعبية لتغيير أنظمة الحكم السلطوية ، وأول ما بدأت تلك الاحتجاجات في تونس في ١٧ ديسمبر في الشمال الإفريقي ، وبدأت شرارة ثورة تونس عقب قيام بائع متجول ، وهو خريج جامعي يبلغ من العمر ٢٦ عاماً، بإحراق نفسه تظلما من حجز عربته التي يسترزق منها في مدينة اسمها أبو زيد .. دولة ونظام لم يتسع لبائع عربة خضار متجول ليصرف على أسرته الفقيرة ، وأدت الثورة إلى الإطاحة بالرئيس زين العابدين بن علي في ١٤ يناير ٢٠١١.. هرب ابن علي للسعودية ، قبل نهاية شهر من الاحتجاج على ظلمه وفسقه وامتدت الاحتجاجات الشعبية إلى بلدان عربية أخرى ، وخصوصاً مصر ، والأردن ، والمغرب واليمن ، والبحرين ، وليبيا ، وسوريا ، في مصر خلعت الثورة حسني مبارك في ١١ فبراير٢٠١١ حتى سمي ذلك العام عام الربيع العربي .. وقد استطاعت الدول الإمبريالية استيعاب الربيع العربي وإحباطه وتحول في ليبيا واليمن وسوريا إلى حروب داخلية مؤلمة .

***

استقبل خلدون وأبو عاصم الشباب بفرح ظاهر ، وبعد تبادل التحيات والأخبار الشخصية قال أبو عاصم والد عصام فلم يكن عصام ابنه الأول : نحن أنا وصديقي أبو محمود ليس لنا ذكريات إلا أيام الثورة في مخيمات لبنان فبل العودة بعد اتفاق أوسلو اللعين .. وحقيقة الثورة الفلسطينية ضعفت بعد ٨٢ فقد انتشرنا في معسكرات بعيدة حتى أن عددا كبيرا عاد متسللا لبيروت وسوريا كنت أنا وصديقي خلدون في لبنان عند اغتيال القائد الكبير أبي جهاد خليل الوزير في تونس العاصمة

قال خلدون : وهذا الغريب رغم انه كان علما معروفا منذ بداية انطلاقة حركة فتح وكما نقول نار على علم لم يقتل إلا بعد عقود ، وفي تونس حيث كانت قيادة المنظمة وفتح

قال حسام الدين : قولك نار على علم مثل منقول عن قصيدة للخنساء ترثي شقيقها صخرا

لم يعقب على كلام حسام أحد فقال جهاد : وكذلك اغتيل رفيق دربهم صلاح خلف ؛ لكن قيل على يد خون فلسطين ؛ كما يغتال اليوم أبطال فلسطين على يد عملاء إسرائيل للأسف الشديد .. امر العمالة مرعب .. كيف يقبل الفلسطيني هذا العار ؟!

فقال أبو محمود : سياسة الاغتيال كانت في بيروت متكررة ، كان النابل قد اختلط بالحابل لقد لا يكاد يمضي أسبوع إلا وتحدث جرائم الاغتيال ؛ وكنا أحيانا كثيرة لا نفهم سبب الاغتيال والجريمة، رأينا مقتل غسان وكمال عدوان والآخرين معركة الاغتيالات معقدة ومتعبة شهدنا مقتل علي حسن قبل معركة بيروت ٨٢ وبعدها اغتيال القائد سعد صايل

قال عزمي : الاغتيال للرموز والقادة للأسف لم يكن من جهة واحدة ؛ فربما اغتيل فلسطينيون أيام الثورة في الخارج على أيدي العرب اكثر من اغتيال الصهاينة لنا .. الاختلاف السياسي والحزبي يدفع للاغتيال

قال حسام : الاغتيال جبن وضعف وغدر أيضا ، يلجا إليه الضعفاء بظنهم انهم قد يحققوا شيئا باغتيال سياسي أو عسكري أو رمز .. الواقع يكذب هذا الاعتقاد .. باغتيال أبي جهاد هل توقفت الانتفاضة الأولى ؟! كانت للأسف أنظمة عربية تتنافس على قتل الشعب الفلسطيني ، لم يكتفوا بتشريدنا .. وهذا كان يساعد إسرائيل ويخفف عنها فكم صرعت منظمات البعث سواء في العراق أو سوريا من الأسماء وكنت تجد من فصائل فلسطين يشاركونهم الإجرام فمثلا منظمة صبري تقتل لمن يدفع .. فمقتل صلاح خلف كان لمصلحة من ومحاولة قتل سفير إسرائيل في لندن لمصلحة من .. المحاولة التي اتخذت حجة واهية لغزو بيروت ولبنان كافة

قال جهاد : حكاية الاغتيال لا تنهي فهي قديمة منذ بدأت الحروب بين الناس .. موغلة في القدم فإسرائيل أثناء فترة التأسيس كم قتلت من العرب ومن حلفائهم الإنجليز ؟ ألم يقتلوا اللورد مورين؟

قال خلدون متذكرا اسم الرجل : أليس هذا رجل بريطانيا في مصر قتل قبل ٤٨ ؟

قال جهاد : صحيح هو والتر إدوارد غينيس بارون موين الأول ، كان سياسي أنجلو إيرلندي ورجل أعمال شغل منصب وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط عندما اغتالته مجموعة شتيرن اليهودية الإرهابية ، وكان ذلك في ٦نوفمبر ١٩٤٤، قد نجح حكيم والياهو في اغتيال اللورد موين بالقاهرة ، غير أنه لم يلبث أن أُلقي القبض على الإثنين وهما يحاولان الفرار على دراجتين وحوكما أمام محكمة عسكرية ، فحُكم عليهما بالإعدام شنقًا ، ونُفذ الحكم فيهما في



القاهرة في ٢٢ مارس ١٩٤٥وانطلقا إلى جهنم وبئس المصير .. وهناك كتب الفت في الإرهاب الصهيوني أثناء فترة التأسيس للكيان اللقيط ، ومن الاغتيالات المثيرة أثناء أحداث النكبة اغتيال الوسيط الدولي بين العرب وإسرائيل

قال أبو محمود : سمعنا طرفا منه أثناء ذكريات التاريخ ، وله شارع هنا باسمه في غزة شارع كونت برنادوت هي إشارة إلى هذا الرجل السويدي

قال نزار : ولماذا قتلوه ألم يعمل لصالحهم وخدمتهم ؟ والا زعرنة وتخويف .

قال عزمي : هو ما تقول .. ما رأيك أستاذ جهاد أن تذكرنا بقصة هذا الرجل الأوروبي.. هو اغتيل سنة ٤٨ .

قال جهاد بعد أن أشار له القوم بالحديث : كان الكونت فولك برنادوت من مواليد عاصمة السويد ـ احدى الدول الإسكندنافية ـ إستكهولم ١٨٩٥ وقتل في ١٧ سبتمبر ١٩٤٨ بالقدس كان ابن ثلاث وخمشين سنة ، لم يكن كبيرا أو طاعنا في السن ، الكونت فولك برنادوت   هو ديبلوماسي سويدي ترأس الصليب الأحمر السويدي ، تم اختياره كأول وسيط للأمم المتحدة في عام ١٩٤٧ بين أهل فلسطين واليهود الصهاينة لتنفيذ قرار التقسيم الشهير سنة ١٩٤٧ ثم اغتيل في وقت لاحق أثناء أداء واجبه في ١٧ سبتمبر ١٩٤٨؛ كما قُتل مساعده الذي كان يجلس بجانبه وهو الضابط الفرنسي أندريه سيروت

وهو لم يكن شخصا بسيطا ومن العامة هو من العائلة الملكية السويدية ، شارك في عمليات تبادل الأسرى خلال الحرب العالمية الثانية، وأسهم في عملية إنقاذ ١٥٠٠٠ معتقل من معسكر اعتقال نازي ، وكانوا من السويد والدانمارك والنرويج وأمريكيون وبولنديون وصينيون وإنجليز وفرنسيون ، وكان ممن أسهم بإنقاذهم كذلك أعدادًا كبيرة من اليهود ، وكل هذا أنجزه الأمير فولك ضمن حملة الحافلات البيضاء والتي أسهم فيها الصليب الأحمر السويدي والكشافة السويدية ، وذلك في فترة زمنية وجيزة وتحت ظروف عصيبة.

بعد قرار تقسيم فلسطين اندلعت مواجهات بين اليهود والعرب في فلسطين فاختارته منظمة الأمم المتحدة؛ ليكون وسيطاً بينهم في ٢٠ مايو عام ١٩٤٨، وذلك بعد إنشاء الكيان بأسبوع ليصبح أول وسيط دولي في تاريخ المنظمة الدولية هيئة اللمم .. كان الهدف من مهمته وقف المواجهات بين الطرفين المتنازعين وتطبيق قرار التقسيم .. استطاع أن يحقق الهدنة الأولى في فلسطين في ١١ يونيو ١٩٤٨، وتمكن بعد مساعٍ لدى الجانبين العربي والإسرائيلي من الدعوة إلى مفاوضات رودس التي جرت نهاية عام ١٩٤٨ ، قدم هذا السويدي الأممي عدة اقتراحات من أجل عملية السلام للأمم المتحدة في ٢٧/ ٦/ ١٩٤٨:

واخرج جهاد الموبايل الخلوي وقال : اقرأ لكم مبادرته أو مقترحه الذي أدى لمصرعه بزعم انه لم يعمل لمصلحة الصهيونية ؛ ولكنها العربدة كما تعلمون يعني ماذا استفادت إسرائيل من اغتيال المناضل أبو جهاد وغيره ؟! وهو يعيش بعيدا عن فلسطين آلاف الأميال ؛ لكنها عربدة ليقولوا لنا أن أيدينا طائلة مهما بعدت المسافة .. وهذه لا تأثير كبير لها علينا اعتدنا عليها وإنما هدفها الحقيقي رفع معنويات جيشهم ومواطنيهم ، يقتلون عالما في ايران أو أوروبا هل يتوقف ما يقدمه لامته ؟ قد يتأخر قليلا ؛ لكنه سيمضى .. أعود لفولك قدم المقترح لهيئة اللمم

" ينشأ في فلسطين بحدودها التي كانت قائمة أيام الانتداب البريطاني الأصلي عام ١٩٢٢ (وفيها شرق الأردن) اتحاد من عضوَيْن أحدهما عربي والآخر يهودي، وذلك بعد موافقة الطرفين الذين يعنيهما الأمر.

تجرى مفاوضات يساهم فيها الوسيط لتخطيط الحدود بين العضوَيْن على أساس ما يعرضه هذا الوسيط من مقترحات، وحين يتم الاتفاق على النقاط الرئيسية تتولى لجنة خاصة تخطيط الحدود نهائياً.

يعمل الاتحاد على تدعيم المصالح الاقتصادية المشتركة وإدارة المنشآت المشتركة وصياغتها بما في ذلك الضرائب والجمارك ، وكذا الإشراف على المشروعات الإنشائية وتنسيق السياسة الخارجية والدفاعية.

يكون للاتحاد مجلسٌ مركزي وغير ذلك من الهيئات اللازمة لتصريف شؤونه حسبما يتفق على ذلك عضوا الاتحاد.

لكل عضو حق الإشراف على شؤونه الخاصة بما فيها السياسة الخارجية وفقاً لشروط الاتفاقية العامة للاتحاد.

تكون الهجرة إلى أراضي كل عضو محدودة بطاقة ذلك العضو على استيعاب المهاجرين، ولأي عضو بعد عامين من إنشاء الاتحاد الحق في أن يطلب من مجلس الاتحاد إعادة النظر في سياسة الهجرة التي يسير عليها العضو الآخر، ووضع نظام يتمشى والمصالح المشتركة للاتحاد ، وفي إحالة المشكلة إذا لزم الأمر إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة، ويجب أن يكون قرار هذا المجلس مستنداً إلى مبدأ الطاقة الاستيعابية وملزماً للعضو الذي تسبب في المشكلة.

كل عضو مسؤول عن حماية الحقوق المدنية وحقوق الأقليات، على أن تضمن الأمم المتحدة هذه الحقوق.

تقع على عاتق كل عضو مسؤولية حماية الأماكن المقدسة والأبنية والمراكز الدينية، وضمان الحقوق القائمة في هذا الصدد.

لسكان فلسطين إذا غادروها بسبب الظروف المترتبة على النزاع القائم الحق في العودة إلى بلادهم دون قيد ، واسترجاع ممتلكاتهم.

وضع الهجرة اليهودية تحت تنظيم دولي حتى لا تتسبب في زيادة المخاوف العربية.
بقاء القدس بأكملها تحت السيادة العربية مع منح الطائفة اليهودية في القدس استقلالاً ذاتيًا في إدارة شؤونها الدينية..إضافة بعض التعديلات الحدودية بين العرب واليهود، منها ضم النقب إلى الحدود العربية والجليل إلى الدولة الإسرائيلية.
أثارت اقتراحاته في عملية السلم حفيظة الجانب اليهودي في تلك الفترة إذ عارض ضم بعض الأراضي الفلسطينية إلى الدولة اليهودية المقترحة في قرار التقسيم الذي صدر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ كما اقترح وضع حد للهجرة اليهودية ووضع القدس بأكملها تحت السيادة الفلسطينية فاتفقتا منظمتا أرغون «التي يرأسها مناحيم بيغن رئيس وزراء فيما بعد وشتيرن برئاسة إسحق شامير رئيس وزراء في ما بعد على اغتياله وقام زتلر قائد وحدة القدس بالتخطيط للعملية، ونفذت عملية الاغتيال في ١٧ سبتمبر ١٩٤٨ في القطاع الغربي لمدينة القدس حصة إسرائيل في حرب ٤٨ ، فمات عن عمر يناهز الـ٥٣ عاماً إثر تعرض سيارته لإطلاق نار من قبل ثلاثة أشخاص ومات على الفور.
إثر عملية الاغتيال توجهت الشكوك نحو منظمة شتيرن وتم إيقاف أكثر من ٢٥٠ عضوًا في المنظمة خلال ٢٤ ساعة ، وتم حل شتيرن في اليوم التالي ضمن مكافحة الإرهاب اسمع مكافحة الإرهاب شر البلية ما يضحك . أكد زتلر أنه تلقى ضمانات من وزير الداخلية إسحق غرونباوم بأنه سيتم معاقبته من أجل إرضاء الرأي الدولي وأنه سيتم العفو عنه لاحقًا تم الحكم بالسجن على يالين مور ومتياهو شمولفيتز في الثاني من فبراير سنة ١٩٤٩ بتهمة الانتماء إلى منظمة إرهابية وليس بسبب عملية الاغتيال وتم إطلاق سراحهما بعد أسبوعين كما تم العفو عن جميع معتقلي منظمة شتيرن الإجرامية.. ها هي إسرائيل الإرهابية والقضاء الصهيوني !
علينا أن ننصرف أيها السادة سنعود إن شاء المولى في ليلة قادمة للحديث عن اغتيال الزعيم أبو جهاد رحمه الله فالوقت يقترب من نصف الليل لنا عودة أيها الكرام
تصافح الجميع وتبادلوا الدعوات والتحيات

من العادات الحسنة في الشعوب العربية صنع الطعام في المناسبات ، ومن هذه العادات دعوة الضيف والمسافر والمتغرب إلى وجبة طعام في بيوت أقاربه ، فلذلك دعي غريب طالب الصيدلة لتناول الطعام في بيت ناصر شقيقه ، ودعي لهذه الوجبة بعض الأقارب المقربين كعزمي وجهاد والآباء والأمهات ومن رغب من أفراد العائلة ، استقبل غريب والضيوف افضل استقبال ، ومن العادات الحسنة الأخرى أن يذهب الكثير من المقربين للسلام على الضيف وبعد تناول الطعام وشرب الشاي أو القهوة أو كليهما يبدأ الضيوف بالانصراف ويبقى القليل للقيل والقال ونقل الأخبار والتوقعات فقالت الخالة الصماء : متى السفر ؟

ـ مطلع الأسبوع القادم بإذن الله وحده يا خالتي العزيزة .. أين عبد الله ؟.

قال عايش : مشغول في الرباط والمفاوضات ابن خالتك .

قال عزمي مضيفا : هناك مفاوضات حول أسير المقاومة القسامية شاليط

قال غريب : لم تنته هذه المفاوضات ! لها خمس سنوات أو قريب منها

قال عايش : يقال أن هناك حراكا جيدا بعد انتصار الفرقان وفشل الحرب في الوصول لشاليط مليط

تبسم الضيوف للإضافة فقالت الصماء : ما أخبار الأهل في الشفا ؟

قال غريب لخالته : مثل أخبار كل الناس هنا لا شيء غير عادي ؛ لكن هناك شيء جميل انك تجد لكل عشيرة ديوان أو جمعية للمناسبات في الأعياد والأفراح وموجود مثلها عند الناس هنا ولكن هناك يكون فيها محاضرات ومعالجات طبية مجانية وسهرات تعارف وحفلات للأيتام والأرامل مشغولة باستمرار سوى كما قلت حفلات الزواج وواجبات العزاء وقد يكون لها فروع في حواضر أخرى .. فقد تعرفت فيها على أعداد لا بأس بها من آل روح الفضل في الشفا لم يكن يتاح لي ذلك لولا هذه الجمعيات .

ـ هل لها رئيس وأعضاء؟

ـ نعم هناك انتخابات لقيادة ورئاسة الجمعية أو الديوان يقال أنها تشبه مضافات البدو والأرياف قبل النكبة ، وتقدم الجمعية المساعدات المادية لأهل العائلة الضعفاء والأيتام والأرامل وحتى أنها تساعد مؤسسات الأيتام الأخرى ، ولهم استثمارات في كثير من مشاريع العائلة

ـ والتعليم والعلاج

ـ التعليم له صندوق خاص ، وكذلك المساعدات الطبية .. تكافل اجتماعي رائع حقيقة واليوم يدعى أبناء العائلة بواسطة الفيس بوك للقاء والندوة أو التبرع

قال الخنساء : المهم أنت مرتاح هناك فأخي وأختي رحلوا مثلك للدراسة واستقروا في تلك الديار

قال غريب : الخال يونس رجل طيب والخالة أمينة مثله ؛ ربما سبب الاستقرار انهم تزوجوا هناك وهم عاشوا في صور قبل نكسة ٦٧

قالت : كما عشنا نحن هنا أبي تزوج ثلاث مرات ـ رحمه الله ـ وهذا امر يتكرر في القديم كان الزواج والتعدد سهل وما كنا نسمع بحقوق المرأة والرجل أو الطفل

قال عايش : هذه الأسماء خدعة ومكر أفسدت المجتمعات وزادت نسبة الطلاق في بلاد المسلمين ورفعت العنوسة كم تقتل إسرائيل منا ؟ ولا نسمع ألا همسات ضعيفة لا ينشر عنها في الغرب شيئا ..ماذا فعل الاستعمار في بلاد العالم غير الفساد والانحطاط والتعري باسم المدنية والتقدم ؟

قال غريب : كلامك صحيح يا أبي .. شواطئ العالم أصبحت شواطئ عراة وسفور ووقاحة سواء عربية أو أجنبية .. والمخدرات حدث ولا حرج .. مالك جهاد صامت !

قال جهاد : الحمد لله لا شيء يا ابن العمة وأتمنى لك التوفيق في الجامعة

ـ شكرا صديقي وابن الخال الفاضل أهلا أستاذ عزمي .. أحوال لا تسر ؛ ولكنها حياة كتبت علينا ..علينا أن نخطوها

قال عايش : كما قال الشاعر :

مشيناها خُطىً كُتِبَت علَينا *** ومَن كُتِبَت علَيهِ خُطىً مشاها

وَمَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ ****فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا

لما رجع غريب لبلاد الشفا بعد إجازة الصيف القصيرة اتصل بأبي سلمى صياد هود وبين له انه وصل الأمانة لمصر فهل وصلك إشعار بوصولها فأخبره الصياد بحصول ذلك وشكره ورحب به بزيارة هود ، فوعده إن حصل وزار هود سيمر عليه وانه في خدمته ، ثم عاد للعمل في صيدلية والد بشير روح الفضل ، ويمتد دوامه من العاشرة ليلا حتى إغلاق الصيدلية قبل الفجر بقليل واذا كان على الصيدلية الدوام ٢٤ ساعة فانه يمكث حتى يحضر والد بشير فينصرف، وهو يعتبر العمل شكل من التدريب ، وليس القصد المال فما يدفع له من الأهل يكفي الدراسة وإيجار الشقة والمصروف وكما يقال زيادة الخير خير .

ذات ليلة قال بشير لغريب عايش : أثناء سفرك حضرت فتاتان تسألان عنك فقلت لهما غادر البلد واحدة اسمها مرام والثانية حنان

قال غريب : هل ذكرن سبب السؤال ؟

قال : قالت إحداهن نريد غريبا أليس يعمل هنا ليلا ؟ أليست هذه صيدلية شمس روح الفضل ؟ قلت : نعم ، ماذا تريدين من غريب ؟ قالت الثانية كنا نرغب بالحديث معه وذكر لنا مرة انه يعمل ليلا في هذه الصيدلية حتى ساعات الفجر الأولى ..حاولت أن اعرف ماذا يردن دون فائدة ثم ذكرن أسمائهن وانصرفن .



قال غريب : مرام وحنان زميلات الشعبة لا ادري لماذا جئن فعلا يا بشير ؟! علاقتي بالفتيات دقيقة وحساسة أنت ألم تعرفهن ؟

ـ اعرفهن بالوجه يا صديقي لأنني رأيتهن من قبل في الجامعة غلب على ظني أنهن زميلات شعبتك ، ولم ارغب بالتوسع بالحديث معهن كانت الصيدلية فيها بعض الزبائن .

ـ لا احمل أرقامهن لما يبدأ العام الدراسي سوف اعلم سر هذه الزيارة .. علاقتي كما تعلم مع

الإناث سلام وكيف الحال؟ لا احب تكوين صداقتك خاصة معهن وأنت تعرف ذلك عني

ـ حقيقة لم افهم قصدهن من نلك الزيارة ولم يطل مكثهن هنا

ـ الله اعلم سنعرف إن عشنا السبب

***

انتفاضة فلسطين ضد الكيان الصهيوني كما نعارف عليه أهل المعرفة بدأت في مطلع ديسمبر ١٩٨٧ وفي الثامن منه على إثر اغتيال أو دعس اربع عمال من غزة في منطقة جباليا شمال القطاع ثم تسارعت الأحداث ، وكانت بداية انتفاضة استمرت سنوات انتهت بنتيجة غريبة ، انتهت بأوسلو بسلطة فتحوية في غزة وأريحا ١٩٩٣ .

وبعد بداية الانتفاضة بأسبوع ظهرت حركة المقاومة الإسلامية المسماة حماس من رحم حركة الإخوان المسلمون في غزة ، وصدر بيانها الأول في ١٤- ١٢- ١٩٨٧؛ فكان ميلاد حركة جهادية جديدة على الساحة الفلسطينية والعالمية

خلال شهر تقريبًا من انتفاضة مقتل العمال الأربعة ، كان كل فصيل في منظمة التحرير يتحرك بشكل منفصل ، وبعد الشهر لاستمرار الانتفاضة والاحتجاجات والصدامات مع المحتل فكرت عدة فصائل ، وبشكل مستقل في إنشاء قيادة موحدة بين فصائل منظمة التحرير، تتميز فكرة إنشاء القيادة الوطنية الموحدة بكونها لم تكن نابعة من مناقشات تمت على مستويات عالية من القيادة ، أول منشور كان يدعو لإنشاء مثل هذه القيادة أصدرته حركة فتح من طرف واحد تحت توقيع القوة الوطنية الفلسطينية.

تشكلت القيادة الموحدة (قاوم) من القوي الرئيسية المنخرطة بالمنظمة والتي كان لها نفوذا وامتدادا جماهيريا ، وهي كل من فتح والجبهتين الشعبية والديمقراطية والحزب الشيوعي الفلسطيني والذي أصبح اسمه حزب الشعب لاحقا ، انتهت قاوم مع انتهاء الانتفاضة الشعبية الكبرى وتأسيس السلطة الوطنية الفلسطينية عام ١٩٩٤ .

خشيت حركة فتح بظهور حماس أن تخسر قيادة الشعب الفلسطيني فظهرت القيادة الموحدة بالفصائل التي مر ذكرها ، ولم تشترك فيها حماس وحركة الجهاد الإسلامي التي سبقت حماس بالظهور على الساحة الفلسطينية والعربية ، وكان من قادة القيادة الموحدة القائد الشهير خليل الوزير أبو جهاد ابن فتح ، وكان يزعم أنه يحرك الانتفاضة من مكتبه في تونس عاصمة تونس

في شمال أفريقيا ؛ ولإضعاف الانتفاضة قررت مخابرات إسرائيل تصفيته على امل موت الانتفاضة في مهدها رغم الصراع الطويل بين عرب فلسطين ويهود إسرائيل ، كانوا يعتقدون أن الاغتيال والتصفية حل لمشاكلهم مات خليل غدرا ، ولم تتوقف الانتفاضة والإرادة الفلسطينية والرغبة في التحرير لكل تراب الوطن .

فعلينا أن نذكر حكاية هذا الاغتيال الذي كان بعد اقل من خمس شهور من الانتفاضة في نيسان ١٩٨٨ ، سأذكر رواية من كتب الصهاينة ورواية من كتاب قائد قوات ١٧ الفتحاوية .

***

حدد القائد العسكري الأعلى للشعب الفلسطيني هدفاً واضحاً لُمقاتليه: "بعون الله سندمر شارون ، ونرسله إلى جهنم .. نحن نعلم كيف يبدو ؟" .

ضحك أحد المُقاتلين قائلاً: "لديّ تابوت له".

قال أبو جهاد: لديهم خشب كثير للتوابيت لشارون ، بعون الله تسقط قنبلة على رأسه ، لا شيء بعيد عن الله يا رجال" .

لابد أن أبو جهاد كان يعلم أن هذه أمنية لا طائل من ورائها ، فقد أُطيح بشارون من منصب وزير الدفاع قبل ذلك بعامين واحتمالات أن يكون في ذلك اليوم في الوزارة التي طُرد منه فرص كانت ضئيلة ؛ لكن شارون كان تجسيداً للشر في عيون الفلسطينيين ، ولا بد أن أبو جهاد كان يعتقد أن هذه هي أفضل طريقة لتشجيع رجاله .

لقد مر أكثر من عشرين عام مُنذ صُدور أمر القتل الأول للمُوساد ضد أبو جهاد ، الذي استقر في العاصمة تونس ، بعد إخلاء مُنظمة التحرير الفلسطينية من بيروت في صيف عام ١٩٨٢ ، عاش أبو جها د في فيلا مُستأجرة ليست بعيدة عن الشاطئ ، على بعد حوالي خمسة وعشرين ميلاً من أنقاض مدينة قرطاج القديمة ، تابعت المُخابرات الإسرائيلية مُراقبته أثناء سفره إلى سوريا والأردن ودول أخرى في الشرق الوسط ، لإصدار الأوامر وتنظيم وتشجيع قواته والتخطيط لعمليات ضد إسرائيل، بصفته القائد العسكري لُمنظمة التحرير الفلسطينية ، جاء

أبو جهاد في المرتبة الثانية بعد ياسر عرفات ، وكان مسؤولاً عن أعمال إرهابية مُتعددة ضد الإسرائيليين ، أكثر من أي ناشط فلسطيني آخر، لقد ظل مُشبعاً بالحماسة القومية الثورية التي تعززها الآن الرغبة في أن يُثبت لإسرائيل أن منظمة التحرير الفلسطينية رحلت لكنها لم تخرج ، وأنها ما زالت قادرة على الرد وإلحاق أضرار جسيمة، ولهذه الغاية اتخذ قرارا بالبدء مرة أخرى في التخطيط لشن هجمات في الدول الغربية خاصة في أوروبا ، حيث لم يعمل هو وعرفات منذ مُنتصف السبعينيات ، وشدد على العمليات البحرية التي تتم على السفن أو بالقرب من الموانئ ولتحقيق ذلك نشر القوة ١٧ وهي الوحدة الخاصة المُدربة جيدا لحراس عرفات الشخصيين ، جنباً إلى جنب مع فرقة العمليات الخاصة ورجال فطاع غزة وفتح البحرية.

تم تطوير خطة إسرائيلية لقتل أبو جهاد في عمان في عام ١٩٨٣ ؛ ولكن تم تأجيلها عدة مرا ت وذلك لأسباب عملياتية ، لكن الموساد خطط بالفعل لعمليات تستهدف رجال أبو جهاد بعد استئناف الأنشطة العملياتية لفتح في أوروبا، استأنف الموساد العمل العدواني ضد مُنظمة التحرير الفلسطينية في شبه القارة الهندية .

منذ كارثة ليلهامر كانت قيسارية مُنشغلة في إعادة بناء وحدة القتل المُستهدف ، قال مايك هراري الذي أجرى العديد من التغييرات على الوحدة قبل تقاعده عام ١٩٨٠ : "اعتدت أن أسميها شحذ السيف"، لعب العديد من الأدوار القيادية لفترة أطول ، خرّج نجوما مرموقة في عالم الموساد ، وهم الآن من خريجي وحدات قتالية في جيش الدفاع الإسرائيلي يتمتعون بخبرة كبيرة جراء المهمات التي خاضوها، ولديهم مخزون كبير من الشجاعة والاستعداد إن لم يكن الشغف للضغط على الزناد.

راس الحربة الجديدة "كارلوس"، وهو ناشط في قيسارية وصل إلى الموساد عبر مهمة قتالية في لواء المظليين بقيادة أرييل شارون ، قال زملاؤه إن كارلوس نفذ عمليات القتل ببرودة ومنهجية وأن قلبه لم يفوت أي نبضة ، في آب ١٩٨٣ أرسل أبو جهاد نائب قائد وحدته البحرية مأمون مريش إلى اليونان لشراء سفينة وأسلحة لاستخدامها في هجوم إرهابي على حيفا ، وبينما كان في

طريقه لإتمام الصفقة في أثينا ، ظهرت دراجة نارية بجانب سيارة مريش عند إشارة المرور ، قام كارلوس الرجل الذي كان على مقعد الراكب بالدراجة النارية بسحب مُسدس كاتم الصوت واطلاق الرصاص على مريش حتى تأكد من وفاته ، كل هذا كان على مرأى ومسمع من أطفاله الثلاثة الذين تتراوح أعمارهم بين أربعة أعوام وثلاثة عشر عاماً ، حيث بدأوا في الصراخ من الرعب حينها .

في ١٦ أغسطس ١٩٨٤ وصل زكي الحلو عُضو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش إلى مدريد على متن رحلة جوية من بيرو ت ، اعتقد الموساد أنه هو أيضاً كان في مُهمة لأبو جهاد الذي جنده في إحدى عملياته المُخطط لها في أوروبا ، بعد ذلك بيوم بينما كان الحلو يسير في الشارع في وسط مدريد ، مرت دراجة نارية من أمامه وأطلق رجل عليه النار عدة مرات نجا الحلو من الإصابة ؛ لكنه فقد استخدام ساقيه .

منذر أبو غزالة قائد سلاح البحرية لحركة فتح كان هدفا لعدد من مُحاولات القتل المستهدف من قبل الحربة قبل ٢١ أكتوبر ١٩٨٦ عندما أوقف سيارته في إحدى ضواحي أثينا ، ظهر له "ايلي" –وهو قاتل تم اختياره مسبقاً مُتخصصا في العبوات الناسفة– عندما توقفت سيارة أبو غزالة عرف ايلي ما عليه فعله ، حيث ألقى إيلي جسده الممتلئ أسفل السيارة وألصق إحدى القطع التي أسمها "إليارس" وهي قنبلة قاتلة من تصميمه ، دخل أبو غزالة السيارة وضغط إيلي على المُفجر، وانفجرت السيارة بالهدف وبسائقها .

في أعقاب هذه الضربات وكذلك عمليات مُنظمة التحرير الفلسطينية الخرى في أوروبا التي تم إحباطها بعد أن أبلغ الموساد الشرطة المحلية بعدة تفاصيل ، توصل أبو جهاد إلى استنتاج مفاده أن للإسرائيليين عُملاء داخل شبكاته الأوروبية، ثم قرر القيام بعملية بحرية تتم بالكامل من داخل مقره في تونس ومن قاعدة تدريب في الجزائر في ظل سرية تامة، وهي عمليه خاصة للاستيلاء على مبنى الأركان العامة وأخذ أكبر عدد ممكن من الرهائن .

في ربيع ١٩٨٥ شرع أبو جهاد على متن سفينة شحن مؤجرة تزن ٤٩٨ طناً تعمل بالديزل تحمل

علم بنها وُتسمى أتافيروس ، وكان أبو جهاد قد خطط لرحلة طويلة لقوات الكوماندوز التابعة له ، من ميناء وهران بالجزائر غرباً إلى المحيط الأطلسي حول رأس الرجاء الصالح أعلى الساحل الشرقي لأفريقيا عبر مضيق باب المندب وصولاً إلى البحر الحمر، من هناك كانوا يأملون أن يتسللوا دون أن يُلاحظهم أحد عبر قناة السويس في قافلة تجارية حتى وصلوا إلى المياه الإسرائيلية .

لكن دون علم أبو جهاد كان للوحدة ٥٠٤ التابعة لأمان شبكة من العُملاء داخل جهاز القطاع الغربي الجناح العسكري لأبو جهاد، لمدة عام تقريباً ، كانت إسرائيل تعلم أنه تم التخطيط لهُجوم من نوع ما في ذكرى يوم الذكرى ؛ في ٢٤ أبريل أبحرت فرقة عمل مُكونة من أربعة زوارق صاروخية وقوات الكوماندوز شايطيت ١٣ مسافة ١٨٠٠ ميل وفجرت سفينة ثانية كانت تُسمى "ضوء القمر" كانت مُؤجرة للعملية عندما كانت فارغة ورست في الجزائر، وعندما وصلت أتافيروس إلى البحر البيض المتوسط في ٢٠ أبريل، كانت ترصده طرادات صواريخ إ إسرائيلية كان على متنها وحدات كوماندوز بحرية تابعة لشايطيت ١٣ على بعد ثلاثين ميلاً من بورسعيد .

رفض نُشطاء مُنظمة التحرير الفلسطينية على السفينة النداء الإسرائيلي للاستسلام وفتحوا النار على إحدى السُفن الإسرائيلية ، ورداً على ذلك أغرقت القوات الإسرائيلية السفينة الفلسطينية وقتلت عشرين شخصاً كانوا على متنها .

تم القبض على ثمانية آخرين وتم اقتيادهم إلى مرفق الاستجواب تحت الأرض التابع للوحدة ٥٠٤ والمعروف باسم "معسكر ١٣٩١ " شمال تل أبيب، الموقع غير محدد على الخرائط ويمنع القانون الإسرائيلي نشر موقعه .

تم تجريد السُجناء من ملابسهم وتغطية رؤوسهم ثم ربطهم بالحائط ، انفجرت في زنازينهم موسيقى صاخبة ، مما جعل النوم مُستحيل عليهم ، كما تعرضوا للضرب بين الحين والآخر.

بعد أربعة أيام اعترف الأسرى بتفاصيل خطة أبو جهاد ووصفوا كيف كانوا يُخططون

للاستيلاء على مبنى الأركان العامة وأخذ وزير الدفاع ورئيس الأركان كرهينتين ، لولا استخبارات أمان الدقيقة لكان الأمر "كارثة على نطاق لم نعرفه بعد" كما قال عوديد اراز أحد كبار مسؤولي أمان ، لم يعد الاعتماد على الاستخبارات لُمجرد منع الهجمات الجارية بالفعل خيارًا مقبولاً .

بعد الاعترافات ت وبشكل فوري – أمر وزير الدفاع إسحاق رابين الجيش الإسرائيلي بالتخطيط لعمليتين ضد قاعدة أبو جهاد في تونس من قبل مُحققي الوحدة ٥٠٤ ، رابين الذي كان أحد الأهداف الرئيسية لهجوم أبو جهاد الفاشل أراد خيارين للاختيار من بينهما ، وكلاهما سيكون كبيرًا وصاخباً ، كان أحدهما عبارة عن توغل بري واسع النطاق سيشمل قوات من شايطيت ١٣ وسيرت متكال وشلداخ وحدة الكوماندوز الخاصة بالقوات الجوية إجمالاً سيكون هُناك حوالي مائة مُحارب تحت قيادة العميد إسحق مردخاي، الرجل الذي كادت حياته أن تُدمر بسبب محاولة الشاباك لإيذائه ، كل هؤلاء الرجال سيهبطون على الشاطئ التونسي في زوارق تنطلق من سفن البحرية، ويغزون مُجمع مُنظمة التحرير الفلسطينية ويقتلون أبو جهاد ورجاله .

الاحتمال الآخر كان قصف من قبل الطائرات الإسرائيلية ، بدأ كل من مردخاي والقوات الجوية التدريب على ذلك بانتظار موافقة مجلس الوزراء ، كانت هناك مُشاكل تكتيكية واستراتيجية مع كلا البديلين ، تبعد تونس مسافة طويلة عن إسرائيل بمقدار ١٢٨٠ ميلاً، أي أبعد مما وصلت إليه جميع عمليات الجيش الإسرائيلي من قبل ، بالنسبة للهجوم البري المُركب بعيداً عن إسرائيل كان هذا يعني أنه ستكون هُناك احتمالات محدودة للغاية لاستخراج القوات جنوباً إذا سارت الأمور بشكل جيد ، كما أن التسلل عبر مدينة كبيرة يعني أن خطر وقوع إصابات بين المُقاتلين الإسرائيليين سيكون مرتفع بشكل غير مسبوق .

من ناحية أخرى كان إرسال القاذفات محفوفاً بالمخاطر، حيث عانت إسرائيل من ندرة المعلومات الاستخباراتية بشأن الدفاعات الجوية في كُل من تونس وليبيا المجاورة .

منذ أن انتقل مقر مُنظمة التحرير الفلسطينية إلى تونس وقبل ذلك بعامين طلبت إسرائيل من الولايات المتحدة المعلومات معلومات حول مُنشآت الرادار والانتشار العسكري والبحري للبلدين ، لكن طلب إسرائيل قوبل بالرفض، كان الأمريكيون قلقين بشكل مبرر من تداعيات هجُوم إسرائيلي خارج مُحيطهم المباشر.

وبما أنها لم تستطع الحصول على المعلومات بشكل شرعي فقد سرقتها إسرائيل ببساطة ، جوناثان بولارد وهو يهودي أمريكي لديه أحلام وهمية في أن يُصبح جاسوساً ويؤثر على مجرى التاريخ حاول التجنيد في وكالة المُخابرات المركزية ، ولكن تم رفضه بسبب "عدم الاستقرار العاطفي الكبير"، ومع ذلك لم تُشارك الوكالة تقييمها مع الفروع الخرى للاستخبارات الأمريكية وتم تعيين بولارد من قبل البحرية الأمريكية حيث كان يُعتبر محللا لامعاً ومُوظفاً متميزا ، ادعى بولارد لاحقاً أنه شهد "مواقف مُعادية لإسرائيل بين زملائه ، ودعم استخباراتي أمريكي غير كاف لإسرائيل" لذا حاول إقناع كُل من لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية والموساد بتجنيده كجاسوس، تم رفض طلبه بشدة من قبل كلتا المُنظمتين ، لكنه تمكن بعد ذلك من التجنيد من قبل "لاكام" ذراع التجسس بزارة الدفاع -من الاختصار العبري ل "مكتب العلاقات العلمية"- كان هذا الجهاز السري المعروف لمجموعة صغيرة جداً من الناس، يرأسه رافي إيتان الذي كان يشعر بالمرارة لأنه لم يتم تعيينه رئيساً للموساد ، قال إيتان: "كانت المعلومات التي قدمها بولارد جيدة جداً لدرجة أنني لم أستطع مقاومة الإغراء"، قال إن رؤسائه رؤساء الوزراء ، ووزراء الدفاع كانوا على علم بالوضع لكنهم غضوا الطرف عن مُحيط المعلومات التي قدمها لهم بولارد.

منذ اللحظة التي تم فيها تجنيده بدأ بولارد في تسريب كميات هائلة من الوثائق من مكان عمله وأخذها لتصويرها في منزل آمن في واشنطن ثم أعادها، تم إرسال هذه الوثائق المُشفرة ب "المواد الخضراء" إلى إسرائيل وتم تخزينها في خزائن كبيرة في قسم الأبحاث في أمان وفي المخابرات الجوية.

في يونيو ١٩٨٥ طلب يوسي ياغور عامل بولارد في لاكام، طلب من جاسوسه جميع المعلومات المُتاحة عن مقر مُنظمة التحرير الفلسطينية خارج تونس وعن الدفاع الجوي الليبي والتونسي. ذهب بولارد إلى المُخابرات البحرية واستعار جميع المعلومات المطلوبة ، حيث وجدت طريقها إلى إسرائيل في غُضون أيام ، ونال ياغور شكر بولارد من "أعلى مستويات الحكومة الإسرائيلية" على دعمه الاستخباراتي المُتميز للغارة القادمة.

على الرُغم أن لديهم الآن المعلومات الاستخباراتية اللازمة إلا أن شمعون بيريز واسحق شامير اللذين كانا يتناوبان كرئيس للوزراء ، ما ا زلا مُترددين في إعطاء الضوء الأخضر للعملية، وكذلك وزير الدفاع رابين ، حاول مردخاي إقناع رابين بدعم اقتراح سيلاند لان "هناك فرق بين الغارة الجوية والتأثير الذي يحدث عندما تصطدم بشخص يحمل بندقية في رأسه"، لكن رابين كان خائفا من حدوث خطأ غير مُتوقع ، قال مردخاي: "لم أستطع أن أعده بأن مثل هذا الشيء لن يحدث" .

على النقيض من ذلك فإن القصف الجوي سيشكل خطرا ضئيلا نسبياً على الطيارين خاصة مع المعلومات عالية الجودة التي قدمها بولارد ، لكن إسرائيل تُشارك الأمريكيين مخاوفهم الاستراتيجية .. تونس ليس لها حُدود مع إسرائيل ولا نزاعات حالية ، إن غزو بلد محايد ظاهرياً عن طريق الجو أو البر يُمكن أن يكون له تداعيات دولية خطيرة.

كان هُناك عامل خارجي آخر للتأخير ألا وهو عمليات القتل المُستهدف لا سيما تلك التي تنطوي على أهداف بارزة مثل أبو جهاد ، ليست مُجرد عمليات عسكرية أو استخباراتية، إنها أدوات سياسية، وعلى هذا النحو غالباً ما تكون مدفوعة بمخاوف سياسية، وهي طريقة مُفيدة إما لتهدئة الرأي العام أو حشده ، على سبيل المثال في عام ١٩٨١ توقعت استطلاعات الرأي تحقيق أغلبية كبيرة لحزب العمل اليساري في الانتخابات المُقبلة حتى أمر رئيس الوزراء بيغن وهو من حزب الليكود اليميني ، بقصف المُفاعل النووي بالقرب من بغداد حيث كان صدام حُسين يحاول تطوير أسلحة نووية، وكان هذا كافيا لترجيح كفة الميزان لصالح الليكود.

في الوقت الحالي كانت السياسة الداخلية مُستقرة حيث لم تكن هناك حملة انتخابية تتطلب إثارة العسكرة البراقة للجمهور ، ولم يكن هُناك أي مطلب من الجمهور للانتقام الفوري ، إذن بدا أن التأخير لُمدة غير محددة هو الخيار الواضح ، لأن المخاطر التكتيكية والدبلوماسية للعملية كانت عالية للغاية والفرص غير مؤكدة للغاية، لكن كُل ذلك سيتغير بعد بضعة أشهر فقط.

طوال هذه الفترة نشطت منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل بشكل خاص في قبرص وفي البحر بين تلك الجزيرة ولبنان ، استخدم أبو جهاد قبرص كطريق رئيسي لإعادة مُقاتليه إلى لبنان وكقاعدة لوجستية لمنطقة البحر البيض المتوسط بأكملها ، أصبحت الجزيرة الصغيرة خلية للنشاط الإرهابي والتهريب والتجسس ، وبعد ذلك نشط فيها عمليا ت القتل المُستهدف.

استغل الموساد التمرد الذي قام به بعض عناصر فتح أو الذين حصلوا على دعم من سوريا في قتالهم ضد عرفات وقيادته ، وبدأ في تنفيذ عملية بضربة ذكية ، حيث كان أحد عناصره يتظاهر بأنه فلسطيني يُريد أن ينتقم من عرفات وعرض خدماته على المُخابرات السورية ، رجل الموساد هذا زود محطة المُخابرات السورية في لارنكا بُقبرص، بمعلومات عن عودة مُقاتلين فلسطينيين إلى لبنان ، قال يوني كورين ضابط في أمان في ذلك الوقت: "السوريون الذين كانوا في ذلك الوقت يسيطرون على البحر والمطارات في البلاد انتظروا وصول الفلسطينيين ، وأخذوهم ولم يتم رؤيتهم مرة أخرى"، لقد كانت عملية ناجحة بشكل ملحوظ كان السوريون سُعداء للغاية لدرجة أنهم بدأوا يدفعون لنا الكثير ، حيث تمكنا من التخلص من حوالي ١٥٠ شخصا من مُنظمة التحرير الفلسطينية" . أوقف الإسرائيليون بأنفسهم بعض السُفن المُبحرة من قبرص إلى لبنان، في ٩ أيلول سبتمبر ١٩٨٥ جاءت معلومات استخبارية مفادها أن مجموعة من الفلسطينيين رفيعي المستوى ستُبحر في اليوم التالي من ليماسول متوجهة إلى لبنان، على متن سفينة تُدعى "Opportunity" بمعني "فرصة " كان على متن هذه السفينة رجل طالما أرادت إسرائيل القضاء عليه: انه نائب قائد القوة ١٧ فيصل أبو شراح، الذي تورط في عدد من الهجمات الإرهابية كان أخطرها لو حدثت في نوفمبر ١٩٧٩ ، حيث كانت القوة ١٧ تُخطط

لاستخدام حاوية شحن تُغادر من ميناء بيرايوس باليونان إلى حيفا ، تحمل عدة أطنان من الزبيب لإيصال كمية هائلة من المُتفجرات التي ستنفجر عند تفريغ الحاوية ، أرسل أبو شراح أحد كبار مُساعديه ويُدعى سمير الأسمر لتولي العملية ، لكن فرقة مفرق الموساد اعترضتها وتمكنت من تحديد موقع الحاوية والفريق الفلسطيني ، وذهبت فرقة من الحربة إلى بيرايوس وقتلت الأسمر، بعد شهر أي في١٥ كانون الأول ديسمبر تخلصت فرقة الحربة من عضو آخر في الفريق، وهو إبراهيم عبد العزيز بعد وصوله إلى قبرص وعضو البعثة الدبلوماسية لمُنظمة التحرير الفلسطينية هناك وهو سمير طوقان ، الذي كان من المفترض أن يكون أبو شراح معهم، ولكن تم إنقاذ حياته بفضل تغيير في جدول اجتماعاته في ذلك اليوم ، واستمر في العمل لمدة خمس سنوات أخرى حتى وجده الإسرائيليون في الفرصة.

صعد الكوماندوز شايطيت ١٣ على متن السفينة قبالة الساحل اللبناني وأسروا أبو شراح وثلاثة من كبار رجال القوة ١٧ ، ثم نقلوا السُجناء إلى الوحدة ٥٠٤ ، قال أبو شراح لاحقًا "أجبروني على الوقوف ويدي على رأسي وشدوا شعري وضربوا رأسي بالحائط وقالوا لي أن أزحف على الأرض، وجردوني من ثيابي بالكامل ، ولعقت الأرض بلساني، وبقيت عارياً وسكبوا الماء البارد فوقي وضربوني على خصيتي وجلدوهما بأسلاك مطاطية". ووفقاً للوثائق الطبية التي قُدمت إلى المحكمة ، فإن الضرب والركلات التي تعرض لها كانت شديدة لدرجة أن كيس الصفن انفجر ، أراد عرفات أن ينتقم من أسر أبو شراح ورجاله فر د بالمثل ، بعد أسبوعين في ٢٥ سبتمبر١٩٨٥ ، داهمت الخلية ١٧ يختاً إسرائيليا كان راسخاً في مرسى لارنكا ، وخطفت ثلاثة مدنيين، وطالبت بإطلاق سراح رفاقهم الفلسطينيين ، لكن بعد ذلك وبدلاً من انتظار الاستجابة لمطالبهم ودون سبب واضح ، قاموا بقتل الرهائن الثلاثة واستسلامهم للسلطات القبرصية . وقال وزير سابق بالحكومة: "قتل الأوغاد ثلاثة إسرائيليين بدم بارد وأطلقوا عليهم النار في أعناقهم من الخلف، بالطبع الرأي العام الإسرائيلي لم يكن ليتسامح بذلك إذا جلسنا وأذرعنا مطوية" .

تم عقد اجتماع عاجل لمجلس الوزراء الإسرائيلي، وبإلحاح من وزير الدفاع رابين تمت الموافقة على عملية الساق الخشبية لاغتيال أبو جهاد وقائد القوة ١٧ أبو الطيب ، وقصف القطاع الغربي ومباني القوة ١٧ في تونس . كان الهدف من ذلك كما قال رابين هو توضيح أنه "لا حصانة لأي عنصر من منظمة التحرير الفلسطينية في أي مكان في العالم ، وستكون الذراع الطويلة للجيش الإسرائيلي قادرة على الوصول إليهم ومعاقبتهم، وستحدد إسرائيل طريقة القتال ومكان الهجوم وفقاً لاعتباراتها الخاصة فقط ".

عيزر وايزمان الوزير بدون حقيبة في الحكومة والقائد السابق لسلاح الجو الإسرائيلي والذي أصبح فيما بعد رئيس الدولة ، عارض ذلك، في ذلك الوقت كان يجري محادثات سرية غير مُصرح بها مع مُنظمة التحرير الفلسطينية، وقال في اجتماع مجلس الوزراء "الملك حسين الأردن والرئيس المصري حسني مبارك موجودان في الولايات المُتحدة الآن ، هناك جهود جارية لدفع عملية السلام قدماً نحو الأمام، وكان توقيت هذه العملية خاطئ " .

رد بيريز بسُخرية: "وفي غضون أسبوع أو أسبوعين، هل الوقت مناسب؟"

بدأت الاستعدادات للهُجوم على الفور، وفي ١ أكتوبر طارت عشرة طائرات من طراز F١٥ إلى تونس، مُسلحين بقنابل موجهة من طُراز GBU١٥ ، كما كانت في الجو ناقلتان من طُراز بوينج ٧٠٧ ستزود المُقاتلات بالوقود مرتين، عملت بوينغ أخرى كقيادة ومُراقبة واتصالات محمولة جواً. تم تكليف طائرتا تجسس من طراز **Hawkeye** بتشويش منشآت الرادار في تونس وليبيا والجزائر .

أسقطت طائرات F١٥ قنابلها ، ثم عادت باتجاه إسرائيل، تم إصابة جميع الأهداف بما في ذلك الأهداف الرئيسية: مكاتب جهاز القطاع الغربي والقوة ١٧ ، قُتل أكثر من ستين من مُوظفي مُنظمة التحرير الفلسطينية والعاملين المحليين التونسيين وجرح سبعون آخرون . قال أحد الطيارين: "عندما استدرنا إلى الخلف كان هناك شعور رائع بالأفراح ، أطلقت صراخ هائلاً في المقصورة لتخفيف التوتر، كانت رحلة العودة إلى الوطن أكثر أهمية من المعتاد، رأيت شواطئ

إسرائيل بعيون مختلفة ، لقد كنت مليئا بالغبطة التي لم أشعر بها من قبل " .

قال رئيس الوزراء بيريز متحدثا في مدرسة ثانوية في جنوب إسرائيل بعد صدور التقارير الأولية عن الغارة: "مقار الإرهاب ليست محصنة فلدينا الحق في مهاجمتهم ، لا يمكن السماح للقتلة ذوي الدم البارد بالإفلات من العقاب ، كل عمل من أعمالهم له يد إرشادية و منظمة ".

ياسر عرفات الذي تجول في المباني المُهدمة بعد ظهر ذلك اليوم ، انتهز الفرصة لتضخيم الأسطورة القائلة بأن حياته كانت دائما تُنقذ بالمُعجزات ، قال بأسلوبه المسرحي: "خلصت بمعجزة من موت محقق ، كنت في طريقي إلى مكتبي في المقر الرئيسي في حمام الشط (موقع الغارة) ، على بعد ربع ساعة بالسيارة ، طلبت من السائق أن يستدير في الطريق وأن يتوجه إلى مقر آخر، وهناك سمعت عن الضربة الجوية، رفعت سماعة الهاتف واتصلت بالقاهرة وعمان وقلت إنني لم أ صب وأستمر في توجيه النضال ".

في الواقع أظهرت المعلومات التي بحوزة إسرائيل أنه لم يكن من المُفترض أن يكون في الموقع خلال وقت الغارة ، وقالت يوني كورين من أمان " كنا نعرف مكان إقامة عرفات لكننا قررنا أنه ليس مستهدفاً ولم نقترحه على الحكومة". ومع ذلك فإن الشُعور العام بالغبطة في إسرائيل مُختلط ببعض خيبة الأمل الحادة .

لم يكن أي من قادة مُنظمة التحرير الفلسطينية في مكاتبهم عندما سقطت الصواريخ، أبو إياد قائد أيلول الأسود ، الذي بادر بالعملية ضد الفريق الأولمبي الإسرائيلي في ميونيخ والذي كان اسمه على رأس قائمة المطلوبين لإسرائيل، رافق عرفات في زيارته إلى الموقع وكأنه نكاية من الإسرائيليين أكثر.

قُتل مسؤول كبير واحد فقط وهو نور علي وكان يُعتبر مُعتدلاً للغاية، كان في الواقع على اتصال مع المسؤولين الإسرائيليين في مُفاوضات سرية حول تبادل الأسرى وكان أحد مسؤولي مُنظمة التحرير الفلسطينية الذين أجروا اتصالات سرية مع وزير الدفاع وايزمان ، أما أبو جهاد فقد كان في اجتماع في منزله ليس بعيد جداً ، وسمع القنابل تنفجر .

تسببت خُطط اغتيال أبو جهاد والسؤال العالق حول مُشاركة الجيش في قدر كبير من التوتر بين الجيش الإسرائيلي والموساد ، لا يمكن اتخاذ القرار النهائي إلا من قبل السياسيين ، لكن في الوقت الحالي امتنع رئيس الوزراء شامير ووزير الدفاع رابين عن التدخل، ثم تحولت الخطط برمتها بعد تحمل هذه التفاقمات والظروف البائسة والظلم المرئي لسنوات كانت الضفة الغربية وقطاع غزة على وشك الانفجار ، لكن هذا شيء لم تستطع المُخابرات الإسرائيلية رؤيته أو لم ترغب في رؤيته.

كان التركيز مُنذ فترة طويلة على الحرب الدقيقة ضد منظمة التحرير الفلسطينية وقادتها قد أخفى الغضب المُتضخم للشعب الفلسطيني عن مُجتمع المُخابرات الإسرائيلي وسياسيها، إن الإنجازات التكتيكية للإسرائيليين وقدرتهم على تحديد مواقع قادة ومقاتلي مُنظمة التحرير الفلسطينية والقضاء عليهم في أي مكان في العالم ، أعطتهم الإحساس بأن إسرائيل يُمكن أن تفرض سيطرتها إلى الأبد على ملايين الفلسطينيين في الأراضي المُحتلة دون عواقب.

ثم جاءت شرارة في ٤ أكتوبر ١٩٨٧ هرب خمسة إرهابيين خطرين ينتمون إلى حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية من سجن غزة التابع للجيش الإسرائيلي ، بعد يومين قام الشاباك بمساعدة عُملاء محليين كان يديره في غزة ، بتحديد موقع الإرهابيين في مخبأ في شقة في حي الشجاعية ، قام فريق من وحدة الطيور بالوكالة متنكرا بزي العرب بمُراقبة الشقة ، وفي الجوار استعدت القوات الخاصة من يمام ، ووحدة مكافحة الإرهاب التابعة للشرطة، للعمل تحت قيادة ديفيد تسور، "رآهم رجال الشاباك يركبون سيارتين من طُراز بيجو ٤٠٤ إحداهما بيضاء والخرى زرقاء فاتحة ومدججة بالسلاح الذي كاد أن يسقط منها قمنا بربطهم ، وفي اللحظة التي رصدوا فيها المطلوبين فتحوا النار، بجوار ملعب كرة القدم " قُتل أربعة من الإرهابيين بالضربة الأولى التي أطلقتها يمام ، وأطلق الرصاص على رجل خامس فر من السيارات ، كما قتل فيكتور أرزوان ناشط في وحدة الطيور في تبادل لإطلاق النار.

تحولت جنازات الفلسطينيين الخمسة إلى مُظاهرة عاصفة ، وصاح المُتظاهرون في الشوارع بأن

الخمسة قتلوا، كانت أعمال الشغب أعنف من أي شيء شهده الجيش الإسرائيلي في الأراضي المُحتلة حتى الآن .

***

الانتفاضة

في الثامن من ديسمبر فقد سائق ناقلة دبابات تابعة للجيش الإسرائيلي السيطرة واصطدم بصف من السيارات التي تقل فلسطينيين في طريق عودتهم إلى قطاع غزة من العمل في إسرائيل، قُتل أربعة وجُرح سبعة ، سرعان ما انتشرت الشائعات الكاذبة بأن الحادث كان في الواقع عملا انتقامياً متعمداً بعد طعن إسرائيلي لقاتل قبل يومين ، تحولت جنازات العُمال القتلى مرة أُخرى إلى احتجاجات جماهيرية.

اجتاحت موجة من المُظاهرات الضفة الغربية وقطاع غزة في ديسمبر ١٩٨٧ إيذانا ببدء الانتفاضة الفلسطينية ضد الحكم الإسرائيلي ، الانتفاضة! لقد أُصيب الشاباك والجيش الإسرائيلي والحُكومة بالذهول ، "لقد فشلوا لأسابيع في إدراك أهمية الاحتجاجات لدرجة أنها لم تخطر ببال وزير الدفاع رابين عندما بدأت ، أنه يجب عليه تقليص رحلته إلى الخارج ويقول السكرتير العسكري لرئيس الوزراء الجنرال نيفو: اعتقد الجيش الإسرائيلي مُنذ سنوات أنه يستطيع السيطرة على الفلسطينيين بأقل عدد من القوا ت ، لكن عندما ألقى الغوغاء المشاغبون الحجارة على مفارز صغيرة من الجنود الذين لم يكن لديهم مُعدات لتفريق الحُشود أو مُعدات واقية ، رد الجنود بإطلاق النار، فقُتل أكثر من ألف فلسطيني، وأُصيب عدد أكبر، وانخفضت مكانة إسرائيل الدولية ، في كل مساء شاهد العالم على شاشة التلفزيون كيف قمعت القوات الإسرائيلية بشدة جُموع الفلسطينيين المطالبين بالاستقلال السياسي وإنهاء الاحتلال ؟ لقد انعكست مُعادلة المُستضعفين تماماً: إسرائيل هي الآن جالوت والعرب الفلسطينيون ، في نظر المُجتمع الدولي، هم ديفيد بمقلاعه وحجاره ، قال مُدير الموساد آنذاك ناحوم أدموني: "إن الانتفاضة تسببت في الكثير من الأذى السياسي والضرر لنا أكثر من كل ما نجحت منظمة

التحرير الفلسطينية في فعله طوال فترة وجودها".

في ظل غياب الرد المُناسب على الانتفاضة ودون فهم حقيقي لأسبابها لجأت إسرائيل مرة أخرى إلى السلاح الذي كانت مألوفة له ، والذي اعتقد الكثيرون أنه يُمكن أن يُغير مجرى التاريخ: القتل المستهدف ، أبو جهاد الذي نجا بالفعل من المُحاولات الإسرائيلية المُتكررة لاغتياله ، كان مرة أُخرى الهدف الأساسي، في مقابلة مع راديو مونت كارلو في يناير ١٩٨٨ قال مُتفاخراً وزعم أنه أعطى الأمر ببدء الانتفاضة ، كررت مُنظمة التحرير الفلسطينية ذلك في بعض مطبوعاتها ، صفق العالم العربي ، وقبلت القيادة السياسية الإسرائيلية تصريحاته على أنها الحقيقة المُطلقة ، اعترف رؤساء أجهزة المخابرات أو على الأقل لم يتعارضوا بصدقهم ؛ لكن أبو جهاد كان يكذب ، لا هو ولا عرفات قد أعطيا أي أمر ببدء الانتفاضة ، لقد فاجأتهم كما فاجأت المُخابرات الإسرائيلية ، في الحقيقة كانت انتفاضة شعبية ، وكان الشباب في أواخر سن المُراهقة وأوائل العشرينات ، الذين تصرفوا بشكل مستقل عن القادة في تونس هم من أشعلوا النار، لكن وقائع الأمر لم تهم رؤساء مُنظمة التحرير الفلسطينية أو الإعلام العربي أو المُخابرات الإسرائيلية .

علاوة على ذلك فإن هذه "الحقيقة" المقبولة بشكل مفرط ، مهما كانت خاطئة كانت جذابة للإسرائيليين ، إذا كانت الانتفاضة ناجمة عن الاستياء المُتراكم بين السُكان الفلسطينيين في الأراضي المُحتلة على مدى سنوات طويلة من الحُكم العسكري التعسفي والتعدي الإسرائيلي على أراضيهم ، فلابد من مُعالجة أسبابها الجذرية ، إذا كانت كلها مؤامرة مُنظمة التحرير الفلسطينية فيمكن إنهاؤها ببساطة بقتل الرجل الذي يقف وراءها .

بعد اندلاع الانتفاضة أمر وزير الدفاع رابين الجيش الإسرائيلي بإعطاء الموساد كُل المُساعدة التي يحتاجها للتخطيط لاغتيال أبو جهاد ، رئيس أمان ليبكينشاك "كان غير مُقتنع بعد أن مثل هذه العملية الكبيرة والمُعقدة كانت ضرورية" لكنه أدرك أن الظُروف السياسية قد تغيرت وسحب اعتراضاته على الأقل خلال مرحلتي التخطيط والتدريب ، في غضون ذلك حاول أبو

جهاد وعرفات ركوب موجة التعاطف الدولي ، وبذلك ولدت الانتفاضة ، وبينما كانت الاستعدادات السرية للهجوم على منزل أبو جهاد في تونس جارية ، بدأ هو وعرفات عمليتهما السرية، ، وهي عملية علاقات عامة ذكية، أطلقوا عليها عملية "سفينة العودة"، كانت الفكرة هي الإبحار بسفينة إلى حيفا تحمل ١٣٥ مُرحلا فلسطينياً من المناطق الخاضعة للسيطرة الإسرائيلية ، وكذلك العديد من الصحفيين وأطقم التصوير التي تقبل الدعوة لتغطية الرحلة ونهايتها الدرامية ، أراد قادة مُنظمة التحرير الفلسطينية أن تبدو رحلة "سفينة العودة" مثل رحلة الخروج ، السفينة البخارية المعروفة التي نقلت بشكل غير قانوني مُهاجرين يهود إلى فلسطين تحت الانتداب البريطاني في عام ١٩٤٧ ، حاولت فتح إبقاء الخُطط سرية حتى اللحظة الأخيرة ولكن فشلت السرية ، وتلقى الموساد إعادة التنظير، كان الفلسطينيون قد استأجروا سفينة في بيرايوس، لكن أصحاب السفينة ألغوا ذلك بعد أن حذرتهم إسرائيل من أنهم إذا سمحوا للمشروع بالمضي قدماً فلن يُسمح لسفنهم بالرسو في إسرائيل مرة أخرى ، وبدلاً من ذلك اشترت منظمة التحرير الفلسطينية سفينة عبّارة يابانية الصنع تُدعى**Sol Phryne** في قبرص مقابل ٦٠٠ ألف دولار .

تمت الدعوة لعقد اجتماع عاجل لمجلس الوزراء الإسرائيلي لمُناقشة الموضوع ووافقوا على عملية سرية مُشتركة بين الجيش الإسرائيلي والموساد لإغراق سول فريني، "حتى قبل أن تتمكن من الإبحار من ميناء ليماسول" كان الأمل في أن يؤدي إفشال الخطة وقتل المشاركين فيها إلى "إحساس باليأس في القيادة الفلسطينية ، وتقليص التغطية الإعلامية في الأراضي المحتلة، وتوجيه ضربة لدوافع استمرار الانتفاضة" على حد قول أحد الوزراء الذين شاركوا في الاجتماع .

في صباح ١٥ فبراير ١٩٨٨ ثلاثة من نشطاء مُنظمة التحرير الفلسطينية استقلوا سيارتهم، كانوا قد أرسلهم أبو جهاد إلى قبرص لتنظيم رحلة سفينة العودة على مسافة ليست بعيدة من الفندق الذي كانوا يُقيمون فيه ، "روفر" رئيس الحربة ، وإيلي كانا يجلسان في سيارة أخرى،

يرقبونهما، وبعد ساعات طويلة من المُراقبة المشددة ، حيث كادت الشُرطة المحلية أن تُلقي القبض على الإسرائيليين ، عندما صعد الفلسطينيون الثلاثة إلى سيارتهم وبدأوا تشغيلها، ضغط إيلي على زر فجر قنبلة أخرى من قنابله وقُتل ثلاثة فلسطينيين .

بعد ثمانية عشر ساعة غاصت قوات الكوماندوز البحرية تحت السفينة **Sol Phryne** وربطت لُغم صغير بهيكلها، مما أحدث حُفرة في جانب السفينة التي بدأت بالغرق ، في رحلة سفينة العودة الفلسطينية انتهى النزوح قبل أن يبدأ ، قال يوآف جالانت قائد الكوماندوز البحري، وهو يتسلق من البحر الأسود في الثالثة صباحاً: "اسمع التاريخ يلعب ألعاباً غريبة"، كان زورق الصواريخ الإسرائيلي في انتظاره، وكان يشير إلى رحلة والدته التي هاجرت قبل سنوات إلى إسرائيل هرباً من النازيين والمحارق.

في ١٤ مارس اجتمع مجلس الوزراء الأمني الإسرائيلي برئاسة رئيس الوزراء شامير مرة أُخرى لمُناقشة مقتل أبو جهاد ، الموافقة المسبقة على إقالته من قبل العديد من رؤساء الوزراء على مر السنين بما في ذلك ليفي إشكول، وغولدا مئير، وإسحاق رابين، لم تكن صالحة في ظل رئيس وزراء مُختلف ، وحتى لو كان نفس الرجل يتراس الحُكومة ، فلا يزال يتعين على قوات الأمن السعي للحُصول على موافقة مُتجددة إذا مر وقت طويل، لأنه من المُحتمل أن تكون الظروف السياسية قد تغيرت أو أن رئيس الوزراء قد غير رأيه ، كان لابد من إعطاء الموافقة على الفور قبل تنفيذ عملية الاغتيال المُستهدفة لحظة الوصول إلى الجاهزية العملياتية، حتى لو كانت قد أعُطيت الضوء الخضر في وقت سابق .

في مواجهة الأمور يقول نيفو: "كان بإمكان شامير الاكتفاء بأمره الخاص بالتخلص من أبو جهاد"، لكن شامير كان يُدرك أن أبو جهاد ليس هدفاً عادياً ، وأن ردود الفعل على ضربه قد تكون خارجة عن المألوف ، وقرر عدم تحمل المسؤولية بمفرده وبدلاً من ذلك عرض الأمر على مجلس الوزراء الأمني للموافقة عليه ، كان لكل من الليكو د والعمل خمسة وزراء في اللجنة ، أعلن شيمون بيريز رئيس حزب العمل ثم وزير الخارجية أنه يُعارض بشدة الاغتيال ، قال:

"كانت معلوماتي أن أبو جهاد كان معتدلا ، اعتقدت أنه سيكون من غير الحكمة قتله"، أعضاء حزب العمل الأربعة الآخرون بمن فيهم رابين الذين وافقوا بالفعل على قتل أبو جهاد في وقت سابق ، أعربوا عن مخاوفهم من الإدانة الدولية التي ستوجه إلى إسرائيل، وكذلك الخطر على الجُنود الإسرائيليين ونُشطاء الموساد، وانضموا إلى بيريز في مُعارضة العملية ، صوّت شامير ونواب الليكود الأربعة لصالحه، وهذا التعادل يعني أنه لن تكون هناك عملية .

وزير المالية موشيه نسيم من الليكود قرر مُحاولة الإقناع ، وطلب من رابين الانضمام إليه خارج غُرفة الاجتماع ، قال: "انظر إلى ما تفعله الانتفاضة بنا ، مزاج الجمهور يائس للغاية ، نفذ الجيش الإسرائيلي في الماضي أعمالا كثيرة بحنكة كبيرة وتفكير إبداعي، لكن ذلك لم يحدث منذ فترة طويلة، علينا أن نجدد الإحساس من قبل العالم ، في المجتمع الدولي ولكن أولاً وقبل كل شيء، وبين مواطني إسرائيل أن جيش الدفاع الإسرائيلي هو نفس جيش الدفاع الإسرائيلي الذي قام بأشياء رائعة على مر السنين ، علينا القيام بهذه المهمة من أجل رفع الروح المعنوية الوطنية"، السياسة التي تسببت في إضعاف الروح الوطنية ، طالبت بالتضحية بالدم ، قتل أبو جهاد على الأقل بالطريقة التي رآها موشيه نسيم كان عملاً رمزياً أكثر من كونه عملياً .

تم إقناع رابين وعاد إلى غرفة مجلس الوزراء مع نسيم وأعلن أنه يُغير صوته ، بأغلبية ستة أصوات مقابل أربعة أصوات تم إعطاء الضوء الخضر لعملية الدرس التمهيدي.

نسيم الذي كان ابن كبير حاخامات إسرائيل، لن يندم أبداً على أنه أقنع رابين .

قال رابين: "في العالم بأسره لا يوجد جيش آخر دقيق مثل جيش الدفاع الإسرائيلي فيما يتعلق بقيم وقواعد السلوك ويضمن عدم إصابة الأبرياء، لكن هناك وصية تلمودية : "إذا أتى رجل ليقتلك فانهض باكرًا واقتله أولا" . يعتقد عُملاء المُخابرات الإسرائيلية أن منزل أبو جهاد في تونس كان المكان المثالي لقتله ، كان يقع في واحدة من أجمل المناطق الحضارية ، ففيها أجمل منازل وهي منازل خاصة وحصرية ويتم العناية بها ، وذا ت وشوارع واسعة ونظيفة، وتقع على بعد بضعة آلاف أمتار من الشاطئ مما أتاح لفريق من القتلة الوصول بسهولة نسبياً ، يجب تجنب

دوريات الشُرطة التونسية أو تشتيت انتباهها، ولكن بخلاف ذلك كان أبو جهاد محمياً من قبل رجلين فقط ، قال ناحوم ليف نائب قائد سايريت ماتكال: "لقد كان موقعاً منعزلاً نسبياً ولم يكن يخضع للحراسة إلا بشكل قليل"، علاوة على ذلك كان أبو جهاد يعود إلى هُناك كل ليلة عندما كان في البلاد ، كان مكان رائع لنصب كمين، ببساطة لم يُصدق أبو جهاد أن أحداً سيصل إليه هناك ، كان الموساد قد عمل في بيروت أو سوريا أو أوروبا، لكن لم يكن يعمل في تونس لذلك شعر أبو جهاد بالأمان نسبياً " .

اعتقدت المُخابرات الإسرائيلية أن قتل أبو جهاد في منزله سيكون أيضاً تهديداً مُناسباً مما يوحي للفلسطينيين بأنه لا يوجد أحد بأمان في أي مكان حتى في غرفة نومه .

كانت خُطة اغتيال أبو جهاد في تونس قد وضعتها قيسارية خلال العام الماضي ، قام ثلاثة نشطاء في قيسارية متنكرين بزي رجال أعمال عرب باستكشاف طرق من الشاطئ ورسموا خرائط للحي بالتفصيل ، تتبعت وحدات الموساد وأمان أمان ٥٠٤ و ٨٢٠٠ تحركات أبو جهاد ، ورسمت أسفاره ولاحظت عادته في شراء التذاكر على عدة رحلات جوية لجعل من الصعب معرفة متى سيسافر وأين ؟ تمت مُراقبة خطوط هاتف منزله ومكتبه ، قال عوديد راز الذي كان وقتها ضابطاً في قسم أبحاث أمان الذي يتعامل مع الإرهاب: "من خلال متابعة أبو جهاد تعرفت على الرجل الذي كنا نواجهه وأحترمه ، صحيح أنه كان إرهابيا لكنه كان أيضاً رجل عائلة نموذجي وقائد حقيقي كان يفكر في مصلحة أمته "

ومع ذلك أرادت القيادة السياسية والاستخباراتية الإسرائيلية قتله كان خير الأمة الفلسطينية بالنسبة لعقولهم، ويمثل تهديداً مباشرا لإسرائيل فلا جدال حول الرجل الذي يقف وراء مقتل مئات اليهود ، وزير الدفاع رابين الرجل العسكري الدؤوب، أبدى قلقه بشأن تفاصيل كثيرة عن طريق الهُروب وسلامة القوات لا يقل أهمية عن ذلك ، فقد أراد أن يعرف ماذا سيحدث "بمجرد وصولنا إلى تونس مع هذا الأسطول بأكمله ، واقتحمنا المنزل ومن ثم لم يكن – المريض– موجود على الإطلاق ؟ " شرح رجال الموساد خطتهم للتأكد من أن أبو جهاد سيعود

إلى المنزل قبل إعطاء الإشارة لبدء الهجوم ، رابين كان راضيا والأراضي المُحتلة في حالة من الفوضى وأبو جهاد عن صواب أو خطأ ، يدعي الفضل في الانتفاضة ، وعملية الدرس التمهيدي تمت الموافقة عليها أخيرا .

نائب رئيس أركان الجيش الإسرائيلي إيهود باراك كان القائد العام للعملية، وقبل وقت قصير من الموعد المُقرر لبدء العملية ، قاد اجتماعاً تخطيطياً في مقر هيئة الأركان العامة في تل أبيب. أطلعه ضُباط أمان على نموذجهم المُصغر لحي أبو جهاد ، أشار باراك فجأة إلى المنزل المُقابل لمنزل أبو جهاد.

"من يعيش هُناك؟" سأل باراك.

أجاب أحد ضُباط أمان: "أبو الهول، رئيس الأمن الداخلي لمُنظمة التحرير الفلسطينية".

سأل باراك: "ومن يعيش هنا؟" مُشيراً إلى منزل قريب ولكن ليس بجوار منزل أبو جهاد.

أجاب أحد عُملاء الموساد، مُستخدماً الاسم الحقيقي والاسم الحركي لمسؤول كبير آخر في مُنظمة التحرير الفلسطينية، "محمود عباس أبو مازن" يسكن هُنا..

قال باراك متأملا : "إنه قريب جداً.. لماذا لا نزوره أيضاً؟ فماذا مع ذهاب هذا الأسطول الضخم إلى تونس، اثنان طيور بحجر واحد ".

وتدخل مسؤول كبير في الموساد قائلا : "هذا يؤدي إلى تعقيد العملية أكثر مما هي عليه " مُناقشة قصيرة وحرجة بين المؤيد والمُعارض ، أصر باراك على استغلال الفرصة للقضاء على هدفين ، وأكد أن مثل هذه الضربة ستؤدي إلى تدهور معنويات منظمة التحرير الفلسطينية وقد يكون لها تأثير مرغوب فيه على موجة الاضطرابات في المناطق ، عارض مُمثلو الموساد وأمان بشكل قاطع، وقالوا: "لا يُمكننا ضمان عودة كلا الهدفين إلى المنزل في نفس الوقت ، أنت القائد لكننا نوصي بالبقاء مع أبو جهاد وحده ، وهذا يكفي إذا أعطيناه ما يستحق ".

في النهاية استسلم باراك ، وهكذا كانت حياة محمود عباس ، الرجل الذي سيخلف عرفات كرئيس للسُلطة الفلسطينية والذي اعتبره باراك من بين آخرين ، في الوقت المناسب شريكاً

جريئاً في جهود السلام.

وقال باراك "من الصعب الحكم على مثل هذه الأمور بأثر رجعي، في الوقت الفعلي من وجهة النظر التشغيلية كان الأمر مغرياً للغاية ، من ناحية أخرى كان من الواضح أن توجيه ضربة على هذا المستوى ضد قادتهم من شأنه أن يشرعن الهجمات على قادتنا من قبلهم ".

وصلت ست عمليات من قيسارية إلى تونس يوم ١٤ أبريل على أربع رحلات مختلفة من أوروبا رجلان وامرأة يسافرون بجوازات سفر لبنانية مزيفة ويتحدثون الفرنسية المثالية دفعوا مبالغ نقدية لاستئجار سيارتين من طراز فولكس فاجن ترانسبورترز وسيارة بيجو ٣٠٥ وجميعهم أبيض اللون وكل منهم من شركة مُنفصلة ، سيتم استخدام هذه المركبات لنقل رجال سايرت ماتكال من الشاطئ إلى منزل أبو جهاد ثم العودة مرة أُخرى ، كان العناصر الثلاثة الآخرون عبارة عن ظلال : وجدوا مجموعة من الأشجار يمكنهم من خلالها مُراقبة المنزل والتأكد من وجود أبو جهاد في الداخل ، سيتم إخلاء السائقين عن طريق البحر مع فريق القتل، في حين أن الظلال ستُغادر تونس على متن خُطوط جوية تجارية بمُجرد انتهاء العملية .

في غضون ذلك كانت خمسة زوارق صاروخية إسرائيلية تُبحر باتجاه تونس ، تحمل فريق المداهمة ومُستشفى مُتنقل ومعدات اتصالات قوية ، كانت هناك سفينة أكبر تم تجهيزها كحاملة طائرات هليكوبتر ؛ ولكنها متخفية لتبدو وكأنها سفينة شحن عادية ، لديها وحدة احتياطية من سايريت ، كانت جاهزة للطيران في حالة حدوث خطأ ما .

توقفت القافلة على بعد ٢٥ ميلاً من الساحل التونسي بعيداً عن المياه الإقليمية للبلاد ، في١٥ أبريل ، أسفل الماء وفرت الغواصة الإسرائيلية غال حراسة هادئة وغير مُرئية ، في العلى كانت طائرة بوينج ٧٠٧ تابعة للقوات الجوية بمثابة محطة تقوية اتصالات ، بينما كانت تُراقب الترددات التونسية بحثاً عن أي مُشكلة ، كانت قادرة على التشويش على الرادار التونسي والتحكم الجوي إذا لزم الأمر، كانت طائرات F- ١٥ الإسرائيلية تقوم بدوريات قبالة الساحل أيضاً وعلى استعداد للتدخل إذا لزم الأمر.

كانت الشمس تغرق في المياه إلى الغرب عندما مرت قوارب مطاطية على جوانب قوارب الصواريخ ، كان لكل منهما اثنين من قوات الكوماندوز البحرية وستة جنود من سيريت ماتكال تحركوا بهدوء نحو الشاطئ وتحول الغسق إلى الظلام في ليلة بلا قمر على بُعد ثلث ميل من الشاطئ ، غطس سبعة من أفراد قوات الكوماندوز شايطيت ١٣ من الزوارق وسبحوا تحت الماء باتجاه الشاطئ ، أول من تطأ قدمه التراب التونسي كان قائد القوة المداهمة لشايطيت ١٣ يوآف جالانت ، كان الشاطئ مهجورا ، أقامت الكوماندوس مُحيط نصف دائري واسع لتأمينه مع إقامة اتصال لاسلكي مع القوارب وعناصر الموساد المُنتظرين في سياراتهم ، طلب الكوماندوس من عمُلاء الموساد الاقتراب من خط الماء ، ثم أخبروا ستة وعشرين رجلاً في القوارب أنه من الآمن القدوم إلى الشاطئ ، اندفع رجال سايريت إلى العربات القيصر المنتظرة، حيث بدلوا ملابسهم إلى ملابس جافة أحضروها في أكياس واقية من المطر ، كانوا في طريقهم للتسلل إلى حي أبو جهاد مُتنكرين على أنهم مدنيون بعض الذكور وبعض الإناث ثم اقتحموا منزله وقتلوه ، ومع ذلك فقد حملوا جميعاً بطاقات أسرى حرب لإثبات أنهم جنود في حالة أسرهم .

انتشرت قوات الكوماندوز البحرية للحفاظ على الشاطئ آمناً حتى عودة فرقة سايريت ، نشطاء قيسارية الثلاثة الذين كانوا يُراقبون المنزل شاهدوا من خلال منظار قوي سيارة أبو جهاد توقفت بعد منتصف الليل بقليل ، دخل معه حارسان شخصيان أحدهما السائق ، بقي السائق لفترة وجيزة ثم عاد إلى السيارة ونام ، جلس الآخر في غُرفة المعيشة لبضع لحظات ، ثُم نزل إلى الطابق السُفلي ونام في غُرفة نوم أخرى ، نام طفل أبو جهاد نضال في سريره ، زوجته انتصار وابنته حنان البالغة من العمر ست سنوات كانتا تنتظرانه في غُرفة النوم ، تذكرت انتصار حديثهما :سألته إذا كان متعباً، فقال لا، طلبت منه أن يأتي للنوم ، وقال إن لديه الكثير من العمل لإكماله ، جلس على الطاولة في غرفة نومنا وكتب رسالة لقيادة الانتفاضة ، كانت حنان معنا في الغُرفة ، سألها ماذا فعلت خلال النهار؟ قالت إنها ذهبت لركوب الخيل ثم تذكرت أنها تريد أن

تخبره عن حلم رأته في الليلة السابقة ، حلمت أنها كانت في القدس مع عدد قليل من الأصدقاء، وصلوا في مسجد ، وفجأة طردهم جنود الاحتلال وطاردوهم ، ركضت وركضت حتى خرجت خارج أسوار المدينة ، ثم رأت والدها ، سألته إلى أين هو ذاهب؟ فقال أبو جهاد إنه ذاهب إلى القدس، سألته كيف يُمكنه دخول القدس ؛ لأنها مليئة بالجنود الإسرائيليين ؟ قال إنه سيركب حصاناً أبيض" .

بعد أن انتهت من إخباره بالحُلم، خلع أبو جهاد نظارته وقال: "أوه حنان، نعم، أنا في طريقي إلى القدس !".

رن الهاتف في الفيلا والتقط أبو جهاد السماعة ، فيما استمع العملاء الإسرائيليون إلى الخط ، حيث أخبره المُساعد الذي تعامل مع ترتيبات سفره أن لديه مقعداً على متن رحلة مُتجهة إلى بغداد تُغادر تونس بعد ٣ أيام.

كانت هذه مُشكلة للإسرائيليين ، فقد خططوا لدخول منزل أبو جهاد حوالي الساعة ١:٣٠ صباحاً، للتأكد قدر الإمكان من أن الجميع سينامون ، لكن إذا انتظروا حتى ذلك الحين فمن المُحتمل أن يكون هدفهم بالفعل في طريقه إلى المطار .

لم يستطيعوا الانتظار كل هذا الوقت ، كان يجب أن تتم العملية على الفور، يفتاح ريشر رئيس العمليات الخاصة التنفيذي الذي كان في مركز القيادة البحري ، دعا قائد سايريت موشيه يعالون في الراديو ، تحدثوا بالشفرة وباللغة الإنجليزية، في حال تم التقاط المُحادثة .

رايشر: "بوغارت هذا ريتشارد، يمكنك مغادرة المحطة ، يمكنك مغادرة المحطة، افعلها بسرعة... أقول مرة أخرى: افعلها بسرعة ".

ثم أدرك رايشر أنه نظراً لأن أبو جهاد كان يستعد للرحلة، فمن المُحتمل أن يكون هو وطاقمه مُستيقظين، قال: "بوغارت، هذا ريتشارد، لأن الرئيس يغُادر، أُريد أن أُخبرك أن هُناك أشخاص لا ينامون في المكتب ".

يعالون: حسناً ريتشارد، فهمت.

اتصل رايشر بأحد عُملاء قيسارية الذين كانوا يُراقبون المنزل من الأشجار: "ويلي هل هُناك شيء جديد بالقرب من المكتب ، بما في ذلك السيارة الحمراء؟ "

ويلي: "سلبي" .

رايشر: "بوغارت في طريقه ، قبل دخول المكتب سوف يتصل بك، إذا كان هُناك أي تغيير في الموقف، أخبره لأنه يحتاج إلى الموافقة ، أنت بخير. " نقلت الناقلة ستة وعشرين رجلاً من سيرت متكال، مُسلحين بمُسدسات Micro Uzi و Ruger ٢٢ , ٠ مُزودة بكواتم للصوت ومؤشرات ليزر إلى الحي ، قام اثنان من نُشطاء قيسارية ، رجل وامرأة بقيادة بيجو مسافة ربع ميل لاستكشاف الطريق والتأكد من أن القوة الرئيسية لن تصطدم بأي شيء غير مُتوقع .

توقفت السيارات الثلاث على بُعد حوالي ٥٠٠ متر من المنزل ، بدأت قوات الكوماندوز في الزحف إلى الأمام، لكن لا يزال يتعين إجراء تحديد نهائي إيجابي ، وشاهد رجال المُراقبة سيارة أبو جهاد تصل، حيث شاهدوا أبو جها د وحرسه يدخلون المنزل ، لكن بحسب البروتوكول الذي وقعه رابين، لم يكن ذلك كافيا ، ثلاثة من المُتحدثين باللغة العربية بطلاقة من الوحدة ٨٢٠٠ الذين تم اختيارهم في الموساد للمُهمة قضوا مئات الساعات في دراسة صوت أبو جهاد ومراوغات الكلام ، كانوا يرتدون سماعات الأذن، وجلسوا في مخبأ القيادة في تل أبيب بينما أجرى الفنيون مُكالمة هاتفية إلى مقر إقامة الوزير عبر تبادل في إيطاليا ، بالطريقة التي كان يتواصل بها بشكل عام مع الأراضي المُحتلة .

قام الفنيون بتشغيل ضوضاء الجماهير في الخلفية ، صاح أحد خُبراء الصوت في جهاز الاستقبال: "يا أبو جهاد، لقد ألقوا القبض على أبو رحمة ! والآن يُريد أبناء العاهرات أخذ الأسرة بأكملها إلى السجن! " وأضاف لعنة عربية : "إن شاء الله يشربو وريدات النساء.!")"نرجو أن يشربوا دم الحيض!"(حاول أبو جهاد تهدئة المتحدث حتى يتمكن من الحصول على مزيد من التفاصيل ، في غضون ذلك واصل الفنيون في تل أبيب المُحادثة حتى رفع الخُبراء الثلاثة أيديهم للإشارة إلى أنهم حددوا الصوت بشكل مُؤكد.

"درس تمهيدي، لديك ضُوء أخضر" هذا ما قاله مخبأ القيادة في تل أبيب لاسلكياً إلى مركز القيادة الأمامي في البحر ، تم نقل هذه الرسالة على الفور إلى القوة الموجودة على الأرض، ذهب ناحوم لي وجُندي آخر يرتدون زي امرأة أولا ، كان لي يحمل صندوقًا كبيرًا، وكان يبدو عليه صُندوق من الحلوى ، ولكن كان بداخله مُسدساً به كاتم صوت ، مشى إلى الحارس الذي كان جالساً في سيارة بجوار المنزل ، وأطلعه على كُتيب الفندق ، وسأله عن كيفية الوصول إلى هناك، درس الحارس الكتيب، سحب لي الزناد وأطلق النار على الرجل في رأسه .

أشار **Ley** إلى بقية الفريق، تم تحريك جزء صغير للأمام باستخدام رافعة هيدروليكية لفتح الباب بالقوة ، في الحصص التدريبية فتح الباب بصمت ، الآن وفي المُهمة أصدر ذلك صوت صرير، احتدم المقاتلون ، لكن لم يكن هُناك رد فعل من داخل المنزل النائم ، أشار أحد الفريق إلى الرجال في السيارات الأخرى أن الساحل خالٍ ، اتخذ باقي المُقاتلين مواقع حول المنزل ، أحد التفاصيل تدور في الفناء الخلفي.

اقتحم رجال سايريت ماتكال الباب ووصلوا الصالة الأمامية، واندفع عدد قليل منهم إلى الطابق السُفلي ، حيث استيقظ الحارس الشخصي الثاني لتوه ، أطلقوا النار عليه قبل أن يُتاح له الوقت لتصويب بُندقيته ، ثم راوا رجلاً نائماً آخر، و هو بُستاني العائلة التونسي، الذي قرر قضاء الليل في المنزل ، أطلقوا عليه الرصاص، قال لي: "لم يفعل أي شيء حقًا ، ولكن في مهمة مثل هذه، ليس هُناك خيار، عليك التأكد من تحييد أي مُعارضة محتملة " .

في الطابق العلوي استيقظت انتصار زوجة أبو جهاد على صوت رجال يصرخون في الأسفل ، كان أبو جهاد جالساً بجانب مكتبه دفعها إلى الوراء، وقام بسرعة وأخذ مُسدسه من الخزانة .

"ماذا حدث؟" سألته انتصار ، "ماذا حدث؟"

رجل سايريت ماتكال، يرتدي ملابس سوداء ، ووجهه مقنع ، يحد من أعلى الدرج لي القائد، تبعه خلفه، دفع أبو جهاد زوجته إلى غرفة نومها .

أطلق الإسرائيلي الأول النار عليه ، سقط أبو جهاد، ثم أطلق **Ley** رشقة طويلة من

الرصاصات مات أبو جهاد .

زحفت انتصار إلى زوجها حيث التفت الأسلحة من حولها ، قام أحد رجال الكوماندوز بوضع مسدس في ظهرها ودفعها بقوة إلى الحائط ، كانت مُتأكدة من إطلاق النار عليها، بدلاً من ذلك تم إبعادها عن الطريق حتى لا يقوموا بقتلها .

دخل قائد ثالث وأطلق النار على أبو جهاد مرة أخرى ، وقف جانبا وأطلق إسرائيلي رابع النار عليه مرة أخرى.

كان الطفل نضال مستيقظاً ويصرخ ، كانت انتصار متأكدة من إصابته أيضاً، كان صوت في الطابق السفلي يصرخ "عليك! عليه.! " بسرعة! بسرعة !

أخيراً، وقف المُقدم يعالون فوق الجسد وأطلق النار ، وهو خامس رجل يفعل ذلك. "بيأس!" بكت انتصار بشكل كثيف !

قُتل أبو جهاد باثنين وخمسين رصاصة ، بعد ثلاثة وعشرين عاماً من توقيع جولدا مائير على أول ورقة حمراء في حياته، مات.

قال يعالون وزير الدفاع في ذلك الوقت مُتذكرا الاغتيال ، بعد سنوات عديدة ، في عام ٢٠١٣ ، "اسمع، بالتأكيد لم يكن مشهداً لطيفاً ، كانت المرأة تقف هناك تريد الاندفاع إلى الأمام، وفقط لأن أحد الرجال كان يصوب مسدساً نحوها لم تتحرك ، ونحن نطلق النار على زوجها مرا رًا وتكرارًا، من المستحيل أن أقول إن ذلك لم يزعجني أو يجعلني أشعر بعدم الارتياح الشديد، من ناحية أخرى كان من الواضح لي أنه يجب القيام بذلك رغم أنه كان أمام الزوجة والابنة".

لكن يعالون لم يندم، ووصف العملية بأنها "الضربة المثالية" وأضاف بسخرية مُميزة: "لا أفهم لماذا يقولون لماذا نحن في إسرائيل، نخسر الحرب من أجل العقول، إذا وضعت رصاصة بين عيني أبو جهاد، في منتصف عقله ألا يعني ذلك أنني فزت؟ "

جميع الإسرائيليين الذين فروا من تونس تضرروا، كانت الشُرطة المحلية مشغولة بالرد على تقارير متعددة ومُزيفة من قبل عُملاء قيسارية عن أسطول من السيارات تتسابق من حي أبو

جهاد باتجاه وسط مدينة تونس في الاتجاه المُعاكس تمام اً للاتجاه الذي اتخذه القتلة ، وأقامت الشُرطة حواجز على الطرق وفتشت عشرات السيارات ، بعد ثلاث ساعات وجدوا سيارات فولكسفاغن وبيجو المُستأجرة مهجورة على الشاطئ .

بعد ظُهر اليوم التالي سأل أحد المراسلين شامير عن تورط إسرائيل في عملية الاغتيال، قال بهدوء: "سمعت عن ذلك في الراديو". و دفن أبو جهاد بعد أيام بموكب عسكري ، لقد استشهد.

ياسر عرفات سار خلف التابوت مع الأرملة انتصار وابنها البكر جهاد .

في ذلك الوقت اعتبر الإسرائيليون مقتل أبو جهاد نجاحاً هائلا ، قال موشيه نسيم: "شكرني رابين لاحقًا على إقناعه" قال لي "لا يمكنك تخمين مدى صحتك ، الناس يهتفون لي، يصافحونني، يا لها من فرحة جلبت للأمة! يا له من شعور بالروح المعنوية العالية، كيف كان ذلك مناسباً لقوتنا الرادعة! ".

وبالفعل كان مقتل أبو جهاد بمثابة ضربة قاسية لمُنظمة التحرير الفلسطينية ، كان أبو جهاد قائداً متمرساً وداهية وبدونه ما تمكنت فتح من شن هجمات أقل بكثير على إسرائيل .

لكن السبب المُباشر المُعلن لقتله كان إخماد الانتفاضة وبهذا الإجراء، فشل الاغتيال في تحقيق هدفه ، في الواقع كان للقتل المُستهدف تأثير مُعاكس تماماً: أدى القضاء على أبو جهاد إلى إضعاف قيادة مُنظمة التحرير الفلسطينية إلى حد كبير ، لكنه عزز اللجان الشعبية في الأراضي المُحتلة التي كانت القادة الحقيقيين للانتفاضة، وما زالت إسرائيل بلا رد على موجات الاحتجاج أو المد المُتنامي للتنديد الدولي.

مع الاستفادة من الإدراك المتأخر يندم العديد من الإسرائيليين الذين شاركوا في العملية الآن ، يعتقد البعض أن الوجود القوي لأبو جهاد كان له تأثير مقيّد وواضح على عرفات وأن صوته كان سيكون مفيداً للغاية بعد إنشاء السُلطة الوطنية الفلسطينية في عام ١٩٩٤ ، لو كان أبو جهاد المحبوب والكاريزمي على قيد الحياة لما كانت حماس قد تمكنت من ترسيخ مكانتها

والسيطرة على أجزاء كبيرة من الجمهور الفلسطيني .

قال أمنون ليبكين شاك الذي كان رئيس أمان وقت الاغتيال ثم رئيس الأركان العامة لاحقًا، إنه في عالم مثالي، "إذا كُنا قد علمنا أنه بعد وقت قصير من القضاء على أبو جهاد، فإن مُنظمة التحرير ستتخذ القرار الدبلوماسي"، بالطبع ربما كُنا قد داهمنا منزله ، وقبل كُل شيء تحدثنا معه عن مواقفه تجاه التسوية مع إسرائيل، وعندها فقط قررنا قتله أم لا، بالنظر إلى الماضي فإن غيابه واضح بالفعل إلى حد ما، كان بإمكانه تقديم مُساهمة كبيرة في عملية السلام ".

***

ما سبق قصة مخابرات إسرائيل عن اغتيال القائد الكبير خليل الوزير ، فنذكر في الصفحات التالية رواية قائد قوات ١٧ في حركة فتح اللواء محمود الناطور .. المشهور بأبي الطيب فقد روى كاتبا : تم تكليف الوحدة الخاصة لهيئة الأركان في الجيش الإسرائيلي ، وسلاح البحرية الإسرائيلي ووحدة «قيسارية» في الموساد بإعداد خطة اغتيال الأخ أبو جهاد ، وأوكلت مهمة قيادة فريق التنفيذ لنائب رئيس هيئة أركان الجيش آنذاك ايهود باراك ، وشاركه في التنفيذ كل من : الجنرال يؤاف غالانت الذي أصبح قائدا للمنطقة الجنوبية فيما بعد ومرشحا لهيئة رئاسة أركان الجيش ، وذلك على رأس المجموعة المكونة من (٣٦) منفذا ، الجنرال يوسي كوركن قائدا للوحدة البحرية (١٣) المشاركة في العملية والذي أصبح فيما بعد قائدا للقوة البحرية الإسرائيلية لكنه قتل في لبنان عام ١٩٩٧ خلال إحدى العمليات البحرية، الجنرال وايزر تسوكرمان الذي تقاعد من الجيش بعد حرب لبنان عام ٢٠٠٦ مع حزب الله ، الجنرال رام روتنبرغ الذي أصبح قائدا لقاعدة حيفا في سلاح البحرية الإسرائيلية ، مجموعة من وحدة قيسارية التابعة للموساد الإسرائيلي ، أشرف الجنرال موشيه يعلون رئيس هيئة الأركان الإسرائيلية فيما بعد على سير عملية التنفيذ بالتعاون مع شبتاي شبيط نائب رئيس جهاز الموساد آنذاك (٢٦).

سير عملية التنفيذ : قبل تنفيذ العملية بيومين وصلت إلى تونس «مجموعة قيسارية» التابعة للموساد الإسرائيلي ، وفور الوصول إلى تونس انقسمت المجموعة إلى مجموعتين على النحو التالي: المجموعة الأولى التي تم تخصيصها لاستئجار السيارات وقيادتها ذهابا وإيابا بعد استقبال فريق التنفيذ عند الشاطئ وتعود مع الفريق المنفذ وقامت بالفعل باستئجار سيارتي فلوكس فاجن نوع (ترانسبورتر) وكذلك سيارة نوع بيجو تحمل الرقم ... ، وكل سيارة من هذه السيارات تم استئجارها من شركة مختلفة ، وكانت أسماء المستأجرين كما ظهرت في جوازات سفرهم اللبنانية المزورة هي: جورج نجيب عايش السريدي ، والمرأة اسمها عواطف

علام ، المجموعة الثانية وتخصصت بمراقبة منزل الأخ أبو جهاد ، وتبقى في تونس بعد التنفيذ وتغادر عن طريق الجو فيما بعد.

قوام القوة المنفذة للعملية انطلقت خمس سفن صاروخية باتجاه تونس وكانت غرفة عمليات قائد العملية الجنرال إيهود باراك في إحداها وتوقفت هذه السفن في عرض البحر على مسافة (٢٥ ميل) بحري أي ما يعادل (٤٦)كم خارج المياه الإقليمية التونسية.

وانطلقت طائرات حربية مقاتلة وهجومية وحلقت عاليا وبجاهزية الهجوم ، وضم فريق التنفيذ (٣٦) منفذا) .

يسرد الصحفي الايرلندي غوردن توماس في كتابه انحطاط الموساد ما جرى في تلك اللحظات فيقول: أقلع عدد من طائرات بوينغ ٧٠٧ التابعة لسلاح الجو الإسرائيلي من قاعدة عسكرية تقع جنوب تل أبيب كانت إحداها تقل رئيس الوزراء اسحق رابين وعددا من كبار الضباط الإسرائيليين ، وكانت على اتصال دائم عبر لاسلكي سري بفريق الاغتيال الذي اتخذ أفراده مواقعهم بقيادة عميل اسمه الرمزي (سورد) وكانت الطائرة الأخرى مكدسة بأدوات المراقبة والتشويش ، وكانت طائرتان أخريان تنقلان خزانات الوقود وعلى ارتفاع شاهق فوق الفيلا حام أسطول الطائرات وهو يتابع كل حركة على الأرض عبر تردد لاسلكي.

وأنزلت القوارب المطاطية من سفن الصواريخ ودخل إلى كل واحد منها مقاتلان من الوحدة البحرية وستة مقاتلين من دورية هيئة الأركان واقتربت القوارب إلى مدى قريب جدا من الساحل وانتظرت حلول ظلام تام وكان الليل بلا قمر ، في المرحلة الأولى من العملية اندفع من القاربين الأولين مقاتلو وحدة بحرية مدججون بالسلاح واقتربوا في غوص ساكن من الشاطئ ونزلوا على الساحل وأمنوه مع إنشائهم اتصال راديو ، بعد ذلك التقوا مع رجال الموساد الذين انتظروهم مع السيارات على مبعدة ما ، وكان الشاطئ آمنا، وكانت مصافحات ساكنة وتربيت على الأكتاف ثم انتقال إلى المرحلة التالية.

وأبحرت القوارب المطاطية التي انتظرت قرابة الساحل ببطء نحو المنطقة الآمنة وقفز محاربو

هيئة الأركان ، وحملت سيارات عناصر وحدة قيسارية جزءا من المحاربين الذين سيسيرون في الشارع مثل مجموعة من الرجال والنساء الذين يتجولون ببراءة لبدء الهجوم ، وبدلوا ملابسهم المبلولة وانتشروا وأحدثوا بدلة التأمين التي ستخدمهم حتى الانسحاب

للتأكد من وجود أبو جهاد في المنزل ، قامت القوات الإسرائيلية ليلة تنفيذ العملية باقتحام منزل المحامي فايز أبو رحمة الذي تربطه صلة قرابة مع أبو جهاد ، وبدأت تحقيقا مع المحامي حول معلوماته واتصالاته بالأخ أبو جهاد ، وكان هدف الاعتقال أن يكون ذريعة لإجراء مكالمة هاتفية للتحقق من وجود أبو جهاد في المنزل ، وهو ما حدث فعلا، حيث قام أحد أفراد وحدة الاتصالات بتقمص شخصية عربية وأجرى اتصالا عن طريق أوروبا مع منزل أبو جهاد صائحا لقد اعتقلوا المحامي يا أبو جهاد وبدأ يردد عبارات متواصلة من السباب، وعندما جاء صوت أبو جهاد للرد على المتكلم وتهدئته ، اطلقت وحدة الاتصالات تشويشا على صوت المتحدث وتم قطع المكالمة، لكنه تم التأكد من وجود أبو جهاد في المنزل وابلغ فريق التنفيذ بذلك.

أنزلت القوارب إلى مياه البحر وفي كل قارب اثنان من الوحدة البحرية وأربعة من الوحدة الخاصة لهيئة الأركان واقتربت القوارب من الشاطئ عند نقطة محددة ، انطلق قاربان نحو الشاطئ للتأكد من خلوه والالتقاء مع أعضاء المجموعة الأولى من قيسارية المكلفين بنقل القوة المنفذة إلى منزل أبو جهاد ، وإعادتهم بعد التنفيذ على القوارب التي تحمل ملابس للقوة المنفذة من نفس الزي الذي يرتديه رجال وحدة مكافحة الإرهاب التونسية ، وعند وصول القاربين والتأكد من خلو الشاطئ والالتقاء مع مجموعة قيسارية أعطيت الإشارة للقوارب الأخرى للتقدم.

خلال ذلك كانت المجموعة الثانية من قيسارية تراقب منزل أبو جهاد بمناظير ليلية للتأكد من عدم مغادرته المنزل لأي سبب كان قبل وصول القوة المنفذة ، عندما وصلت السيارات التي تقل القوة المنفذة إلى مكان قريب من منزل أبو جهاد نزلت مجموعة من ستة أفراد كان بينهما اثنان

يرتديان ملابس مدنية احدهما متنكرا بزي امرأة.

تقدم الاثنان المتنكران بزي رجل وامرأة فيما بقى الأربعة على أهبة الاستعداد في مكان ليس ببعيد ولكنه يسمح لهما برؤية ما يجري تحركت المرأة التي كانت تحمل في يدها "خارطة سياحية بينما الرجل يحمل في يده علبة تشبه علب الحلويات واقتربت من المرافق مصطفى النائم في السيارة وكأنها تريد أن تسأله عن كيفية الوصول إلى مكان معين حسب الخريطة ، وقبل أن ينهض المرافق للإجابة اخرج الرجل مسدسا مزودا بكاتم صوت من داخل العلبة وعاجله برصاصة في الرأس، فأردته قتيلا ، أعطى الأربعة الذين يراقبون العملية إشارة إلى قوة التنفيذ بالتقدم، ليواجهوا حبيب البستاني التونسي الذي كان الضحية الثانية بعد مصطفى مباشرة.

عند وصول قوة التنفيذ تم خلع باب المنزل المكون من طابقين ، وتقدم أحد الأفراد بسرعة قياسية نحو الطابق الثاني حيث يوجد أبو جهاد ونزل عدد من المجموعة إلى قبو المنزل للقضاء على الحراسات الموجودة ، فكان هناك الحارس أبو سليمان وتم اغتياله وهو نائم.

شعر أبو جهاد بالحركة أثناء خلع باب المنزل، فهرع إلى خزانته وأخرج مسدسه فيما تساءلت زوجته شو فيه؟! فدفعها أبو جهاد إلى الخلف ، وحاول الاندفاع إلى خارج الغرفة المعرفة ما يجري، إلا أن المهاجم كان قد أصبح على باب الغرفة وأطلق عليه الرصاص فسقط على الأرض.

بعدها حاولت زوجته الاقتراب من جسده فطلب منها المهاجم العودة إلى الخلف ، في حين بدأ الطفل نضال وعمره سنتان بالصياح على أثر دوي الرصاص الذي أخرج ابنته حنان من غرفتها فصاح بها أحد المهاجمين اذهبي عند أمك . وصل بقية أعضاء القوة المهاجمة إلى الدور الثاني وبدأ كل فرد منهم على حدة يفرغ رصاص سلاحه في جسد أبو جهاد.

رواية حنان ابنة أبو جهاد أكدت أن المهاجمين كانوا يرتدون زي رجال مكافحة الإرهاب التونسي (رواية أبو علي شاهين).

بعد أن انتهت عملية القوة المهاجمة كما يدعي الإسرائيليون، بدأت عملية الانسحاب بسرعة فائقة حيث توجه فريق التنفيذ نحو السيارات التي انطلقت بسرعة لتعيدهم إلى القوارب

الموجودة على الشاطئ وتغادر معهم نحو السفن الراسية في البحر.

وبهدف التضليل على جهاز الشرطة التونسي قام أحد أفراد مجموعة قيسارية المكلفين بالمراقبة بإجراء اتصال مع مركز الشرطة المحلي عبر الهاتف مدعيا أن المهاجمين شوهدوا يتوجهون نحو وسط مدينة تونس، وهذا غير صحيح لأن أقوال الخادمة في منزل السيدة الفرنسية المجاور لمنزل الشهيد أبو جهاد بأنها اتصلت بهاتف الشرطة رقم (١٩٧) منذ اللحظات الأولى ولم يستجب الأمن التونسي.

تحقيقاتنا وتحرياتنا تقودنا للحقيقة: ما أن جاءني خبر استشهاد الأخ خليل الوزير تحركت فورا برفقتي جمال زيدة وتوجهنا إلى منزل الشهيد في منطقة سيدي بوسعيد، وحينما دخلنا المنزل وجدنا أبو ماهر غنيم، وبعدها عدت فورا إلى المكتب واستدعيت جميع مسؤولي أقسام أمن الرئاسة للتباحث في جريمة الاغتيال لهذا القيادي الكبير الذي كانت تربطني به علاقة مميزة قائمة على المحبة والاحترام.

كانت حالة من الغضب تسيطر على الجميع الذين كان لديهم إحساس بأن مثل هذه العملية لا يمكن أن تتم كنتيجة لقصور في الإجراءات الأمنية الفلسطينية، وإنما وقعت بسبب القيود والإجراءات التي فرضها الأمن التونسي على التواجد الفلسطيني وتحديدا فيما يتعلق بحمل السلاح لحماية القادة والمسؤولين الفلسطينيين، لذلك طلبت من المجتمعين تجاوز حالة المشاعر والأحاسيس والمباشرة بالعمل الفوري لجمع المعلومات مهما كانت مصادرها، سواء السرية أو العلنية منها، والتي تمكنا من كشف الكيفية التي تمكن من خلالها القتلة إلى الوصول للأخ أبو جهاد دون عوائق وارتكاب تلك الجريمة النكراء.

وكان الإيعاز الأول للمهندس إبراهيم الاغواني بصفته اختصاصي برسم الخرائط حيث طلبت منه رسم "كروكي" لمنزل الشهيد أبو جهاد وتقصي خط سير القوة المهاجمة، وعلى الفور توجه إلى بلدية قرطاج للحصول على نسخة من مخطط المنطقة التي يسكن بها الأخ أبو جهاد فيما توجه بقية مسؤولي جهاز أمن الرئاسة للبحث والتقصي والحصول على المعلومات، لم تطل زيارة

المهندس إبراهيم إلى البلدية حيث عاد في وقت قياسي ليبلغني انه طلب من أحد موظفي بلدية سيدي أبو سعيد الحصول على نسخة من مخطط المنطقة المقصودة ، لكنه سرعان أن عاد قائلا بأن المخطط مفقود ويبدو أن هناك من قام بسحبه من البلدية.

لقد أكدت معلومة المهندس إبراهيم بلا شك أن هناك جهات تونسية متواطئة في العملية وفتحت هذه المعلومة أمامنا الطريق لاكتشاف أسرار عملية الاغتيال ومعرفة الأشخاص، فقمت باطلاع الضابط التونسي (نوري) الذي كان يعمل كضابط ارتباط بيننا وبين الأمن التونسي عن اختفاء مخطط البلدية لمنطقة سكن الشهيد أبو جهاد.

قبل تنفيذ العملية بحوالي شهر ترددت امرأة على منزل القائم بالأعمال الهولندي المجاور المنزل أبو جهاد والتقت مع زوجة القائم بالأعمال الهولندي منتحلة شخصية ابنة أبو جهاد بحجة وجود عطل في جهاز الهاتف الموجود لديهم وأنها تستأذن بإجراء مكالمة هاتفية من منزلها ، وترددت تلك المرأة في الأيام التالية لنفس الحجة لكن زوجة القائم بالأعمال لاحظت أنها تتحدث باللغة الألمانية فاشتبهت بها وقطعت العلاقة معها.

قبل تنفيذ العملية بعدة أيام وصل إلى تونس عميل المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) المدعو "ميلان" بمعرفة الجهات الأمنية التونسية المختص ة، وسكن مقابل فندق أبو نواس، وعقد عدة اجتماعات متوالية مع ضابط الأمن التونسي (حبيب) الذي تم تكليفه بإدخال المذكور للبلاد وإقامته في تونس دون أن يعلم أنه على علاقة مع الموساد أيضا ، وكان قدوم عميل الاستخبارات المركزية الأمريكية بتونس بترتيب مسبق مع محمد العربي المحجوبي الشاذلي الحامي الذي كان على رأس المصالح التونسية الأمنية المختصة.

منزل أبو جهاد كان تحت المراقبة الدقيقة منذ أن تم استئجاره ، حيث تبين لنا بأن المنطقة التي يقع فيها المنزل يوجد بها العديد من الشقق المفروشة وبقربها عمارات تحت البناء ويشرف عليها منطقة عالية تضم فندق سيدي الظريف الذي يقع أعلى التلة المطلة مباشرة على الحي الذي يضم سكن أبو جهاد ، وأن الذين قاما بالمراقبة هما شاب وفتاة يتقنان اللهجة العربية بلكنة لبنانية أما

الشخص الثالث فهو عضو للموساد والذي كان دائم التواجد في ذلك الفندق بحجة أنه من محبي لعبة التنس الأرضي على الملاعب العشبية التابعة للفندق والتي تقع أسفل المنحدر المطل على موقع سكن الشهيد خاصة أن نهاية الملاعب تنتهي بأشجار حرشية ساعدته بالاختباء واستعمال مناظير نهارية وليلية.

ترددت فتاة مجندة لصالح الموساد على صالون للحلاقة يقع في الحي الذي يسكنه أبو جهاد وتمكنت من خلال ترددها على التعرف بابنة الشهيد ، جميع عناصر المراقبة والكشف والأدلاء هم جزء من شبكة موجودة مسبقا في تونس أما من استأجر السيارات فقد ثبت أنه قام بها ثلاثة أشخاص يحملون جوازات سفر لبنانية مزورة وقد قدموا قبل العملية بثلاثة أيام بجوازات سفر أخرى وبأسماء أخرى حقيقية ، لكنهم استأجروا السيارات بالأسماء المزورة وكان هؤلاء قد دخلوا تونس عبر الأفواج السياحية ، إن عناصر التنفيذ التابعين للموساد وهم إسرائيليون دخلوا تونس مع أفواج السياح وليس صحيحا تلك الرواية التي تدعي وصولهم عن طريق البحر وهذا ما أكدته التحقيقات ، فحسب الرواية الإسرائيلية أن مجموعة التنفيذ وصلت عن طريق البحر وقاموا بتغيير ملابسهم ثم توجهوا إلى منزل الشهيد أبو جهاد لتنفيذ العملية وهنا يبرز التساؤلات التالية: أين قام أفراد المجموعة القادمة من البحر بتغيير ملابسهم؟ خاصة وأن شهود العيان اكدوا أن المجموعة التي قامت بمهاجمة منزل أبو جهاد كانت ترتدي ملابس وحدة مكافحة الإرهاب التونسية، ما هو الداعي أن يتم استقدام مجموعة الهجوم عن طريق البحر على الرغم من الادعاء في نفس الرواية الإسرائيلية أن هناك مجموعات استباقية من عناصر الموساد كانت تتواجد على الأراضي التونسية قبيل تنفيذ العملية وقامت باستقبال باقي أفراد المجموعة القادمة عن طريق البحر ؟ إذن فهناك تناقض واضح ورغبة لدى الروايات الإسرائيلية في التضليل والخداع لإعطاء الأجهزة الأمنية الإسرائيلية صبغة القوة الخارقة القادرة على تنفيذ العمليات المستحيلة إضافة إلى الرغبة في إخفاء حقيقة النشاطات الاستخبارية الإسرائيلية على الأراضي التونسية في ذلك الوقت.

بما أن أبو جهاد قد اعتاد على استقبال الكثيرين من الزوار في منزله ومنهم الأجانب، وكذلك الكثير من العاملين في الصحافة العرب والأجانب ومعهم آلاتهم التصويرية ، فإن ذلك يؤكد أن أحدهم قام بتصوير المنزل من الداخل أثناء إجراء حديث صحفي ، والمحتمل أن تكون المرأة التي رافقت مجموعة التنفيذ هي أحدهم.

قبل تنفيذ العملية بيوم واحد تم قطع الكهرباء عن سكن الأخ الشهيد بعدة دقائق وأعيدت حيث قال أبو جهاد هذا (Test)، وليس صحيحا أن شبكة الهواتف في المنطقة قد تم قطعها أثناء التنفيذ ، والصحيح أنه قبل تنفيذ العملية بدقائق قطعت الحرارة عن هاتف منزل أبو جهاد ثم أعيدت بعدها مباشرة ، وكانت مدة القطع نصف ساعة فقط ، وفي هذا السياق أذكر أن أحد عملاء الموساد قام قبل انقطاع حرارة الهاتف بالاتصال مع الأخ أبو جهاد للتأكد من وجوده وقد سبق أن حدث نفس الشيء في قصة اغتيال الأخ الشهيد علي حسن سلامة الذي اتصل به شخص أجنبي اللغة كان يسأله إذا كان موجود لعدة أيام في بيروت أم لا .. حيث سألني أبو حسن إذا كان المذكور أحد مندوبينا بالخارج وعندما أبلغني بذلك عرفنا فيها بعد أن ذلك الاتصال كان للتأكد من وجوده وكنت قد أخبرت كل من الأخوة أبو عمار وأبو جهاد وأبو الوليد بهذه الحادثة.

قبل لحظات من تنفيذ العملية استطاع فريق الموساد المسيطر على هاتف أبو جهاد التقاط مكالمة هاتفية بين أبو جهاد ومنسق الرحلات في مكتب م.ت.ف الذي أكد لأبو جهاد انه قد تم حجز تذكرة لأبو جهاد من تونس إلى بغداد الساعة الواحدة ، ثم تم التأكد من وجود أبو جهاد في المنزل من خلال مكالمة وهمية عن طريق محطة مركزية في أوروبا أجراها أحد عناصر جهاز الموساد مع أبو جهاد ليخبره انه قد تم اعتقال فايز أبو رحمة وهذه المكالمة هي التي أكدت وجود أبو جهاد في منزله في تلك اللحظة، وهو ما اعتبر إشارة ببدء الهجوم ، وهنا يبرز تساؤل آخر خطير حول قدرة عناصر المخابرات الإسرائيلية على السيطرة على هاتف الشهيد أبو جهاد بهذه الصورة بهذه السرعة والسهولة في عملية معقدة تحتاج إلى تواجد فريق تقني في المنطقة يتمكن

من التعامل مع خطوط الهاتف والمحطة المركزية؟ وهو ما يعزز ما توصلنا إليه أن الفريق الاستخباري الإسرائيلي عمل لفترة ليست بسيطة في تونس قبل تنفيذ العملية وتمتع بحرية كبيرة في الحركة والعمل معتمدا على ثغرات أمنية في النظام الأمني القائم في تونس في تلك الفترة ؛ وليس كما يحاولون الادعاء في رواياتهم انهم قدموا عن طريق البحر ونفذوا عمليتهم ثم عادوا عن طريق البحر أيضا.

وصل أبو جهاد بعد منتصف الليل إلى منزله قادما من زيارة لأبو اللطف ودخل إلى المنزل برفقة مرافقه مصطفى أبو فاعور الذي عاد إلى السيارة ونام فيها ، كما كان حبيب البستاني متواجدا في حديقة المنزل ، أما أبو سليمان كريشان فقد ذهب إلى قبو المنزل للنوم.

عند بدء عملية التنفيذ وصل القتلة على متن حافلتين (ميكروباص وسيارة صغيرة من طراز بيجو - (٣٠٥) وتوقفوا بالقرب من منزل القائم بالأعمال الكندي الذي يبعد حوالي (٥٠) مترا)، وبدأت المجموعة في النزول سيرا على الأقدام نحو منزل أبو جهاد ، وانقسموا إلى مجموعتين : المجموعة الأولى توجهت نحو باب الفيلا من الخارج وتحركت امرأة كانت تحمل في يدها خارطة سياحية بينما الرجل يحمل في يده علبة تشبه علب الحلويات واقتربت من المرافق مصطفى عبد العال (أبو فاعور النائم في السيارة وبجواره سلاحه وكأنها تريد أن تسأله عن كيفية الوصول إلى مكان معين، وقبل أن ينهض المرافق للإجابة أخرج الرجل مسدسا مزودا بكاتم صوت من داخل العلبة وعاجله برصاصة في الرأس، فأردته قتيلا ، المجموعة الثانية قفزت عن حائط السور الملاصق لكراج الأخ أبو جهاد من قبل منزل جارته الفرنسية ، ثم توجهت نحو باب الفيلا من الداخل لخلعه بواسطة (طفاشة لخلع الأبواب) وهنا ظهر عامل الحديقة التونسي الحبيب الدخيلي فتم قتله والذي كان الضحية الثانية وقد وجد الشهيد في حديقة المنزل على بعد ١٥ مترا فقط من البوابة الخارجية.

اندفعت المجموعة الأولى إلى الباب الداخلي ، وعندما انفتح الباب محدثا هذا الصرير المدغوم الذي تناهى صوته إلى أذني أبو جهاد حيث كان يجري محادثات هاتفية مع أحد مكاتبه في أحد

العواصم الأوربي قائلاً: مرحبا، آسفين على الإزعاج، اتصلوا بي من روما وابلغوني أن فايز أبو رحمة قد اعتقل ، ممكن بالله نتأكد من هذا الخبر الساعة الآن تشير إلى الواحدة وعشر دقائق بعد منتصف الليل في غزة ، مما كان من الصعب سؤال أحد الآن عن صحة هذا الخبر.. في الصباح يمكن أن نتأكد هذا كل ما قاله محادث الأخ أبو جهاد على الخط الآخر، وهنا بالذات أنهى الأخ أبو جهاد محادثته، لم يكن مرتبكا رغم أنه لحظتها كان قد سمع صوت خلع الباب فعلى مدى ٣٥ عاما من العمل والنضال لم يشعر الأخ أبو جهاد أحدا بالقلق أو الارتباك بل كان على العكس يضفي على الآخرين في احلك الساعات وأكثرها خطرا هذا القدر العجيب من الطمأنينة والأمل اللتين كان يتميز بهما على الدوام ، لم يتردد أبو جهاد في حسم موقفه كعادته ادرك على الفور أن الأمر جلل ، فاستل مسدسه الذي يضعه فوق الخزانة المجاورة ، ويصر على تغطيته بطاقية صغيرة بيضاء، ولم ينتظر أن تفاجئه المعركة التي سمع هديرها في انخلاع الباب ووطأة البساطير العسكرية لمجموعة الاغتيال وهي تصعد الدرج الداخلي للمنزل بسرعة فائقة حيث كان أبو جهاد.

كانت عقارب الساعة تشير إلى الواحدة وعشر دقائق، ربما تجاوزتها بثواني قليلة كانت ثقيلة كالدهر، ومشحونة بالقلق الكامن والتوتر المكبوت ، لم يتراجع ولم يختبئ بل خرج فورا للمواجهة قابضا على مسدسه ليبادر كعادته بإطلاق الرصاصة الأولى على أعدائه ، كان القتلة أربعة، اطلق أبو جهاد الرصاصة الأولى فأصاب احدهم لكن سرعان ما اطلق الآخرون زخات كثيفة من الرصاص «الخاص» الذي انهمر بشكل غزير على كفه فانفجر المسدس في يمينه، ومن ثم تناوب القتلة على الضحية ، أربعة وسبعون طلقة اخترقت رأسه وجسده الطاهر، وكان ظهره للحائط وكأنما كان عليه وهو في لحظة استشهاده أن يلخص كل مأساة الفلسطيني المعاصر الذي يقاتل وظهره للحائط.

على مكتب أبو جهاد كانت هناك رسالة يهم بتسطيرها للقيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة ، كان قد كتب منها أربعة وأربعين كلمة فقط احتوتها جميعا ستة اسطر فحسب ، ولم يكمل أبو جهاد

الرسالة، وكأنها ليترك فيها وصيته الأخيرة : أكملوا رسالتي من بعدي ، لم يكمل الأخ أبو جهاد رسالته الأخيرة للقيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة ، ولم ينطق بكلمة واحدة غير انه تمتم بالشهادة وهو يضغط بسبابته على زناد مسدسه.

وتروي انتصار الوزير أم جهاد ذكرياتها عن تلك اللحظات قائلة: سمعت «أبو جهاد» يقوم بسرعة من خلف مكتبه، فتحت عيني فوجدته يحمل مسدسه ويتجه نحو باب الغرفة، لحقت به ووقفت إلى جانبه ، نهرني وطلب مني أن أبتعد عنه، وقفت في الزاوية الأخرى، ثوان وشاهدت أمامي شخصاً على بعد متر واحد، كان في حوالي الثانية والعشرين من العمر، أشقر، يضع على وجهه قناعاً شبيهاً بقناع غرفة العمليات، ولم يتكلم أبداً، أطلق عليه «أبو جهاد» رصاصة من مسدسه، فرد عليه بمشط كامل من رشاشه ، سقط أبو جهاد على الأرض، جاء رجل ثان ، ظننت انه سيقتلني أنا، ولكنه أفرغ رشاشه بجسد «أبو جهاد»، جاء الثالث، وفعل الشيء نفسه، كنت أضع يدي فوق رأسي وأنطق بالشهادتين ، وعندما جاء شخص رابع ليفعل الشيء نفسه صرخت بصوت عال ومدو (بس)، لكنه أفرغ رشاشه في جسده ، ثم توجهوا جميعا إلى غرفة النوم ، ابني نضال (سنتان ونصف ينام داخل الغرفة ، فكرت به شعرت بخوف شديد عليه، وبحركة عفوية حاولت أن أتحرك نحوه، لكن أحد المهاجمين وقف أمامي يهددني برشاشه كي لا أتحرك ، دخل الثلاثة الآخرون إلى غرفة النوم ، أطلقوا رشات من الرصاص، فتيقنت أن نضال قد قتل ولكنه كان يصرخ ، وكان صراخه يطمئنني انسحبوا من غرفة النوم كانت حنان قد خرجت من غرفة نومها لترى ما يحدث ، فوجئت بالأشخاص المجهولين أمامها، وفوجئت بأحدهم يقول لها باللغة العربية: اذهبي إلى أمك ، وغادر الأشخاص الأربعة الطابق العلوي من المنزل ، وتضيف «أم جهاد»: «انحنيت على أبو جهاد ناديته، حاولت سماع تنفسه ، حدقت في عينيه ، حركتها بيدي، فلم ألحظ أي أثر للحياة ، كان الرصاص في وجهه وعنقه ويديه وجسده وكان ينزف بشدة كمية كبيرة من الدم ، دخلت غرفة النوم، حملت نضال بين يدي، وعدت وجلست معه إلى جانب أبو جهاد ، قمت وذهبت إلى الشرفة ناديت بأعلى

صوتي، لم يجبني أحد ، شعرت بأن كل ما حولي فراغ مطلق ، نزلت مع ابني الصغير نضال وابنتي حنان إلى مدخل المنزل، جلست هناك وأنا أحتضن نضال، وحنان تعانقني، كانت حولي ثلاث جثث جثة «أبو سليمان» كريشان (الحارس) ، وجثة مصطفى عبد العال (سائق) «أبو جهاد»، وجثة لشاب تونسي الحبيب الدخيلي - جنيناتي)، جاءت الفتاة التونسية التي تساعدني في عمل المنزل خائفة مرتعدة، روت لي أنها شاهدت أربعة أشخاص آخرين يطلقون النار في غرف الطابق الأرضي من المنزل ، وقالت أن بينهم امرأة ، وأن المرأة كانت تلتقط الصور، ولكنني لا أستطيع أن أؤكد ذلك ، كان ابني الصغير يقول لي وأنا أحتضنه عند مدخل المنزل: «ماما أنا خائف هل أنت خائفة؟» - قلت له: «ماما أنا لست خائفة ، أنت أيضاً لا تخف». تركته مع حنان، وصعدت لرؤية «أبو جهاد ثانية، ومرة أخرى ناديت من الشرفة أطلب المساعدة ، ولم يجبني أحد».

حنان أقرب أبناء أبو جهاد إلى قلبه كانت هي الأخرى نائمة في غرفتها ، سمعت صوت الرصاص، فهرعت خارج غرفتها فاصطدمت على الفور بأحد القتلة ، كان قصيرا وممتلئا اصلعا ورأسه كبير ، قدرت حنان أن يكون قد تجاوز عقده الرابع التجاعيد واضحة على طرفي عينه يرتدي كالمجموعة نفس الزي الذي يرتديه رجال وحدة مكافحة الإرهاب التونسية ، يحمل في يده رشاشا عليه كاتم للصوت، ووسطه مزنر بحزام عريض مشكوك كله بطلقات الرصاص وعلى جانب خصره كان هناك مسدس آخر بشكل غريزي سألته حنان شو في فدفعها باتجاه موقع المجزرة وهو يقول «روحي هناك حد أمك». القتلة الثلاثة الآخرون رأتهم حنان من خلف الدخان الذي اطلقته حمم الرشاشات، كانوا ينسحبون لحظتها.

راضية تعمل كمربية للصغير نضال وتقيم مع الأسرة بصورة شبه دائمة ، كانت في هذه الليلة ترقد في الغرفة المجاورة لغرفة أبو جهاد التي تطل نافذتها على البوابة الخارجية للمنزل المجاور، تنبهت من نومها عندما سمعت صوت الباب الخشبي وهو يخلع وصوت أقدام المجموعة فارعبها ما سمعت وأوصدت الباب وبقيت خلفه أحد القتلة من مجموعة الكوماندوس دخل

إلى غرفة نوم أبو جهاد حيث كان نضال ربما يبكي ويصرخ في لوعة ، وهو لا يعي بعقله الصغير هول ما يحدث على عتبة باب الغرفة ، ربما كان قلبه قد ادرك المأساة فاطلق من صدره هذا البكاء الصارخ ، وهذا الصراخ المبكي الحزين ويبدو أن صراخ نضال قد افزع القتلة فأطلق احدهم زخات عصبية من رشاشه فوق رأس الصغير ليسكته.

بعد أن قام القتلة بتصوير العملية انسحبوا مسرعين ولم يفتشوا المنزل أو يحملوا معهم أية وثائق، في تلك اللحظة نظرت المربية (راضية) من نافذتها المطلة على البوابة الخارجية فرأت تحت ضوء الشارع امرأة شعرها أسود ينسدل على كتفها، ترتدي جاكيت صوف أحمر اللون من دون أكمام، تحته قميص أسود فوق تنورة سوداء أو كحلية، والمرأة قصيرة بعض الشيء وتحمل ما يشبه الحقيبة أو شيئا آخر مربوط إلى عنقها ويتدلى على صدرها وكانت تصرخ في القتلة بالفرنسية قائلة : ساييه .. ساييه أي خلاص وهي تشير للمجموعة بالانسحاب.

سلكت المجموعة الطريق الخلفي لطريق سيدي بوسعيد خلف الوادي من جهة أميلكار، وعند زاوية الطريق المؤدي إلى المقبرة الأمريكية انحرفت إحدى السيارات بفعل السرعة واصطدمت مقدمتها بحجر زاوية أثري موضوع على جرف الطريق مما أدى إلى نزول أفرادها ودفعها وهذا ما ساعد الكلاب البوليسية من الالتفاف كثيرا حول الحجر الأثري مكان الحادث ، ثم انطلقت نحو المقبرة وكانت الكلاب تنهي بحثها أمام باب المقبرة الأمريكية حيث قام فريق القتلة باستبدال السيارات في حين تولى عملاء محليون قيادة السيارات التي شاركت في التنفيذ إلى الشاطئ للتمويه والإيحاء بأن المهاجمين غادروا بحرا وهو تضليل المقصود منه عدم كشف حقيقة الحادث وتأكد ذلك من مقارنة آثار الأقدام الموجودة على بقع الدم التي وجدت في منزل الشهيد وآثار الأقدام الموجودة على الشاطئ قرب مكان السيارات حيث ظهر بأنها غير متشابهة كما لم نجد أية آثار تتجه بشكل طولي نحو البحر للداخل وكل ما وجد هو آثار (عرضية) تدل على تنقل القتلة بين الآليات وفي مكان تجمعها، كما أن وجود العلب الفارغة للمياه المعدنية في مكان تجمع الآليات يدل على أن أشخاصا كانوا هناك بانتظار العملاء المحليين حين قدومهم

بالسيارات التي استخدمت في التنفيذ لنقلهم بعد إيقاف السيارات في سيارات أخرى والعودة بهم إلى المدينة ، وتطابقت هذه المعلومات مع معلومات جهاز المخابرات الفلسطينية والتي أجراها اللواء طارق أبو رجب بعد معاينة الموقع وتتبع خط سير السيارات.

***

استعانة إسرائيل بموقع مقر سكن الموفدين من قبل وزارة الخارجية الأمريكية لتعلم اللغة العربية في المدرسة الخاصة التابعة لسفارتهم في تونس، وصادف أن يكون موقع هذه العمارة قائم في وسط التلة العالية لجبل سيدي بوسعيد وكانت مطلة بشكل مباشر من الأعلى وكاشفة بوضوح فيلا أبو جهاد من جهة البوابة الرئيسة ونوافذ الصالون والطابق العلوي لغرف النوم وحتى سطح التراس للفيلا من الأعلى ، وفي هذا الوقت كان ثلاثة من عملاء الموساد



متمركزين في المقر يراقبون منزل أبو جهاد بمنظار بالغ القوة ، وعلموا أنه ليس في البيت بل في لقاء مع فاروق القدومي، بعد منتصف الليل بقليل عاد أبو جهاد إلى بيته وصاحبه حراسه إلى الداخل، وعاد أحدهما وكان يعمل سائقا أيضا إلى السيارة ونام ، أما الثاني فدخل وجلس في الصالون، بعد ذلك اتجه يسارا ونزل إلى القبو حيث نام .

وبناء على معلومات أدلى بها حارس موقف السيارات المجاور لعمارة الموفدين لاحظ أنهم قبل عملية الاغتيال بشهرين قد نقلوا جميع النزلاء الموفدين من الإقامة بهذه العمارة وتم توزيعهم إلى منازل صغيرة متفرقة حول محيط جبل سيدي بوسعيد، بحجة الانخراط بالمجتمع العربي التونسي لتقوية لغة المحادثة لديهم باللغة العربية، وتم إشغال العمارة المطلة على فيلا ٣١ في هذا النص الوارد في تقرير غونين بيرغمان بعنوان الجهاد لأبو جهاد لصحيفة يديعوت احرونوت، اعتراف إسرائيلي واضح وصريح يؤكد أنهم استخدموا سكن الموفدين للمراقبة (غونين بيرغمان الجهاد لأبو جهاد، يديعوت احرونوت أبو جهاد من قبل عناصر ادعوا انهم من المارينز

قدموا إلى تونس لتمضية إجازة رأس السنة مطلع عام ١٩٨٨ ، ولاحظ الحارس انهم لم يعودوا لاستخدام خادمات للعمارة من التونسيات كما جرت العادة لديهم سابقاً ، ومن خلال النظر لهذه العمارة من جهتها العلوية فإنه يلاحظ وجود هوائيات لاسلكية عالية فوق سطح الروف مع وجود علم متعدد الألوان ومظلة مثبتة على شرفة البلكون المطل على فيلا الأخ أبو جهاد من الأعلى.

المقبرة الأمريكية لجنود الحرب العالمية الثانية القائمة على منبسط سهلي خلف منزل أبو جهاد ، كانت تشكل مزارا يوميا ومتنفس طبيعي «حديقة عامة»، وذلك لاحتوائها على ساحة واسعة من الحدائق والزهور الطبيعية ، ولوحظ أنها كانت مغلقة قبل شهرين من اغتيال أبو جهاد حسب لوحة اعلان على الباب الرئيسي لمدخل المقبرة ، واستمر وجود هذه اللوحة لشهر آخر بعد تنفيذ العملية ، وكانت اللوحة مكتوب عليها اعتذار عن قبول الزائرين بسبب اعمال الصيانة ، حيث كانت المقبرة تحتوي على منشآت إدارية ومستودعات كبيرة وكراج كبير للسيارات بأبواب مغلقة وعدة مهاجع خاصة بالحراس العسكريين التابعين لمقرات السفارة الأمريكية المتواجدة في عدة أماكن بالعاصمة التونسية، وقد استخدمتها المجموعة الإسرائيلية لإخفاء السلاح ولتبديل الملابس وارتداء زي قوات التدخل السريع التونسية وإخفاء السيارات.

إن طبيعة الموقع السياحي الضاحية سيدي بوسعيد وجبلها العالي تتميز باستقبال عدد كبير من السائحين الأجانب ومن عدة جنسيات أجنبية مختلفة ، وأوروبية خاصة ، ومن ضمن الامتياز الكبير المعطى لحرية التنقل والتصوير للسائحين الأجانب من قبل السلطات المحلية واعتاد السكان التونسيين من الاحتكاك المباشر وحسن الاستقبال وتبادل الأحاديث مع الأجانب باعتبارهم يتقنون عدة لغات أجنبية وأهمها اللغة الفرنسية.

تواجد مركز البريد الرئيس السيدي بوسعيد وسط السوق التجاري وغير البعيد عن منزل أبو جهاد بالإضافة إلى وجود مقسم الخطوط الهاتفية الأرضية ومحول الطاقة الكهربائية الرئيسي على

زاوية الشارع الرئيس الفاصل بين السوق التجاري ومنطقة المنازل المحيطة لسكن أبو جهاد، وهي منطقة صادف أنها كانت منفصلة كهربائيا عن شبكة إنارة الشوارع الرئيسة والسوق التجاري لسيدي بوسعيد كون خط السكة الحديد المنصف لهذه المنطقة والفاصل بينهما كهربائيا، وهو ما سهل قطع الخطوط الهاتفية والخط الكهربائي المنير للشوارع الداخلية بمحاذات بيت الأخ أبو جهاد وقد استمر هذا القطع لمدة (١٥) دقيقة ولم يلاحظ أحدا من السكان أو أي من عناصر أعمال الصيانة هذا الانقطاع.

الاستفادة من كاتب الدولة للأمن بوزارة الداخلية التونسية ، محمد العربي المحجوبي «الشاذلي الحامي» الذي كان يسكن بالجهة المقابلة من ناحية الغر ب، لمقر سكن أبو جهاد وقد ساعد أيضا بإضفاء جو من الأمان لأكثر من شخصية دبلوماسية غربية من الإقامة والسكن بالتجاور بنفس الحي الذي يقيم فيه أبو جهاد المذكور كان وراء تخفيف النشاط الأمني الحراسات مقر الرئيس بقرطاج والذي كان يتناوب ليليا على وضع حواجز متحركة وثابتة ما بين مدخل قرطاج حنبعل المؤدي إلى طريق قرطاج الرئاسة ومنه إلى سيدي بوسعيد والحاجز الثاني على مفرق اميلكار المنصف بين حي سيدي بوسعيد وقرطاج الرئاسة وقد تبين أن هذه الحواجز قد تم رفعها باكرا أي قبل منتصف الليل على غير العادة ويمكن أن تكون جزء من مؤامرة اغتيال الشهيد أبو جهاد.

الاستفادة من موقع سكن القائم بالأعمال الهولندي المجاور لمنزل أبو جهاد من الجهة الغربية، والذي اتضح أنه كان يقيم حفلة خاصة ليلة تنفيذ العملية ولم يكن بها مدعوين رسميين وذلك لعدم وجود سيارات رسمية أو حراسات خاصة حتى نهاية الحفلة قبل تنفيذ العملية.

الاستفادة من موقع سكن القائم بالأعمال الكندي والذي كان يقيم بفيلا صغيرة على ناصية الشارع المقابل لزاوية مقر سكن أبو جهاد وتصادف أنه كان يقيم حفلة خاصة ليلة تنفيذ العملية حيث كانت السيارات التي تحمل فريق التنفيذ تقف أمام منزله قبل الشروع في العملية بالإضافة إلى الظروف الغامضة التي تم فيها مقتله بطلق ناري أمام باب مدخل الفيلا بعد ثلاثة أسابيع

من عملية اغتيال أبو جهاد، وقد تم التكتم على مجريات التحقيق في أسباب موته وقد نسبت الجريمة إلى وجود سارق ليلي قد لاذ بالفرار وحفظت القضية ضد مجهول.

إصرار الأخ أبو جهاد على تقليص الحراسات المرافقة له أو التي تؤمن مسكنه، وقد كان يرفض الزيادة رغم العديد من التأكيدات عليه من قبل الأخوة في القيادة، وهو الأمر الذي سهل من عملية الاختراق الأمني خلال الهجوم على مسكنه.

كافة المعطيات السابقة تؤكد أن عملية اغتيال أبو جهاد تمت في ظل تعاون استخباري إسرائيلي أمريكي ، إضافة إلى اختراقات هامة للمؤسسة الأمنية التونسية ، والتي كان لها الدور الأهم في نجاح العملية خاصة أنها منحت الغطاء لتحركات عناصر الموساد على الأرض التونسية والذين قاموا ، ولفترة طويلة خلال إقامتهم في تونس ، بجمع كافة المعلومات اللازمة عن تحركات أبو جهاد لدرجة جعلتهم يعترفون انه كان تحت المراقبة الشديدة ؛ كما سهلت عناصر الموساد تحركات عناصر سرية هيئة الأركان الإسرائيلية سريت متكال (التي تواجدت على الأرض بعد عملية «حافلة الأمهات حدث اختراق استخباري مكن من جمع معلومات عن أبو جهاد وطلب وزير الدفاع رابين عملية بسبب المعلومات الجديدة وتصريحات أبو جهاد عن الانتفاضة، وبذلت الاستخبارات وقتا وموارد ضخمة في تعقب أبو جهاد وعاداته وسفراته واتصالاته بنشطاء في البلدان العربية وفي المناطق ، وكانت خطوط الهاتف في بيته وفي مكتبه تحت تنصت متواصل، يقول عوديد راز خلال تعقب أبو جهاد عرفت كيف أعرف وأقدر الرجل الذي يواجهني صحيح أنه كان يستحق الموت لأن يديه كانتا ملطختين بدم عشرات الإسرائيليين ؛ ولكنه كان قائدا حقيقيا جعل مصلحة شعبه نصب عينيه ، فقد منع ابنه مثلا من الانضمام إلى صفوف المنظمة وطلب إليه أن يذهب الدراسة الهندسة، وأوضح لابنه أنه حينما تنشأ دولتنا سيحتاجوا إلى ناس مثلك ، وبرغم أن اغتيال أبو جهاد تمت الموافقة عليه في لجنة ايكس في منتصف الستينيات، وافقت رئيسة الوزراء غولدا مئير على – أمر باغتيال مركز – في ١٩٧٠، ومنذ تلك اللحظة جمعت المادة الاستخبارية عنه في ملف سمي عرض هدف خطط

الموساد لسلسلة عمليات لاغتياله، وخططوا في البداية لإصابته في مكتبه في بيروت وفكروا في تفخيخ سيارته لكن العمليتين فشلتا غونين بيرغمان الجهاد لأبو جهاد، يديعوت احرونوت ٢٠١٢/٣/٢٣م).

سرية هيئة الأركان سريت متكال عناصرها يتم انتقاؤهم بعناية فائقة ليتلقوا تدريبات قاسية استعدادا للمشاركة في عمليات تجري على أراضي الآخرين ، وكذلك في جمع المعلومات الإستراتيجية من خلف خطوط «العدو» ، وإنقاذ الرهائن ، تلك هي أخطر وأهم وحدة استطلاع بالجيش الإسرائيلي ، تعتبر رأس حربة المحرقة التي تنفذها قوات الاحتلال منذ أيام في قطاع غزة ، فإن لها أيضا سجلا حافلا من الاعتداءات السابقة على الدول العربية وفلسطين طوال نصف قرن البداية كانت في عام ١٩٥٨ حين تقدم ضابط يدعى إبراهام أرنان بعريضة للأركان العامة لتشكيل وحدة بإمكانها تنفيذ مهام تجسس بالغة الخطورة في أرض العدو ، على غرار وحدة ساس البريطانية ، والتي استلهم الإسرائيليون أيضا شعارها، وهو من يجرؤ يفز ، وتتبع تلك الوحدة تنظيميا جهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية «أمان».. وتكونت بعد عام من دخول أول سرب طائرات هليوكوبتر في الخدمة ليتسنى نشر عناصرها في أعماق بعيدة داخل الأراضي العربية ، من أشهر عملياتها : تخريب طائرات في مطار بيروت (١٩٥٨): اغتيال قادة فلسطينيين في بيروت عام ١٩٧٣، تحرير رهائن مدرسة معالوت ١٩٧٤ ، تحرير رهائن سافوي ١٩٧٥ ، تحرير رهائن في عملية عنتيبي في اوغندا وقتل في العملية قائدها يوناتان نتنياهو الشقيق الأكبر لبنيامين نتنياهو ، تحرير رهائن حافلة عملية دلال المغربي ١٩٧٨ ، إطلاق سراح رهائن في عام ١٩٨٠ ، تحرير رهائن حافلة ٣٠٠ عام ١٩٨٤ ، اغتيال أبو جهاد في تونس ١٩٨٨ اختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد في لبنان عام ١٩٨٩ ، اختطاف مصطفى الديراني في لبنان عام ١٩٩٤ ، ومن بين أكثر قدامى مقاتليها شهرة: إيهود باراك بنيامين نتنياهو، يوناتان نتنياهو شاؤول موفاز ، موشى يعلون، داني ياتوم آفي ديختر.

وساهم التعاون الاستخباري الأمريكي – الإسرائيلي في الخداع والادعاء أن العملية تم تنفيذها

بواسطة وحدات عسكرية إسرائيلية جاءت عن طريق البحر وهو الأمر الذي أثبتنا عدم صحته وهذا ما أكده أيضا ما توفر من معلومات عن منح رئيس الأركان الإسرائيلي في تلك الفترة ثلاثة من أفراد وحدة سريت متكال أوسمة لمشاركتهم في عملية تاريخية لاغتيال زعيم عربي بارز ، ومن خلال تحرياتنا توصلنا إلى أن العناصر التالية التابعة لأجهزة المخابرات الإسرائيلية شاركت في عملية اغتيال أبو جهاد وهم: دورون ليبر من شعبة كيدون التابعة للموساد وتعتبر الذراع التنفيذي والعملياتي ومسؤولة عن تنفيذ عمليات الاغتيال ، عدد أفراد هذه الشعبة مقلص ويصل إلى ٨٠ عنصرا يتحدثون لغات كثيرة ومدربين على عمليات الاغتيال بالسلاح وبوسائل أخرى مثل التسمم أو الاغتيال بمواد كيماوية قاتلة ، وكان عناصر هذه الوحدة وراء محاولة اغتيال خالد مشعل في عمان ١٩٩٧ وسممت أحد قيادات الجبهة الشعبية وديع حداد ، هذا إلى جانب اغتيال علماء عراقيين ومصريين منهم يحي المشد وعلماء الفيزياء والكيمياء في العراق بعد اجتياح العراق عام ٢٠٠٣.

الأمن التونسي لم يتعاون لكشف الحقيقة ، جميع هذه الخطوات والمعطيات أسهمت بدور أساسي في عملية الكشف عن تفاصيل عملية اغتيال أبو جهاد وكذب الرواية الإسرائيلية حول قدوم المجموعة المنفذة عن طريق البحر وقد تعمد الإسرائيليون إشاعة تلك الرواية بهدف التغطية والتمويه على دور العملاء في داخل الأراضي التونسية في العملية.

وبناء على توجهات الرئيس ياسر عرفات للأخ حكم بلعاوي بالطلب من التونسيين إشراك الأجهزة الأمنية الفلسطينية في التحقيق لكشف حقيقة اغتيال الأخ أبو جهاد فقد وعد الأخ حكم بلعاوي بترتيب لقاء مع المسؤولين عن التحقيق، وتم ذلك اللقاء في مكتب المنظمة يوم ٢٠ / ٥ / ١٩٨٨ م بحضور «المنصف المسؤول عن التحقيق في القضية حيث أفاد بأنه لا يملك صلاحية لإطلاعنا على التحقيقات الموجودة ،يضاف إلى ذلك فقد أفاد اللواء طارق أبو رجب من المخابرات الفلسطينية أنه عندما كان يجري التحريات جاءه الأخ حكم بلعاوي وأبلغه أن الأمن التونسي يطلب منه وقف التحريات ؛ لكنه لم يكترث لذلك، فجاءه حكم بلعاوي للمرة

الثانية مكررا نفس الطلب التونسي ؛ لكنه لم يستجب لطلبه، وفي المرة الثالثة جاءه ضابط تونسي كبير وأبلغه أنهم أرسلوا له مرتين مع حكم بلعاوي لوقف التحريات وأنه جاء إليه هذه المرة بأمر من الكبير ويقصد الرئيس زين العابدين بن علي الذي يرغب في إنهاء التحقيقات، وبعده مباشرة جاء ضابط تونسي آخر يدعى رفيق الشلي» ناقلا نفس طلب الرئيس الذي يقول: "إن موضوع اغتيال الأخ أبو جهاد أمانة في رقبته ، ويذكر أن السلطات التونسية قامت باعتقال ٣٥ الأبحاث التي أجرتها السلطة التونسية من خلال حديث رفيق الشلي وكان يشغل آنذاك مدير للأمن الخارجي بقيت في نطاق التعتيم ما عدى ما تأكد بعد التنسيق بين كل من الأمن التونسي والأمن اللبناني من كون الهويات الموجودة بجوازات السفر اللبنانية والتي استعملت لكراء السيارات تتعلق بهويات مواطنين لبنانيين وهي جوازات سفر حقيقية غير مزيفة وقع حجزها من طرف الإسرائيليين من منازل المعنيين بالأمر بمدينة صور اللبنانية حيث أنه في تلك الفترة كان الإسرائيليون يقومون بعمليات اقتحام للأراضي اللبنانية وخاصة جنوب لبنان ويقومون بتفتيش المنازل ويحجزون ما رغبوا فيه ويقومون حتى بإيقافات المواطنين لبنانيين، أما الجوازات التي يقع حجزها فهي تستعمل من طرف مصالح الموساد الإسرائيلي في عمليات مختلفة خارج إسرائيل من بينها عملية اغتيال أبو جهاد وذلك حتى تبعد الشكوك عن اقتراف إسرائيل لعملياتها الإرهابية، وقد أنكرت إسرائيل أول الأمر اقترافها هذه الجريمة النكراء حتى كشفت جريدة لوموند الفرنسية ما جاء بقناة التلفزة الأمريكية **NBC** من أن عملية اغتيال أبو جهاد صادق عليها الوزير الأول اسحاق شامير ووزيره للخارجية شيمون بيريز ، إن عدم الإعلان من طرف السلطة التونسية عن ما وصلت إليه الأبحاث والسهولة التي وجدتها الفرق الاسرائيلية في القيام بجريمتها الارهابية تضع نقاط استفهام عن نزاهة الدولة التونسية في هذا المخطط الإجرامي الرهيب .

محمد العربي المحجوبي المعروف "الشاذلي الحامي" كاتب الدولة لشؤون الأمن في أعقاب الجريمة وصدر بحقه حكم بالإعدام تم تخفيفه فيما بعد بقرار من الرئيس زين العابدين بعد أن

تبين تعامله مع إسرائيل وكان له دور كبير وأساسي في إنجاح العملية حيث شكل الغطاء الأمني الكامل للعملية بناء على اتفاق مع ضابط المخابرات المركزية الأمريكية المدعو ميلان والمحسوب على المخابرات الإسرائيلية أيضا، وهو الذي أمر جميع الدوريات تلك الليلة بالانسحاب من المنطقة تسهيلا للمجموعة الإسرائيلية المنفذة ، كما تأكد أنه زود الموساد الإسرائيلي بمعلومات دقيقة عن المنطقة التي يسكن فيها أبو جهاد والسكان المقيمين في الجوار بالإضافة إلى أنه رتب خطة الحماية للمجموعات المنفذة حين الانسحاب.


ردود الفعل على الجريمة ...
ايتان يعتبر اغتيال أبو جهاد مكسباً استراتيجياً
ويعترف باستهداف أبو الطيب وحبش وحواتمة
شيف: الاغتيال لن ينهي الانتفاضة
عرفات: اغتيال ابو جهاد تقرر على اعلى مستوى اسرائيلي
العدو يهدد «العودة» الفلسطينية بالاغلاق.. قريبا
عرفات كان طلب من «ابو جهاد» تغيير مسكنه
18/4/1988

ثبت من أقوال الخادمة في منزل السيدة الفرنسية المجاور لمنزل الشهيد أبو جهاد بأنها سمعت تحرك قوارير الغاز الموجودة في حديقة المنزل، فنظرت للشارع من النافذة فشاهدت رجلا يعتقد أنه لص تسلق سور منزل أبو جهاد، فاتصلت بهاتف الشرطة رقم (١٩٧) وأخبرتهم بما رأت وأعطتهم اسمها ورقم هاتف منزل السيدة الفرنسية ، وبعد قليل اتصل بها مركز الشرطة سائلا إياها إن كانت متأكدة مما رأت وسمعت أجابت بنعم أنها متأكدة ولكن لم يأت أحد وأهمل الموضوع ، وقد أكد هذه المعلومة القائم بالأعمال الهولندي الذي يسكن بالجوار أيضا.

طبقا لاعترافات رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الأسبق رفائيل إيتان في حديث للإذاعة الإسرائيلية يوم ١٨ / ٤ / ١٩٨٨ ونشرته الصحف فإن اللواء أبو الطيب قائد قوات الـ ١٧ كان هدفا للاغتيال من قبل القوة الإسرائيلية التي اغتالت أبو جهاد ، فقد توجهت إحدى سيارات القوة الإسرائيلية المهاجمة نحو منزل أبو الطيب والذي يبعد عن منزل أبو جهاد حوالي (٣) كلم إلا أن يقظة حراسات المنزل أفشلت الهجوم بعد أن لاحظ حارس السطح ان السيارة تقترب من المكان ، فقام بقرع الجرس المتصل مع باقي الحراسات الذين تحركوا على الفور،

فلاحظت القوة الإسرائيلية المهاجمة انتشار الحراسات فانسحبت على عجل ، لكن الحراسات التقطت رقم السيارة ولاحظوا أن السيارة انسحبت باتجاه المقبرة الأمريكية التي تبعد عن منزل أبو الطيب شارعين من الجهة الخلفية ، وتم إبلاغ السلطات التونسية عن رقم السيارة التي أفادت انه رقم مزور.

***

الأمة الفلسطينية لم تستطع رغم فظائع نكبة ١٩٤٨ والتطهير العرقي المدروس صهيونيا وغربيا نسيان الوطن ، ويتوارث الأجيال الحدث دون ملل وكلل رغم كثرة التضحيات البشرية الكبيرة ، في الذكرى السنوية لـ النكبة ١٥أيار ٢٠١١ ، ينظّم آلاف الفلسطينيين من الضفة الغربية ، وغزة ، والأردن ، ولبنان ، وسوريا مسيرات باتجاه الخطوط الإسرائيلية وهم يقولون لن ننسى لن ننسى ، ولا تترك إسرائيل الزحف المعنوي يمر بسلام ، تفتح القوات الإسرائيلية المجرمة النار عبر الحدود اللبنانية ، فتقتل عشرة فلسطينيين وتجرح ١١٢، وفي سوريا يعبر المتظاهرون خطوط وقف إطلاق النار في الجولان ؛ تصدّهم القوات الإسرائيلية ، وتقتل ٤ وتجرح ٢٠٠محتج ، فيما تمنع القوات الأردنية المتظاهرين من الوصول إلى الحدود ، ويسير أكثر من ١,٠٠٠ فلسطيني في غزة نحو حاجز إيرز شمال القطاع ؛ تجرح القوات الإسرائيلية على الأقل ١٢٥ متظاهراً ، وفي الضفة الغربية يشتبك فلسطينيون مع الشرطة الإسرائيلية عند معبر قلنديا في رام الله عاصمة سلطة أوسلو .

عقب مظاهرات يوم النكبة عام ٢٠١١ في الخامس عشر من مايو ، التي تلتها أحداث عنف أسفرت عن مقتل ١٥ فلسطينيًا في اشتباكات على الحدود بالإضافة إلى مقتل إسرائيلي في تل أبيب، نظَّم النشطاء مظاهرات أخرى لإحياء يوم النكسة في الخامس من يونيو ٢٠١١.

وبينما منعت لبنان النشطاء من الاقتراب من الحدود ، هاجم المتظاهرون الفلسطينيون مرة أخرى الحدود السورية مع إسرائيل بالقرب من القنيطرة ومجدل شمس ، وفي الساعات الأولى من صباح هذا اليوم ، نقل الفلسطينيون المشاركون في الذكرى من ضواحي دمشق بحافلات إلى المنطقة واحتشدوا على الحدود بدون تدخل من القوات السورية ، وعلى الرغم من تحذيرات قوات الدفاع الإسرائيلية بعدم عبور الحدود إلى إسرائيل، ولقد تجاهل النشطاء هذه الدعوات وعبروا السياج الحدودي السوري ، وذكرت قوات الدفاع الإسرائيلية أنها أطلقت النار على الأجزاء السفلى من أجساد النشطاء عندما لم يتوقفوا ، وبينما أفادت قوات الدفاع

الإسرائيلية بوقوع ١٢ حالة إصابة معلومة، وذكر التلفزيون السوري أن ٢٣ ناشطًا قُتلوا وأُصيب ٣٥٠ .

وتم التخلي في لبنان عن خطط لاحتجاجات مشابهة في يوم النكسة (الذكرى السنوية لهزيمة العرب في حرب عام ١٩٦٧)، إلا أنها تتم في سوريا بالتنسيق مع السلطات السورية ، في ٥ حزيران، يقتل الجيش الإسرائيلي ٢٢ متظاهراً ويجرح ٣٥٠ عبر خطوط وقف النار في الجولان وصرَّح مسؤول إسرائيلي أنه كان من الواضح أن الحكومة السورية «أعطت الضوء الأخضر للمتظاهرين للتحرك في اتجاه الحدود ، وقارن ذلك بالوضع يوم الأحد في لبنان حيث كانت الحدود هادئة ، وذكر أن الاشتباكات كانت بمثابة الوسيلة التي اتبعتها الحكومة السورية لتحويل الأنظار عن مشاكلها الداخلية ، وتحديدًا الانتفاضة السورية في عام ٢٠١١ .

وفي استجابة للمشهد ذكرت وزارة الخارجية الأمريكية أنها «منزعجة» يا الله ! انزعجت حكومة أوباما من وقوع خسائر في الأرواح ، ولكنها أكدت على حق إسرائيل في الدفاع عن حدودها السيادية ، ومن الجدير بالذكر أن إسرائيل لم تقم بتحديد حدودها السيادية بشكل قانوني منذ ظهرت كدولة صهيونية معترف بها من هيئة الأمم .. ما زالت حدود إسرائيل غامضة على خرائط الأمم المتحدة !

***

تلقى غريب هاتفا أثناء عمله الليلي الصيدلي فقال بشير : تلفون لك يا غريب .. لماذا لا يتصلون بك على الموبايل ؟

ـ لعلها من الخارج .

قال بشير وهو يبتعد عن الجهاز : اعتقد أنها من هود صوت أبو سلمى

تنهد غريب واخذ السماعة وقال : أهلا من يتكلم ؟

ـ مرحبا ! غريب ظنتك وحدك .. بسرعة صديقي هل ستعود لغزة ؟

ـ نعم ، هل من هدية ؟

ـ كالعام الماضي إلى اللقاء

وضع السماعة فقال بشير : ماذا يريد ؟

ـ له أخت متزوجة في غزة ، ويرغب أن يرسل لها هدية كالعام الماضي ، كل ذلك لما علم انني غزاوي ادرس هنا .

ـ ماذا يعمل هذا الرجل ؟ وكيف تعرفت عليه ؟ تذكرت هل قابلت الفتيات اللواتي زرن الصيدلية أثناء وجودك في غزة العام الماضي ؟

ـ أبو سلمى صياد بحري في شواطئ هود ، عرفني عليه أخي من غزة عندما زارني قبل سنة احضر له هدية من شقيقته الغزاوية ، وطلب مني خدمته وانا افعل .. فكلما يقترب الصيف يرغب بتزويدي لها بهدية أو بعض المال .. وأما فتيات الموسم الماضي فقد التقيت بهن بعد العودة في الجامعة يرغبن بمساعدة مالية من خالي الهيثم قريبنا .. فهو مشهور بالإحسان والدعم للجمعيات الخيرية ، فكن يجمعن تبرعات لجمعية جامعية خاصة بالطلبة .. دلهم احد عليّ وإنني قريب المهندس الهيثم روح الفضل فأبو عمارة مشهور ؛ كما تعلم بمثل هذا الخير

ـ هذا فهمته منك العام الماضي عن أبي سلمى ، هو ليس قريبا لك

ـ لا ، لا يا صديقي ..وها هو سيتكرر هذا العام ويريد معرفة وقت السفر .

قال بشير : هل حجزت للسفر ؟

ـ سوف احجز بعد ظهور نتائج الاختبارات

ـ سأنصرف الآن الساعة ١٢ ليلا ..هل ستبقى للشروق أم ستغلق الصيدلية ؟

ـ حسب الجو سلم على الأهل

كان النظام الإداري للبلد يسمح للصيدليات بالعمل طول اليوم ليلا ونهارا ، فبعد انصراف بشير ، وقد خف البيع بحكم الليل ، بينما هو يراجع في كتاب صيدلة دخلت فتاة تسأل عن نوع معين من الدواء معتقدا حاجتها له في مثل هذا الوقت من الليل فقال : هذا النوع غير موجود الآن .. لدينا بديل عنه

وتناول علبة دواء ووضعها على الكاونتر طاولة البيع ، أمسكت بها الفتاة وقالت : نفس المادة

ـ نفس المكون ولكنها لشركة أجنبية تركية

ـ والثمن !

ـ الأجنبي يزيد قليلا عن المحلي

ـ أنت تعمل في الصيدلية فقط

ـ صح يا آنسة

ـ لأنني قريبة لمالك الصيدلية الدكتور حلمي

ـ قبل قليل كان ابنه بشير معي

ـ اسمي بلاسم

ـ اسمي غريب .. وانا غريب عن البلد أنا من غزة وأتعلم صيدلة

هتفت بحماس : غزواي أنت !

***

أكتوبر ٢٠١١ في ١١ منه تعلن إسرائيل التوصل إلى صفقة لتبادل الأسرى مع حماس التي ستطلق بموجبها سراح الجندي الإسرائيلي المختطَف جلعاد شاليط ، المخطوف قبل خمس سنوات ٢٠٠٦ مقابل تحرير ١,٠٢٧ أسيراً فلسطينياً تقريباً على مرحلتين: في غضون أسبوع إطلاق سراح ٤٥٠ فلسطينياً تقريباً وترحيل شاليط إلى مصر ؛ وفي غضون شهرين ، الإفراج عنها يقارب ٥٥٠ أسيراً متبقيّاً. سوف يكون من بين هؤلاء المحرَّرين ٣١٥ من المحكومين بالسجن المؤبد ، و٢٧ مرأة ، وعدد من الفلسطينيين حاملي الجنسية الإسرائيلية ، وسوف يتم إبعاد ٢٠٠ أسيراً تقريباً من الضفة الغربية إلى الخارج أو إلى غزة . (بعضهم سوف يسمح له بالعودة إلى الضفة الغربية بعد ثلاث سنوات.)

توجت هذه المفاوضات المعقدة وغير المباشرة مع إسرائيل بمبادلة جنديها شاليط بـ١٠٤٧ أسيرا وأسيرة فلسطينية بعضهم من ذوي الأحكام العالية ، وهي الصفقة التي اكتمل تنفيذها بين أكتوبر/ وديسمبر ٢٠١١ وسمتها حماس "وفاء الأحرار".

وقد جعل نجاح القائد احمد الجعبري في إتمام العملية العارفين به يصفونه بأنه "كان ناجحا في إدارة شؤون الأسرى نجاحه في قيادته العسكرية".

وصفت صحيفة نيويورك تايمز الجعبري بأنه كان "أكثر العناصر عملية داخل حركة حماس..، وهو رجل حماس القوي المسؤول عن اختطاف جلعاد شاليط وعن تطبيق اتفاقيات وقف إطلاق النار بين حماس وإسرائيل التي توسطت فيها المخابرات المصرية".

لم يكن ظهور أحمد الجعبري، القيادي البارز في كتائب القسام ، الذراع العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس بشكل علني خلال تسليم الجندي الصهيوني جلعاد شاليط للمخابرات المصرية يوم ١٨ أكتوبر ٢٠١١ ظهورًا عبثيًّا ، وهو يعرف أن الاحتلال لن يتركه لا سيما وهو يضعه على رأس المطلوبين لها.

إلا أن ظهوره هذا كان بمثابة رسالة موجهة للأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال أنه أوفى

بالوعد الذي قطعه على نفسه ، وهو ويودعهم قبل الإفراج عنه من تلك السجون عام ١٩٩٥م ليؤكد لهم أن هذا الوعد لم يكن وعدًا في الهواء ؛ بل كان وعدًا حقيقيًّا وصادقًا قطعه على نفسه، وسعى لتحقيقه ، لإدراكه أكثر من غيره المعاناة الحقيقية التي يعيشها الأسرى في سجون الاحتلال ، وأنهم على رأس أولوياته وسياسة اسر الجنود سياسة الفصائل منذ عهد بعيد لإطلاق الأسرى الفلسطينيين الكثر ، فإسرائيل تأسر على الشبهة وعلى المزاج والانتقام والحقد وظهر القائد القسامي احمد الجعبري فور وصول السيارة التي كانت تقل شاليط قادمًا من مخبئه على يسار السيارة ، وحينما ترجل شاليط من السيارة اتجه الجعبري الذي كان يرتدي قميصًا سماويًّا إلى يمين شاليط وضابط المخابرات المصرية على يساره يمسكه بيده.

وكان لهذا المشهد حينها أثر كبير على الأسرى داخل سجون الاحتلال ، الذين يعرفون الجعبري جيدًا بنظارته الثقيلة لضعف نظره والتي يبدو أنه خلعها بعدما أجرى عملية لعينيه في مصر، فهذا الرجل عاش مع الأسرى ثلاثة عشر عامًا كاملة ، وفارقهم قبل ستة عشر عامًا بعد الإفراج عنه بعدما أتم مدة محكوميته ، متعهدًا لهم أن لا يبقى أي أسيرٍ منهم في داخل هذه السجون.

أدرك الشهيد الجعبري ، بعد أن أمضى ثلاثة عشر عامًا قضاها في سجون الاحتلال من عام ١٩٨٢ إلى ١٩٩٥ أن تحقيق هذا الوعد ليس سهلاً ؛ ولكنه في الوقت ذاته ليس مستحيلاً فعمل على تحقيق ذلك من خلال أسر جنود الاحتلال ، وقد كان له ذلك بعد عشرة أعوام من الإفراج عنه ، وذلك حينما تمكنت "كتائب القسام" وفصيلان آخران من أسر الجندي الصهيوني جلعاد شاليط في عملية فدائية نفذت صيف ٢٠٠٦م داخل أحد المواقع العسكرية للاحتلال جنوب قطاع غزة.

أصدرت محكمة صهيونية حكمًا على الجعبري ثلاث عشرة سنة ، وهو الذي تأثر كثيرًا خلال اعتقاله بشخصية وفكر الشيخ صلاح شحادة القائد العام لكتائب القسام اغتيل في صيف ٢٠٠٢ رغم الاختلاف التنظيمي بينهما آنذاك .

حيث قاد الجعبري بعد ذلك في زنزانته وستة من كوادر حركة فتح تمردًا على قيادة الحركة ،

سعيًا منه للانتقال إلى الحركة الإسلامية ، وهو الأمر الذي كان محظورًا على الأسرى " التحويل من تنظيم لآخر "، لاسيما وأن تنظيم الحركة الإسلامية في السجون كان في بدايته ، وكان فتيًّا. فحماس ظهرت للعلن في غزة في بداية الانتفاضة الأولى ٨٧ كما سبق الحديث عنها وحماس قصة كبيرة استلمت الراية بعد ضعف المنظمة ، ولم تنضو تحت راية المنظمة ، رفضت حركة فتح بداية الأمر رفضًا قاطعًا انتقال الجعبري ورفاقه إلى الحركة الإسلامية الصاعدة من رحم المعاناة العدوانية الصهيونية ، بينما أصر الجعبري على مطلبه ، وقد رفع الأمر إلى قيادة الحركة في الخارج والتي وافقت في النهاية أمام إصرار الجعبري ورفاقه على الانتقال.

انتقال الجعبري إلى صفوف الحركة الإسلامية داخل السجون كان مرحلة جديدة في حياة هذا الرجل، حيث تشكلت شخصيته الإسلامية داخل السجن ، لاسيما بعد لقائه وعيشه مع معظم قادتها التاريخيين.

وحسب الذين عايشوا أبا محمد الجعبري في المعتقل، وتحدثوا لـ"قدس برس"، فإنه كان يتمتع بشخصية قوية وصاحب فكر وثقافة واسعة وشاملة للإسلام وللقضية الفلسطينية ، وكان يجيد اللغة العبرية بطلاقة ، وصاحب علاقات كبيرة ووثيقة مع كافة التنظيمات الفلسطينية المختلفة بما فيها حركة "فتح" التي انفصل عنها.

كرّس القائد احمد الجعبري وقته خلال اعتقاله في السجون المركزية في السنوات التسع الأولى من اعتقاله للاطلاع وخدمة المعتقلين ، وقاد معهم عددًا من الإضرابات ، والتي انتزعوا فيها الكثير من الإنجازات ، وكان في كثير من الأحيان يمثل الأسرى أمام إدارة السجن التي كانت تحترمه كثيرًا وتهابه كذلك لمواقفه القوية والحازمة.

كان لانتقال الجعبري عام ١٩٩١م إلى سجن النقب أهمية كبرى في حياته ، لاسيما وأنه يلتقي في هذا السجن بمئات المعتقلين يوميًّا ، والذين كانوا يتنقلون بين خيامهم بخلاف السجون المركزية ، وحصر معرفته بعدد من المعتقلين في الزنازين والغرف التي يعتقلون فيها ، حيث أصبح بعد ذلك ممثلاً للمعتقلين أمام إدارة السجن.. سجون إسرائيل كثيرة منها سجون سرية

تابعة لأجهزة سرية ، ومن أساليب تعذيب المساجين إجراء تنقلات دائمة ومتكررة بين تلك المهاجع بزعم أمن السجون مع أن هذا يفيد السجناء النشطاء في تكوين معارف وأشخاص من مناطق شتى من فلسطين والعرب القابعين في معتقلات الأسر والظلم .

وقال أحد الذين التقوا الجعبري في سجن النقب لوكالة "قدس برس" إن هذا الرجل عمل برفقة عددٍ من قادة الحركة الذين تواجدوا في هذا السجن ومن بينهم الدكتور إبراهيم المقادمة (اغتيل في ربيع ٢٠٠٣) على تجهيز عناصر حركة حماس للانضمام إلى الأجهزة المختلفة في الحركة بعد خروجهم من المعتقل ، لا سيما الجهاز العسكري الذي يحمل اسم كتائب عز الدين كتائب القسام وذلك من خلال دورات أمنية وعسكرية ودينية مكثفة تؤهل الشاب للانخراط في العمل التنظيمي فور خروجه من المعتقل.

وفي مطلع عام ١٩٩٤م ؛ قررت سلطات الاحتلال الإفراج عن معتقلين فلسطينيين كبادرة حسن نية تجاه منظمة التحرير الفلسطينية بعد توقيع اتفاقية أوسلو ، شريطة أن يوقع المعتقل على تعهد قبل الإفراج عنه بعدم "ممارسة الإرهاب والمقاومة" والالتزام بالاتفاقيات ، إلا أن الجعبري رفض التوقيع مقابل الإفراج عنه ، وقال آنذاك "أمضيت في السجن ١١ عامًا، وسأكمل العامين الباقين ولا يقال لي يوما إن اتفاقية أوسلو هي التي أخرجتك من المعتقل ، وإنك وقعت على تعهد بعد ممارسة المقاومة ، فلماذا نحن خلقنا واعتقلنا؟."

ودلل هذا الموقف على مدى تمسكه بالنهج الذي يعمل من خلاله للمقاومة ، ويقينه أنه سيخرج يومًا ، وذلك على الرغم من ضغط قادة حركة حماس عليه من أجل التوقيع والخروج ، لأن حياته عامين خارج السجن أفضل له من أن يبقى داخله ، حسب رؤيتهم، إلا أن هذه الضغوط لم تثنه عن موقفه ورفض التوقيع وبقي في السجن.

خرج الجعبري من المعتقل عام ١٩٩٥م ، وبعد عام تقريبًا من خروجه تعرضت حركته لضربة قوية من قبل السلطة الفلسطينية هذه المرة ، التي اعتقلت المئات من عناصرها وأغلقت مؤسساتها وجمعياتها، حيث عمل جاهدًا آنذاك على عودة الحياة للحركة من خلال تأسيسه لأول

مكتب إعلامي للحركة في الداخل ، والذي عرف آنذاك باسم "مكتب الميناء" كون موقعه كان بالقرب من ميناء غزة القديم ، وكذلك تأسيس جمعية النور لرعاية الأسرى ومتابعته لملف الأسرى بالكامل ومشاركته في كافة فعاليات أهالي الأسرى.

وبعد عمل دؤوب في خدمة الأسرى والمجال الإعلامي اعتقلت السلطة الفلسطينية الجعبري عام ١٩٩٨م بتهمة التنسيق ما بين القيادة السياسية والعسكرية لحركة حماس ، وذلك قبل اندلاع انتفاضة الأقصى في أواخر عام ٢٠٠٠ م، حيث تسلم ملف الأسرى في حركة حماس خلفه الشهيد رياض أبو زيد الذي اغتيل في ٢٠٠٣ .

***

القائد رياض أبو زيد

ولد القائد المجاهد رياض حسين عبد الله أبو زيد في مخيم البريج الصامد بتاريخ ١٩/ ٧/ ١٩٧٠م لأسرة محافظة ، وتربى الشهيد في ظل هذه الأسرة على السمع والطاعة والالتزام وحب العمل مما دفعه ذلك للالتزام بمسجد الصفاء منذ نعومة أظفاره ؛ فكان من أوائل الأشبال الملتزمين ، وكان منذ صغره متميزًا بالعطاء والالتزام والأخلاق العالية والحرص الدائم على تأدية العبادات والطاعات والصيام والقيام وحضور دروس العلم.

أتم رياض دراسته الثانوية بمدرسة خالد بن الوليد الثانوية للبنين ، ثم التحق بعد ذلك بمعهد تدريب غزة المهني (الوكالة) ، وأتم المراحل بنجاح وتخرج منها عام ١٩٨٩م ، ليلتحق بعدها بالجامعة الإسلامية بغزة قسم التاريخ ، والتحق الشاب بدعوة الإخوان المسلمين عام ١٩٨٨م وتزوج البطل في عام ١٩٩٩م عقب خروجه من سجن الاحتلال عام ١٩٩٨م ورزقه الله بمولودين (مصعب) سنتان ونصف و(لينة) سنة ونصف.

كان وضيء الوجه دائم الابتسام لا تكاد البسمة تفارق شفتيه ، كان خلوقًا أحبه كل من عرفه وكان أشد حبه لأهله ، لقد كان له فضل السبق مع إخوانه في حركة حماس في إشعال لهيب الانتفاضة عام ١٩٨٧م حيث كان من الأوائل الذين قارعوا الاحتلال من خلال المشاركة في

جميع فعاليات الانتفاضة ، وذلك بالعمل ضمن مجموعات حماس ، فلقد شارك وعمل في أغلب أجهزة الحركة ، فقد عمل ضمن جهاز الأحداث وجهاز الأمن وجهاز الإعلام وعمل أيضا في الإطار الدعوي وأخيرًا عمل ضمن الجهاز العسكري للحركة كتائب الشهيد عز الدين القسام.

وكان يضرب به المثل دائمًا في الإقدام والجرأة والإصرار على مقارعة الاحتلال ، فقد أصيب في الانتفاضة الأولى ثلاث مرات الأولى عام ١٩٨٨م في منطقة الرأس ، والثانية والثالثة عام ١٩٨٩م في ساقيه ما أدى إلى قطع شريان الفخذ وبقي يشكو من الإصابة لمدة ثلاثة شهور ، ولكن أنى لهذا أن يثنيه عن مواصلة طريق العزة والكرامة ، فاعتقل لأول مرة عام ١٩٨٩م إداريًا لمدة أربعة شهور ، وكانت الأولى في حياة المغوار إلا أنها أظهرت المعدن النفيس لرياض أبو زيد صاحب الانتماء الحديدي والتضحية الواثقة ، فلم تكن الأيام القاسية والليالي الحالكة لتفت من عضده ؛ بل زادته قوة وبأسًا وطمأنينة وعزمًا ومضاءً على مواصلة طريق الحق والقوة والحرية، وإصرارا كبيرًا على مقاومة الاحتلال.

فأخذ (أبو مصعب) يواصل واجبه الجهادي والإسلامي نحو وطنه بعزيمة أقوى وإرادة فولاذية ،ليعتقل مرة أخرى عام ١٩٩٠م بتهمة المشاركة بقتل الجندي الإسرائيلي (أمنون) ليحكم عليه بالسجن ثماني سنوات ونصف قضاها جميعها متنقلا بين سجون الاحتلال المتعددة.

كان دائم الحركة في خدمة إخوانه داخل السجن وكان متفوقًا بمروءته ورجولته وإيمانه وتوكله على الله ﷻ ، وكان نموذجًا في السمع والطاعة مع إخوانه جميعًا ، وكان لذلك محبوبًا من الجميع ولقد كان يدير العديد من الجلسات في السجن تخرج منها الكثير من الأخوة والشهداء الأبطال وقادة القسام ، وكان منهم الشهيد البطل(صلاح جاد الله) والمطارد القسامي المجاهد (وائل نصار) و كانت جلساته في القرآن وتفسيره والسيرة النبوية ، وكذلك دراسات أمنية ، وعمل في لجان الأمن سواء في النقب أو السجون المركزية ، وكان يشارك إخوانه في لجان الطعام وجميع الأنشطة الأخرى.

خرج من السجن عام ١٩٩٨م فوجد أن الوضع قد تغير، فقد وافقت السلطة على اتفاقية أوسلو

الهزيلة وقامت بوقف الانتفاضة ، و أهملت شأن المعتقلين والأسرى في سجون الاحتلال ، بل لقد أضافت مأساة جديدة للشعب الفلسطيني بفتحها السجون والمعتقلات للأخوة المجاهدين واعتقالهم فترات طويلة.

خرج في هذا الوضع بعد أن أمضى فترة محكوميته كاملة ، وبالرغم من طول هذه الفترة إلا انه خرج قوي العزيمة ، بل كان أكثر إصرارا على مواصلة طريق الجهاد والمقاومة ، ولعلمه بعظيم معاناة المعتقلين والأسرى سواء في سجون الاحتلال أو سجون السلطة ، لذا حرص على أن يكون المفتاح الأول للتخفيف عن إخوانه الأسرى والمعتقلين وتلبية رغباتهم وحاجاتهم ؛ لأنه يعلم مدى تأثير ذلك على نفوس إخوانه وتحقيقًا لذلك فقد انضم سريعًا للعمل ضمن جمعية النور الخيرية والتي تعنى بشؤون الأسرى والمعتقلين ، والكل يشهد له بأنه كان الرجل المناسب في المكان المناسب ، فهو قد تفهم حاجات إخوانه المعتقلين ورغباتهم ، فبدأ بمتابعة ملفاتهم في المحاكم وتوفير جميع حاجياتهم والعمل على حل كل إشكالية قد تواجههم حتى على صعيد بيوتهم وأسرهم ، ولم يمضِ على خروجه من السجن شهرين حتى شعر إخوانه المعتقلين بعظيم أثره عليهم ودوره المشهود في مساعدتهم مع علمهم وحفظهم لدور إخوانه السابقين له.

وعلى الرغم من هذا الدور الإنساني العظيم إلا انه لم يسلم من ملاحقات الأجهزة الأمنية الفلسطينية ومحاولاتهم الدائمة للتضييق عليه وطلبه للاستجواب مرات عديدة ،إلا أن ذلك لم يثنِهِ عن دوره الريادي هذا.

وفي بداية عام ٢٠٠٠م قامت الأجهزة الأمنية الفلسطينية باعتقاله على خلفية تقديمه المساعدة للأخوة في خلية الطيبة ، بعد أن ضاقت بهم السبل، ولم يجدوا لهم ملجأً بعد الله سبحانه وتعالى إلا (أبا مصعب) الذي لم يتوان في تقديم المساعدة لهم على الرغم من علمه بما سيلاقيه من معاناة وكرب، حيث اعتقل من قبل سلطة أوسلو ، بسبب هذه العلاقة الجهادية ، وبقي محجوزًا حتى مجيء انتفاضة الأقصى المباركة ، بقي البطل في سجون السلطة حتى من الله على شعبنا بانتفاضة الأقصى المباركة ٢٨/٩/٢٠٠٠م حيث أفرج عنه بعد أسابيع من اندلاع الانتفاضة

١٠/ ٢٠٠٠م ، وما أن خرج حتى عاد مباشرة لمزاولة عمله الخيري ضمن (جمعية النور) لرعاية أسر الشهداء والجرحى والمعتقلين ، و أصحاب البيوت المهدمة ، ولقد قام (أبو مصعب) وحده بدور (طاقم عمل) في متابعة هذه الأمور وأنجز إنجازات عظيمة ووجد به الأهالي ضالتهم التي تخفف عنهم وتساعدهم في تجاوز محنتهم ، وخاصة أن الله حباه قدرة عجيبة على التحرك والمتابعة قلما توجد في إنسان غيره.

وعلى صعيد العمل الجماهيري فقد كان عضوًا عن منطقته في لجنة المتابعة للقوى الوطنية والإسلامية ، فمنذ اللحظة التي أفرج عنه بدأت اتصالاته بالشيخ صلاح شحادة الذي سبقه بالإفراج قبل خمسة أشهر ، ولقد كانت تربط شهيدنا علاقة وطيدة بالشيخ منذ فترة الاعتقال في سجون الاحتلال ، وما أن التقاه حتى ارتبط به برابطة قوية وأخذ يقدم الخدمات الجليلة للشيخ أبي مصطفى.

وعندما طورد الشيخ صلاح واختفى عن أعين الناس بسب الاعترافات عليه ومحاولات الاستهداف التي بدأت تلاحقه من العدو الصهيوني ، كان الشهيد (أبو مصعب) من أكثر الناس ترددًا على أبو مصطفى وكان يوفر له المأوى والبيوت المستأجرة وحتى الطعام والشراب وكافة الاحتياجات وتطورت العلاقة أكثر حتى أصبح الرجل يمثل حركة الوصل بين الشيخ ومناطق بالضفة الغربية ، ومن هنا حصلت عليه عدة اعترافات وخاصة في الضفة الغربية ومن هنا بدأت الأجهزة الأمنية الصهيونية بملاحقته ومتابعته عبر عملائها الخونة ، ومن كثرة ما رأى منه الشيخ (أبو مصطفى) البذل والجهد أسماه (الجوال) لكثرة تجواله هنا وهناك.

كما كان على علاقة وطيدة بالقائد القسامي محمود مطلق عيسى (أبو مصعب) حيث كانا نادراً ما يفترقان ، وكانت تجمعهما علاقات جهادية خاصة ، فلقد كان بيت رياض بمثابة المأوى الآمن لأخيه القائد محمود عيسى أثناء فترة عمله بعد أن انكشف للإسرائيليين واعتقال السلطة له.

كما كان له علاقات مميزة مع شيخ الانتفاضة أحمد ياسين ، الذي كان يعتمد عليه بشكل كبير

في كثير من الأمور الميدانية للدعوة وعلى صعيد المؤسسات الخيرية للحركة ، وكان الشيخ الفاضل يجد فيه ضالته من حيث تصريف الأمور على وجه السرعة ، وكما هو مطلوب تماماً ، والكل يشهد للشهيد بهذا النشاط والجهد المتواصل الذي نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله في ميزان حسناته، ومن الجدير ذكره أن (أبا مصعب) كان له دور في إطار بعض اللجان الأمنية للحركة وكان له دور في دراسة بعض الملفات الأمنية وتنقيحها.

في يوم الاثنين ١٧ / ٢ / ٢٠٠٣ م كان شهيدنا يستقل سيارته من مكان سكنه في مخيم البريج إلى مدينة غزة ليشارك في تشييع جنازة الشهداء الستة من كتائب القسام الذين استشهدوا في انفجار الطائرة الملغومة ، وفي حوالي الساعة العاشرة والنصف كان يمر على طريق البحر غرب مستوطنة نتساريم وعند اقترابه من محطة الجعل للبترول (سابقاً) قامت سيارة مرسيدس متوقفة على جانب الطريق بصدمه بجانب سيارته الأيسر ووقفت سيارة أخرى خلفه أيضاً من نوع مرسيدس لينزل منهما الوحدات الإسرائيلية الخاصة وشرعوا بإطلاق النار على السيارة التي يستقلها ، وقام أحدهم بالاقتراب من السيارة ففاجأه شهيدنا بإطلاق زخات من الرصاص عليه وعلى أفراد المجموعة ليصيب ثلاثة منهم بجراح وصفت جراح أحدهم بالخطيرة ويصاب هو بجراح بالغة الخطورة وينقل بطائرة مروحية إلى مستشفى (سوروكا) في مدينة بئر السبع المحتلة لإجراء عملية جراحية عاجلة ليرتفع شهيداً أثناءها، وتأبى قوات الغدر الصهيوني إلا أن تترجم حقدها الدفين على أرض الواقع فتحتجز جثمان الشهيد الطاهر خمسة أيام ثم تقوم بتسليمه بعد ذلك ، ويشاء الله أن يرد كيد الكافرين إلى نحورهم خاسرين ، فيخرج ما لا يقل عن٤٠ ألف مشيع من سكان المنطقة الوسطى في موكب مهيب لزف أبي مصعب للحور العين في عرس هو الأول من نوعه في المنطقة الوسطى.

ارتقى وهو يرسم صورة مشرقة للمجاهد المسلم العظيم الذي يأبى أن يستسلم ولو للحظة، ارتقى وهو يشهر سلاحه في وجه الظلم والقهر جند الغطرسة والعدوان في أكثر لحظات حياتهم ذلة ومهانة ذاقوها على أيدي أبناء القسام.

نعود للقائد أبي محمد استلم الجعبري ملف الأسرى ، حيث كان نشيطًا في هذا مجال بشكل كبير، ثم جعل يتفرغ للعمل في المجال العسكري لاسيما بعد الإفراج عن الشيخ صلاح شحادة من سجون الاحتلال عام ٢٠٠٠م، والذي كانت تربطه به علاقة قوية داخل السجن، ولاحقًا أصبحت علاقة نسب ومصاهرة.

وكان للجعبري دور كبير في قيادة العمل العسكري في انتفاضة الأقصى وتدرج في قيادة" كتائب القسام"ولعب دورًا لوجستيًّا كبيرًا، لاسيما بعد استشهاد قائدها العام صلاح شحادة، وإصابة أحد أبرز قادتها محمد ضيف الذي نجا من عدة عمليات اغتيال ، أدت إحداها إلى إصابته بجراح خطيرة بحسب مقربين منه والذين أخفوا نوع إصابته ، حيث عمل الجعبري على زيادة تدريب وتسليح كتائب القسام بشكل كبير، وحوّلها من مجموعات مسلحة إلى جيش شبه نظامي يتكون من ألوية وسرايا.

وبرز الجعبري بشكل كبير بعد نجاته من عملية اغتيال في السابع من آب أغسطس من عام ٢٠٠٤م ؛ حينما قصفت طائرة صهيونية منزل عائلته في حي الشجاعية شرق مدينة غزة فقتلت نجله محمد ٢٣ عامًا ، وشقيقه فتحي ٣٨ عامًا وصهره وعددًا من أقاربه ومرافقه علاء الشريف ٢٧ عامًا ، إلا أنه أصيب بجراح طفيفة.

وبعد هذه العملية اختفى الجعبري عن الأنظار تمامًا لمدة عام تقريبًا ، حيث ظهر بعد ذلك في إحدى الاعتصامات لأهالي الأسرى في مقر الصليب الأحمر بغزة ، لكن بعيدًا عن وسائل الإعلام ، ظل الجعبري بعيدًا عن وسائل الإعلام، حيث ظهر في برنامج وثائقي واحد وتحدث عن نفسه وعن الجهاز العسكري لحركة حماس ، إلا أنه بعد ذلك لم يصدر عنه أي تصريح وتوارى عن الأنظار بالكامل.

كثر الحديث عن الجعبري بعد أسر الجندي جلعاد شاليط في ٢٥ يونيو ٢٠٠٦ وبدأت المصادر الصهيونية تحمله المسؤولية عن ذلك دون أن يظهر هو في أي مكان أو يصدر عنه أي

تصريح.
وتحدثت الدولة العبرية عن أنها أخفقت خلال الحرب على غزة قبل عامين من تصفية الجعبري في حرب الفرقان ، وذلك على الرغم من رصده في أكثر من مكان حسب ادعائها، وأنها على يقين أنه الرجل الوحيد الذي كان يتحكم بمصير شاليط.
وأضاف مقربون من الجعبري إنه هو من كان يقود المفاوضات غير المباشرة حول شاليط بالإضافة إلى ثلاثة قادة آخرين ، وأنه كان حاسمًا في ذلك الأمر ، ولا تؤثر عليه أي ضغوط خارجية ، وكان يدرك طبيعة القائمة التي وضعها للأسرى والتي من المقرر أن يفرج عنهم بموجبها وتنوعها ، بحيث تشمل الأسرى القدامى وكذلك قادة الفصائل والنساء والأطفال والمرضى ، ولكل اسم في هذه القائمة معنى عند هذا الرجل.
وحسب مراقبين حماس تمكنت خلال مفاوضاتها غير المباشرة أن تفرض شروطها على الجانب الصهيوني وتم كسر الكثير من المعايير ، وأن المفاوض الفلسطيني يتمتع بخبرة وصبر كبير ويعرف ماذا يريد وليس بالسهل الضغط عليه، لاسيما بعدما فشل الاحتلال باستعادة شاليط بالقوة والحرب والغدر .
وتدرك الدولة العبرية صعوبة المفاوضات ؛ وذلك لعلمها الجيد بكبير المفاوضين الفلسطينيين في هذه الصفقة القائد الجعبري كونه أمضى عمرا طويلا في سجونها ١٣ عامًا ، وكان عنيدًا جدًّا في انتزاع حقوق الأسرى خلال المفاوضات مع إدارة السجون ؛ حيث كان صعبًا جدًّا في التفاوض على ملعقة يطلب دخولها للأسير وهو معتقل ، ويرفض التنازل عنها فما بالك حينما يتفاوض على حرية أسرى أمضوا سنوات في سجون الاحتلال وبيده جنديٌّ صهيوني وهو خارج المعتقل وتحت إمرته الآلاف من المقاتلين المدربين والمجهزين جيدًا ، بحسب المقربين منه.
وأضاف أحد المقربين من القيادي في "القسام" إنه منذ أسر شاليط، والجعبري لديه رؤية حول التعاطي معه والثمن الذي يجب على أن تدفعه سلطات الاحتلال فكانت القائمة التي قدمتها حركة "حماس" ويتمسك بكل اسم فيها لإدراكه أنه إذا لم يفرج عنهم فيها ؛ فإنه قد لا يفرج

عنهم إلا جثثًا هامدة ، وهو كذلك يصر على تنفيذ وعده لزملائه الأسرى الذي قطعه على نفسه قبل ثلاثة عشر عامًا حينما أفرج عنه من سجون الاحتلال.

ورفض الجعبري قبل عام تقريبًا الحديث عن ما يدور في المفاوضات ، مكتفيًا برسالة وجهها للأسرى قال فيها ":اطمئنوا.. قضيتكم في يدٍ أمينةٍ ومفاوض عنيدٍ وصلبٍ لا تؤثر عليه أي ضغوط مهما كانت."

***

مارسيل كارل

دخلت مارسيل دكتورة اللغة الإنجليزية في كلية الآداب مكتب زميل الكلية الدكتور سارية وبعد التحية والسلام قالت بابتسام : صباح الخير أيها الزميل المحترم .. أرسلني إليك الدكتور نهاد صديقك المحترم

أشار لها بالجلوس وهو يرحب بها : أهلا بك وبنهاد تفضلي بالجلوس .. قهوة

هزت رأسها وقالت : قهوة من فضلك !

دخل خادم القسم لما سمع جرس النداء ، فكلفه بفنجاني قهوة ، وبعد مجاملات تقليدية قال : ما الأمر يا دكتورة مارسيل ؟

ـ ذكر لي صديقنا نهاد أن قريبا لك كبير أطباء في مستشفى البركة .

فكر صافنا وقال : كبير أطباء !.. كبير أطباء من هو ؟

ـ طبيب اسمه راضي احمد

تنهد بعمق باسما : هو صديق فاضل ليس بقريب ، وكانت أخته زوجة لابن خالي قبل سنوات هل ترغبين بمساعدة طبية لأحد ؟

ـ أحسنت ! .. نرغب بمساعدة من مستشفى حكومي .

ـ سلامتك يا دكتورة.. اذهبي إليه وقولي له الدكتور سارية بعثني إليك وسيخدمك بما يستطيع أأنت تحتاجين لمستشفى ؟ ما بك ؟

ـ أنا عملت فحوصات خاصة بالأورام ، وقيل إن مستشفى البركة يقدم هذه الخدمة لشعب الشفا .. أي فيه قسم لفحص الأورام

ـ اسمع، سلامتك يا دكتورة مارسيل

وضعت الفنجان فارغا ونهضت شاكرة ، وبعد مغادرتها نهض الدكتور لإلقاء محاضرة مبرمجة

***

ذكر كلام في صفحات ماضية عن انتشار ثورات الربيع العربي ومنها سوريا البعثية في ١٧

كانون الثاني ٢٠١٢ ونتيجة للثورة الشعبية أعلن مسؤولو حركة حماس الفلسطينية أن قيادة الحركة قد اتخذت قراراً بإجلاء عائلاتها من سوريا بسبب التوتر المتزايد مع نظام بشار الأسد ، وتدهور الوضع الأمني بسبب الثورة السورية التي نشبت بسوريا لتغيير النظام الحاكم ، وبحلول ٤ شباط فبراير تؤكد حماس أن جميع مسؤوليها قد غادروا سوريا ، وأنها أغلقت مقراتها في دمشق مؤقتاً، ولكن إلى أجل غير مسمّى، وأما حركة الجهاد الإسلامي فتعلن في ١٢ آذار ، دعمها لنظام الأسد كونه يواجه تهديدات خارجية .. وذلك لأن هذه الحركة لها خيوط مع نظام ايران الإسلامي وتتلقى تمويلا منه منذ نشأتها

***

قام غريب بزيارة خاطفة لميناء صيد هود ؛حيث التقى حمدي أبو سلمى الصياد ، وبعد شرب الشاي في مقهى الصيادين ساقه للفندق القريب لمنطقة الصيادين وتناولا العشاء وحجز له غرفة في الفندق ، وسمع حمدي سبب الزيارة فقال غريب لما اطمأن أن لا احد قريب منهم : يرغبون بشحنة أسلحة وذخيرة .

واخرج رسالة على ورقة خاصة ولما نظر إليها قال : يبدو انك تورطت معنا

ـ معكم ! أنا اخدم القضية بحياتي

ـ كان الشيخ محمود يدبر الأمور ؛ ولكنه مات رحمه الله .. سأهتم بالأمر

ـ وصلت الرسالة .. نحن حياتنا في غزة الحرب والهدنة تعودنا على الظلم والعدوان قبل أن نرى نور الحياة

ـ لما تدرس وتتخرج ستعود للوطن الصغير

ـ النية كذلك أيها السيد .. وقد اعمل هنا بضع سنين قبل العودة لإتقان العمل الصيدلي

ـ اذا احتجت لخدمة فلا تبخل بطلبها من عمك حمدي ، وأنا لا ارغب بضيافتك في بيتي لأسباب أمنية ؛ كما يقال حتى اذا تعرضت لضرر ، فأنت لا تعرف أين اسكن عنواني المقهى ؟ وكذلك أنا لا أزورك في بيتك لدوافع أمنية ، فبلاد المسلمين مليئة بالعيون والبصاصين

ـ ادركت ذلك من أول زيارة لك فلم تدعوني ذاك اللقاء للنوم عندك ولو مجاملة ففهمت الرسالة يا سيدي! وأنا ابن غزة التي يكثر فيها عملاء الاحتلال والدول العربية

ـ الحذر مطلوب ؛ وليس اتهاما لك ما داموا قد أرسلوك إليّ فأنت ثقة ، وحتى أنا لم احب أن اعرف مكان سكنك إلا انك تعيش في الشفا .

ـ موفق إن شاء الله

ـ اذهب لغرفتك الآن

***

استطاع الجيش المصري إقامة انتخابات رئاسية بعد تنحي مبارك رئيس الجمهورية المصرية في فبراير ٢٠١١ وتقدم فيها مرشح الحركة الإسلامية في مصر على مرشح العساكر المصرية ففي ٣٠ حزيران ٢٠١٢ يؤدي محمد مرسي اليمين الدستورية كأول رئيس مدني منتخب رئيساً لجمهورية مصر اكثر الدول العربية سكانا وفقرا ، وأول دولة عربية صنعت سلاما مع إسرائيل عام ١٩٧٩ ، فقد أعلنت لجنة الانتخابات المصرية في ٢٤ حزيران ، عقب جولتي انتخابات (٢٣- ٢٤ أيار إلى ١٦ حزيران) ، أن الفائز هو مرشّح الإخوان المسلمين الدكتور محمد مرسي العياط .

ومن الأحداث المهمة والخطيرة في هذا العام ٢٣تشرين الأول ٢٠١٢ قام أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني بزيارة تاريخية إلى غزة يرافقه وفد كبير ، وافتتح الأمير مشاريع إعادة الإعمار التي تموّلها قطر بمبلغ ٤٠٠ مليون دولار ، ويدعو الشيخ القطري "فتح " و"حماس " إلى المصالحة ، وتشكّل زيارة الأمير اعترافاً دبلوماسياً ضمنياً بحكم حماس في قطاع غزة والحدث الأهم والأخطر هذا العام هو اغتيال القائد أحمد الجعبري في مدينة غزة في ١٤تشرين الثاني ٢٠١٢.

وأضافت الصحيفة أن الجعبري "لم يكن مستعدا للتخلي عن استراتيجية 'المقاومة' ضد إسرائيل، لكنه كان يقر بالحاجة لنهج جديد وكان مستعدا للموافقة على وقف طويل المدى

لإطلاق النار".

في مساء يوم ١٤ نوفمبر٢٠١٢ اغتال الاحتلال الإسرائيلي أحمد الجعبري بغارة جوية استهدفت سيارته بالقرب من مجمع الخدمة العامة بمدينة غزة ، وذلك بعد أسبوع فقط من عودته من مكة المكرمة حيث أدى مناسك فريضة الحج. وكان اغتياله مقدمة لعدوان عسكري إسرائيلي كبير على القطاع دام حوالي عشرة أيام.

وتعود أصول عائلة الجعبري ، الذي استشهد بغارة صهيونية الأربعاء عن ٥١ عاما إلى مدينة الخليل جنوب الضفة الغربية المحتلة، التي انتقلت إلى قطاع غزة مطلع القرن الماضي، حيث ترعرع نجلها أحمد في حي الشجاعية شرق مدينة غزة ، واعتقل حينما كان يبلغ من العمر ١٨ عامًا بتهمة المشاركة في خلية مسلحة تابعة لحركة فتح ومقاومة الاحتلال.

ارتقى أحمد الجعبري أبو محمد شهيدا، في غارة نفذتها طائرة صهيونية بعد سنوات طويلة من مطاردته للاحتلال ومطاردة الاحتلال له ، صاغ ملحمة"الوهم المتبدد"، وبهر العالم حينما تمكن من الاحتفاظ بشاليط أكثر من ٤ سنوات، لم تتمكن أجهزة الأمن الإقليمية ولا العالمية من معرفة مكانه.

***

وفي نفس الحين يبدأ الهجوم الإسرائيلي على غزة باغتيال أحمد الجعبري ، نائب القائد العام لكتائب عز الدين القسام ، ومحمد الهمص أحد أعضاء الكتائب، في غارة على السيارة التي تقلّهما في شارع عمر المختار بمدينة غزة ، وتفيد صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية بأن الجعبري كان يتفاوض على هدنة دائمة مع إسرائيل قبل ساعات من اغتياله.

تشن إسرائيل هجوماً جوياً "صدمة وترويع" على قطاع غزة وتقتل في اليوم الأول القائد العسكري لحركة حماس أحمد الجعبري وقياديين بارزين آخرين ، ويأتي هذا الهجوم المفاجئ بعد يومين من توصل الوساطة المصرية إلى وقف إطلاق نار كان قد أنهى موجة من العنف استمرت أربعة أسابيع بين إسرائيل وحركتي حماس والجهاد الإسلامي ، وعلى مدار ٨ أيام

من الصراع ، تطلق الحركتين نحو ١٥٠٠ صاروخ على إسرائيل، وتصيب تل أبيب للمرة الأولى، فيما تقصف إسرائيل أكثر من ١٥٠٠ هدف في قطاع غزة ، وتستخدم نظاماً جديداً مضاداً للصواريخ يجري تشغيله للمرة الأولى "القبّة الحديدية" والذي ينجح في اعتراض نحو ٢٠ في المئة من القذائف الآتية من غزة ، يؤدي نشاط دبلوماسي مكثف تقوده الولايات المتحدة ومصر في عهد الرئيس محمد مرسي المنتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين ، والذي تم انتخابه قبل ٥ أشهر ، إلى وقف لإطلاق النار تعلنه وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون سوية مع وزير الخارجية المصري محمد كامل عمرو في القاهرة في ٢١ نوفمبر.

***

على الرغم من زوال المبحوح استمرت شُحنات الأسلحة في التدفق إلى غزة من إيران عبر السودان ، فيما حافظ الموساد على المُراقبة وواصل سلاح الجو الإسرائيلي هجماته على القوافل، وجاء أكبر نجاح بعد أن اكتشف الموساد أن ثلاثمائة طن من الأسلحة والمُتفجرات المُتطورة والتي كانت مُخبأة في شكل سلع مدنية ومُخزنة في مجمع عسكري جنوب الخرطوم تنتظر شحنها إلى غزة ، تضمن مخبأ الأسلحة صواريخ قصيرة ومُتوسطة المدى وصواريخ مُتقدمة مُضادة للطائرات وصواريخ مُضادة للدبابات، وقد حددتها إسرائيل على أنها شيء من شأنه الإخلال بالتوازن ، قال أحد ضُباط أمان الذين أطلعوا رئيس الوزراء نتنياهو على ذلك، إذا كان الوصول إلى غزة فإننا "نوصي بمهاجمة حماس حتى بدون استفزاز مسبق لمنعها من نشرها". لكن الأسلحة لم تذهب إلى أي مكان، ففي الساعة الرابعة صباحاً في ٢٤ أكتوبر ٢٠١٢ هاجم مُقاتلو سلاح الجو الإسرائيلي من طراز F ١٥ الموقع ودمروا الأسلحة وعانى سُكان الخرطوم بسبب قرار حُكومتهم السماح للبلاد بأن تكون جزءاً من خط تهريب الأسلحة الإرهابية

***

عين الجعبري قائدًا لكتائب القسام في غزة ، وكان من أهم المطلوبين لإسرائيل وتتهمه إسرائيل بالمسؤولية عن عدد كبير من العمليات ضدها، نجا من عدة محاولات اغتيال وقد قصف منزله

في الحرب الأخيرة على غزة ، ترك الجعبري بصمات واضحة في التغيير للجناح العسكري لحركة حماس ، حسب وصف تقرير إسرائيلي له، وقد ظل متمسكاً بملف الجندي شاليط منذ أسره في ٢٥ يونيو ٢٠٠٦ ، تتميز شخصية الجعبري بقدرات أهلته لقيادة الكتائب، وأشارت التقارير أن الجعبري نقل الكتائب نقلات نوعية ووضع لها نظامًا عسكرياً متيناً إضافةُ لإشرافه على العديد من العمليات ضد الكيان الصهيوني.

بطل "الوهم المتبدد" يرتقي شهيدًا

وحتى لحظة اغتياله ؛ ظل الجعبري -الذي قالت كتائب القسام في بيان نعيه إنه "رئيس أركان المقاومة في فلسطين وأبرز قادة كتائب الشهيد عز الدين القسام"- وفيا لمقولته التي تؤثر عنه: "ما دام الصهاينة يحتلون أرضنا الفلسطينية ؛ فليس لهم سوى الموت أو الرحيل عنها".

قالت صحيفة إسرائيلية عن ساعة الاغتيال ؟ ويضيف الضابط "قبل العملية بيومين كانت واقعة تتلو واقعة تحدث على حدود غزة ، ولم يعد الجيش الإسرائيلي قادرا على الاستمرار في ضبط النفس ، في يوم الخميس الثامن من تشرين الثاني ٢٠١٢ انفجر نفق مفخخ ضخم تحت محور هوبرز القريب من الأسلاك الشائكة الحدودية ، وكان النفق الذي اشتمل في داخله على مئات الكيلوغرامات من المواد المتفجرة مخصصا كما يبدو لتنفيذ عملية ضخمة أو لاختطاف جندي ، وبعد ذلك بيومين في نهاية الأسبوع، أُطلق صاروخ مضاد للدبابات على دورية استطلاع للجيش الإسرائيلي كانت تسير قرب الجدار شمالي القطاع وقتل فيها ضابط كبير وجُرح ٤ جنود."

ويشير "في نهاية المشاورات وبعد تلقي تقدير قسم البحث من "أمان" عن التأثيرات المحتملة للعملية أصدر رئيس الوزراء ووزير الدفاع موافقة مبدئية على اغتيال الجعبري ، أما قرار تنفيذ الاغتيال بالفعل، كما تقرر، فيتخذه رئيس هيئة الأركان فقط وهو يملك الصورة كاملة، أي: استعداد القوات واستعداد بطاريات "القبة الحديدية"، واستعداد الجبهة الداخلية ومعطيات حالة الجو وغير ذلك."

"غانتس" أصدر قرارا وقال: "سننتظر الجعبري يومين، إلى ظهر يوم الأربعاء، فاذا لم نجده حتى ذلك الحين فإن الأمر سيطول كثيرا ، وفي هذه الحال سنبدأ العملية باغتيال اثنين أو ثلاثة من كبار المسؤولين برتب ميدانية."

ونزلت التوجيهات إلى الرتب الميدانية فدخل "الشباك" والوحدة ٨٢٠٠ وفريق الطيران الاستخباري الذي يفترض أن يساعد على الاغتيال أقصى استعداد.

الضابط (ط) من الوحدة ٨٢٠٠ يقول هنا "صباح الغد، وفي وقت مبكر جدا، اجتمع "فريق الجعبري" من الوحدة ، وأبلغتهم أن القرار قد اتُخذ وهدفنا الآن هو الإتيان بالجعبري، والحديث عن بضع عشرات من الجنود أصبحوا مطلعين على السر ويعلمون أن الجعبري هو الهدف الآن، ومن الواضح لنا جميعا أنه يجب أن نأتي بالمعلومات المحددة وأين يوجد بالضبط."

ويضيف "طوال تلك الساعات كان عندنا عدد من الدلائل الجزئية ؛ لكن أكثرها لم ينضج ليصبح إصابة دامغة مؤكدة"، تم الأمر على مراحل إلى أن أدركوا أن تلك سيارته والى أن تحققوا من انه موجود هناك يقينا، وعرفنا كيف نصاحبه لكن ليست كل مصاحبة كهذه تنضج لتصبح إصابة دامغة."

ويتابع "كان الجو داخل فريق الاغتيال متوتر جدا، فالحديث آخر الأمر عن أولاد شباب في التاسعة عشرة والعشرين من أعمارهم يجلسون ويدركون عظم الحدث الذي يشاركون فيه، فليس هذا نشيط إرهاب آخر ؛ بل هو احمد الجعبري ، وهو الرجل الذي طُلب اليهم فترة طويلة أن يعرفوا عنه كل شيء، متى يمضي للنوم ؟ ومع من ومن هم مساعدوه، كل شيء."

مراسل الصحيفة يطرح سؤالا عن الضابط (ط) فيقول: كيف تبلغون إلى إصابة دامغة مؤكدة؟ فيجيب: "نضيق الخناق ، ونوسع الغطاء حوله وحول كل الحلقات المتصلة به، العائلة والمساعدين المقربين والمساعدين البعيدين وكبار المسؤولين في المنظمة ورجال الارتباط، نفحص كل شيء ، يجب أن نتذكر أنه حذر على نحو منقطع النظير، وقد اعتاد دائما أن يُبدل مساعديه ويُبدل السيارات ويُبدل البيوت ، ولم يكد ينام مرة واحدة أكثر من ليلة واحدة في نفس

المكان ، لقد عرفناه عن قرب."

ويقول الضابط "أصبح المنفذون جاهزون (تشكيلة الطيران الاستخبارية التي ساعدت على الإصابة الدامغة للجعبري موجودة في قاعدة سلاح الجو في مركز البلاد ، وأفرقاء تشكيلة الطيران المؤلفين من طيارين وتُجري استطلاعات جوية على نحو دائم في سماء قطاع غزة، يهتمون بتقديم كل معلومة استخبارية ممكنة عما يجري في الميدان."

ويوضح "ضُم إلى التشكيلة الجوية التي أقلعت إلى قطاع غزة في الساعة ١٢ ظهرا المستطلِع الجوي الرقيب (ي ٢١)، الذي يسكن في واحدة من القرى الزراعية في عيمق حيفر، والمستطلِع الجوي يوجد في فريق الطيران الذي يحلق فوق المنزل وهو خارج مدى سمع ناس حماس وبصرهم ، وهو يصاحب بمساعدة وسائل رؤية ليلية خاصة الهدف و"يُطبق" عليه، وفي تلك اللحظة يتم الإطلاق من وسيلة طيران أخرى."

ويضيف الضابط "صاحبت التشكيلة الجوية بعد التوجيه، تحركنا بين عدد من المراكز بحسب المعلومات الاستخبارية التي تم الحصول عليها من "الشباك"، والوحدة ٨٢٠٠، وبعد نحو من ساعتين تم تلقي معلومة أن الجعبري موجود كما يبدو في مبنى ما ، ووصلنا إلى هناك ووقفنا فوق البيت."

ويتابع "أدركنا في أثناء الليل أن الخناق حول الجعبري بدأ يضيق، واستيقظت عالما أن "اليوم هو اليوم" ، وطوال اليوم في الحقيقة تقاطعت جميع المعلومات وبدأنا "نحاصره"، وندرك أين يوجد ولماذا، ومتى سيكون هناك؟ ومع كم من الناس، وفي غضون ساعات قليلة كنا قد اصبحنا متيقنين انه هو، وعلمنا إلى أي مبنى سيدخل ويجب الآن فقط أن ننتظر كي يخطئ ويخرج."

رئيس هيئة الأركان تابع ما يجري من مكتبه في الطابق ١٤ في الكرياه مشغولا بالموافقة على الخطط لاستمرار عملية عمود السحاب التي لم تبدأ بعد ، وأضاء المقدم دولف رئيس مكتبه من أجله الشاشتين اللتين بُثت عليهما الصور التي أُرسلت من الطائرة الاستخبارية ، وهكذا كان

غانتس يستطيع أن يرى البيت الذي يوجد فيه الجعبري بحسب المعلومات الاستخبارية.

ويقول الضابط "قائد سلاح الجو الذي كان يفترض أن يدير عملية الاغتيال ، كان في الولايات المتحدة ، وقد علم بالطبع أننا متجهون إلى اغتيال الجعبري وأعلن فورا قائلا: أنا عائد"، فيقول له رئيس هيئة الأركان "إبق"، لأنك اذا عدت فجأة فسيدركون أن شيئا ما يحدث وسينشرون فورا في وسائل الإعلام: لماذا قطع قائد سلاح الجو زيارته للولايات المتحدة؟ وكان قائد سلاح الجو قد استدعى رحلة عودة إلى إسرائيل في يوم الثلاثاء ليلا لكننا ألغيناها وألغينا أيضا تلك التي استدعاها صباح الأربعاء.

أحد الضباط قال للصحيفة "بلغ التوتر ذروته في "كوك بيت" سلاح الجو، الهدوء والصمت، وعيون الجميع مركزة على العميد نوركين."

ويوضح "في حوالي الساعة ٣ ظهرا من اليوم السابق كانت جميع الدلائل تُبين أننا بدأنا نصل إلى الهدف ، وانحصرت المعلومات في البيت الذي تحلق فوقه الطائرة الاستخبارية والسيارة التي يفترض أن يدخلها الجعبري، إن المسؤولية كلها ملقاة على كتفي نوركين، ويشبه ذلك مفترق "تي" فاذا اخترت أن تتجه إلى الاتجاه الصحيح فسيكون ذلك جيدا ، وإلا فسيبدو الأمر مختلفا، ويحول "الشاباك" معلومة أخرى.

ويضيف "بدأنا نعد الدقائق ولا ذكر للجعبري، وبدأت الأعصاب تتوتر أيضا في مكتب رئيس الأركان ، وكلما مر الوقت بدأ أشخاص كبار في هيئة القيادة العامة يحاولون التأثير في غانتس، ويقولون له: "لا تنتظر. مُرْ باغتيال المسؤولين الكبيرين في الميدان"، هذه لعبة أعصاب، هل من الممكن أن لا يخرج الجعبري البتة هذا المساء؟ هل من الممكن أن يبقى للنوم هناك في الليل؟ واستمر عدد من كبار المسؤولين يضغطون ، وقالوا لرئيس هيئة الأركان: عندك عصفوران في يدك، سنضيعهما أيضا آخر الأمر، فاتجه إليهما". لكن رئيس هيئة الأركان لم يخضع للضغوط ؛ بل حافظ على برود أعصاب وخفض الأصوات الضاغطة ، وأيد رئيس "الشاباك" يورام كوهين ورئيس "أمان" اللواء أفيف كوخافي موقفه ، فقد اعتقدا انه يجب انتظار الجعبري أكثر

وقرروا أنه إذا بقي الجعبري في ذلك البيت ساعة أو ساعتين ستكف أيدينا عنه."

ويقول الضابط "قبل الساعة ٤ ظهرا بخمس دقائق ظهر أشخاص على الشاشتين، في مكتب رئيس الأركان، كان الجعبري يخرج من المبنى ويدخل السيارة، "الشاباك" والعاملون في ٨٢٠٠ صادقوا على ذلك بقولهم: "هذا الجعبري. توجد إصابة دامغة."

وأبلغ المقدم دولف رئيس هيئة الإركان والمسؤولين الكبار قربه في المكتب قائلا: "خرج، نطبق عليه"، ولا يتردد العميد نوركين في "كوك بيت" فيأمر بالعملية قائلا "نفذ."

الطيارون أطلقوا الصاروخ وأصيبت السيارة، إلا أن الهدوء كان سيد الموقف في "كوك بيت" هدوء متوتر والعيون جميعا مصوبة إلى الشاشات ولا توجد صيحات ابتهاج، بل ينتظرون معلومات استخبارية عن الأرض، هل أصيب الجعبري حقا؟ وهل كانت تلك هي السيارة الصحيحة؟ وإن لم تكن كذلك أفربما يكون موجودا في سيارة أخرى ويجب اتخاذ قرار على مهاجمتها أيضا؟.

ويضيف "في غضون دقائق معدودة تم تلقي الجواب وهو أن احمد الجعبري رئيس أركان حماس قد مات."

***

غموض مارسيل

ذهبت مارسيل كارل صحبة زوجها العربي الإسرائيلي داود سعيد إلى مستشفى البركة وقابلا الدكتور راضي ، وذكرت له بأنها جاءت بتوصية من صديقه الشيخ سارية صلاح الدين المحاضر في جامعة هود ، فرحب بها واستمع لمشكلتها الطبيبة ، وفورا تحدث مع رئيس قسم الأورام الدكتور عزيز عبد الرحيم ولما وضع سماعة الهاتف : الدكتور يرحب بكم في أي وقت والأفضل أن تذهبا الآن لمكتبه قبل أن ينسى ولتعرفا التفاصيل والوقت المناسب .

ولما شربا قهوة الضيافة انطلقا لمكتب الدكتور عزيز ، وأخذت موعدا لأخذ الخزعات الطبية وتصوير الرنين وانصرفا .

وفي اليوم التالي دخلت مكتب الدكتور سارية تشكره على خدمته لها بدون تردد فضحك : وهل هذه خدمة يا دكتورة فلك كل السلامة ؟

وبينما هما يتحدثان رن الهاتف فتناول السماعة فكان راضي احمد فرحب به وشكره على مساعدة مارسيل وذكر له أنها تجلس الآن في مكتبه لتشكرني على اني أرسلتها إليك ، وتثني عليك خيرا وتلقى دعوة لزيارته هو وزوجته نور الشمس دكتورة كلية قسم اللغة الإنجليزية ، فقبل سارية الدعوة والسهرة ، فادركت مارسيل أن علاقته جيدة بطبيب الجراحة العامة في مستشفى البركة ولما انهى المكالمة قالت : لما رأيت صاحبك ادركت انه الطبيب الذي نشر جثث البحر واهتم بها

ـ جثث البحر ! أي جثث ؟!

فلخصت له القضية التي انتشرت قبل سنوات عن الجثث الغامضة والصور على أجسادهم والتي لم يتعرف عليها احد ، فتذكر تلك القصة التي حدثت من سنوات ، فذكرت تلك الأيام في كل الصحف والتلفزيون والفضائيات ، واختصر لها قصة معرفته بالطبيب راضي ، ثم خرج كلاهما لمحاضرته في فروع الكلية ، وبعد انتهاء فحوصات مارسيل الأولية وتأكد مرضها بسرطان القولون غادرت وزوجها للعلاج في ألمانيا بحكم أنها ابنة ألمانيا وإن ولدت بمصر أثناء عمل أبيها في مصر

***

زار سارية منزل راضي ملبيا دعوة الطبيب راضي صهرهم السابق ؛ حيث جلس الرجال في مكان وسلمى ونور في غرفة أخرى حسب التقاليد المحافظة ، ودخلت زيارة الدكتورة مارسيل في الحوار بينهما وفحوصاتها الطبية ، ثم سفرها للعلاج في بلدها برلين أو أي مدينة ألمانية فقال راضي : هو المستشفى التعليمي عندكم لا تجرى فيه فحوصات وعلاج الكادر الوظيفي

ـ لدى الجامعة مستشفى لطلبة فروع الطب والتمريض والصيدلة والمختبرات ، وهي بدأت منه ثم عملت اختبارات في مراكز طبية خاصة ؛ إنها زيادة فحوص وصور لتوكيد المرض ؛ لذلك لما أنهت فحوصات البركة غادرت البلد في إجازة ، لقد تيقنت من سرطان القولون ؛ كما علمت من صديقنا نهاد الذي بيني وبينه صداقة مهنة وزوجته صديقة للأسرة ، فهو من مدينة الشفا ليس من مدن وقرى الأرياف .. والغريب يا أبا (أسامة) أنها لما شاهدتك وتكلمت معك تذكرت قصة الجثث الثلاث التي انتشرت قبل سنوات ، وكان يومها نسيبك السابق بلال يعمل معكم.

ـ فعلا غريب ! وكانت تلك الجثث مثار الاستغراب وقصة لا تنسى ..لقد ذكرت لي ذلك التلميح ، والأغرب أنها ذكرت جثثا مثلها انتشرت في مدينة صور اللبنانية وقالت : وجد الصيادون في صور جثتين مثل جثثكم تقريبا فاستغربت فقالت : إنها تابعت قصة الجثث في بحر هود بحكم العيش فيها ؛ وبحيث الإعلان عنها في وسائل الأعلام المختلفة ، ولما قرأت في بعض صحف بيروت وجود جثتين لم يكونا من أهل البلاد تذكرت جثثنا ، ولما رأتني تذكرت ظهوري على شاشات التلفزة أتحدث عن ذلك وعن غموض الموضوع .

ـ هل هو الفضول ؟ حقيقة انشغل الناس تلك الأيام بتلك الجثث والرموز الكلب والحروف

عاد راضي يضيف : بحثت عن صحيفة لبنانية تتحدث عن ذلك ، لأنني لليوم افكر باهل وأقارب تلك الجثث ، لليوم لا يسأل عنهن ؛ كأنهم جاءوا من كوكب آخر بحثت فلم اجد الخبر ، فاضطررت للحديث مع صحفي قريب لنا ، فاكد لي كلام الدكتورة مارسيل ، وذكر أن

تلك الجثث ظهرت في منتصف ٢٠٠٩ ، ثم تبين انهم من صيادي سوريا اللاذقية أو بانياس احدى مدن الساحل السوري ، وموتهم حدث عن غرق مركب صيد في بحر عاصف ، وظهرت أجسامهم بعد أيام من الحادث في صور ، وهناك صياد ثالث معهم لم تظهر جثته بعد ، وزعم انه في إسرائيل أسيرا والصليب الأحمر قال : لم تعترف إسرائيل بأسره وليسوا مجهولي الهوية مثل جثث هود .

ـ وهل كانت على أجسادهم صورة الكلب والكلام المقطع ؟

ـ لا يعرف الصحفي علاء الدين شريف ، ولم تذكر الصحف اللبنانية ذلك ، ولم تقارن بين جثث هود وصور .. والحكومات تنسى مثل هكذا حكايات إلا اذا جد جديد

وبعد لحظات صمت قال : وهذه الدكتورة ما سبب الاهتمام والتذكر والحديث معك عن تلك الجثث ؟

ـ لم تفصح إلا أنها قالت ذلك ، الذي زارني معها زوجها فقالت أنت دكتور الجثث فدهشت من الوصف فقصت عليّ ما قصصته على حضرتك

ـ نحن اهتممنا بموضوع الجثث بسب الإعلام ، ونداءات البوليس للأهالي وقصة رأس الكلب والحروف المقطعة .. ولوجود الدكتور بلال يومها معكم

ـ اشتغل الناس بذلك الخبر بسبب قتل الرجال الثلاثة بالرصاص ، ثم غرقهم ولم تجد الشرطة تفسيرا إلا انهم قتلوا في الماء أو البر ثم القوا في البحر وجرفهم التيار إلى شاطئ هود ..ومنذ دفنهم نسينا أمرهم إلا عندما سألتي السيدة مارسيل : هل لم يظهر أهلوهم فقلت لم اسمع فذكرت قصة جثتي صور فأحببت أن اقرأ عنهم ، فلم أتمكن من العثور على صحيفة من الأعوام الماضية وعلى النت تظهر مئات الجثث على شواطئ البحار نحتاج لمعرفة الاسم

ـ نعم الأسماء تسهل البحث على مواقع ومحركات البحث الإلكترونية

وبعد فترة صمت قال راضي : تذكرت شيئا وهو لما رأيت زوج مارسيل عندما أرسلتهم لي تذكرت أنني قابلت هذا الوجه وغلب ظني بداية انه مريض ممن عملت لهم عملية في يوم من

الأيام ولما حدثتني عن الجثث المجهولة التي شاع أمرها في المدينة وفي كل البلاد تذكرت انه زار المشرحة لرؤية الجثث واقر بذلك

ـ أعرف احدهم ؟

ـ انكر كغيره ؛ ربما فقد أخا أو قريبا فجاء ينظر

ـ أنا كما تعلم اهتمامي بسبب شيوع الخبر في البلاد وكثر انتشاره ، ومثلنا ربما استغربت الدكتورة الألمانية بالموضوع ، وها أنت تضيف شيئا آخر أن سبب الاهتمام الزوج وكما أضفت ؛ لعله فقد أخا أو صاحبا .. الله اعلم

***

دخل الدكتور نهاد مكتب سارية ثم تبعه خادم المكاتب بالقهوة ، ولما وضعها تناول نهاد كوب الماء ، وسمى الله ورشف جرعات ثم وضعه وأستأذن الدكتور بإشعال سيجارة فهز رأسه بفعل ذلك ، ولما شفط نفسا أو اكثر قال : سمعت أن حزبكم سيشارك بانتخابات ٢٠١٢

ـ الخبر نشر في الصحف ليس سرا يا أبا كمال !

تململ الدكتور وقال : القصد من السؤال هل سترشح نفسك بلغت الثلاثين اعتقد وهو سن يسمح على ما اذكر يجيز الترشح لمجلس الأمة .

ضحك سارية وأراد أن يشبع فضول نهاد : نعم ، لحتى الآن لم تظهر الأسماء حتى تعلن الحكومة الانتخابات رسميا يبدو أن هناك مشاكل للإعلان

رد نهاد وقال : حسب القانون يا دكتور السنة موعدها، والبلد تنعم بالهدوء إلى حد كبير

ـ الراجح أنها ستعقد في أواخر العام كالعادة فقد هدأت أحداث غزة السنة .. لم تطل الحرب هذا العام .. أما أنا كمرشح لم اخبر يا صديقي .. اسمع أنك تتواصل مع الدكتورة مارسيل بحكم أقدميتكما في العمل هنا .. ماذا جرى معها ؟

ـ أنا اهتم بها يا عزيزي لأن ابن أخي مازن يدرس عندها أو قل تدرسه اللغة الألمانية فالجامعة تدرس هذه اللغة فهي تتقن العربية والإنجليزية والفرنسية ولغتها الأم ؛ وكما قلت بحكم

الأقدمية في العمل في جامعة هود

ـ صحيح هذا

ـ صحيح

ـ ومتزوجة من أمي لا يحمل شهادة علمية !

ضحك وقال : شاطر في التجارة ، وصديق حانة أيام دراستها في بلدها ، وأحبته كما يقال رغم عربيته وإسرائيليته ربما الأهم .

قال سارية : الماني ما بعد حرب أوروبا العالمية يكفرون عن هتكهم وفتكهم بجنس اليهود رغم انهم دمروا كثيرا من شعوب العالم ، ولا يدفعون إلا لليهود ، وذكر له سارية اهتمامها بالجثث الثلاثة التي ظهرت قبل سنوات في هود ولم يتعرف عليها احد

فقال نهاد متذكرا القصة : كانت مهتمة في تلك الحادثة يومذاك اذكر ذلك ، واعتقد بسبب زوجها ، فله قريب ابن عم أو خال مفقود وهو صياد بحري ، وذلك قبل ظهور الجثث على شاطئ هود

ـ أليس هو فلسطينيا من إسرائيل ؟

ـ صحيح هي لا تخجل من التعريف به ، عمل مع شركة إسرائيلية كعتال بياع ثم نقلوه لفرع لهم في برلين أو ميونخ في فترة دراسة مارسيل للجامعة ، وعرب فلسطين الذين لم يهاجروا بأحداث النكبة الشهيرة يعملون مع إسرائيل وجنستهم إسرائيل ، وبعضهم يخدم في جيش إسرائيل وشرطتهم كما يفعل الناس مع المستعمرين

ضحك سارية : لم تقف هذه العمالة على أفراد الشعب الفلسطيني ، فاغلب زعماء العالم العربي والإسلامي وغيرهم ما زالوا يخضعون لسيف المستعمر والمحتل

ـ كلام صحيح .. المهم مارسيل تتقدم في العلاج وقد تغيب الفصل الدراسي هذا كله إن لم تستقيل ؛ كما سمعت من عميد الكلية وحتى من موظفين رئاسة الجامعة

ـ أتمنى لها الشفاء وانقل لها تحياتي الخالصة يا دكتور ـ سأفعل إلى اللقاء

المعركة التي أشار لها سارية كانت معركة حجارة السجيل ، كانت الحرب على غزة عام ٢٠١٢ التي أطلقت عليها إسرائيل "عامود السحاب"، وردت عليها المقاومة الفلسطينية بمعركة "حجارة السجيل". بدأت هذه الحرب في ١٤ نوفمبر ٢٠١٢، واستمرت ٨ أيام ، كان الهدف منها تدمير المواقع التي تخزن فيها حركات المقاومة صواريخها ، وانطلقت باغتيال إسرائيل للقائد أحمد الجعبري، قائد كتائب عز الدين القسام ، الجناح العسكري لحركة حماس.
عملية عامود السحاب حرب استمرت ثمانية أيام شنها جيش الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة الذي تسيطر عليه حماس ، وبدأت في ١٤ نوفمبر ٢٠١٢ بقتل أحمد الجعبري، نتيجة غارة جوية إسرائيلية، وخلال العملية، زادت حماس، وكتائب القسام وحركة الجهاد الإسلامي الفلسطيني من تكثيف هجماتها الصاروخية على المدن والبلدات الإسرائيلية ، وأطلقت أكثر من ٤٥٦ , ١ صاروخًا على إسرائيل، و١٤٢ صاروخا إضافيًا وقع داخل غزة نفسها استخدمت الجماعات المسلحة الفلسطينية عدة أنواع من الأسلحة ومنها صواريخ فجر -٥ إيراني الصنع ، وصواريخ غراد روسية الصنع ، والقسام، ومدافع الهاون ، وقد أُطلقت بعض هذه الأسلحة على مدن ريشون لتسيون ، بئر السبع، أسدود، عسقلان، وغيرها من المراكز السكانية ، وكانت تل أبيب قد ضربت للمرة الأولى منذ حرب الخليج عام ١٩٩١ وأطلقت الصواريخ على القدس ، وبعد أيام من المفاوضات بين حماس وإسرائيل ، وفي ٢١ نوفمبر ٢٠١٢ تم وقف إطلاق النار وإعلان اتفاق تهدئة من القاهرة ، وقد أعلن كل من الطرفين فوزه ، وزعمت إسرائيل إنها حققت هدفها في شل قدرة حماس على إطلاق الصواريخ، في حين أكدت حماس أن خيار إسرائيل لغزو غزة قد انتهى ، ووفقا لهيومن رايتس ووتش، فإن كلا الجانبين انتهكا قوانين الحرب خلال القتال.
يعرب باراك أوباما عن دعمه لبنيامين نتنياهو ، في حين يدين الرئيس المصري محمد مرسي الهجوم.

مساء اليوم الثامن من الهجوم الإسرائيلي على غزة ، قرابة الساعة ١٩:٣٠ ، يعلن وزير الخارجية المصري محمد كامل عمرو ، بالاشتراك مع وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون ، عن ترتيب لوقف إطلاق النار في غزة ابتداء من الساعة ٢١:٠٠ بالتوقيت المحلي؛ ليس هذا الترتيب اتفاقية موقّعة بين إسرائيل وحماس ؛ ولكنه يتضمن تعهّدات نقلتها مصر ، بوقف إطلاق الصواريخ وقذائف الهاون الفلسطينية، ووقف الهجمات الأخرى عبر الحدود على إسرائيل، ومن جهتها توقف إسرائيل غاراتها وعمليات الاغتيال ، ويتضمن الاتفاق أيضاً تعهّداً بفتح المعابر ، وتسهيل حركة الناس والبضائع ، وعدم تقييد حركة السكان أو استهدافهم في المناطق الحدودية. وفي ٢٤ نوفمبر، يقول مسؤولون في حماس إن مصر أبلغت رئيس الوزراء إسماعيل هنية أن إسرائيل وافقت على توسيع منطقة الصيد المسموح بها قبالة ساحل غزة من ٣ أميال بحرية إلى ٦ .

***

قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٦٧/ ١٩ هو قرار صوتت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة في اجتماعها السابع والستين في ٢٩ نوفمبر ٢٠١٢، وهو تاريخ اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني، قدم الاقتراح ممثل فلسطين في الأمم المتحدة. التصويت كان لمنح فلسطين صفة دولة غير عضو في الأمم المتحدة في الأساس ، يرقي القرار مرتبة فلسطين من كيان غير عضو إلى دولة غير عضو ، مع رفض الحكومة الإسرائيلية القرار، إلا أن رئيس الوزراء السابق إيهود أولمرت عبر عن تأييده له ، أيد القرار ١٣٨ دولة ، وعارضته ٩ دول، وامتنع عن التصويت ٤١، وتغيبت خمس ، وتتيح الصفة الجديدة لفلسطين إمكانية الانضمام لمنظمات دولية مثل المحكمة الجنائية الدولية ، وتساوي الصفة الجديدة لفلسطين صفة الفاتيكان ، ومارست فلسطين حقها في التصويت لأول مرة بموجب صلاحياتها الجديدة في المنظمة الأممية في ١٨ نوفمبر ٢٠١٣، بالتصويت لانتخاب أحد قضاة محكمة الجزاء الدولية الخاصة بيوغوسلافيا السابقة.

إذن الجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة تقرر أن تمنح فلسطين مركز دولة غير عضو، لها صفة المراقب في الأمم المتحدة ، من دون المساس بحقوق منظمة التحرير الفلسطينية المكتسبة وامتيازاتها ودورها في الأمم المتحدة بصفتها ممثل الشعب الفلسطيني، وفقاً للقرارات ذات الصلة بالموضوع والممارسة المعمول بها في هذا الشأن ، وتعرب عن الأمل في أن يستجيب مجلس الأمن للطلب الذي قدّمته دولة فلسطين في ٢٣ سبتمبر ٢٠١١ من أجل الحصول على عضوية كاملة في الأمم المتحدة ، وكما كان مقرّراً، يتم التصويت في اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني؛ تصوّت ١٣٨ دولة لصالح القرار، و٩ دول ضده ، وتمتنع عن التصويت ٤١ دولة (لا تشارك ٣ دول بالتصويت) ، الدول الرافضة للقرار هي الولايات المتحدة ، وإسرائيل، وبنما ، وبالا ، وكندا ، وجزر المارشال ، وناورو ، وجمهورية التشيك ، ومكرونيزيا

***

في ديسمبر ٢٠١٢ في أعقاب ترقية وضع الأمم المتحدة لدولة فلسطين والصراع في غزة زادت الدعوة إلى جبهة فلسطينية موحدة واتخذ الزعماء السياسيون لحماس وفتح عدة خطوات للتوفيق بين خلافاتهم ،أكد رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محمود عباس في خطاب تلفزيوني أن المحادثات مع حماس ستتابع فورا محاولة الفلسطينيين ترقية مركزهم في الجمعية العامة للأمم المتحدة وهو جهد نجح في ١٣ ديسمبر سمحت فتح لحركة حماس بالاحتفال بأول تجمع لها في الضفة الغربية منذ عام ٢٠٠٧ وفي ٤ يناير ٢٠١٣ ردت حركة حماس بالسماح لمؤيدي فتح بعقد مسيرة في غزة للمرة الأولى منذ الحرب الأهلية ، في ٩ يناير أعلن أن خالد مشعل ومحمود عباس سيجددان محادثات المصالحة في القاهرة برئاسة الرئيس المصري محمد مرسي.

***

يبدأ الرئيس محمود عباس في ٢٧ أبريل، المشاورات لتشكيل حكومة توافق وطني، ويدعو جميع الفصائل إلى التعاون معه كي يتمكّن من إصدار مرسومين رئاسيين بخصوص تشكيل حكومة تكنوقراط ، ودعوة الناخبين للانتخابات العامة ، تسفر الاتصالات بين "فتح "

و"حماس "عن التوصل إلى اتفاق (١٤ أيار/ مايو)، يحدّد الطرفان بموجبه جدولاً زمنياً للمسائل التالية: قانون انتخابات المجلس الوطني الفلسطيني خلال أسبوعين؛ مرسوم رئاسي بتشكيل لجنة انتخابات المجلس الوطني في غضون ٣ أسابيع؛ حكومة الوفاق الوطني برئاسة عباس خلال ٣ أشهر، بيد أنه ليس واضحاً كيف يمكن لهذا الجدول الزمني أن يكون أفضل من التعهدات السابقة التي لم يتم الوفاء بها؟!

***

نية الحج

كانت الدكتورة ياسمين وشقيقها ياسر في زيارة والدهما الدكتور يونس في فيلته في الحي الشمالي لمدينة الشفا عاصمة البلاد كلها ، وكانون يجلسون في صالة الضيوف والاستقبال وكانت خادمة يونس تقدم لهم الشاي المشروب العالمي ومشروب العصر ، وبعد حديث عن الصحة والطقس والأخبار المعلنة والتقاعد والملل والزهق فقال يونس سائلا : أين الزوجات والأزواج نسيت السؤال عنهم ؟

قال ياسر : أم يونس تركتها في البيت مع الأولاد

وقالت ياسمين : وانا مثل ياسر تركت ميادة مع جبور وهو متوعك حبتين

قال بصيغة الاستفسار :سلامته !

قالت : سلمك الله يا أبي العزيز .. جئنا إليك هذه المرة في امر مهم

غمره الابتسام وهو يقول : امر ! يا هلا بكم أنتم الاثنان جئتم لأمر واحد ومهم ما هو ؟

شاركوه الابتسام وهمست : تشاورنا مع الجميع يا أبي ونحب أن نراك متزوجا فيكفي كل هذه الشهور وحيدا

ضحك يونس للاقتراح ولم يكن جديدا : الزواج يحتاج لشباب وقوة وأنا رجل عجوز

قال ياسر : ستتزوج عجوزا مثلك ، لن نزوجك شابة صغيرة .

قالت : نعم يا أبي رأينا لك امرأة تقبل العيش معك رغم سنك الذي تراه كبيرا ، هناك من هو اكبر منك سنا ونسمع أنهم يتزوجون ؛ بل جبور يقول أن قريبا له تزوج وهو ابن ثمانين

ازداد ضحكا وقال : اسمع مثلكم ؛ ولكني لم اصدف شخصا في حياتي يتزوج وهو في هذا السن لا أريد أن اعرف تلك العجوز .. في مطلع شهر أكتوبر ٢٠١٣ القادم إن شاء الله سأسافر لأداء فريضة الحج ، لي زمن لم اذهب لتلك الديار الطاهرة .. واشكر نياتكم الطيبة وجهودكم ، لو كانت لي رغبة بالنساء لتزوجت منذ ترملت أيها الاحبة .

قالت متفاجئة بعرض الحج : من سيذهب معك للحج إن شاء الله؟

ـ كنت ارغب بأن تذهب معي أختي أمينة أم سارية ؛ ولكن صحتها والأمراض التي تحيط بها تصعب عليها الرحلة وتحتاج إلى مساعدة كبيرة هناك ، ولا احد من عيالها يستطيع ذلك في ذلك الوقت كما تقول

قال ياسر : والدكتور الشيخ

ـ العمل يشغله ، والأفضل أن تذهب فتاة معها من بناتها ، فالفتاة دائما اقدر على راحة وخدمة الأب داخل الفندق والخيم .

قالت ياسمين على امل : نتحدث عن الزواج بعد العودة بالسلامة

ـ لست محتاجا لزوجة يا أولاد ! وبارك الله في همتكم وجهدكم

رن جرس الفيلا فقالت ياسمين : أظن انه بلال .. كان من المفروض أن يحضر في هذا الوقت كما اتفقنا

دخل بلال وألقى التحية والسلام وصافح وجلس واستمع ملخص ما دار فقال : أنت حججت قديما يا أبي .

ـ تلك الحجة الأولى قبل عهد قديم حججت أنا وأمكم رحمها الله وخالكم منصور .

قال بلال مواسيا : كنا نحب لك الزواج ، بعد رجوعك سالما بعون الله نناقش الموضوع ، واعلم يا سيدي أن الأخوة الطيبين وافقوا على حياتي أنا وسعاد معك في الفيلا اذا لم تمانع

قال يونس كأنه معاتبا : اقترحت أمينة ذلك منذ ترملت !

فال بلال معتذرا : خشينا يا أبي أن يقال الكثير من الكلام ، ويظن الأخوة أننا طامعون في الفيلا بحجة العيش معك

ضحك للخاطر وقال : على كل حال أنا لا مانع لديّ ، فالإنسان يحب الأنس .. ما رأيكم انتم يا ياسر ويا ياسمين ؟

قال ياسر : أنا مثل عمتي همست بذلك ، ولم نسمع كلاما من بلال ، وقع في نفسي أنه لا يرغب بذلك أو زوجته التي أنت خالها .. نساء اليوم يحببن البعد عن الحمى والحماة كما نلاحظ أليس

كذلك ياسمين ؟

هزت رأسها وقالت : في من هذا الكلام .. في واقع الناس

قال بلال : كنت مترددا في القبول ، وسعاد لا تمانع في العيش مع خالها ، كان لديّ تلك الأيام مشروع هجرة لأوروبا من صديق أو زميل دراسة هوسنا مما نسمع عن أوروبا والمدنية الغربية

قال ياسر باستغراب ودهشة : هل أنت مضطهد لتهاجر ؟ لا ادري لماذا يهرب شبابنا المتعلمون للغرب ؟! المضطهد سياسيا أو العاجز عن إدارة حياته الاقتصادية بمعوقات حقيقية ليست وهمية صنعها بنفسه .

قالت ياسمين سعيا للتبيان : الانبهار بحضارة ومدنية أوروبا .. الناس في بلادنا وغيرها لا ينظرون للجانب الأخلاقي في حياة الغرب وفشل النظام الأسري والزواج .. ينبهرون من الفيس بوك وجوجل وغيرها من وسائل الميديا .. ينسون الانحراف والعصابات والإباحية والمخدرات وغير ذلك من الموبقات والرذائل التي يندى لها الجبين

قال ياسر : هذا الجانب السلبي لا يلتفت الناس إليه ولا يرونه .. يظن كل مهاجر انه لن يقع فيه .. أنا لا انكر تفوق الغرب علينا ماديا وعلميا وصناعيا لتقاعسنا عن التحديث أو عدم فهمنا للتحديث .. ها هي الصين تتفوق على الغرب بأشياء كثيرة ومثلها اليابان والهند .. نحن اغلب مصانعنا مهتمة بالأغذية والترفيه ؛ لذلك قررت إنشاء شركة لصناعة كبيرة

قال يونس ضاحكا : ماذا ستصنعون ؟ وما هو المسموح في بلاد الإسلام ؟

قالت ياسمين مداعبة : اخشى أن يكون مصنع بسكويت أو شبس أو حلوى

قهقهة الجميع للمداعبة أو النكتة وقال موضحا : سنعمل أيها السادة مجموعة من المصانع أنا ورجال صناعة كبار في البلد ومن الخارج أيضا

قالت ياسمين : نفهم انك ستترك البنك

ـ على وشك .. المشروع أيها الكرام مصنع ثلاجات وغسالات وافران غاز وغسالات الأواني وذلك سيكون بالتعاون مع شركات أوروبية أو قل ألمانية وحسب مواصفاتهم .. وقد يتطور

لصناعات أخرى مثل السيارات الصغيرة كالتي تركبونها

قالت : مشروع طموح ؛ ولكن هل ستنافس هذه الأشياء التي عددتها المستورد ؟

قال : هي ستحمل ماركات عالمية ؛ إنما يتم تجميعها هنا ، فالبلد لا يوجد فيها مواد الخام ومناجم لاستخراجها وتصنيعها .. فهي تستورد وتصنع هنا أو أماكن أخرى .. فالأدوية مثل موادها الخام تشترى من شركات خاصة بتصنيعها ثم تباع وتورد لمصانع وشركات الأدوية لتتحول لأدوية وهكذا السيارات والقطارات وغير ذلك .

قال بلال : مثل أجهزة التلفزيون الكورية .. فكرة جيدة!

ـ ليست فكرة يا بلال ! الأفكار انتهت .. فهي ستبدأ قريبا ومقر الشركة ؛ بل المصنع مدينة هود المعروفة لك ومقر الشركة والإدارة هنا وكذلك التسويق

قال يونس : جيد ! لماذا يا سيد بلال لا ترحل اليوم قبل غد .. ؟

ـ نحن فكرنا بزواجك وبما انك ترفض العروس سنرحل قريبا

***

بداية شهر رمضان عام ٢٠١٣ يوم الثلاثاء في بعض البلدان ، ومنها بلاد الشفاء وبعضها قبل يوم وهذا الاختلاف شائع في بلاد العالم ، كانت يسرا تجلس مع زوجها عبد الله وياسمين وجبور في ضيافتهما ، وكان لدى يسرا طفلان فقالت يسرا مداعبة شقيقتها وزوجها :ألستم ترغبون بإنجاب أخت لميادة ؟ فأنا تزوجت بعدكم بعمر وها نحن لدينا طفل وطفلة ؟ كان يا عبد الله المهندس جبور كلما نجلس جلسة عائلية لماذا لا تتزوجين ؟ تزوجتك وأنجبت نفرين بفضل الله سبحانه .

غمرهم الضحك وهم يقضمون ما قدم لهم من فواكه وتسالي قالت ياسمين : معك حق .. الأمور الإنجابية نعاني منها يا أم حسن ..

قال جبور مضيفا : نحن في حالة علاج يا أخت يسرا .. كلانا تعبان

قال عبد الله حسن مستوضحا : وما الخلل ؟ أحدكم أم الاثنان ؟

قال جبور : قبل النسيان كيف الصوم يا أم حسن ؟

كانت أول مرة من سنوات تسعى لهذه العبادة ، فقد قررت أن تعود لهذه العبادة بعد أن صارت تمارس الصلاة من اشهر قليلة فقالت مجيبة : لم يكن الأمر سهلا عليّ ..واعاني منه ؛ ولكنني بفضل الله مصممة على صيام الشهر كاملا ـ إن شاء الله ـ لم احب أن يصوم عبدالله وحده

قالت ياسمين ضاحكة : خلاص طلقت الدنيا

قالت مبتسمة : لم اطلق الدنيا ، لي سنوات أو قولي بعد الزواج بشهور تركت السهر والسينما والأزياء ؛ فكان لزاما وأدبا أن اسهر مع زوجي الغالي بعد ساعات العمل ، وأيضا قولي عدد أصدقاء السمر من الصبايا والرجال اختفوا من حياتي ، فقد أصبحت زوجة وأم

فقال جبور مشجعا : حقيقة أنت رائعة ! وكثيرا ما قلت لياسمين يسرا تتغير شيئا فشيئا

فقالت ياسمين : نعم ، صح ذلك ، كنت أنا أظن أن عبد الله هو الذي سيتغير ويحلق ذقنه الخفيفة (يقال عنها سكسوكة أي قليل من الشعر على الذقن) ويصبح فتى السهرات ؛ لكنه كما قال جبور تربى تربية قوية على الدين والتماسك .

قال عبد الله خجلا : شكرا شكرا .. نحن احببنا السير رويدا للتغيير ، فقد لمست ذلك من زيارتها الأولى لبيروت ؛ حيث كنا صرحاء ..وقد لا يحدث التغيير سريعا في بعض الحالات

قالت يسرا بدهشة : عبد الله هل ما تقوله معقولا ؟ كنت ترى انني سأتغير

قال جبور قبل تفسير عبد الله : أنا اشهد أن زوجك همس لي بذلك ..قال تفاهات الحضارة الغربية ؛ ليس لها قرار مهما غرق الفتى فيها ، فها هم أبناء جلينا هذا لا يعرفون أفلام الخمسينات والستينات ، وقليلا من تجد منا من يهتم بها .. فهذا دليل أن لا قرار ولا أساس لها ؛ وكذلك أغاني الماضي تمر وتزول ، قد تسمع رجل كبير عاصر تلك الفترة يتحدث عنها بكل حرارة ولا تعجبه أفلام اليوم وأغانيه مع أنها اكثر فنا وتصويرا وآلات موسيقى متطورة وابن الجيل المعاصر يتعجب كيف كان الناس يطربون لها ؟

قالت يسرا : منذ ذلك اللقاء عرفت انني سأتغير

ـ هذا بدا لي واضحا كوضوح الشمس ؛ لأنك كنت تذهبين لقضاء وقت الفراغ فقط والتسلية والتقليد الأعمى لما يحدث في تلك الأفلام من سخف وتكرار ورسائل سخيفة .. وأقول وأنا صادق أيها الأعزاء قلت لنفسي ولأختي صفية صديقة يسرا اذا حصل الزواج ستتغير الآنسة وصدق ظني والحمد لله .. ونعود

قالت ياسمين : قبل أن نعود وضحا لنا ما قلتم

ضحك الرجلان وقال جبور : جلست أنا والمهندس عبد الله مرة أو ربما اكثر فقلت له أنت شاب متدين إلى حد كبير ، ولا تذهب للمسرح ودور السينما فكيف اقتنعت بيسرا زوجة ؟ لا تقل لي إنها قريبة وابنة عم . فقال : كانت الفكرة أن يسرا لا ترغب بالزواج ؛ كما قالت لأختي وابنة عمي فهذا سبب عنوستها فقلت لهما سأجرب معها لعلها تقبلني ثم جلسنا وحدنا لفترة في الكازينو على احد شواطئ بيروت وكانت عيوننا تتكلم ، ولما عرفت أنها لا تشرب رأيت الأمر ميسورا يا مهندس جبور واذا قبلت بالزواج فهي ستقبل بالتغيير كأي أنثى في العالم وحصل الاتفاق والزواج .. دائما يرجع الإنسان لفطرته اذا وجد من يشجعه إليها

ضحكت يسرا وقالت : أنا أيام بيروت العشرة لم اكن احرم الزواج على نفسي ، لقد صدمت من مقتل ذاك الشاب ، ولم يكن بيننا أي اتفاق على زواج ؛ إنما هي صداقة جامعة فحسب لكن الجريمة أثرت فيّ .. فتاة تقتل شابا ؛ لأنه ابتعد عنها ، ولما رأيت ابن عمي حقيقة وقع في قلبي الزواج وادركت أنه يتقرب مني لهذه الغاية ، فلم استطع صده ، ولما اكد لي أنه لم يعترض على عاداتي وطباعي من اللبس والدخان والمرح وتقبله لذلك شجعني على الاقتران به ،ولن أتحدث أو أحدثكم عن أدبه وتساهله وصبره على سيئاتي فازددت حبا له اذا صح ذلك (وضحكت بملء فمها)وهو سيتولى قريبا إدارة المستشفى العائلي كما علمت من خالي الهيثم عندما زرته من أيام لما مرض

فهتف ياسمين بفرح وتعجب : صحيح يا عبد الله !

فقال عبد الله : تقريبا صحيح .. الخال كاشفني بذلك في إدارة المستشفى .. فيه مشاكل إدارية

بعد أن ترك عمي يونس الإدارة .. مدير يأتي وآخر يذهب .. والاستقرار الإداري مهم لسمعة المشفى

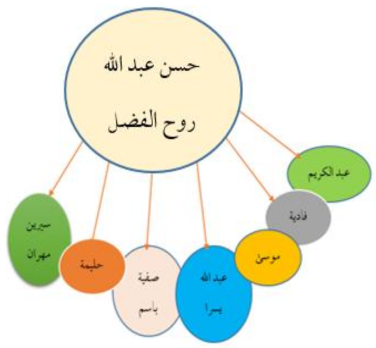
فقال جبور مستفهما : وهل لك خبرة في الإدارة ؟

ضحكت يسرا وقالت للمهندس : لعلك نسيت يا أبا ميادة .. لقد كان مديرا لقسم الإعمار في مجموعة الشمس في بيروت يشتري ويبيع عقارات ويرمم ويبيع

قالت ياسمين متنهدة : صحيح ذهب ذلك عنا هذا يا جبور

قال جبور : والله نتمنى لكما التوفيق والخير يا أستاذ عبد الله أحببناك منذ رأيناك .

قال عبد الله : ونحن كذلك .. شكرا وإن شاء الله نتوفق .. فسيدتي يسرا اطلعتني بالتفصيل على أقسام المستشفى بصفتها مدير القسم المالي في مستشفى الحكيم الرازي وسأجتمع قريبا بمجلس الإدارة لأرى مدى قبولهم لرئاستي مجلس الإدارة



قالت ياسمين : ممتاز يا أبا حسن !.. أمر آخر .. نقل لي خبرا أن لأخت لك تعيش في صور أنها فقدت ابنا لها

قال المهندس متنهدا : أختي حليمة تزوجت شابا من مخيم البرج الشمالي في ناحية صور ، فوالده صديق أبي وعمي حسين ، هو لاجئ رسمي ؛لان اغلب سكان المخيمات محسبون على وكالة الغوث التي تساعدهم في أشياء مختلفة كالتغذية والعمل والتعليم الأساسي والعلاج الأولي .. أمهاتنا بعد الهجرة كن يكثرن من الإنجاب ؛ ليس كبنات اليوم .. فوالد أبي الذي سماني والدي على اسمه عبد الله روح الفضل كما تعلمون تزوج ثلاث مرات تزوج قبل النكبة جدة ياسمين جدتنا فاطمة ، فولدت عمي يونس وعمتي أمينة فقط ، وقبل من النكبة بقليل خرج الجد عبد الله من يافا لرام الله حيث ترمل وتزوج جدتي حليمة اليوسف لبنانية من عائلة روح الفضل فلعلكم تعلمون أن العائلات الكبيرة قد كانت تتنقل في بلاد الدولة العثمانية

حسب الأحوال والحاجة ؛ لذلك تجدون العائلات الكبيرة منتشرة في عدة أقطار بعد قسمة بلاد العرب بعد هزيمة تركيا في الحرب الأولى ، وولدت جدتي أربعة من الجد عبدالله أبي وعمي حسين وعمي حسان وعمتي فاطمة ، وقد تزوج قريبة له أثناء إقامته مدة في غزة وولدت أربعة له أيضا وهم يعيشون في غزة لليوم ، وكان الجد قد ضاق العيش في رام الله شمال القدس فرحل لصور حيث أفراد من العائلة يحيون فيها وحتى انه مات فيها .. المهم أن أختي حليمة واحدة من سبعة أخوة اربع فتيات وثلاث شباب أنا منهم ، ولي أخت أيضا متزوجة من شاب من احد مخيمات صور .. صور فيها ثلاث مخيمات رسمية للفلسطينيين واللاجئين ، ولشقيتي حليمة أم سليم ابن تعلق بحماس والجهاد التي تحكم غزة اليوم ؛ بل الأصح أنه في قسام لبنان هو وابن عم له ؛ وربما اكثر أنا لا أعرفهم كثيرا وحتى لعمي حسين حفيد أيضا معهم وقال لي أبي : انه فقد عام ٢٠١١ وإسرائيل تنفي أسره .

فقالت يسرا بعد تفصيل عبد الله عن العائلة التي تنتمي لها : أسره كيف ؟!

ضحك وقال : دعونا نشرب الشاي ـ أشارت للخادمة بصنع الشاي ـ وتابع المهندس : يقوم شباب بيروت وصيدا وصور وحتى طرابلس بتهريب الأسلحة لغزة بطرق معقدة ، غزة كما تعلمون محاصرة برا وبحرا ، فتدخل الأسلحة عليها بالتهريب سواء عن طريق صحراء سيناء المصرية أو بحر غزة .. التفاصيل الدقيقة لا يعرفها إلا من يقومون بهذا العمل .. وقد تكتشف دوريات البحرية الإسرائيلية هذه العمليات فإما أن تقتلهم أو تأسرهم أو يفلتون من المطاردة وكثيرا لا تعلن البحرية الصهيونية عن اغتيالهم ؛ لأن اغلب الاغتيال يكون في الليل وفي جوف البحر ، لم تعلن عمليات اغتيالهم أو أسرهم إعلاميا ويستعان عادة في الصليب الأحمر وإسرائيل تنفي حدوث شيء .. أنت من أين عرفتي ؟

قالت ياسمين باسمة وعي تضع قمع السيجارة في المنفضة : عرفت من عمك يونس ، كنت عنده ليلة فاتصل به اخوه والدك ، وحدثه عن احتفاء ابن ابنته منهل شداد أو ذكر ذلك فقص أبي ذلك على مسامعي

تركت الدكتورة يسرا يونس لبس الملابس القصيرة والبنطلونات أثناء الخروج من البيت ، وقص الشعر مثل الرجال ، واجتازت صيام رمضان لأول مرة في حياتها بعد الثانوية العامة ؛ لأنها كانت تصوم بعض الأيام قبل الجامعة وكانت حياتها بعد الولادة الأولى العمل والبيت ، والمهندس عبد الله مثلها ، فهو بدون أصدقاء حقيقين في الشفا كما نعلم ، واقتصرت حياته الاجتماعية على زيارات الأقارب بمناسبة أو غير مناسبة ومنها حضور سهرات جمعية آل روح الفضل في الشفا ، وفوجئت العائلة الكبيرة والمعارف باستلامه إدارة مستشفى الرازي الخاص بعد شهر رمضان ٢٠١٣ وانهالت عليه التهاني والتبريكات ، وزارته عمته أمينة أم سارية زيارة خاصة للتهنئة برفقة ابنها الكبير سارية وزوجته الدكتورة نور الشمس في الآدب الإنجليزي ، ولم تكن الزيارة الوحيدة بينهم وبين عبد الله حسن فهم أقارب فعبد الله ابن خاله ويسرا ابنة خاله أيضا ، فكانت نور الشمس تقول : سعدنا بزواجك من الأخت الفاضلة يسرا وسعدنا اكثر بتغيرها للأفضل .. نحن سعداء بتوبتك

قالت أمينة بفرح : عبد الله ابن حلال وطيب منذ هبط بلادنا .. واخي حسن رباه تربية رائعة

ـ شكرا يا عمتي

قالت يسرا : وأنا يا عمتي وشكرا دكتورة نور أم صلاح

تبسمت الدكتورة أمينة : وأنت بنت حلال ؛ لكن أخي الكريم تساهل كثيرا معكم بأمور الدين لا تأخذي على خاطرك وانا أقول ذلك ..وها أنت بدأت تستوعبين الدين من جديد

قالت مقرة : نعم ، كان أبي لا يحب فرض أي شيء علينا بعدما كبرنا ، كان لا يحب الصدام والإجبار وكذلك والدتي رحمها الله

ـ هذا طبع أخي وأم ياسين .. وها هو يتجهز للحج هذا الموسم بمشيئة الله ﷻ.

قال عبد الله : إن شاء الله ، فعمي رجل فاضل هين لين .. هو التغريب للمجتمع المسلم لا يهدأ ولا يضعف .. وكثير من الناس انحرفوا مع التيار الأوروبي يا دكتور سارية

تبسم سارية الذي يشرب الشاي مستمتعا بالحوار وقال : صحيح للأسف الغزو الفكري

والثقافي قوي ومغر للشباب ، وأوضاع العالم سيئة وقابلة للانحراف .. والأسباب كثيرة .. صناعة الانحراف تغزو العالم الغني والفقير ..عالم استهلاكي بخبث .. انظر كم قوة الغرب العسكرية ؛ ولكن المخدرات لا يستطيعون منعها وحجبها عن شعوبهم ، ويتظاهرون بمنع الدعارة ؛ ولكنها تغرقهم .. فترى فتيات تعمل بالدعارة لأجل توفير أقساط الدراسة وشراء الملابس .. أو من اجل أن تنفق على حصتها من البيت أو الشقة ؛ لأن القانون عندهم متى يبلغ الشاب أو الشابة ١٨ لا يلزم والداه بالإنفاق عليه .. فتجد الفتاة تعمل في حانة أو مطعم أو ملهى ..

فقالت يسرا مخاطبة لعمتها : لماذا لا تذهبين مع أبي للحج يا عمتي ؟

ـ الحبيب عرض عليّ ذلك ؛ لكن صحتي ليست على ما يرام .. وأنا بفضل الله حججت مرتين

قال عبد الله : ألف سلامة عليك يا عمتي .. ما رأيكم بزيارة للبنان فالدكتور حسان سافر لألمانيا للعلاج

قال سارية مستوضحا سبب الزيارة : ما به ؟

ـ تحدث معي أبي من أيام مخبرا لنا بمرض الدكتور ؛ فهو كما تعلمون متزوج طبيبة المانية ويحمل جنسيهم

قالت : عندما يعود بإذن الله ؛ لعلي أتمكن من زيارته فهو اصغر الأخوة العشرة

قالت يسرا : شفاه الله ، نعم حدثنا العم بسقمه ومرضه الغامض

قالت نور الشمس : مرضه غير معروف لماذا ؟

قال عبد الله : هكذا قال أبي إنه مرض غامض وسافر للعلاج أو انه لا يرغب بتبيانه لنا

قال سارية : ممكن وكما قالت أمي لعلنا نزور لبنان.. فلي صداقات مع علماء في لبنان خاصة في طرابلس وبيروت

***

الانقلاب

الجيش يطيح بالرئيس المصري محمد مرسي رئيس أول جمهورية مدنية منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ وكان ذلك الانقلاب في ٣ تموز ٢٠١٣ اعلن وزير الدفاع الجنرال عبد الفتاح السيسي ، تعليق الدستور وعزل الرئيس محمد مرسي وحبسه وإخفاء موقع إخفائه .

***

كان يوم الرابع عشر من الشهر العاشر أكتوبر يوم موقف عرفة عام ٢٠١٣ الموافق لذي الحجة ١٤٣٤ ؛ فكان من المنتظر أن يقف يونس عبد الله مع حجاج بيت الله الحرام ذلك النهار ، وكان الرجل الذي اجتاز عتبة الستين مع رفقة من حجاج مستشفى الرازي ، المستشفى الخاص بمدينة الشفا ؛ حيث كان المستشفى ينظم رحلة حج لموظفي وكوادر المستشفى ولعائلاتهم والراغب في ذلك كل موسم حج ، وكان قبل الانتقال لمنى قد أصابه تعب ومرض ، كان مصابا به قديما فنقل لمشفى في مكة واخذ العلاج اللازم والمناسب ، ثم رحل مع الفريق لمنى ؛ ولكنه صباح عرفة عاوده الداء والوجع ، ونقل لطوارئ أو مركز طوارئ في منى ، ثم اسلم الروح قبل الانتقال لعرفات ، وأجريت الوثائق اللازمة ودفن في مدافن مكة ، ونقلت الأخبار لابنه ياسر يونس المقيم في الشفا ؛ لأن ابنه ياسين البكر كان مسافرا منذ زمن لأمريكا بعد دراسة هندسة الطيران ، وظل فيها حيث تزوج فتاة أمريكية من أصول شرقية .

فقامت الأسرة بعمل سرادق عزاء للرجل في قاعة كبيرة في الحي الشمالي من مدينة الشفا لمدة ثلاث ليالي كعادة أهالي المدينة ، ووزعت عن روحه الأطعمة والأموال .

وأمام هذا الواقع المستجد قام الأبناء بتوزيع ميراث الأب وألام الذي لم يقسم لحتى ذلك اليوم واصبح بلال مالك الفيلا بعد أن دفع فرق السعر لإخوته حسب اتفاق بينهم ، ثم اجر شقته عن طريق ابن خاله الهيثم المهندس تيتي

***

كان سارية يجلس في مقصف الكلية عندما اقترب منه الدكتور نهاد ، وجلس على نفس الطاولة

وقال : مرحبا صديقنا سارية

حرك يده اليمنى مشيرا له بالجلوس على مائدته : عليكم السلام تفضل .. ما تشرب ؟

نادى نهاد على النادل وقال : أيها الصديق كوب شاي باللبن . . .قال لسارية : سمعت أن خالك مات بمكة .

ـ رحمه الله كان في الحج ، ومات قبل عرفة بساعات

ـ لم اعرف إلا من أيام

ـ لقد كنت في إجازة طارئة كما سمعت .. ما الأمر؟ قال الدكتور أسامة ذلك ولم يفصل

ـ سافرت خارج البلد ، لي شقيق في مصر ، وقد أصيب بمرض عارض فاضطرت أن أسافر اليه لأنظر الحال .. هل تعلم أني التقيت بالدكتورة مارسيل أثناء وجودي في مصر ؟

ـ في مصر ! .. ألم تعود لبلدها لعلاج القالون كما نقل لنا واخبرنا ؟!

ـ كأن أمها المصرية توفيت وهي منفصلة عن زوجها الألماني منذ عهد بعيد

ـ كيف التقيتها ؟

ـ في نفس مستشفى علاج شقيقي

قال سارية تعجبا من اللقاء ووقت اللقاء : يا للقدر !

ـ وأخبرت بأنها ستعود للجامعة ؛ ربما مطلع الفصل القادم في السنة الجديدة ما زال عقدها ساري المفعول هو مجمد لحين تعود .. وجئتك بخبر عنها

ـ خبر !

ـ نعم ، لقد ترملت ، زوجها الفلسطيني هلك في أوروبا

ـ مات ! لم تقدم الجامعة لها نعي في الصحف

ـ لعلها قدمت ولم ننتبه

ـ لا اعتقد لم نسمع .. كيف مات ؟ ذهب توقعنا أنها هي التي ستموت بسبب السرطان .. مات غرقا أثناء السباحة مبكرا في بحيرة مسموح السباحة فيها ملحقة بنادي

ـ غرق ! كيف وأشار للنادل وطلب شايا لهما من جديد

ـ قالت مصرحة لي بعد أن زارت شقيقي الدكتور هيثم محاضر ومتزوج من امرأة مصرية منذ درس هناك .. غرق أثناء السباحة الصباحية .. كان يسبح في نادي ولم يكن حوله احد وكان الجو باردا وثلجا

ـ يسبح في الثلج هذا جنون !

ـ كثيرا ما كان يأتي ويزور لمسبح الجامعة للسباحة ؛ كأنه يحب الماء والعوم مبكرا

ـ رحمه الله أهو مسلم ؟

ـ لا ادري كان يقال الفلسطيني زوج الدكتورة مارسيل .. لعله مسلم ؛ لكن يوجد في فلسطين طوائف شتى وأقليات متنوعة حتى قبل سيطرة الصهيونية عليها

ـ إذن ستعود للعمل هنا .. هؤلاء كيف يعملون في بلادنا ؟ وهل شفيت من السرطان قبل السؤال السابق ؟

ـ تعالجت ولم تصرح لي بصراحة بالشفاء .. هؤلاء الأغراب يعملون في بلادنا باتفاقيات دولية لتبادل الثقافة والخبرات ونقل خبرات بلادهم لبلادنا . وضحك غامزا

ـ لما ترجع سنعزيها ، ونطمئن على صحتها .. أولئك يعملون في بلادنا لنشر أفكار الاستشراق والغزو الثقافي الناعم .

***

كانت الدكتورة تمام احمد التي تعرفونها في مطلع صفحات القصة وشقيقة الدكتور راضي احمد في زيارة لأمها ، ولما شربت الشاي وأطفأت آخر سيجارة قالت : راضي يتصل بك !

تنهدت أمها بحسرة : زوجته فقط .. ما زال زعلان ، ومرة أخذ السماعة من زوجته وتكلم كلمتين فصرخت فيه ألا يتصل بي ليفش غله فيّ ، ولم يحاول ثانية وحتى زوجته أقلت الحديث معي إلا اذا سمعت بمرضي وما شابهه .. وأنت ما أخبارك وحالك مع الوحدة ؟

عادت للتدخين كأن التبغ شريان النفس عندها بعد أن طلبت قهوة من خادمة أمها : قد أتزوج

من جديد .

هتف الأم متصنعة الدهشة : أوه ! تتزوجين من جديد !

فردت تمام بفلسفة وحدة : وهل تقف الحياة عند مراد ؟! سأتزوج من قريب لزميل عمل .. ترمل وليس عنده خلفة ، وانا لا أريد خلفة مثل راضي وميلاد .

قالت : ميلاد احسن من راضي اللعين زارني كذا مرة ، هو ليس له علاقة كبيرة بموضوع مراد المخادع ، راضي تمرد من أجل خاطر المنحط بلال ولوقوفي معك في الخلاص منه .. طيب متى سيكون الزواج الميمون ؟

تناولت القهوة من الخادمة وقالت : نحن نسير اليه بعد ؛ فأنا لم احسم الأمر ..اشعر بأنه سيفشل كغيره.. وهذا حظي التعيس .

ـ ما يشتغل العريس الجديد ؟

ـ طبيب مثلنا .

تمنت الأم فقالت : ليتنا احتفظنا ببلال فهو أب لأطفال هذه الأيام !

قالت بامتعاض وبغض : لا ادري كيف قبلت به .. ؟!

ضحكت أمها وقالت بتهكم : فضلتيه على ابن خالك تلك الأيام حتى لا تتزوجين من جهاد

تنهدت بضيق : لم اكن ارغب به ولا بابن الخال ، لكن الظروف جعلتني اقبله بضغط من راضي ، وكان مراد يمر بضائقة عائلية ، والزواج لم يكن من أولياته قبل انتهاء الأزمة ..هل علمت لقد مات والد بلال في الحج ؟

ـ نقل لي من صديقات العمر، وذهب راضي وميلاد لسارادق العزاء كما اعلمني ميلاد

ـ نعم ، ما زال صديقا لأسرة روح الفضل ؛ بل ابن عمة بلال اللعين الدكتور سارية يعمل هو وزوجته في جامعة هود وبينه وبين أسرة راضي زيارات ؛ كما علمت من سلمى

ـ قيل لي ذلك

مطلع العام ٢٠١٤ عادت مارسيل كارل إلى مدينة هود لمتابعة العمل في جامعة هود ، وأقامت

لها كلية الآداب حفل استقبال قصير ، وتقرر أن تباشر العمل الوظيفي مع بداية فصل الربيع والصيف أو ما يسمى الفصل الثاني ، وقام نهاد وسارية وزوجاتهم بزيارة تهنئة وتعزية تهنئة بالشفاء وعزاء بوفاة زوجها داود ، وقضوا سهرة ممتعة في شقتها ، وكانت تقول : كان يقال لنا أن نسائكم معقدات ومحبوسات في البيوت

قال نهاد فورا : هذا كلام المستشرقين عندكم .. لما انتشرت المدارس للبنات خرجن للدراسة والعمل في اكثر المجالات ، والدين لا يمنع العمل للجميع ، فقديما كانت النساء والأطفال والفتيان يعملون في الحقول والمواسم ؛ لأن سلك الوظائف كان ضعيفا ومحدودا

وقال سارية : كذلك يعملن في القطاع الصحي والإدارة والتجارة ؛ لكن وضع الدين ضوابط للخروج والاختلاط حفاظا على كرامة وشرف الفتاة وأسرة الفتاة .

قالت مارية زوجة نهاد : إعلامكم وحضارتكم سعت ؛ بل سعت لتشويه نساء المسلمين بأنهنّ عبدات وأسيرات ومكبوتات رغم أن نساء وبنات الفلاحين من قديم الزمان يعملن في الحقول والزرع والحلب للغنم والبقر وصناعة الزبدة والجبن الأبيض والحياكة

فقالت مارسيل : أنا طبعا تغيرت نظرتي إليكن منذ عملت في بلادكم ، وقبل ذلك من حياتي في مصر ، وكنت أرى الفلاحات المصريات في الفيوم والدلتا وغير ذلك يعملن مع الفلاحين من أزواج وأقارب دون تردد وحتى يعملن في متاجر صغيرة

قالت نور : الغربيون أو حركة نساء التشدق بالحريات ، هم يريدون من نساء العرب والمسلمين السفور والإباحية وعرض الأزياء ومسابقات ملكات الجمال والتعري وفتنة الشباب

قال سارية : هذا بعض ما يدندنون حوله .. حياة بدون أخلاق وعفة

قالت مارسيل : أنا اغلب شبابي كان في أنحاء مصر ، ثم انتفلت لألمانيا مسقط رأس أبي للدراسة في بون ولما تزوجت آخر أيام الجامعة الأولى من زوجي المعروف لكم وأنهيت الدكتوراه في الآدب واللغات الأوروبية عدت لمصر وبعد سنوات في جامعات مصر انتقلت للتدريس في بلادكم

مصرع عميل

جلس حسام الدين في غرفة جهاد ينتظران صديقهم عزمي فقال : يا جهاد هل سمعت اليوم كلاما من احد بقايا فتح بغزة أن العميل حيدر غانم الذي اغتيل أو قتل في حرب الفرقان لم يكن جاسوسا أو عميلا أصحيح ذلك الادعاء ؛ بل كان مناضلا من فتح ؟

ضحك جهاد وقال : الكل يتكلم والتاريخ يتكلم ويفصل ، بحسب صحيفة جيروزاليم بوست الإسرائيلية فقد حكمت محكمة أمن الدولة في السلطة الوطنية الفلسطينية على غانم وهو أب لطفلين بعد عقد جلستين قصيرتين فقط .. اعلم يا أخي أن الصحفي الفلسطيني حيدر غانم الذي كان موظفا سابقا في منظمة بتسليم الإسرائيلية لحقوق الإنسان اتهم بالتعاون مع إسرائيل خلال عملية الرصاص المصبوب وأعدمته حماس في ٧ يناير في قطاع غزة.

قال حسام : ما وظيفة بتسليم هذه ؟

دخل عزمي وهو يحمل إبريق الشاي والكاسات وألقى السلام وقال : ستأتي القهوة بعد وقت وجلس وملأ الأكواب وترك اثنين فارغين وقال وهو يقدمها : قد يزورنا نزار وعصام لقد التقيت بهما في الشارع ودعوتهما للسهر معنا

قال جهاد : أهلا وسهلا .. وظيفة بتسليم أنها منظمة صهيونية تزعم أنها منظمة حقوق إنسان مثل غيرها من منظمات وموضة حقوق الإنسان في العالم ما عدا حق الفلسطيني

***

بِتْسِيلِم المعنى العبري: على صورة الله هي منظمة غير حكومية إسرائيلية، تصف نفسها بأنها «المركز الإسرائيلي للمعلومات عن حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة » ، ظهرت في فبراير ١٩٨٩ على يد أشخاص إسرائيليين ذوي تأثير ، وذلك أثناء الانتفاضة الأولى تعلن المنظمة أن أهدافها هي توثيق وتثقيف الجمهور الإسرائيلي حول الاعتداءات على حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة ، تقوم المنظمة بانتقاد خروقات حقوق الإنسان التي تتم في الأراضي المحتلة الموجهة ضد الفلسطينيين أو الإسرائيليين، ولكن دراساتها تتطرق إلى الاعتداء

على الطرف الفلسطيني فقط ، تحصل بتسيلم على تمويلها من تبرعات من صناديق معينة (معظمها صناديق تابعة لوزارات الخارجية البريطانية والنرويجية ، وصندوق تشجيع الديموقراطية وحقوق الإنسان التابع للاتحاد الأوروبي) ومن أفراد من إسرائيل وبقية العالم..

هذا مختصر عن هذه المنظمة الصهيونية .

تابع جهاد لما شرح باختصار عنن منظمة بتسليم : أما حيدر غانم فهو عميل باعترافاته الشخصية أثناء التحقيق معه من قبل محققي السلطة أثناء وجودها في هذا الجزء من العالم كحاكم وزعامة .

فقال عزمي وقد فهم موضوع الحوار : فقد أقر الشاب حيدر غانم بأنه أدلى بمعلومات لمخابرات الاحتلال أدت لاغتيال العديد من القيادات الميدانية ، ويقول كما نشر : "تابعت عدداً من أعضاء المقاومة ومنهم جمال عبد الرازق من قادة حركة فتح الذي تم اغتياله وراقبته أربعة أيام، بدعوى أنهم يريدون اعتقاله، لكن بعدما سمعت باستشهاده أصبت بحالة نفسية سيئة، وقالوا لي إنه قاوم الاعتقال فاضطروا لقتله ، وطمأنوني أن كل الأمور تحت السيطرة وإذا شعروا بنوع من الخطر عليّ فسيخبرونني ؛ لأن لهم عيوناً في كل مكان." إذن هو يؤكد عمالته حتى لو كان عضوا من فتح فالاختراق في الجماعات الإسلامية والعلمانية واقع لا يجوز التهرب منه فحمدية الذي تسبب بقتل قادة من حماس كان في صفوف حماس قبل إعلان ظهورها

قال جهاد : وواصل الرجل العميل غانم في حينه اعترافاته ، حيث أصبح يدير شبكة من العملاء في المنطقة وقال كما نشر : "بعد فترة زاد حجم الطلبات التي يطلبونها بعد زيادة ثقتهم بي، وأجروا لي ثلاثة اختبارات على جهاز كشف الكذب، وحينها بدءوا يرسلون لي أوامر إلى عناصر آخرين يعملون معهم لأرسلها عبر الإنترنت أو لأقوم بوضعها في علب كبريت أو صناديق دخان في نقاط ميتة وأماكن عامة هادئة نسبياً في رفح وغزة .. لتتسلمها هذه العناصر، ثم أصبحوا يرسلون أموالاً ضخمة لتسليمها للعملاء بنفس الطريقة أيضاً." ويبقى السؤال المهم والغريب كيف تحول أخطر العملاء في غضون سبع سنوات قضاها في السجن إلى أحد أبطال

حركة فتح ؟!

قال حسام : اقرأ لنا ما كتب عنه !

قال جهاد : نشر أن الشاب حيدر غانم من مواليد مدينة رفح في فلسطين أي من سكان القطاع الغزي مثلنا ، بعد تخرجه من الجامعة ولم يجد عمل بمؤهله فاشتغل في فلسطين المحتلة لمدة خمس سنوات حتى قرأ إعلان في أحد الجرائد عن وظائف خالية في مركز إسرائيلي لحقوق الإنسان كباحث ميداني ..فتقدم وتم قبوله للعمل فيه .. وبعد فترة قرأ إعلان أخر عن وظيفة في مركز أخر إسرائيلي فقدم عليها أيضا ، وتم قبوله للعمل فيها ، وفي يوم وصوله للمركز دعوه لحضور حفل وذهب حيدر للحفل وهناك تعرف على واحد إسرائيلي علم أنه يقوم بدراسات عن الشرق الأوسط ؛ لكنه كان يرتدى ملابس الجيش الإسرائيلي وطلب من حيدر أن يكتب له بعض التقارير ، واستمر حيدر في إرسال تقاريره له حتى علم أنه ضابط مخابرات ، وكان يعمل خلال هذه السنة مع المخابرات الإسرائيلية.. ورغم علم حيدر بذلك لم يتوقف عن عمله معه ، وأمده بمعلومات كانت غاية في السرية والأهمية ساعدتهم في استهداف جمال عبد الرازق أحد المطلوبين عندهم ، حتى تم القبض عليه من ضباط جهاز الأمن الوقائي الفلسطيني

تناول إبريق القهوة من والدة جهاد وشكرها وسكب الأكواب وهو يقول لم يحضر الضيوف

قال حسام وهو يرفع كوبه : لعلهم يحضرون تابع

قال جهاد وهو يفتح موقع جريدة دنيا الوطن : كل المواقع المهتمة بأخبار العملاء والجواسيس كتبت وممن كتب واحسن جريدة دنيا الوطن الإلكترونية فكتبت تقول : جندته المخابرات الإسرائيلية بدور صحفي للتجسس على نشطاء الانتفاضة ، العميل حيدر غانم من داخل سجنه في غزة : المقاومون يكشفون عن أنشطتهم دون تكليف العملاء جهد البحث عنها ، وظفت عملي في مجال الصحافة وفي "بيتسيلم" ـ التي ذكرنا ها قبل قليل ـ لصالح "الشاباك" كلفني ضابط المخابرات الإسرائيلي "فوزي" بمراقبة تحركات نشطاء قبل اغتيالهم مثل جمال عبدالرازق والشهداء الستة في رفح ، كنت حلقة الوصل بين الضابط الإسرائيلي وشبكة من

العملاء في غزة ، ودوري توصيل الأموال لهم ، لم يمتنع العميل حيدر محمود غانم (٣٩عاما) من محافظة رفح من الارتماء في أحضان المخابرات الإسرائيلية ، ويخون شعبه إذ عمل في بداية انزلاقه ووقعه في شباك المخابرات التي حبكت حوله مراسلا صحافيا لمركز دراسات إسرائيلي قدم المعلومات تلو المعلومات وكتب التقارير الصحافية الواحد تلو الآخر وقام باستطلاع آراء القادة السياسيين والشخصيات الوطنية والمقاومين للاحتلال كان عمله استقراء الحالة العامة لشعب الفلسطيني بكافة فئاته ، عندما اكتشف غانم انه يعمل لصالح المخابرات الإسرائيلية لم يفكر لحظة بالتراجع بل واصل عمله في خدمة مشغليه الضابط فوزي والضابط دافيد فكان متطوعا لتقديم المعلومات للشاباك ، لم يؤثر فيه لحظة واحدة ما يشاهده من مجازر ترتكب بحق أبناء شعبه ، ولم يرف له جفن لمنظر أشلاء الأطفال والنساء والمقاومين التي تتناثر هنا وهناك نتيجة المعلومات الاستخبارية التي كان يقدمها أمثاله العملاء ممن سقطوا في مستنقع الخيانة والعمالة للشاباك.

ونجح جهاز الأمن الوقائي الذي تابع تحركاته منذ مدة في أن يعتقله وغيره من العملاء وان يقف على حقيقة أمره كاملا ، وبالتالي إسقاط نظرية الشاباك التي يرددها على مسامع العملاء بأنه أذكى من أن يعرض من يتعاونون معه للاعتقال على أيدي الأجهزة الأمنية أو حتى الاشتباه بهم ، حيدر غانم الذي ساعد في تقديم المعلومات لضابط المخابرات الإسرائيلية منذ العام ٩٦ وارتضى أن يبيع نفسه وضميره وعائلته مقابل حفنة من النقود لم تسمن ولم تغن عن جوع وقف بين من كانوا في يوم من الأيام زملاء مهنة واحدة معه إلا انه خانهم وخانها وطأطأ رأسه دون أن يقوى على النظر إلى عيون أحد منهم.

حيث قال: أنا خريج الجامعة الإسلامية العام ٨٦ ، لم يكن هناك مجال للعمل بشهادتي فعملت كعامل في إسرائيل لمدة خس سنوات ، وبعدها درست الصحافة في القدس ، وعملت في اكثر من جريدة ومجلة إلى أن عمل في المركز الإسرائيلي لحقوق الإنسان "بيتسيلم" قبل حوالي عام تقربا بكتابة التقارير حول الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان وتوثيق أعمال القتل وهدم

المنازل وتجريف الأراضي موضحا أن اختياره لهذا العمل كان وفق إعلان عن وظائف شاغرة لباحث ميداني في إحدى الصحف المحلية ؛ حيث قدم السيرة الذاتية الخاصة به ضمن مجموعة متقدمين آخرين ووقع الاختيار عليه ، وحول بداية ارتباطه مع المخابرات الإسرائيلية ووقوعه في مستنقع العمالة قال غانم : إنها بدأت مع بداية العام ٩٦ عن طريق إعلان عن القوى العاملة الإسرائيلية نشر في إحدى الصحف وكان يطلب فيه التقدم لإشغال وظائف شاغرة في إسرائيل إن كان عاملا أو غير ذلك وعند قراءته لهذا الإعلان أرسل السيرة الذاتية مبديا رغبته في العمل في هذا المجال عبر الفاكس حيث تم بعد فترة وجيزة من الزمن الرد عليه بالإيجاب لعمل في المجال الصحافي.

وتابع إقراره : كانت بداية عملي عن طريق مؤسسة أطلق عليها اسم "مركز الدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط" حيث كانوا يطلبون مني كتابة تقارير عن البنية التحتية في قطاع غزة ، وهذا ما قمت بعمله فعلا إلى أن وقعت أحداث النفق واصبح هناك متغيرات سياسية الأمر الذي جعلهم يبلغونني انه تم توقيف العمل بهذه المؤسسة ؛ لأن البرنامج الذي كان يسير وفقه اصبح غير مجد ، وأشار إلى انه على الرغم من أن العمل توقف معهم إلا انهم قاموا بتحويله للعمل في مكتب صحافي إسرائيلي في كتابة التقارير الصحافية إلى أن دعوه في احد الأيام لحضور حفل في تل أبيب تم خلاله تعريفه على شخصية إسرائيلية زعم انه يعد دراسات حول الشرق الأوسط اكتشف لاحقا انه ضابط احتياط في الجيش الإسرائيلي وانه تورط بالفعل مع المخابرات الإسرائيلية وهذا لم يوضحه له ضابط المخابرات ؛ بل اكتشفه بنفسه.

وقال معترفا : انني عندما اكتشفت بعد عام تقريبا من كتابة التقارير انني اعمل مع المخابرات الإسرائيلية حاولت التوقف عن العمل مع الضابط فهددني بأكثر من طريقة منها وجود بعض الصور التي جمعتني به في لقاءات داخل الحفل ، وكان يرتدي حينها الزي العسكري وأيضا التقارير التي كنت اكتبها على أنها تقارير تمس بأمن الدولة منوها إلى أن المخابرات الإسرائيلية اكتفت في بادئ الأمر بكتابة التقارير الصحافية وهذا ما جعله يطمئن.

وادعى غانم في بادئ الأمر أن كل ما طلب منه من قبل المخابرات هو استقراء الحالة العامة الفلسطينية في محافظات غزة من حيث كيفية تفكير المواطنين العاديين وتفكير الشخصيات القيادية في القوى الوطنية والإسلامية وقيادات السلطة منوها إلى أن عملية الاتصال مع المخابرات كانت تتم عن طريق جهاز الهاتف النقال "الأورانج" ومن ثم تطورت إلى اتصال عبر لقاءات شخصية أو عبر شبكة الإنترنت.

وأوضح انه وبعد أن تعمق في العمل مع المخابرات اكثر فاكثر شعر أن المخابرات لا تنظر اليه كعميل عادي يمكن أن يطلب منه مراقبة شخص ما وإنما ارتباط المراد منه تطوير القدرات للحصول على اكبر قدر من المعلومات عن محافظات غزة.

وحاول غانم اكثر من مرة إنكار ربط العلاقة ما بين عمله في "بيتسيلم" والمخابرات الإسرائيلية مدعيا انه لا توجد أية علاقة بين هذين العملين على الإطلاق إلا أنه في النهاية اقر بأنه استغل عمله في بيتسيلم لصالح المخابرات الإسرائيلية في نواح عدة.

وقال: إن نوعية التقارير التي كانت تطلبها المخابرات الإسرائيلية منه قبل الانتفاضة تنصب حول مراقبة الحركات الإسلامية من خلال العناصر المهمة فيها وعقد لقاءات معهم وانه استغل عمله كصحافي لصالح المخابرات الإسرائيلية وعمل العديد من اللقاءات الصحافية مع شخصيات وطنية وإسلامية واخذ أراءهم حول المواقف السياسية وتطلعات الأحزاب والسلطة باتجاه الحالة العامة الموجودة أو تجاه أي متغير سياسي.

وقال: إن المخابرات كانت أحيانا تحدد أسئلة ولكن في الكثير من الأحيان كانت تندرج الأسئلة ضمن الأسئلة الصحافية العادية والتي لم تكن محددة موضحا أن الأسئلة التي تضعها المخابرات كانت تتعلق بعلاقة الشخصيات الإسلامية في الحركات السياسية بالأجنحة المسلحة ورؤيتها لأية متغيرات في ظل الأوضاع القائمة.

وعن محاولته إجراء مقابلات مع مطلوبين من "حماس" أو الجهاد الإسلامي لإسرائيل قال: حاولت إجراء مقابلة مع احد قادة كتائب الشهيد عز الدين القسام محمد ضيف وذلك بتكليف

من الشاباك إلا انني لم انجح بذلك حيث اعتذر احد قادة "حماس" عن ذلك مشيرا إلى انه ليس له علاقة بالجناح العسكري.

وحول الخدمات التي قدمها للمخابرات الإسرائيلية في مراقبة أشخاص معينين قال انه نفذ ما طلب منه من مراقبة احد الأشخاص من حركة فتح وأيضا لكافة عناصر المقاومة الشعبية وكتائب شهداء الأقصى بشكل عام في رفح وخانيونس.

وأوضح أن المقابلات داخل إسرائيل مع ضابط المخابرات فوزي كانت تتم من خلال تصاريح كان يصدرها له ويقوم بتسليمها في معبر ايرز ومن ثم تم توفير تصريح عمل دائم في إسرائيل له كان من خلاله يقابله بداية في منطقة تل أبيب ومن ثم منطقة القدس منوها إلى أن المقابلة كانت تتم بناء على طلب المخابرات التي كانت تحدد زمن ومكان ونوعية اللقاء حيث انه في اليوم الذي كانت تحدد فيه زمان اللقاء كان يتوجه إلى ايرز على شباك التصاريح ليجد التصريح الخاص به جاهزا فيقوم بالاتصال بضابط المخابرات الذي كان يحدد له مكان اللقاء.

وأشار إلى أن إجراءات اللقاءات كانت تخضع لظروف أمنية فمنها ما كان يجري بعد إجراء تفتيش دقيق ومنها ما كان يجري بشكل طبيعي موضحا انه كان يشعر بالمهانة أثناء تفتيشه كونه يخدم ويقدم لهم كل ما يطلبونه منه إلا انه كان يقتنع بانه المقتضيات الأمنية تتطلب ذلك.

وحول قيمة المبالغ التي كان يتقاضاها من المخابرات الإسرائيلية مقابل الخدمات الاستخباراتية التي كان يقدمها لهم قال إنها وصلت في بادئ الأمر إلى ١٥٠٠ شيكل شهريا ومن ثم وخلال فترة الانتفاضة وبعد أن توقفت التصاريح اصبحوا يرسلون لي بين كل فترة وأخرى أي كل أربعة شهور تقريبا حوالي ١٠ آلاف شيكل ومرة أخرى الفي دولار ومرة ثالثة ٢٥٠٠ دولار أي حين تقسيمها يصل متوسط قيمة المبلغ الشهري إلى ٦٠٠ دولار شهريا.

وزعم انه كان يشعر في كل لحظة بالندم خاصة بعد اغتيال الشهيدين عبد الرزاق وضهير وهذا ما أدى إلى انعدام أي امل لديه في أن أحدا قد يصفح عنه اثر الدعوات للتوبة.

وحول دوره في عملية اغتيال الشهيد جمال عبد الرزاق قال إن المخابرات طلبت منه متابعة جمال

عبد الرزاق على أساس انه احد المقاومين الذين يقومون بإطلاق الرصاص على الجيش الإسرائيلي بشكل دائم في رفح ، فقام بمتابعته لفترة قصيرة لا تتعدى ثلاثة أو أربعة أيام فقط موضحا أن دوره انحصر فقط في الوقوف على دوار العودة في مدينة رفح ومتابعة تحركات الشهيد عبد الرازق وإن كان الشهيد عوني ضهير معه أم لا وتبليغ المخابرات بذلك وهذا ما قام به بالفعل لحظة مرورهما بالسيارة أمامه.

وأضاف نعم لقد وقفت على دوار العودة مدة حوالي ساعة تقريبا وقفت خلالها مع شرطي مرور وتحركت في محيط الدوار وعند إحساسي بأن الوقت قد طال وأن جمال لم يمر بعد أردت العودة إلى منزلي إلا أن الشرطي طلب مني الوقوف معه بعض الوقت وفي هذه اللحظات التي كنت اهم فيها بالعودة إلى منزلي مر جمال بسيارته ومعه عوني فقمت بإبلاغ المخابرات بذلك واتجاه السيارة التي كانوا يستقلونها فقال لي إن مهمتي انتهت عند هذا الحد وبعد ربع ساعة تقريبا وقع حادث الاغتيال.

ونفى أن يكون قد علم أن المخابرات الإسرائيلية بصدد اغتيالهما زاعمين انهم كانوا يريدون فقط اعتقاله وتأديبه (أي نريد قرص أذنيه) لأن حركته كثيرة في البلد.

وقال انه بعد حوالي ساعة من عملية الاغتيال حاولت المخابرات الاتصال بي إلا انني أغلقت البيلفون فكرروا الاتصال مرة ثانية في ساعات ما بعد الظهر أي العصر تقريبا وبرروا عملية الاغتيال بأن جمال حاول اطلاق النار عليهم أثناء محاولاتهم اعتقاله وان هدفهم كان فقط اعتقاله.

بعد اعتقال العميل مجدي مكاوي المتورط في عملية اغتيال الشهيد عبد الرزاق ومن معه اتصل غانم بضابط المخابرات ونقل له مخاوفه من انكشاف أمره إلا انه طمأنه بأنه مطلع على الأمور بشكل عام وانه لم يذكر اسمه في أي تحقيق اجرى مع مكاوي أو غيره لا من قريب أو من بعيد وان ضابط المخابرات قال له إن لديه أشخاصا يعرفون أمور كثيرة في سير التحقيقات التي تجري في الأجهزة الأمنية الفلسطينية. وقال انهم طلبوا مني أن أبيع أجهزة كهربائية عبارة عن أجهزة

كمبيوتر للمقاومين والمناضلين الفلسطينيين وكانت هناك صفقة لبيع عدد من هذه الأجهزة لهم كادت أن تتم إلا انه في اللحظات الأخيرة رفض المقاومون أخذها واكد انه لم يجد أية صعوبة في الحصول على المعلومات لاسيما وان جميع المقاومين المطلوب متابعتهم وتسجيل تحركاتهم من رفح وكانت تربطه بهم علاقات صداقة كون معظمهم كانوا من نفس السن.

وأضاف: عندما بدأت المقاومة المسلحة اصبح لدي فضول بمعرفة تحركاتهم وربط علاقات معهم دون تكليف من المخابرات الإسرائيلية فقط موضحا أن معظمهم ومن خلال هذه العلاقة كانوا يترددون علي في منزلي وكنا نجلس لنتناقش في أمور عدة منها عملهم في المقاومة ومن خلال هذه المناقشات كنت احصل على المعلومات المطلوبة منهم عن كل ما يحدث داخل مدينة رفح وغيرها أيضا بشكل دقيق.

وأشار إلى انه كان يجمع هذه المعلومات من المقاومة ويناقش فيها أبناء حركة فتح وأيضا كان يناقش المقاومة بالمعلومات التي يحصل عليها من حركة فتح وفي النهاية يرسلها إلى المخابرات الإسرائيلية التي كانت تهمها هذه المعلومات كثيرا ، وحول علاقته بتوزيع الأموال على عملاء آخرين قال إن الضابط فوزي كان يرسل مبالغ نقدية بين فترة وأخرى يتم توزيعه على عملاء آخرين حيث كنت أقوم باختيار نقاط ميتة أي أماكن غير محددة ربما تكون عمارة قيد الإنشاء أو مجمع نفايات أو عامود كهرباء أو ما شابه ذلك وأقوم بإبلاغ المخابرات بهذه الأماكن المراد وضع المبالغ النقدية فيها مشيرا إلى انهم كانوا في أحيان كثيرة يوافقون عليها واحيانا أخرى يطلبون منه تغييرها لدواع أمنية.

وقال تسلمت مثل هذه المبالغ ثلاث مرات الأولى منها في رفح والثانية عندما اجتزت الحدود الإسرائيلية والثالثة في مدينة غزة حيث كانوا يضعونها إما في علبة سجائر ملقاة بجانب حاوية نفايات أو في علبة كولا تحت عمارة قيد الإنشاء أو بجوار شجرة في شارع لا يوجد فيه حركة كثيرة.

وأضاف: إن قيمة المبلغ الذي تسلمته في المرة الثالثة كان ٥ آلاف دولار منها ٢٥٠٠ دولار لي

ومثلها للتوزيع أما بعد ذلك أيضا في غزة تسلمت مبلغ ٥ آلاف دولار و١٠ آلاف شيكل كان جزء منها لي شخصيا وجزء آخر للتوزيع .

وحول علاقته بعملية اغتيال الشهداء الستة في رفح ومن ضمنهم الأشقاء الثلاثة من عائلة رزق الذين ينتمون لكتائب الشهيد عز الدين القسام حاول غانم في البداية إنكار أية علاقة له بحادثة اغتيالهم إلا انه قال إن علاقته اقتصرت في هذه العملية على زيارة مستشفى أبو يوسف النجار في رفح بعد انتشار خبر استشهادهم والتأكد من أن الشهيد يوسف رزق احد قادة كتائب القسام كان من بين الشهداء.

وأضاف انني وفور التأكد من خبر اغتيال رزق ومن معه قمت بالاتصال بضابط المخابرات دافيد وإبلاغه بالحادثة حيث انه طلب بدوره مني إبلاغه عن أي أشخاص تدور حولهم شبهات بانهم وراء عملية الاغتيال أو أشخاص متورطين في الحادث من خلال متابعي للأجهزة الامنية واحاديث المواطنين في الشارع.

وعن آخر اتصال أجراه مع ضابط المخابرات الإسرائيلية دافيد قال انه كان قيل اعتقاله من قبل جهاز الأمن الوقائي بحوالي نصف ساعة تقريبا وكان مضمون الاتصال عاديا حيث انه سأل عن مكان وجوده ساعة الاتصال فأكد أنه في مدينة غزة.

واكد انه لم يدلِ باعترافاته لجهاز الأمن الوقائي نتيجة ضغوط مورست ضده مشيرا إلى أن محققي جهاز الأمن الوقائي تعاملوا معه بكل أريحية ولم يمارسوا ضده أي نوع من العنف أو الضغط الجسدي أو النفسي وإنما كانت لديه الرغبة في الإدلاء بكافة المعلومات التي لديه منذ لحظة ارتباطه مع المخابرات الإسرائيلية وحتى يوم اعتقاله بناء على قناعته أولا بأنه لا مفر من الإنكار وثانيا كونه تبين أن لدى جهاز الأمن الوقائي معلومات دقيقة عنه وعن تحركاته بالكامل فاجأوه بها.

وأضاف: من واقع تجربتي الشخصية تبين لي انه كلما حاول العميل إخفاء نفسه عن أعين أجهزة الأمن الفلسطينية إلا انه في النهاية سيقع لأن كل إنسان معرض للخطأ واي خطأ لو كان بسيطا

يمكن أن يوقعه في شر أعماله.

وتوجه لكافة العملاء مهما كانت نوعية أو حجم الجرم الذي ارتكبوه حتى وان كانوا قد ارتكبوا افظع الأعمال الإجرامية أن يسلموا انفسهم لجهاز الأمن الوقائي ويعترفوا بكل ما لديهم.

وقالت "بيتسيلم" في تعقيب لها انه "اذا ما تبين أن اعترافاته حقيقية فإن ذلك يعتبر استغلالا إجراميا لمركزه كنشيط في مجال حقوق الإنسان."

وأضافت أنها تعتبر "استغلال مجال حقوق الإنسان لهذا الهدف أمرا في غاية الخطورة ويضر بالعمل من اجل حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة."

وقالت مؤسسة "بيتسيلم" إنها ستواصل وطاقمها "تأدية رسالتهم والعمل الدؤوب من اجل الدفاع عن حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة."

وقال جهاد وهو يغلق الملف : هذا آخر ما كتبته تلك الصحيفة عن حيدر

قال حسام : أحسنت أيها الأستاذ !

قال عزمي : ما كان دور حيدر في اغتيال جمال ؟

قال جهاد : من مصدر آخر ، ولكن تبين انه أدلى باعترافات حول تورطه في عملية اغتيال جمال عبد الرازق في مفرق مستوطنة موراج التي أدت إلى مقتل أربعة فلسطينيين في مجزرة مروعة. وكان ذلك في يوم ٢٢/ ١١/ ٢٠٠١ عندما كان جمال عبد الرازق الناشط في حركة فتح ورفيقه عوني ضهير يستقلان سيارة من نوع هونداي ويتجهان من مدينة رفح نحو مدينة خان يونس، عندما اعترض مستعربون من قوات الاحتلال السيارة وأمطروها برصاص رشاشاتهم مما أدى إلى مقتل أربعة وإصابة آخرين في ما عرف بمجزرة موراج لوقوع المجزرة بالقرب من مفترق مستوطنة موراج. . وحسب اعترافات غانم فإنه لم يكن بعيدا عن مكان المجزرة ، زعم انه كان يقف مع شرطي مرور ولما رآهم بلغ سيده وكان يزود مشغله ضابط المخابرات الإسرائيلي بمعلومات حول تحرك عبد الرازق ورفيقه.

قال حسام : اذكر حادثة اغتيال الأخوة الثلاثة من آل رزق في منطقة رفح

قال جهاد : كانت في ٢٤ – ٦ – ٢٠٠٢ يومها اغتالت قوات الاحتلال القائد ياسر سعيد محمد رزق مع خمسة من إخوانه ورفاقه في رفح .. ولد الشاب المجاهد عام ١٩٧٣م في مخيم اللاجئين (الشابورة) الواقع في مدينة رفح في جنوب القطاع في أسرة مكونة من ١٢ أخا وأختا كان ترتيبه -رحمه الله- الخامس بينهم .. عرف عنه -رحمه الله- تدينه منذ صغره حيث كان يواظب على الصلوات في مسجد "الفاروق" المقام في مخيم الشابورة للاجئين. .كان الشهيد ياسر رزق من أوائل الملتحقين بركب المقاومة منذ سنوات الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧م ، فقد اعتقل عام ١٩٨٩ (وهو لم يتم بعد عامه السادس عشر) في سجن النقب الصحراوي ليقضي فترة محكوميته عاماً ونصف العام ، وكان مسئولا عن الأرشيف الأمني لحماس في سجن النقب ، إثر خروجه من السجن التحق بكتائب القسام في عام ١٩٩٢م ، وكان قائدا عسكريا خطط للعديد من العمليات العسكرية ، كان الشهيد بمثابة المهندس الأول الذي خطط لعملية اقتحام الموقع العسكري (كيرم شلوم) والذي نفذاه الشهيدان عماد أبورزق ومحمد أبو جاموس وقتلوا خمسة جنود صهاينة بينهم ضابط وجرحوا العشرات في ٩/ ١/ ٢٠٠٢م ؛ كما أن الشهيد كان متخصصا بضرب قذائف الهاون خاصة على مستوطنة رفيح يام وموراج.. تزوج الشهيد عام ١٩٩٥م وأنجب أربعة أطفال (وحينها استشهد كانت زوجته حاملا بخامس). ولياسر رزق مأساة ، فلقد فقد اثنين من أطفاله ابنا وبنتا عندما دخلا ثلاجة مستهلكة أمام منزلهم الواقع في "سوق رفح المركزي" وماتا الطفلان البريئان خنقا داخلها.

أما عن ظروف استشهاده فذلك أن ياسر ورفاقه كانوا قد خرجوا في ٧/ ٦/ ٢٠٠٢م ؛ ليجهزوا العتاد والعدة لمهاجمة موقع عسكري كانا ينويان تفجيره فأصيب ياسر في يده إصابة بالغة عولج على إثرها في "مستشفى أبو يوسف النجار" ومن ثم أصبح يراجع باستمرار "المستشفى الأوروبي" شرق رفح.. وفي يوم استشهاده في ٢٤/ ٦/ ٢٠٠٢م خرج الشهيد ياسر بصحبة أخويه بسام (٣٢ عاما) ويوسف (٢٠عاما) ومرافقه ورفيق دربه "أمير محمد قفة" (٢٦عاما) الساعة السابعة صباحا واستقلا سيارة للذهاب إلى علاج يده المصابة في "المستشفى الأوروبي"

وبينما هم كذلك حتى ظهرت طائرتان من نوع أباتشي في سماء رفح وقصفت السيارة بصاروخين مباشرة مما أدى إلى استشهادهم على الفور وتقطيع أجسادهم إلى أشلاء متناثرة. وشاء القدر أن يستشهد معهم أيضا رفاق لهم وهم الشهيدان "سامي محمد عمر" و "مدحت عبدالوهاب الحوراني "

***

سنة ٢٠١٤

كان عام ٢٠١٤ عاما قاسيا على غزة رغم أن القائد إسماعيل هنية رئيس وزراء السلطة قبل عام الحسم قبل سبع سنوات ؛ حيث هرب كوادر فتح من غزة إلى مصر والضفة وإسرائيل للنجاة بأرواحهم سمح بعودة عناصر فتح والسلطة لغزة كمواطنين ، وكان ذلك الإعلان في ٦ يناير بإعلان السماح لأعضاء حركة فتح الذين خرجوا من غزة بعد الاشتباكات التي جرت في ٢٠٠٧ بالعودة إليها ، كما يقرر السماح بزيارة أعضاء الحركة لذويهم في القطاع ، بالإضافة إلى الإفراج عن معتقلين سياسيين.

وبعد مقتل فلسطينيَّين في قطاع غزة ١٢في آذار ، تطلق سرايا القدس الجناح العسكري للجهاد الإسلامي قرابة ٧٠ صاروخاً ؛ يسقط ٤١ صاروخاً منها في إسرائيل ، ورداً على ذلك تقوم القوات الجوية الإسرائيلية بضربات جوية على ٢٩ هدفاً في جميع أنحاء قطاع غزة ، لا تتسبب في وقوع إصابات ، ولكنها تلحق أضراراً جسيمة في عدد من مواقع التدريب العسكرية ، ويتم التوصّل إلى اتفاق هدنة كالعادة المتكررة بوساطة مصرية بين إسرائيل والجهاد الإسلامي في اليوم التالي.

وفي ٢٣ أبريل ٢٠١٤ أبرمت منظمة التحرير الفلسطينية وحركة المقاومة الإسلامية حماس اتفاقاً للمصالحة ، وكان من بين نقاطه تشكيل حكومة الوفاق الوطني خلال خمسة أسابيع ، تليها الانتخابات الرئاسية والبرلمانية في غضون ستة أشهر، وينص الاتفاق المذكور على أن رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس سوف يبدأ المشاورات اعتباراً من هذا اليوم ، من أجل تشكيل حكومة الوفاق الوطني خلال المهلة الزمنية القانونية ومدتها خمسة أسابيع ، وأنه سوف يحدد موعداً لإجراء انتخابات جديدة في غضون ستة أشهر، ويؤكد الاتفاق التزام الطرفين بمبادئ اتفاق القاهرة عام ٢٠١١ ، وإعلان الدوحة عام ٢٠١٢ ، وينص على إعادة تفعيل المجلس التشريعي الفلسطيني .

عقب اتفاق التسوية الذي تم التوصّل إليه في ٢٣ أبريل ، وبعد عدة أسابيع من الاتصالات

المكثّفة بين "فتح " و"حماس"، تؤدي حكومة وفاق وطني جديدة اليمين الدستورية أمام محمود عباس في رام الله يرأس الحكومة رئيس الوزراء رامي حمد الله ، وتضمّ ١٨ وزيراً مستقلاً وتكنوقراط ، من بينهم أربعة يقيمون في غزة ، ولا تسمح لهم إسرائيل بالسفر إلى رام الله لحضور مراسم تأدية اليمين ، ويعلن عباس أن الحكومة ستحافظ على سياسات منظمة التحرير الفلسطينية الحالية ، وتتمثل مهمتها الرئيسية في تنظيم الانتخابات في غضون ستة أشهر. وكانت الحكومة التي تقودها "حماس" في غزة قد عقدت آخر اجتماع رسمي لها في ٢٧ مايو معلنة أنها كانت مستعدة لتسليم المسؤولية الكاملة إلى حكومة السلطة الفلسطينية الجديدة فور تشكيلها، بيد أن السلطة والسيطرة الفعلية على إدارة غزة سوف تظل في يد حماس خلال الأشهر والسنوات التالية.

يُصدر مكتب بنيامين نتنياهو بياناً يقول فيه إن إسرائيل ترفض التفاوض مع الفلسطينيين طالما أن حكومة تساندها حركة حماس تضطلع بالسلطة ، وأنها سوف تعمل ضد إدراج مرشحي حماس في الانتخابات الفلسطينية المقرَّرة ، وتعلن إدارة باراك أوباما أنها تعتزم العمل مع حكومة الوفاق الفلسطينية الجديدة ؛ كما تحظى الحكومة بتأييد كلّ من روسيا والصين والهند وتركيا وفرنسا.

قال رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو أنه يجب على قادة العالم عدم التسرع في الاعتراف بالحكومة الجديدة واصفا حماس بأنها منظمة إرهابية ملتزمة بتدمير إسرائيل ، أصدر مكتب رئيس الوزراء الفلسطيني بيانا ندد فيه بتصريحات نتنياهو ، علقت إسرائيل محادثات السلام وأعلنت عن عقوبات جديدة.

***

بينما حمدي أبو سلمى في مهمة في العاصمة اتصل الليلة السابقة بغريب وتواعدا على اللقاء في حديقة الاستقلال الوطني في شارع الاستقلال مغربا ؛ لذلك صلى غريب في مسجد قائد الاستقلال صلاة المغرب وبعد الصلاة مشى نحو حديقة الاستقلال التي تبعد عن المسجد

نصف كيلو متر وعادة في الصيف تملأ الحديقة إلى حد كبير بالعائلات والأصدقاء ، فهناك ساحات للمراجيح والسحاسيل وغيرها من أدوات لهو الصغار والمقاعد المنتشرة في كل ساحات الحديقة الشعبية ، وتجد فيها محلات بيع العصائر والأطعمة السريعة والسجائر وعند كوخ يسمى كوخ المرح رأى صديق هود يجلس قريبا منه يتعاطى الارجيلة وأمامه فنجان أو كوب قهوة بدا له فارغا ، فاشترى اثنين من كوخ المرح وانتقل لمائدة جلوس أبو سلمى في الهواء الطلق وضع الأكواب على المائدة وتصافح الرجلان الكهل والشاب .

وبعد أن سمعا أخبار بعضهما قال غريب : ما الجديد ؟

قال : هل تحب الحديث في السياسة؟

ـ إلى حد ما .. هل من شيء مهم؟

ـ مصالحة فتح وحماس

ـ ستفشل كغيرها لا تهتم بمبالغات الفضائيات والصحف .. لا احد يثق بأحد وما حدث قبل سنوات في غزة لا يخبو بسهولة رغم مرور سبع سنين عليه ، قوم تعودوا على السلطة وحبس الناس وباعوا انفسهم للهوى لا أمان لهم ، ومجرم إسرائيل ومن خلفه لا يرغبون بحكومة واحدة .. نحن في غزة حياتنا من الصغر تتبع الأخبار وجرائم الاحتلال

ـ نعم ، برامج الجهاد والمقاومة غير برامج السلطة لا ادري كيف وقعوا بفخ أوسلو؟!

ـ خشية البديل يا عم أبو سلمى خافوا من ظهور قيادة بديلة لا ترغب بالانضواء تحت شعارات المنظمة ، والعالم المجرم لا يرغب بحكومة إسلامية في الدول العربية والإسلامية .. لقد رأيت كيف اجهضوا حكومة مصر ومن لهم نفس إسلامي ؟

ـ هذا أنت عميق الفكر يا أستاذ غريب .. هل سمعت بالحادث هو الأخير؟

ـ كنت ارغب أن أسألك عنه ما القصة ؟

ـ القصة تتكرر بين زمن وزمن .. صراع تهريب مخدرات ومخبرين .. فالذي قتل مخبر شرطة لمنع التهريب كشف قاربا محملا بالهروين فقتل ؛ لكنه كان قد اخبر مرؤوسيه

ـ ليست أسلحة كحادث السفينة

ـ لا .. نتج عن الحادث قتل اثنين من المهربين والمخبر والشرطة تبحث عن القاتل الهارب

ـ لا اعتقد جئت لتخبرني بذلك.. فهذا اعتقد نشر في الصحف

ـ اغلبه .. جئت ... هيا بنا نمشي ونتمشى فقد زاد الناس من حولنا وبقربنا

نهضا واشعل حمدي غليونه الأثري الذي ورثه عن أبيه كما اخبر غريبا ذات مرة ثم قال : جئت لأن فتاة غزاوية زارتني قي هود .. فكثير من طلبة غزة يتعلمون هنا

ضحك غريب وقال : نحن شعب كثير في غزة ؛ كما تعلم اعلى نسبة مواليد عندنا .. ونسبة طلاب مرتفعة من الجنسين .. لدينا العديد من الجامعات المعاصرة .. وكنا من قبل ندرس في جامعات مصر بحكم أن مصر حكمتنا بعد هزيمة ٤٨؛ وكما أخذت الأردن الضفة الغربية واسم فلسطين مسح من خرائط الأمم المتحدة والجغرافيا ، واصبحنا مجرد لاجئين في كل أنحاء المعمورة .. فالدراسة في خارج الوطن امر طبيعي ..فالناس مع ظهور المنظمات الفدائية في منتصف الستينات أتيحت لهم فرصة الدراسة في دول البلقان الشيوعية والدول العربية والأكثرية في مصر وهذا مسموح للجنسين ماذا تريد فتاة غزة ؟

ـ أنا أول مرة اعلم أن فتاة ترغب بنقل أموال لغزة أو مصر .. في البداية ظننتها تطلب مساعدة

ـ من أرسلها ؟

ـ قريبك أو أخوك

ـ خلاص اطمئن يا عم حمدي فلا يرسلون إلا ثقة ..وقد تكون هذه الفتاة أخت مجاهد أو ابنته

ـ صحيح لمحت لذلك

ـ ما المطلوب مني ؟

ـ المطلوب انني سأدفع لك الحقيبة الخاصة وأنت تتعامل معها فهي تدرس هنا في الشفا

ـ كيف سأتعرف عليها ؟

ـ أنا سأعرفها عليك

ـ أنا علاقتي مع الفتيات ضعيفة سواء في الجامعة أم الحياة العادية .. أتعامل معهن بالحدود الدنيا

ـ تعامل باقل من الحدود الدنيا لعلك تعرفها

ـ لا اعتقد كانت حياتي في غزة بعيدة عن الفتيات وقصص الفتيات تدينت منذ قبل الابتدائية .

***

في ١٢ حزيران ٢٠١٤ اعلن رسميًا عن اختفاء ثلاثة مستوطنين في الخليل وإسرائيل تتهم حركة حماس بذلك وتفرض طوقًا عسكريًا على جنوب الضفة الغربية..

خطف ثلاثة مستوطنون في الخليل وبدأ الجيش الإسرائيلي عقبها حملة عسكرية وفي ٣٠ يونيو عثر على جثث المستوطنين الثلاثة قرب حلحول ، وقد كشفت تقارير بأن الشرطة وأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية عرفتا بعد وقت قليل من وقوع الحادثة أن الأمر يتعلق بعملية قتل وليس باختطاف لكن الحكومة أرسلت الجيش والأجهزة الأمنية لتشنا حملة واسعة من المداهمات والاعتقالات بالضفة الغربية بحثا عنهم وكأنهم أحياء ، مع اتساع نطاق الإجراءات الإسرائيلية الصارمة عبر الضفة الغربية ، بما في ذلك القدس الشرقية ، تتصاعد أيضاً التوترات وأعمال العنف في قطاع غزة ، ويطلق المقاتلون الفلسطينيون الصواريخ عبر القطاع ، ويبدو أن مقاتلين من الجهاد الإسلامي ولجان المقاومة الشعبية يشاركون في عملية إطلاق الصواريخ، فيقوم سلاح الجو الإسرائيلي باستهداف مواقع تدريبهم ، واستهداف مواقع تعود لحماس ويحدث مستوى جديد من الاشتباكات عندما تقوم الأخيرة ، من خلال جناحها العسكري، كتائب عز الدين القسّام ، بإطلاق ١٨ صاروخاً باتجاه جنوب إسرائيل (٣٠ حزيران)، وهي المرة الأولى منذ الهجوم على غزة في نوفمبر ٢٠١٢. وتقصف القوات الجوية الإسرائيلية ٣٤ هدفاً في ن اليوم نفسه.

تصاعد التوتر مع اختطاف ثلاثة مستوطنين إسرائيليين في منطقة الخليل ، يتم اختطاف ثلاثة مستوطنين مراهقين في كتلة غوش عتصيون الاستيطانية بالقرب من القدس ، ورداً على ذلك

تباشر إسرائيل عملية عودة الأخوة ، وهي حملة توقيفات ، ومداهمات ، وتفتيش منازل ، واعتقالات تستهدف حماس في الضفة الغربية وفى الأيام التالية، يقيم الجيش الإسرائيلي العديد من حواجز الطرق ، ويبدأ غارات مكثفة في منطقة الخليل ، تفرض إسرائيل إغلاقاً على الضفة الغربية من بيت لحم إلى منطقة الخليل ، وفي ٣٠ حزيران تعثر قوات الأمن الإسرائيلية على جثث المستوطنين الإسرائيليين الثلاثة بالقرب من الخليل ، وأثناء العملية التي تستمر ثلاثة أسابيع تعيد إسرائيل اعتقال ٥٣ أسيراً سابقاً ، أُطلق سراحهم في صفقة تبادل شاليط في سنة ٢٠١١؛ وتعتقل أكثر من ٧٠٠ فلسطيني؛ وتداهم نحو ٤٠٠ ,١ منزل.

٢ تموز ٢٠١٤ يختطف مستوطنون ليلاً الفتى محمد أبو خضير ، البالغ من العمر ١٦ عاماً ، في حي شعفاط ، ويحرقونه حياً ، ثم يلقون جثّته في أحد أحراش القدس ، تندلع خلال النهار الاحتجاجات والاشتباكات في القدس، وخصوصاً في شعفاط ، ما يسفر عن جرح ١٧٠ فلسطينياً.

وأعقب ذلك مطالبات إسرائيلية بالانتقام من العرب وهو ما أدى إلى خطف وتعذيب وحرق الطفل محمد أبو خضير من مخيم شعفاط ، والذي أعقبه احتجاجات واسعة النطاق وخصوصاً في مناطق عرب ٤٨ وكذلك إطلاق صواريخ من القطاع على المستوطنات والمدن الإسرائيلية وقصف إسرائيلي على القطاع.

العثور على جثة محمد أبو خضير في ٢ يوليو في أحراش بلدة دير ياسين المهجرة ، بعد أن خطف وعذب وأحرق وهو على قيد الحياة على أيدي مجموعة مستوطنين متطرفين.

وفي ٧ يوليو وبعد مقتل سبعة من نشطاء حركة حماس في انفجار نفق في خان يونس، الذي نجم عن غارة جوية إسرائيلية (وفقًا لكل من حماس وناثان ثرال، وبي بي سي، ومسؤول كبير بالجيش الإسرائيلي) أو انفجار عرضي للذخيرة (وفقًا للجيش الإسرائيلي)، تحملت حماس المسؤولية عن إطلاق الصواريخ على إسرائيل، إذ أطلقت ٤٠ صاروخًا باتجاه إسرائيل

تصعيد خطير على جبهة غزة وتشنّ القوات الجوية الإسرائيلية غارات على ثلاث منشآت

تدريب تابعة لـ كتائب القسّام ، فيسقط ١٥ جريحاً ، وفي اليوم نفسه، ترد تقارير عن توجيه إنذار بالتوقّف عن إطلاق القذائف لجميع المجموعات الفلسطينية مدته ٢٤-٤٨ ساعة، تسلّمته " حماس عن طريق المخابرات المصرية ، وإلا سوف تواجه ضربة إسرائيلية كبيرة؛ لكن هذا لا يمنع حدوث تصعيد خطير في الأيام التالية، ففي الفترة ما بين ٣ و٧ تموز، يضرب الجيش الإسرائيلي أكثر من ٤٠ هدفاً ، فيقتل ١١ مقاتلاً ، من بينهم تسعة من كتائب عز الدين القسّام، ويطلق المقاتلون الفلسطينيون ١٥٠ صاروخاً على جنوب إسرائيل.

يقرر مجلس الوزراء الأمني الإسرائيلي شنّ هجوم على قطاع غزة يطلق عليه اسم عملية الجرف الصامد ، وسوف تسميه حماس العصف المأكول ، والجهاد الإسلامي البنيان المرصوص ، والهدف المعلَن للعملية الإسرائيلية هو وقف إطلاق الصواريخ الفلسطينية على إسرائيل، ومنع المزيد من الهجمات؛ ولكن أياً تكن خطة الحرب الإسرائيلية وأهدافها الأوليّة، ونظراً إلى المقاومة التي تبديها حماس والشروط التي تضعها لوضع حد للقتال ، تنتهي الحرب بنوع من "التعادل غير المتكافئ" بعد أن تمر بثلاث مراحل: مرحلة هجوم جوي (٨ - ١٦ يوليو)؛ مرحلة الاجتياح البري (١٧ - ٣١ يوليو)؛ ومرحلة الأعمال القتالية المتقطّعة، وتتخلها محاولات وقف إطلاق النار (١ - ٢٦ أغسطس).

الحرب

يطلق الجيش الإسرائيلي هجوماً كبيراً على قطاع غزة . تضرب الغارات الجوية الإسرائيلية ١٥٠ هدفاً في جميع أنحاء القطاع ، ويتسلل مقاتلون من حماس إلى إسرائيل عبر البحر بالقرب من كيبوتس زيكيم ، ويُقتلون جميعهم ، وفقاً لتصريحات الجيش الإسرائيلي ، ويطلق الفلسطينيون قرابة ١٣٠ صاروخاً إلى داخل إسرائيل ، يقال أن منظومة القبّة الحديدية تعترض ٢٣ منها ، كما يُسمع دويّ صفّارات الإنذار في تل أبيب التي تصلها ثلاثة صواريخ تقوم القبّة الحديدية باعتراضها، تتسبب الصواريخ بأضرار في منزلين، وبإصابة شخصين بجروح طفيفة ، وتسمح الحكومة الإسرائيلية باستدعاء ٤٠,٠٠٠ من جنود الاحتياط تقريباً ، تحضيراً لهجوم بري

محتمَل.

عقب اجتماع وزراء خارجية الجامعة العربية ، يعرض وزير الخارجية المصري مبادرة لوقف إطلاق النار من شأنها ، إلى حد كبير، إعادة الوضع الذي تم تثبيته بعد العدوان على غزة في نوفمبر ٢٠١٢، بحيث يبدأ وقف إطلاق النار في اليوم التالي، على أن تليه محادثات في القاهرة . تعِد إسرائيل بأنها سوف تناقش الاقتراح ، وفي ١٥ يوليو، يوافق مجلس الوزراء الأمني عليه ، في حين يرفض قادة حماس الاقتراح ، ويعتبرون أنه تم بالتنسيق مع محمود عباس من دون أي تشاور معهم ، ويصفونه بأنه "مبادرة ركوع وخنوع".

في ١٧ يوليو ، يبدأ الجيش الإسرائيلي خلال الليل اجتياحاً برياً لقطاع غزة ، بهدف ردع مقاتلي حماس بحيث لا يعود لديهم الحافز للاستمرار ، وضرب البنية التحتية للإرهاب ، والصواريخ، والأنفاق .

يعقد الوسطاء المصريون محادثات مكثّفة لوقف إطلاق النار مع ممثلين فلسطينيين وإسرائيليين بين ١١ و ١٨ أغسطس. وفي ١٥ آب، يقدّمون اقتراحاً يتضمّن ما يلي: فتح بعض المعابر بين إسرائيل وغزة ؛ استيراد مواد البناء (الإسمنت والصلب) بإشراف دولي ؛ توسيع منطقة الصيد المسموح بها إلى ١٢ ميلاً بحرياً ، يتضمن الاقتراح المصري تأجيل نقاط الخلاف الأشمل إلى مفاوضات مستقبلية ، تعترض "حماس على الاقتراح وتصرّ على إنهاء الحصار بشكل كامل، وليس فقط تخفيفه ، ولكنها تعرب عن استعدادها لتأجيل المناقشات حول الموانئ الجوية والبحرية في غزة ، وعلى النقيض من حماس ، فإن الرئيس محمود عباس يلتزم بالمبادرة المصرية، ولكنه يحاول الحصول على موافقة حماس على طلب انضمام فلسطين إلى المحكمة الجنائية الدولية وبما أن الفجوة ما تزال واسعة بين المواقف الإسرائيلية وحماس يتفق الجانبان ليل ١٨ آب على تمديد وقف إطلاق النار الموقت لمدة ٢٤ ساعة إضافية.

بعد انهيار وقف إطلاق النار، واستئناف الأعمال العدائية، تدعو مصر الإسرائيليين والفلسطينيين (٢٣ أغسطس) للعودة إلى القاهرة لإجراء المزيد من مفاوضات وقف إطلاق

النار. ويتم التوصل، في ٢٦ آب، إلى اتفاق وقف إطلاق نار مفتوح ، وتتضمن بنوده الفورية: تخفيف الحصار، مع فتح معابر غزة الحدودية أمام البضائع ومواد إعادة الإعمار؛ وتوسيع منطقة الصيد في غزة من ٣ إلى ٦ أميال بحرية قبالة الساحل، وتقليص المنطقة العازلة التي فرضتها إسرائيل على طول السياج الحدودي داخل غزة من ٣٠٠ إلى ١٠٠ متر ؛ وأخيراً، استلام السلطة الفلسطينية مسؤولية مراقبة الحدود وبرنامج التعمير ،ومن بين القضايا والمطالب التي أُحيلت إلى مناقشات لاحقة: إطلاق سراح المعتقلين الذين تم الإفراج عنهم في إطار صفقة التبادل مع شاليط سنة ٢٠١١ ثم أعادت إسرائيل اعتقالهم مجدداً في يونيو ٢٠١٤؛ تسليم رفات الجنود الإسرائيليين الذين قُتلوا في غزة أثناء الأعمال العدائية ؛ ميناء بحري ومطار تجاريين قابلين للتطبيق ، وسوف ترفض إسرائيل استئناف المحادثات لحل هذه القضايا.

***

فتاة غزاوية

كثير من الناس تشغلهم الحرب ولو كانوا بعيدين عن لهيبها ، لأن أخبارها تشغل محطات البث شرقا وغربا ، وكثير من الناس أيضا لا يبالون إلا بمصالحهم وحياتهم اليومية ، وبينهم طائفة بين بين ، خلال الحرب الدموية والهمجية على قطاع غزة التي سبب الكثير من الألم والصبر لأهل غزة مدينة الشهداء الذين لا يعدون ، تعرف غريب على فتاة غزة خلال أيام الحرب : الوضع صعب في غزة لكن الفصائل تقاتل ببسالة .. الآنسة الفاضلة اسمها خديجة حامد وأنا غريب عايش صيدلي

قالت : أهلا دكتور غريب

قال : مرحبا وحياك الله من أي منطقة من غزة ؟

ـ حي الرمال القديم

ـ أنا من سكانه أيضا.. أنت من نفس غزة من أرسلك لأبي سلمى

ـ أخوك ناصر عايش

ـ كيف ؟

ـ أبي صديق شقيقك .. والدي حامد هو أرسلني للدراسة في الشفا ، وقابلت قريبك المهندس الهيثم وسهل لي الدراسة على نفقة جمعية آل روح الفضل حسب توصية

ـ رائع !وكلفوك بالتعرف على أبي سلمى

ـ صحيح وذهبت في رحلة قصيرة للميناء ، ثم زرت أبا سلمى بناء على توصية ورسالة خطية من شقيقك المجاهد صديق أبي

ـ وحدك جئت الشفا

ـ ذهبت لمصر لدراسة هندسة الحاسوب ، ولم أتمكن من ذلك فطلب والدي من أخي الأكبر الذي يتعلم بالإسكندرية أن يذهب بي للشفا وقابلنا المهندس الهيثم فرتب لي أمور الجامعة والسكن مع فتيات يدرسن مثلي على نفقته الخاصة ، بعضهن من غزة والبعض الآخر من الضفة

فقال غريب : أرسلك لأبي سلمى ناصر عايش

ـ الرسالة جاءت من أخي في الإسكندرية حيث يدرس الهندسة والطاقة الشمسية فذهبت لهود حيث قابلت هذا الرجل المحترم في مكتبه عند الميناء واستمع لي وقال انتظري تلفونا مني وهكذا التقيت بك

قال حمدي : جيد يا آنسة! هذا هو غريب عايش .. كلما ترغبين بالسفر لغزة خبري غريبا قبل ذلك بأسابيع لأجهز لك الهدية .. واي مساعدة تحتاجينها مهما كانت اتصلي بالدكتور غريب أو بي دون تردد

ـ شكرا لكما

***

اقترب تخرج غريب فالصيدلة كدكتور تحتاج لست سنوات دراسية عادة ؛ لكن بدراسة الفصول الصيفية تقلص مدة الدراسة ، وباشر ساعات تدريب تزيد عن الف ساعة ليحصل على عضو نقابة وكان يفكر بدارسة ماجستير صيدلة .

لما حدثت حرب ٢٠١٤ فلم يتمكن من زيارة غزة فظل مستمرا في وظيفة في مصنع دواء ؛ لأنه لما اقترب التخرج ترك صيدلية والد صديقه بشير الصيدلي حلمي ، وعرض عليه قريبه الهيثم الزواج والاستقرار في الشفا ؛ ولكنه فضل الدراسة والعودة لغزة في النهاية ؛ وقبل العمل في مصنع دواء فقال له المهندس الهرم : تزوج وخذها معك

ـ الحياة في غزة صعبة تحتاج لقلوب قوية الإيمان وصلبة العقيدة ، فمنذ ولدنا ونحن نعيش في حرب تتلوها حرب يا جدي الغالي ، فبنات غزة عشن ذلك وهن شجاعات في الصبر والتحمل الموت حدث يومي في كل الدنيا وكما قيل خلقنا لنموت وكما قال الحق تعالى (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا) وخلق الإنسان ليعبد ربه في هذه السنوات من الحياة

ـ وذلك في كل مكان وزمان

قال غريب : الموت تحت القصف يحتاج لقلوب قوية ونساء غزة تعودن ذلك منذ ولادتهن ومن قبل أن يولدن .. هنا انفجار عجل سيارة يقذف الرعب في المارة .

قال الهيثم : كله موت يا دكتور غريب ! الإنسان يتأقلم مع الوقت مع كل الأحداث ؛ ولكن بطولة مقاومتكم رائعة وعجيبة في زمن الضعف هذا ! لقد أبلوا بلاء حسنا في الشهرين السابقين ألك أقارب معهم؟

ـ اغلب العيلة في المقاومة أو مناصرة .. الناس مشتاقة للجنة أو العودة إلى ليافا ومدنهم وذلك كما ترى يحتاج لجهاد وقتال

ـ كنت ارغب أن أزوجك فتاة من الشفا .. كيف المصنع الذي تعمل فيه ؟

ـ جيد وشكرا لجهودك يا جدي الغالي .. أنا جئت لبيتكم والجلوس معكم فالقوم يحتاجون لتبرعات من سيادتكم بعد هذه الحرب القاسية

ـ ألك علاقة بالمقاومين ؟

ـ نقل بعض الأموال .. هذا جهدي فأنا خرجت من غزة قبل سنوات كطالب علم .. فأهل غزة كسائر الأمة الفلسطينية يحبون العلم والدراسة .. وفي غزة قد لا يعملون على الشهادات ففرص

العمل ضعيفة ؛ ولكنها وسيلة للعيش بكرامة .. فالفقر شديد في البلاد والتكافل يسد الثغرات بين العائلات

ـ من أرسلك ؟

ـ لا ادري ! يطلب مني بمقابلة شخص فيعطيني حقيبة

ـ وتدخل بها غزة

ـ لا ، أوصلها لمصر ولا ادري كيف تدخل الأموال لغزة ؟ تدخل بالتقسيط أو مواد

ـ ومن أرسلك إليّ ؟

ـ شخص في هود حتى انه تفاجأ انك قريب لي

ـ حمدي أبو سلمى

ـ نعم هو .. أتعرفه ؟

ضحك الهيثم وقال : متى عرفته ؟

ـ من سنوات قليلة .. عن طريق شقيقي ناصر طلب مني أن أقابله وذهبت لهود وتعرفت عليه

ـ هل تعلم انه تعرض لمحاولة اغتيال أثناء حرب غزة الأخيرة ؟

ـ لم اسمع ! أنه اتصل بي على المصنع عنواني الجديد وقال عنك وطلب المساعدة وأكيد لست أنا وحدي من ينقل الأموال للمجاهدين .

ـ أكيد لست الوحيد يا ابن أختي جدتك الحاجة شهدة زوجها من آل روح الفضل من سكان غزة قبل الانتداب الإنجليزي وقبل ظهور الصهيونية

ـ نعم وأبي من آل روح الفضل

ـ قل لحمدي قريبا .. قم بزيارته ثم طمني على صحته واعرف قصة الاغتيال أنا اليوم كما تعلم لا اخرج من البيت إلا قليلا إما لزيارة ضرورية أو زيارة الطبيب .. حتى دعوات الجمعية العائلية قل ذهابي إليها .. لعلك لاحظت ذلك .. قابل أبا سلمى وعد بأخباره .. وانا لا اعرف لماذا لم يتحدث معي مباشرة كالماضي ؟ لعل هناك سببا

ـ لابد من سبب ربما بسبب الحادث

ـ ربما كما قلت .. انتم لستم على اتصال دائم

ـ لا ، كانوا يستغلون عودتي في إجازة الصيف أثناء العودة لقضاء الإجازة بين الأهل ولم ادخل بنفسي أي قرش لغزة ؛ إنما اتركها لدى شخص في القاهرة ولما اصل غزة اخبر شقيقي ناصرا بنقل الحقيبة ولا اعلم ما فيها إلا أنها أموالا للقسام أو حماس

ـ هل نسيت بلاسم ؟

ـ بلاسم زائرة الصيدلية الزبونة الدائمة !

ـ آ

ـ وما ما معرفتك بها ؟

ضحك الهيثم وقال : ألم تعرفك على نفسها ؟

ـ فتاة تشتري دواء وتنصرف .. ما القصة ؟

ـ كنت أريدك أن تتعرف عليها لتتزوجها لتكون زوجة لك

ـ أنا في حيرة .. هي ما زالت تتصل فيّ بين الحين والآخر تسأل عن صحتي ولم تقل لي يوما عن معرفتها بكم

ـ صاحب الصيدلية صديق العائلة

ـ أبو بشير

ـ أبو بشير عجيب يا غريب ألا تعرف ؟

ـ أنا فقد عرفت أن بشيرا زميل جامعة ولوالده صيدلية ورحب بدوامي الليلي معهم

ـ وبشير لم يفاتحك بشيء عن بلاسم ابنة أخته

ـ هو خالها

ـ صحيح

ـ يا لي من غافل مغفل .. هي العروس!

ـ فكر وهي تعلم انك من أهل غزة

ـ أنا كنت أو قل طبعي الخجل من إطالة الحديث مع الفتيات حتى في الكلية إجابات مقتضبة لذلك كن الفتيات مجرد زمالة عابرة .

ـ تربيتك أصيلة يا غريب .. ستقابل أبا سلمى وتعود بإذنه تعالى .. يبدو أن الرجل مضطر لكشف الأمر لك كيف أنت ورجال المصنع ؟

ـ الأمور طيبة وهل تسمح لي بالانصراف ؟

ـ انطلق على بركة الله ..

***

غادر فيلا الهيثم روح الفضل وهو في دهشة مما سمع وعرف ، وقبل أن يعود لبيته اتصل بمقهى الصيادين في ميناء هود ولما سمع صوت حمدي الصياد وجرى السلام والتحايا قال : قابلت الخال روح الفضل ووصلت الرسالة له وكلفني بمعرفة أخبارك وتفاصيل الحادث الذي تعرضت له يا عم حمدي .

ـ جيد يا دكتور غريب ! سنلتقي سأنتظرك في مسجد مقبرة هود فأنا اصلي المغرب فيه غالبا اذا لم اسهر في قهوة الصيادين على كورنيش هود

ـ متى ؟؟

ـ أنت حدد الوقت .

ـ غدا عصرا سأغادر العمل نحو هود وسأنام في احد فنادق هود

ـ سأحجز لك في فندق في وسط وقلب هود إلى اللقاء

***

دخل ميلاد احمد تصحبه الزوجة والأطفال الصغار دون الكبار ووجد شقيقته تمام تجلس مع أمه فهتف : الدكتورة تسهر عند أمها ! لا سهر في نادي الأطباء الليلة

صافحت اليد الممدودة وأيدي الزوار ، ولما انتهت المصافحات وجلس الضيوف قالت تمام : السهر في مقهى النادي لا ينتهي بغيابي عنه .. وهل تراني اسهر فيه كل ليلة ؟

ـ هكذا سمعت من زميلك الدكتور مازن حماد

قالت بدهشة واضحة : ويلك أتعرفه ؟! هذا أسوأ دكتور عرفته في حياتي

فضحك وقال : لا اعتقد هذا يا عزيزتي ! لابد أن مرادا أسوأ منه

امتعضت وهي تقول : مراد ليس من زبائن وأعضاء نادي الشفا ، وقد انتهى من حياتي فلا داعي لذكره يا أبا أحمد ؟

ـ هل ينتهي الزوج من حياة المطلقة ؟ ولماذا مازن حماد أسوا دكتور عرفتيه ؟

ـ نصاب ، وسمعته في المركز الصحي سيئة يعاكس الموظفات والمريضات ، وله قصص قبيحة

قالت زوجة ميلاد : كيف حال الدكتورة ؟ ماذا حصل بموضوع الزواج الجديد ؟

قالت وهي تنظر لزوجة ميلاد : ألم تخبركم أمي بما انتهى اليه الأمر ؟

قالت الأم : لم اخبرهم بشيء ؛ لأنك لم تخبريني بغير انك قد تتزوجين دكتورا جديدا

قال ميلاد : ابقي حرة الزواج قيد ، والرجل الأرمل لم ينجب فنخشى أن لا تنجبي ، فقد انفصلت عن بلال من اجل الإنجاب

ـ هذا هو سبب التردد .. ولكن الكلام اللاسع كثير ، سواء في مكان العمل أم في نادي الأطباء.. لماذا لم تتزوجي ؟ فلان يبحث عن أم لأطفاله .. فلان طلق ويبحث .. فلان ارمل يريد زوجة طبيبة .. وأنت ما زلت شابة .. ولا استطيع استضافة ذكر بدون آخرين .. فتخرج الإشاعات الجارحة

قالت أم احمد : معك حق .. كلام لاسع ومؤذي لابد من زوج ولو ديكور كما يقال !

ـ تقريبا ، لا استطيع حسم أمري لليوم .. الفشل الثالث قاتل جدا

قالت الأم : والحل أن تعودي للعيش معي

قال ميلاد : لن تتحملي يا أمي !

التفت اليه الأم وصاحت : أتحمل ماذا ؟

نظر ميلاد للدكتورة وقال : أجيبي

قالت تمام : بماذا أجيب ؟

قال : عن رفضك العيش عند أمنا .

قالت الأم وهي تتبادل النظر بين ولديها : هل من سر ؟!

قال : ليس بسر إنما امر قد تجهلينه

ـ اجهله ! ماذا هناك يا تمام ؟

قالت بحيرة : لا ادري .. إلا اذا كان يقصد شربي للخمر بعد طلاقي من مراد

قالت الأم : تشربين الخمر ! أنا اعلم انك تركتيه لما تزوجت صاحب راضي

قالت معترفة ومقرة : عدت اليه لما تزوجت من مراد ، فهو يشرب وهو علمني عليه أيام الكلية

قال ميلاد : هذا السبب الحقيقي لترددها بالزواج من الأرمل

صاحت وهي تنهض بغضب وسخط : من قال لك ذلك ؟

ـ الصدفة

ـ إلى اللقاء يا أمي

***

ذهب غريب مساء إلى مدينة هود لمقابلة حمدي أبو سلمى في مسجد مقبرة هود ولما انتهت صلاة المغرب انتظر لعل الرجل يظهر ، وبينما هو ينظر في آيات القرآن المرسومة على جدران المسجد اقترب منه شاب وقال : الأستاذ غريب

التفت غريب اليه وقال : اجل . وصافحه

ـ أبي في انتظارك في البيت بيتنا قريب من المقبرة

خرجا من الجامع الكائن في أول مدخل للمقبرة ، وتبع الشاب إلى منزل مجاور للمقبرة ضمن عدد كبير من المنازل ، وعلم من الشاب أن هذا الحي يسمى حي المقبرة ، ساقه الشاب إلى غرفة صغيرة معدة لاستقبال الزوار ثم دخل أبو سلمى يمشي بين عكازين وخرج الشاب وهو يحمل رسالة اعمل شايا ، رحب حمدي بالشاب وتعانقا وقال غريب : الحمد لله على السلامة لم اعرف إلا لما زرت الجد الهيثم .

ـ اعرف يا غريب واعرف انه قريب لك ، واعلم أن اهلك في غزة هم الذين عرفوني عليه ، واللقاء به قبل مجيئك إلى الشفا للدراسة

ـ ما القصة ما قصة الحادث ؟

ـ أصابع الغدر .. تعرضت للغدر .. ألا تقرأ الصحف ؟

ـ لا أقرأها إلا نادرا ..اسمع الأخبار من بعض فضائيات الأخبار

ـ نشرت الحادثة في صحف أو عدة صحف

قال معتذرا : لم انتبه لها

ـ القصة أن احدهم أراد اغتيالي فوضع قنبلة في مكتبي قرب مقهى الصيادين .. في نفس شارع المقهى مكتب الصياد حمدي أبو سلمى

ـ لم تنتبه لها، ولماذا وضع قنبلة ؟ هل لفتاة غزة التي قابلناها أثناء حرب تموز على غزة يد ؟

ـ لا اعتقد هي سنة ثانية في الجامعة ولم تحمل أي حقيبة لليوم ..مهنتي صياد ومهرب

ـ مهرب أسلحة

ـ اجل مهرب أسلحة لسواحل غزة أو سواحل سوريا ولبنان

ـ الحمد لله على السلامة على نجاتك كيف نالوا منك وهل تعرفهم ؟

ـ لحتى الآن لا اعرفهم بالتحديد ؛ ولكنهم يشتغلون مع العدو اذا كان الهدف القتل بسبب تهريب السلاح ..واذا لم يكن السلاح فالمتورط عصابات المخدرات .. المال نهربه عن طريق

مصر والتجارة .. والأسلحة عن طريق البحر أو الصحراء المصرية .. وضعوا قنبلة مؤقتة كما تقول الشرطة تحت مقعد المكتب .. ولما فتحت باب المكتب انفجرت قبل أن ادخل للمكتب بشكل كامل وتناثرت شظاياها فأصابتني في مواضع من الجسم .. والحمد الله لم اجلس على الكرسي بمجرد فتح الباب حدث الانفجار

ـ الحمد لله على نجاتك ولم يعرف الفاعل الذي وضع القنبلة لدى البوليس المحلي .

ـ قبض على صيادين مشتبه بهما ، ولم يعترفا بشيء لحتى الآن ، قضيت أسبوعين في المستشفى ولا استطيع التصريح للحكومة بنشاطي السري ودعمي للمجاهدين في فلسطين ولبنان

ـ أليست غزة بعيدة عن بلادكم ؟

ـ صحيح يا دكتور .. نحن ننقل إلى محطة أخرى ، وهم ينقلون لمحطة أخرى أو اكثر .. فالتهريب مهنة صعبة ومعقدة .. فهناك من يهرب البشر لشواطئ المتوسط في أوروبا ، وهناك من يهرب المخدرات إلى مصر وأوروبا وبلدان الشواطئ ، وهناك من يهرب الأسلحة والذخيرة لفلسطين وغير فلسطين .. أينما يكون صراع مسلح ينشط تهريب الأسلحة بأنواعها المختلفة .. تجارة السلاح تدر أموالا اكثر من المخدرات .. وهناك من يهرب لبلادنا دون علمنا .. التهريب في كل بلدان العالم مهما عظمت قوة الدول .. أمريكا تهرب إليها المخدرات والممنوعات من أسلحة وجلود حيوانات وغير ذلك ومهاجرين .. فتجارة البشر امر واقع .. حدود الدول صغرت أو كبرت لا يمكن حفظها اربع وعشرين وعلى مدار السنين .. العجز موجود في الكل والمهرب يصطاد لحظات الغفلة والتعب من حراس الحدود .. والفلوس تشتري كما يقال أثخن الشوارب .. المال حاجة كل الناس

ـ مخضرم يا عمي .. وصحتك اليوم

ـ ستتحسن مع الوقت ، فقد ضربت شظايا القنبلة بعض الأوتار والأعصاب في رجليّ وقدميّ هو لو انفجرت القنبلة وانا داخل المكتب لأصبحت ميتا

ـ هذه التفاصيل يحب سماعها الجد الهيثم روح الفضل

ـ لا بأس يا سيدي ! ولا تذهب اليه مباشرة بعد مغادرة هود .. الشرطة تعتقد أن القنبلة من وضع مهربين مخدرات ، وأنني أتستر عمن يريد التخلص مني ؛ وربما الأمن السري له رأي آخر يا سيدي ، فلا أريد أن يقحم السيد الكبير في القضية .. فهو محسن كبير .. وعملنا سريا سواء المال أم السلاح ؛ لعل هاتفي تحت السيطرة والمتابعة انتبه لذلك ، ولولا ذلك لتكلمت معه .. وانا لولا صحتي كما ترى لقابلتك في المقهى أو السوق .. فهمت أنك ستبقى هنا بعض الزمن

ـ مزيد من التدريب كما أخبرتك من فترة ، واعمل في مصنع دواء محلي للمزيد من التدريب وعندما أقرر العودة لغزة سأكتب لك إن لم أتصل

ـ المهم انتبه لنفسك لبعض الوقت ؛ لعلك أصبحت الآن تحت الشبهة والشك بزيارتي .. أنا الذي دفعني للاتصال بقريبك .. هو لاحظ انني لم استلم المال الشهري منه فاتصل على المقهى المعروف لكل البلد .. فهو مقهى يجلس فيه صيادي هود ثم اتصلت به من بقالة وشرحت له سبب تأخري عنه هل أعطاك شيئا ؟

اخرج غريب حقيبة ودفعها للسيد ، ولما شرب القهوة غادر البيت وبعد تجول في السوق وشارع السوق ذهب للفندق وقضى ساعات من النوم ومع صلاة الفجر غادر هود بأول سيارة مسافرة للشفا إلى مصنع الدواء .

***

الوسيط المصري بين حماس وإسرائيل أصدرت محكمته محكمة الأمور المستعجلة في القاهرة ، في ٣١ يناير ٢٠١٥، حكماً يقضي باعتبار الجناح العسكري لحركة حماس كتائب عز الدين القسّام تنظيماً إرهابياً ، ومنذ ٢٤ أكتوبر ، ٢٠١٤ عندما شنّت جماعة إسلامية تُعرف باسم أنصار بيت المقدس سلسلة من الهجمات القاتلة على قوات الأمن المصرية في شبه جزيرة سيناء أسفرت عن مقتل أكثر من ٣٠ شخصاً ، يواصل المسؤولون المصريون اتهام الفلسطينيين وحماس على وجه الخصوص بتأجيج أعمال العنف الجارية.

وفي ٢٨ فبراير، تقضي محكمة الأمور المستعجلة المصرية بتصنيف حماس (ككيان سياسي وعسكري) منظمة إرهابية ، وتحظرها في مصر ، غير أن محكمة استئناف مصرية سوف تلغي الحكم في ٦ يونيو، إثر الطعن الذي تقدّمت به هيئة قضايا الدولة .. انظر التلاعب بحشر القضاء المصري للابتزاز السياسي .. هكذا هي الأنظمة العربية الهشة !

***

في السادس من مارس،٢٠١٥ يقتحم رجل فلسطيني بسيارته مجموعة من رجال الشرطة الإسرائيليين في حي الشيخ جرّاح احد الأحياء في القدس الشرقية ، مما يسفر عن جرح ٤ ضباط ومدني إسرائيلي واحد ، تطلق الشرطة الإسرائيلية النار على الرجل أثناء مغادرته السيارة ، فتصيبه بجروح خطيرة، ثم تقوم باعتقاله.

***

بما أن هدنة إعادة الإعمار لغزة التي رعاها ممثل الأمم المتحدة السابق روبرت سيري في مارس لم تؤتِ ثمارها، تبدأ مجدداً في مطلع يونيو محادثات غير مباشرة بين إسرائيل وحماس ، عبر قنوات عربية وتركية وأوروبية مختلفة ، لمناقشة احتمال التوصّل إلى وقف إطلاق نار لمدة تتراوح بين ٥ و١٠ سنوات ، مقابل تخفيف الحصار ، ويتضمن ذلك إمكانية إنشاء ميناء بحري عائم ينعقد، بشكل خاص، اجتماعان في يونيو ، أغسطس بين مبعوث اللجنة الرباعية السابق طوني بلير ، وخالد مشعل ، كما يتم نقاش إمكانية الإفراج عن إسرائيليَّين محتجزَين في غزة ، وتسليم جثتَي جنديَّين إسرائيليَّين يُزعم أنهما قُتلا في غزة خلال حرب سنة ٢٠١٤، إضافة إلى إطلاق سراح المعتقلين الذين تم الإفراج عنهم في إطار صفقة التبادل مع شاليط سنة ٢٠١١ ثم أعادت إسرائيل اعتقالهم مجدداً في حزيران ٢٠١٤؛ ولكن لم تسجل أية نتائج ملموسة من هذه الجهود حتى نهاية العام.

***

زيارة صور

سافر عبد الله حسن للبنان بعد عودة عمه حسان من العلاج في أوروبا وزار أخته صفية في بيروت قبل الانتقال لصور ، وزار كذلك ابنة عمه وزوجها جميلة حسين وزوجها ، وفي الصباح غادر لزيارة صور في الجنوب اللبناني ، وبعد الغداء مع الوالد قابل العم حسين ثم زار بصحبة الوالد منزل العم حسان واطمئن عليه ، وفي اليوم التالي رافقه لزيارة أختيه القاطنات في مخيمات صور ، وفتح موضوع أخبار الشاب المفقود فقال زوجها : أهلا بالمهندس العزيز وشكرا على الأموال التي ترسلها لنا أنت الآن من سكان الشفا واستقر بك المقام فيها

ـ هذا حق علينا ..وقد أصبحت مديرا لمستشفى عمي .. وقل أصبحت مقيما إلى حد كبير

قالت الأخت : سمعنا ذلك ومبارك عليك فانت أهل لكل منصب .. كيف زوجتك الدكتورة يسرا ولماذا لم تحضر معك؟

قال حسن مبررا : ما هي رئيس قسم المالية في المستشفى ؛ لعل هذا السبب بعدم مرافقتها لزوجها

ابتسم زوج الشقيقة وقال : أكيد العم سأل مثل هذا السؤال قبلنا .

قال عبد الله : وهناك سبب آخر .. الحمل أيها الكرام في بطنها جنينا

قالت : الف سلامة اعتقد هذا الثالث أليس كذلك أبي ؟

حسن : أكيد كما قلت .. تقوم سالمة بإذن الله

تناول حسن وأمه وأبوه الغداء مع أسرة الشقيقة ، بعد أن علم أن أخبار المفقود ما زالت غامضة لم تظهر جثته ، هو وابن عمه ، والصليب الأحمر ما زال يقول إن إسرائيل لم تأسره ولم تقتله والغموض يلف القضية ، وقسام لبنان يقول انه تعرض لإطلاق النار في وسط الماء هو والمركب الذي كان فيه وسقطا في الماء ، ولم يستطيع إنقاذهما من كان معهم على ظهر مركب الصيد ، وبعد أسبوع في ربوع الجنوب عاد عبد الله للشفا

***

ذهب عبد الله بعد العودة من زيارة لأقاربه ووالديه بلبنان لزيارة العم الهيثم وعلم انه ازداد ضعفا ومرضا وهناك التقى بابن بنت عمته شهدة محمد علي ابن غزة الصيدلي غريب ، وتعانقا ولما اطمئن على الهيثم قال لغريب : ألم تعد لغزة سمعت انك أنهيت الصيدلة ؟

فقالت يسرا : أين تعمل الآن ؟

أجاب الهيثم : ألحقته بمصنع دواء ابن خالي الدكتور رياض جلال الدين وعرضت عليه الزواج من ابنة صديق بنت بنت صديق على الأصح

قالت يسرا : أنعرفها ؟

ـ أنت تعرفينها الآنسة بلاسم بنت خيري درست العلاج الطبيعي

قالت مادحة : نعم اعرفها واعرف أمها وجدها الصيدلي والله طيبة ونشيطة يا دكتور غريب

ضحك وقال : صحيح أنا تعرفت عليها بظروف غريبة ، ثم علمت أنها قريبة للعائلة الكبيرة وانا افكر بالعودة لغزة في وقت ما ، وهي بعد أن فهمت من تكون لا ترحب بالانتقال لغزة والحروب تخيفها وقد رات الحرب الأخيرة ؛ ولعلها مخطوبة هذه الأيام فاعتذرت لما تصارحنا هي كانت تظن انني سأستقر هنا .. والحقيقة انني لا اعرف ولم يحسم الأمر وعلمت أنها خطبت

هتف الهيثم : مخطوبة !من قال لك ذلك ؟

ـ هي

ـ أتتواصل معك ؟

ـ على الهاتف بين حين وآخر .. وآخر اتصال سمعتها تقول ذلك ؛ولعلها ترغب بإنهاء الصداقة بيننا بقول ذلك

قال عبد الله : ممكن ، ويسلم عليك يا عمي الأهل في لبنان

ـ آ ، علمت بسفرك لزيارة الأهل كيف أعمامك حسان وحسين والجدة حليمة ما زالت حية

ـ طيبة وتهديك كل التحايا والبركات أنت والأخوة والأولاد والاحفاد

تناول المهندس وزوجته وأطفاله وغريب الغداء على مائدة الهيثم وزوجته وبعض الأبناء وبعد

انصراف المهندس وأسرته بقي غريب جالسا برغبة من الجد ، ولما ظلا وحدهما استمع المهندس العجوز أخبار الصياد حمدي ، فقص على سمعه ما سمعه منه وتناول غريب القهوة من الخادمة واعتذر الهيثم عن فنجانه وأشار للخادمة أن تضعه قرب غريب ولما ابتعدت قال : الشرطة تلصق الجريمة بمهربين المخدرات .. حسب علمي فحمدي لا يهرب المخدرات

قال الهيثم : هو لا يهربها يا دكتور كعمل قال لي انهم أحيانا يحملون المخدرات كإبعاد الشبهة عن تهريب الأسلحة اذا سقطوا في كمين لخفر سواحل البحر ليتظاهروا بأنهم لا يعرفون ما يحملون

ـ فهمت .. المكر مطلوب .. فجريمة التهريب تكون اخف خطرا عند بعض الدول من تجارة الأسلحة ؛ ولكنه لا يرى أن سبب محاولة الاغتيال صراع عصابات مخدرات يرى إنها عملية أمنية أو رسالة انهم يعلمون بنشاطه في تهريب الأسلحة وربما المال

ـ والخطوة الجديدة

رد غريب : هو طلب أن لا اتصل بك بعد العودة مباشرة خشية المتابعة المحلية الأمنية وسوف يجد حيلة للاتصال بك وبالمجاهدين بالمال

ـ أنا كنت أتواصل معه ماديا بعدة طرق .. الاتصال المباشر احدها هو لم يفصح كيف بدأت علاقتي به ؟

ـ لا ، حتى انه يفكر باستبعادي عن نقل المال لمصر قبل أن يصل غزة يخشى اني صرت ملحوظا للخصوم

ـ الفطنة مطلوبة وكذلك الحذر والتحوط .. حسنا ! فإذا سافرت لغزة قم برؤيتي إن كنت حيا وإذا انتهت الحياة فعليك بابني عمار فهو مطلع على الكثير من أسراري السرية

ـ إن شاء الله

***

تلقى بلال هاتفا من رئيسه القديم راضي احمد أيام عمله في مستشفى البركة ، واخبره أن سينزل

للشفا ويرغب برؤيته والجلوس معه ، فرحب به في بيته والغداء معه ، فوافق راضي وتقبل الدعوة ، وكان مجيء راضي للعاصمة لحضور جنازة عائلية ، ولم ينم في بيته أمه ؛ بل قضى الليلة في غرفة فندق ، وفي اليوم التالي كان راضي في بيت بلال ، والعلاقة بينهما لم تنقطع برغم طلاق أخته من سنوات ؛ لذلك لما انتهيا من الغداء عصرا سأل بلال شقيقها عن والدته واخته من باب المجاملة رغم كره أم راضي له ورغم طلاق تمام فقال : زرت أمي مرتين منذ ذلك العام سوى زيارات الأعياد الدينية ، العلاقة بيننا ما زالت فاترة ، وأختي السيئة الذكر لقد فشلت من زواجها بصديق الجامعة الذي تسبب في فساد زواجها منك ، وحصل بينهما طلاق هناك بشر لا يعرفون مصالحهم ومنهم تمام ؛ ولعلك سمعت بأنها تزوجت ممرضا لا ادري جنسيته وبلده وسافرا للحياة في أوروبا ، وقيل هناك قصة غامضة بينهما لم اعلم التفاصيل ولا اهتم بمعرفتها من لا يحترمك فلا تحترمه .

ـ أتمنى لها التوفيق يا صديقي من كل قلبي ، رغم طلاقنا لم احقد عليها أبدا ؛ هكذا الدنيا سعادة وشقاء ، ولا تظن انني احقد عليها ، ولو أنها صارحتني أثناء فترة التعارف على قصتها مع ذلك الدكتور لاعتذرت لك بالرفض بأي صورة .. انها لزمت السكوت .. لم تكن فترة قصيرة من الزمن فترة التعارف .



وتحدثوا عن الزوجات والأولاد وسبب مجيئه للعاصمة لشهود جنازة لاحد أعمامه وأقاربه ، ثم صرح بسبب رغبته لزيارته شخصيا غير الود والصداقة بينهما ، فأخرج الموبايل وفتح على ملف الصور وقربه منه فنظر بلال الصور وقال مدهوشا جدا : جثث أخرى على نفس الشاطئ !

ـ اجل قبل أيام أحضرت الشرطة جثتين للمشرحة .. ذكرتني بالصور القديمة للجثث الثلاث جثث ٢٠٠٧ لعلك لم تنساها مثلي

قال بلال : حادث لا يمكن نسيانه .. ولم يظهر أقارب لهم هؤلاء !

ـ لحتى الآن لا ، وأيضا ظهرت على الأجساد صورة أو الوشم رأس الكلب والحروف الثلاثة على كل اسم .. هذه الرموز يبدو أن بدلا من الأسماء يظهر انهم ينتمون لمنظمة خاصة

قال بلال : الحروف الثلاثة على كل اسم .. ويبدو كلامك صحيحا هي أسماء خاصة لتلك المنظمة .. المشكلة أن تلك المنظمة لا تسال عنهم .. ولابد أنها منظمة سرية فلا تريد كشف نفسها .. لقد اختفى حفيد لعمي حسن عبد الله في جهة مدينة صور في لبنان .. ذكر من سنوات انه اختفى أثناء عملية تهريب أسلحة لغزة .. كان ذلك الحادث قبل وفاة والدي ـ رحمه الله



ـ والصليب الأحمر نفى اغتياله من بحرية إسرائيل أو أسره

ـ كأني سمعت الحديث هذا من الدكتور سارية ابن عمتك جاري في هود

ـ هو حفيد خاله حسن .. أمه تزوجت مجاهدا في احد مخيمات صور ، وهم ينشطون في نقل الأسلحة لفصائل المقاومة الغزية أو الضفة .

ـ اسمع عن ذلك ، وقرأت قصة اغتيال القائد محمود المبحوح في دبي وقد انتشرت قصة الاغتيال بشكل كبير في قنوات الأخبار قبل سنوات

***

مشى جهاد ورفيقاه إلى بيت أبي نزار خلدون بدعوة منه للسمر كما اعتادا ذلك من سنوات وكالعادة كان رفيق نضاله أبي عاصم والد صديقهم عصام في ضيافته أبضا وبصحبة ابنه عصام ولما انتهى الترحيب التقليدي ، وتخلل ذلك شرب الشاي ، وأكل بعض فواكه غزة ، وتقديم وجبة عشاء غزاوية وحلويات غزة التراثية ، وكان كل ذلك قبل الجلوس في غرفة الضيافة ، وكان هذه الدعوة بمناسبة زواج عزمي من بنت الدكتور خلدون والد صديقهم نزار ، فقد أثمرت تلك الصداقة بزواج المدرس عزمي من بنت خلدون من قبل أسابيع .

فقال خلدون : أنا لما اجتمع بصديقنا الشاب جهاد عبد الكريم احب الحديث عن قامات فلسطينية تعرضت للاغتيال ، وحقيقة يعجبني سردك يا دكتور جهاد أنت أصبحت دكتور تاريخ كما علمت .. هل ستبقى تعمل مدرسا في الثانوية ؟

قدم الشكر والثناء على الضيافة الكبيرة وقال : لحتى الحين نعم ، سأبقى أستاذ تاريخ في مدرسة خالد إلا اذا تلقيت عرض شغل خارج غزة .. ويستحق الرحيل .

قال أبو عاصم : يسر الله لك ما ترغب .. عن ماذا ستحدثنا الليلة عن المجاهدين بعد هذه الحرب الغريبة التي ظننا أننا سنغادر الدنيا مع صفوف الشهداء

قال عصام : يا أبي الأعمار بيد الله وحده ؛ ليست بيد النتن ولا بيد الصواريخ والقنابل .. لقد ألقي علينا قنابل ومتفجرات أكثر من عدد سكان القطاع كله شماله وجنوبه

قال خلدون : صدقت يا عصام .. ما عندك من شهداء فتح والفصائل الأخرى الليلة ؟

قال باسما ومجيبا : القائمة لا تتوقف منذ النكبة التاريخية .. قائد يودع قائدا ، فأثناء انتفاضة الأقصى قبل ستة عشر سنة اغتيل عام ٢٠٠٠ جمال عبد الرازق أحد قادة ومؤسسين كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح هو من مواليد مدينة رفح اغتيل في تاريخ ٢٢ – ١١ – ٢٠٠٠ وهو مسؤول قيادي في حركة فتح ؛ حيث تم قتله مع ثلاثة أعضاء آخرين عندما تم إطلاق النار عليهم من قبل القوات الإسرائيلية في غزة.. وكان متابعا من احد عملاء إسرائيل

قال نزار مندفعا : العميل حيدر غانم الذي أعدمته القسام حسب ما ذكر ونشر

قال خلدون : قتل أو اغتيل جمال أيام سلطة عرفات على غزة للأسف ؛ ولكنها الشهادة فلا داعي للأسف .. فهي غاية كل مجاهد ومناضل .. وهو يعرف النهاية والغاية قبل الالتحاق بأي فصيل سواء القسام أم شهداء الأقصى أم سرايا القدس أم وغيرهم

قال جهاد : حقا لا داعي للأسف! فعلا فالشهادة اختيار رباني (ليتخذ منكم شهداء) اغتيل يوم الأربعاء استيقظ جمال من نومه والتقى بصديقه الشهيد عوني ظهير "أبو الرائد" ومن ثم أخذ سلاحه متوجها إلى الجامعة ، ومن ثم إلى جنازة الشهيد عبد الله الفرا في خان يونس .. ولكن رصاصات الغدر كانت تنتظره ، ففي حوالي الساعة العاشرة إلا قليل صباحاً، قطعت دبابة صهيونية الطريق أمام سيارتهم عندما كانت تسير في الطريق الغربي قرب مغتصبة موراج إلى الشرق من مدينة رفح ، وقام جنود الاحتلال من داخل الدبابات المتواجدة على جانبي الطريق بإطلاق النار بغزارة على السيارة دون سابق إنذار، استمر إطلاق النار عدة دقائق، وأدى إلى استشهاد القائد عوني ظهير الذي كان يسوق السيارة ، والقائد جمال عبد الرازق الذي كان يجلس بجانبه ؛ كما استشهد المواطنان ، نائل سالم اللداوي من رفح وسامي ناصر أبو لبن من حي الشيخ رضوان بغزة ، كانا داخل سيارة أجرة بيضاء اللون كانت تسير خلف السيارة المستهدفة ، ونجا سائقها بأعجوبة بعد أن تمكن من الاحتماء تحت مقود سيارته .. وقام جنود الاحتلال باعتقاله واقتياده إلى أحد مراكز التحقيق في سجن المجدل داخل إسرائيل؛ فيما نقلت قوات الاحتلال جثث الأربعة إلى داخل إحدى مغتصبات غوش قطيف ، ومن ثم سلمتها للسلطة الفلسطينية.

قال حسام : لا احترام للجثث .. لعنة الله عليهم ما اقبحهم !

تمتم الجميع بآمين ، وعاد جهاد يتذكر وبعد شهر من نفس العام اغتيل القائد ثابت ثابت في طولكرم، قائد فتحاوي ، وكان ذلك في ٣١ ديسمبر آخر يوم عام ٢٠٠٠ وهذا ملخص عنه أيها الكرام ، فهو ثابت أحمد عبد الله ثابت أبو أحمد ؛ طبيب أسنان مشهور في الضفة

الغربية عامة وطول كرم خاصة ، خريج جامعات العراق سياسي ودبلوماسي وقيادي فلسطيني وهو من قادة حركة فتح ، وكان قائدًا سياسيًا لفصيل التنظيم التابع لحركة فتح العمود الفقري للسلطة الفلسطينية ، ثم التنظيم من كتائب شهداء الأقصى ، وكان الطبيب طبيب أسنان من المقربين للرئيس عرفات وأمينًا لحركة فتح في طولكرم اغتالته إسرائيل صباحًا أمام منزله في مدينة طولكرم تزامنًا مع ذات يوم ذكرى انطلاقة حركة فتح ، الرجل حصل على الثانوية العامة في مدارس المنطقة ، ثم توجه إلى العراق حيث التحق بكلية طب الأسنان في جامعة بغداد، خلال دراسته الجامعية التحق بحركة فتح في العراق منذ عام ١٩٦٨، وأصبح فيما بعد رئيسًا للاتحاد العام لطلبة فلسطين فرع العراق ، بعد تخرجه عاد إلى للبلد ، وأثناء عودته اعتقلته السلطات الإسرائيلية لمدة ستة أشهر ، كما فرضت الإقامة الجبرية عليه لمدة ثلاث سنوات ، افتتح عيادة طبية للأسنان له في مدينة طولكرم ، وانتخب نقيبًا لنقابة أطباء الأسنان الفلسطينية ؛ حيث اتهمته إسرائيل بقيادة وتوجيه مجموعات عسكرية تابعة لحركة فتح ، جاءت عملية اغتياله هذه بعد ثلاث ساعات فقط من قيام الفلسطينيين بقتل «بنيامين كاهانا» ابن الحاخام مائير كاهانا وزوجته ، وحتى والده كاهانا اغتيل في نيويورك في ٥ نوفمبر ١٩٩٠، اغتيال ثابت ثابت غيّر مجرى الأوضاع في الأراضي الفلسطينية ، وكَردّ أولي على عملية الاغتيال ، قام صديقه رائد الكرمي زعيم كتائب شهداء الأقصى ـ وقد اغتيل هو الآخر وهو بطل فلسطيني ـ ومجموعاته باختطاف وقتل مستوطنين إسرائيليين كانا يتواجدا وسط مدينة طولكرم في داخل مطعم شعبي شهير لتناول «الحمص» و «الفلافل ، تبع ذلك مباشرة قيام رائد الكرمي بتشكيل خلايا مسلحة عرفت بكتائب ثابت ثابت ، أطلقت السلطة الوطنية الفلسطينية اسمه على المستشفى الحكومي في مدينة طولكرم ؛ ليصبح اسم المستشفى ؛ كما أطلق اسمه على أحد ميادين المدينة الهامة ، ووضع له في الميدان نصب تذكاري تضمن صورته.

فقال أبو عاصم : شوقتنا لسماع قصة الكرمي رائد

قال باسما : الحديث عنهم ينشط الذاكرة .. ها هي القهوة حضرت قهوة أهلا وسهلا

قال خلدون : السهرة في أولها يا أبا نضال .

قدمت لهم الفناجين ومن يدخن اشعل سيجارته ، وبعد دردشة عاد الحديث لجهاد أبي نضال فقال : أما القائد رائد الكرمي فقصته قصة بطولة وشجاعة .. رائد محمد سعيد الكرمي أبو فلسطين ؛ وُلِد في ٢٨يناير ١٩٧٤ في طولكرم ، اغتيل في ١٤يناير ٢٠٠٢ في طولكرم هو قائد عسكري ميداني ، وهو القائد العام لكتائب شهداء الأقصى المعروفة اليوم لكل مناضل ودارس للتاريخ ، وكلكم سمعتم بالمناضل القائد مروان البرغوثي من قادة هذه المنظمة التابعة لفتح أو قولوا فتح الجديدة .. أو فتح الضفة .

كتائب شهداء الأقصى مجموعات عسكرية تابعة لحركة فتح ، تشكلت على شكل مجموعة عسكرية صغيرة على يد رائد الكرمي ، وكان هدفها الثأر من الاحتلال الإسرائيلي على ما يحصل في المسجد الأقصى ، بالإضافة للثأر لدم السياسي ثابت ثابت أمين سر حركة فتح في محافظة طولكرم والذي يعد واضع الإطار العام لها قبل اغتياله بوقتٍ قصير ، وقد كان الفصيل العسكري المُسمى كتائب الشهيد الدكتور ثابت ثابت النواة الأولى لكتائب شهداء الأقصى هكذا نشر ، وعلى الرغم من عدم كونها مجموعات إسلامية سياسية وعلى الرغم من تخليها عن العمل المسلح ، لاتزال مدرجة منذ العام ٢٠٠٥ في قائمة المنظمات التي تعتبرها كل من إسرائيل والولايات المتحدة وكندا ، والاتحاد الأوروبي ، منظمات إرهابية.

نعود للقائد لقد اغتالته إسرائيل بعد عدة محاولات اغتيال سابقة فاشلة ، وردت حركة فتح على الاغتيال بقتل ما مجموعه ١٣٣ إسرائيليًا خلال الشهر الأول فقط من اغتياله ، كما نفذت أيضًا حركة فتح ردًا على اغتياله عمليات تفجيرية داخل إسرائيل وذلك لأول مرة في تاريخها .

شارك في الانتفاضة الأولى ، ثم انضم إلى صفوف حركة فتح ، بعد ذلك أصيب واعتقل في العام ١٩٩١، وأطلق سراحه في العام ١٩٩٥ انضم إلى الأجهزة الأمنية الفلسطينية كضابط في جهاز المخابرات العامة الفلسطينية .

بعد اغتيال الدكتور ثابت ثابت مسؤول فتح الذي سبق وذكرت ملخصا عنه ، كان لرائد السبق في تشكيل كتائب الشهيد الدكتور ثابت ثابت التي قررت الانتقام لاغتيال ثابت ثابت وقد شكلت هذه الكتائب النواة الأولى لكتائب شهداء الأقصى والتي كان ثابت ثابت قد وضع إطارها العام قبل اغتياله بوقتٍ قصير ، وبفعل هذا فقد أطلق الإسرائيليون على مدينة طولكرم اسم «عاصمة الإرهاب» مرتع الإرهابيين ، وقد عرف الكرمي بمقولته الشهيرة: «إن لم يكن هناك أمن لسكان طولكرم ، فلن يكون هناك أمن لسكان تل أبيب يلقب الكرمي بـ«صقر الكتائب» وبصاحب الرد السريع .

وعاش في مدينة طولكرم في كنف عائلة عرفت بالعلم والنضال ؛ فهو ابن العائلة التي أخرجت كل من عبد الكريم الكرمي، وعبد الغني الكرمي، وحسن الكرمي وغيرهم من الأعلام ، وهو أيضًا قريب نشأت الكرمي قائد كتائب القسام في الضفة الغربية.

هتف حسام : من هو نشأت الكرمي قريب رائد ؟ اسم يجر اسما وبطل يجر بطلا !

قال جهاد : اهدأ لا تنفعل .. قصص الرجال تتشابك يا ابن العم ..نشأت نعيم سليم الكرمي ، هو اصغر من رائد بثلاث سنوات وُلِد في ٢٧أبريل ١٩٧٧ في طولكرم ، اغتيل في ٨ أكتوبر ٢٠١٠ في الخليل ، قائد عسكري كبير ، يوصف بأنه أحد عباقرة حركة حماس ،وأحد أبرز مهندسيها ،وتصفه إسرائيل بلقب المهندس كعياش يحيى ، كان قائدًا لكتائب القسام في الضفة ، وكان المطلوب رقم واحد وهو قائد عملية سيل النار العسكرية ، ومسؤول هجوم الضفة الغربية في أغسطس ٢٠١٠، اغتالته إسرائيل بعملية عسكرية واسعة ، وكان قد نجا قبلها من محاولة اغتيال سابقة في ٤مايو ٢٠٠٤ أدت إلى إصابته بجروح خطيرة..هذا عنه باختصار نعود لرائد

قال أبو عاصم : اكمل أيها المؤرخ النشيط .. بارك الله فيك وفي جهدك اللافت للنظر

قال جهاد : الحمد لله .. قل متابع لم بنشر ويقال .. لما غدرت إسرائيل بالدكتور ثابت في نهاية عام ٢٠٠٠ سنة الانتفاضة الثانية التي بدأت في أيلول ، فهو الصديق المقرب لرائد ، كرد على

عملية الاغتيال ؛ قام الكرمي ومجموعاته بقتل مستوطنين إسرائيليين اثنين كانا يتناولا «الحمص» و «الفلافل» داخل مطعم شعبي شهير في وسط المدينة مدينتهم وجهت إسرائيل للكرمي تهمًا تتعلق بمقتل وإصابة عشرات الإسرائيليين ، وفي ٢٠٠١أدرج ضمن مقدمة «قائمة أخطر المطلوبين» ؛حيث تقول إسرائيل إن الانتفاضة الفلسطينية الثانية كانت تزداد سوءً كل يوم بسببه .. اتهمت إسرائيل السلطة الوطنية الفلسطينية بدعم «الإرهاب» من خلال دعم قادة السلطة للكرمي حسب ما قالت إسرائيل ، في ١٤يونيو ٢٠٠١ طالبت إسرائيل السلطة الفلسطينية باعتقال الكرمي ، وفي منتصف سبتمبر ٢٠٠١ توصل الرئيس ياسر عرفات مع إسرائيل إلى تهدئة ووقف إطلاق نار برعاية دولية ، وذلك لوقف الحرب المندلعة منذ ١١سبتمبر ٢٠٠٠ عندما اقتحم شارون الأقصى، وقد طلب مبعوث السلام الأمريكي أنتوني زيني من الرئيس ياسر عرفات وضع الكرمي في سجن فلسطيني ، وعليه فقد أعلنت السلطة الفلسطينية بأنها ستضع الكرمي في السجن للتوضيح للعالم بأنها ملتزمة ببنود التهدئة ، وزار المبعوث الأوروبي الكرمي داخل السجن ، والتقط صورة مع الكرمي ، اتهمت إسرائيل السلطة الفلسطينية بعدم اعتقالها للكرمي ، وقالت إسرائيل أن ما جرى كان عملية خداع للمبعوث الأوروبي ، من خلال طلب السلطة الفلسطينية من الكرمي أن يقوم بتمثيل «مسرحية أمام المبعوث الأوروبي»، حيث قالت إسرائيل : إن السلطة الفلسطينية طلبت من الكرمي أن يأتي إلى السجن الفلسطيني لساعة من الزمن ، من أجل إظهار أن السلطة تكافح الإرهاب أمام المبعوث الأوروبي .

في ديسمبر ٢٠٠١ منحت إسرائيل فرصة أخيرة للرئيس ياسر عرفات للقيام باعتقال الكرمي وإلا ستقوم القوات الإسرائيلية باغتياله ، وطالبت إسرائيل السلطة لوقف هجمات كتائب الكرمي على الإسرائيليين، والالتزام باتفاق وقف إطلاق النار القائم.

كان رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون يتصل يوميًا كل صباح برئيس جهاز الشاباك آفي ديختر ويقول له : لماذا لا يزال الكرمي على قيد الحياة ، أطالبكم باغتياله ، وأطلب منك أن تقضي

عليه ، حاولت إسرائيل اغتيال الكرمي أربع مرات ؛ لكن كافة المحاولات فشلت ؛ كان منها محاولة اغتياله بتاريخ ٦سبتمبر ٢٠٠١ عبر قصف مركبته في طولكرم من قبل مروحيتان إسرائيليتان ، إلا أن الكرمي نجى بأعجوبة ، في حين قتل اثنين من مرافقيه ، في ٢٩ مايو ٢٠٢٠ أعلنت إسرائيل ولأول مرة أن جهاز الشاباك حاول اغتيال الكرمي عدة مرات ، لكن كافة المحاولات فشلت ، ولم يتم الكشف عنها منذ ذلك الوقت ، كما جاء على لسان نائب رئيس جهاز الشاباك .

ورغم التهدئة القائمة بينهم أعطى رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون الضوء الأخضر لاغتيال الكرمي ، وقد عارض مسؤولون إسرائيليون فكرة الاغتيال لإبقاء الهدنة بينهم .

في حوالي الساعة العاشرة وخمس وأربعين دقيقة من صباح يوم الاثنين ١٤يناير٢٠٠٢ ، خرج الكرمي سيرًا على الأقدام من منزله الكائن بجوار «مقبرة المسيحيين» في مدينة طولكرم وخلال سيره قامت إسرائيل بتفجير عبوة ناسفة ضخمة مخفية زرعها له جهاز الشاباك في أحد الجدران بجانب المقبرة المسيحية بالمدينة ، الأمر الذي أدى إلى مقتله على الفور ولد الكرمي في ٢٨ ومات في ١٤ يناير وكان عمره ٢٨ .

لكن الاغتيال أدى إلى نسف الهدنة بين الفريقين واشتعال الأوضاع في عموم فلسطين ؛حيث ردت حركة فتح بإرسال انتحاريين إلى إسرائيل مما أدى إلى مقتل ما مجموعه ١٣٣ إسرائيليًا خلال الشهر الأول فقط من مقتل الكرمي ، وهو الأمر الذي دفع لاحقًا بوزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك بنيامين بن إليعازر للقول : إن اغتياله كان أكبر خطأ في حياتي ، وقد عُرِفَ اغتيال الكرمي بأنه «الاغتيال الأكثر كلفة على إسرائيل

وكان من أبرز العمليات العسكرية الفلسطينية ردًا على اغتيال الكرمي كل من هجوم بار متسفا في الخضيرة بتاريخ ١٧يناير٢٠٠٢ ، وعملية القدس بتاريخ ٢٢يناير٢٠٠٢ .

شارك الآلاف الفلسطينيين من كافة المناطق في جنازة تشييع الكرمي الضخمة في مدينة طولكرم ودفن في المدينة ، وتخليدًا لرائد الكرمي فقد أطلق اسمه على أحد شوارع مدينة طولكرم ؛ وفي

ضوء ذلك اتهمت إسرائيل السلطة الفلسطينية بتمجيد الإرهابيين والإرهاب من خلال تسمية الشارع باسم الكرمي.

وبعد فترة صمت قصيرة قال جهاد : وممن اغتيل أثناء الانتفاضة الثانية أبو علي مصطفى أمين عام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقصف جوي إسرائيلي استهدف مكتبه في مدينة البيرة ، اغتيل يوم الإثنين الموافق ٢٧/ ٨/ ٢٠٠١، قامت الجبهة الشعبية بالثأر له فقتلت وزير السياحة الصهيوني رحبعام زئيفي بتاريخ ١٧أكتوبر.٢٠٠١ ، مصطفى علي العلي الزبري واسمه الحركي أبو علي مصطفى ولد في عرابة من بلدات جنين ، واستلم القيادة للجبهة بعد اعتزال جورج حبش ، وكان أول زعيم سياسي فلسطيني من الصف الأول يُغْتَال من قبل إسرائيل خلال الانتفاضة الفلسطينية الثانية.. قبل ياسين والرنتيسي

قال خلدون : ذهب قادة كثر في سنوات انتفاضة الأقصى من جميع الفصائل

قال أبو عاصم : نحن نقدم القادة يا أبا محمود منذ ثورة عام ١٩٣٦ .. انتفاضة القائد الكبير عز الدين القسام وفرحان السعدي وحسن سلامة أبو علي الذي اغتيل كما تذكر في بيروت بعد خروجه من منزله

قال عزمي : كان قائد قوات ١٧ التي تحرس الزعيم

قال خلدون : هل من أسماء أخرى يا أبا نضال ؟

قال : الأسماء كثيرة قبل ألفين في الانتفاضة الأولى وأوسلو قتل أبطال كثر سواء في غزة أم الضفة .. فمن قطاعنا هذا ادركنا اغتيال القائد المهندس الأول للقسام يحيى عياش ابن الضفة وعماد عقل وغيرهم من السادة الأبطال .. أنا تحدثت عن شهداء انتفاضة الأقصى التي قتل فيها ما يقارب ٥٠٠٠ بطل تقبلهم الله تعالى .. في عام ٢٠٠٢ اغتيل في نابلس من كتائب الأقصى في ٢٢ أيار محمود الطيطي من مخيم بلاطة على ما اذكر

ولد محمود في ١٩٧٢ في مخيم بلاطة ، واحد من مؤسسي وقياديي كتائب شهداء الأقصى شارك في الانتفاضتين الفلسطينيتين ، واغتيل بقذيفة إسرائيلية استهدفته ورفاقه في المخيم ،

انضم محمود إلى أجهزة السلطة والتحق بجهاز الأمن الوقائي ، وعمل من خلال جهازه في عدة مناطق ، شارك في الاشتباكات مع الجيش الإسرائيلي في قبر يوسف في نابلس ، وتعرض وشقيقه كايد الطيطي خلال هذه الأحداث للإصابة برصاص الجيش الإسرائيلي اغتيل عصر يوم الأربعاء ٢٢ مايو ٢٠٠٢ بقذائف مدفعية إسرائيلية استهدفته في مقبرة مخيم بلاطة ، حيث كان يتواجد مع اثنين من رفاقه في كتائب شهداء الأقصى ، وهما عماد الخطيب، إياد أبو حمدان ، وقد تسبب القصف باستشهاد الثلاثة وطبيب فلسطيني كان متواجدا في أحد المنازل القريبة من المقبرة .. هذا ما نشر عنه في مواقع الشهداء وقبله قتل حكم أبو عيشة قائد من قادة شهداء الأقصى في أذار ٢٠٠٢ .. الرجل اسمه حكم عبد الفتاح محمد عيشة أو كما يعرف باسم حكم سنونو ، قيادي سياسي وعسكري في حركة فتح ولد في مخيم بلاطة بنابلس شمال الضفة الغربية ، شارك في أعمال المقاومة الفلسطينية واستشهد في اشتباك مسلح مع قوات الاحتلال الإسرائيلي ، ولد حكم في مخيم بلاطة للاجئين، كما ذكرت لعائلة فلسطينية لجأت من مدينة اللد التي احتلها الصهاينة عام ١٩٤٨م وطردوا سكانها ، والده هو عبد الفتاح محمد خليل عيشة الملقب بأبي خليل السنونو مات العام الماضي ٢٠١٥ الذي كان كفيفا وعمل لعقود بائعا متجولا لصحيفة" القدس"، وكان تجواله اليومي شوارع نابلس مستعينا بعصاه وصوته الرنان وهو ينادي بعناوين اليوم جزءا من المشهد اليومي في شوارع المدينة لعقود ، أما حكم درس المرحلتين الابتدائية والإعدادية في مدارس وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين في مخيم بلاطة ، كأغلب فتيان وفتيات المخيمات اجتاز امتحان الثانوية العامة (التوجيهي) داخل السجون الإسرائيلية.

التحق بجهاز الأمن الوقائي منذ قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية، وعمل في الجهاز برتبة ضابط ، مع بداية انتفاضة الأقصى التحق حكم للعمل في صفوف كتائب شهداء الأقصى ، وشارك في الاشتباكات التي وقعت بالقرب من قبر يوسف أثناء انتفاضة الأقصى ، ساهم في تأسيس تنظيم كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح في مخيم بلاطة مع ناشطين آخرين،

منهم ياسر بدوي وماجد إسماعيل المصري وناصر عويص الذين عادوا إلى المخيم بعد أعوام من إبعادهم عن فلسطين بعد حصار جامعة النجاح عام ١٩٩٢ ، وشاركوا في عدة اشتباكات مُسلّحة دارت داخل المخيم وخارجه ، أهمّها اشتباكات حصلت على مقربة من النقطة العسكرية الموجودة على جبل الطور واشتباكٌ آخر على شارع القدس ، ومعركة قبر يوسف.

قُتل حكم أبو عيشة بتاريخ ٣ مارس ٢٠٠٢ م، في اشتباك مسلح مع القوات الإسرائيلية التي اجتاحت مدينة نابلس وتحديدا مخيم بلاطة حيث أصيب بتاريخ ٢٨فبراير ٢٠٠٢ حكم برصاصة في فمه ، وخرجت من رقبته وأيضا يصاب برصاصة في ساقه وتم نقله إلى المستشفى العربي التخصصي ومات فيه .

قال نزار : شهداء غزة اذكر لنا شيئا عنهم

قال : لم تملوا بعد .. غزة أم الشهداء

قال أبو عاصم : الحديث عنهم يثير الذكريات والأشجان .. المعركة مستمرة .. أنا وأبو نزار صديقكم شهدنا معارك بيروت والجنوب فكان الشهداء كل يوم يزفون ..واغتيالات بيروت لا تكاد تتوقف .. تعودنا على ذلك يا أبا نضال فلذلك ترانا نحب سماع وذكر هؤلاء الشباب الذين استلموا الراية من بعدنا

قال جهاد : هنا اغتيل في انتفاضة الأقصى الطبيب القائد إبراهيم المقادمة اعتقل الطبيب المقادمة مرات ، استهدفت طائرات الاحتلال الحربية صباح السبت ٨ مارس٢٠٠٣ ، سيارته بعدة صواريخ أدت إلى استشهاد وثلاثة من مرافقيه وطفلة كانت مارة في الطريق، وفي عام ٢٠١٢م، أعلنت كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس عن سر تسمية صاروخ M٥ محلي الصنع ، وفي سبتمبر ٢٠٠٤ اغتيل عز الدين الشيخ خليل من حي الشجاعية شرق مدينة غزة ، كان أحد الأعضاء البارزين في الجناح العسكري لحماس الفلسطينية الإسلامية عندما قتل بواسطة إعداد سيارة مفخخة في ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٤ في حي الزاهرة جنوب دمشق سوريا .على الرغم من أنه لم تعلن أي مجموعة مسؤوليتها عن اغتياله ، فإنها

تتسق مع الاغتيالات السابقة التي ترعاها إسرائيل ، ومع التعهدات الإسرائيلية باغتيال قادة حماس .

فترة صمت وبعد صمت التمتمات قال : لدينا القائد عدنان الغول فقد اغتالوه في ٢١ أكتوبر ٢٠٠٤ وهو خبير سلاح في منظمة حماس بالإضافة إلى عماد عباس وهو صانع أسلحة وصواريخ أيضا .. عدنان الغول قائد وحدة التصنيع العسكري في كتائب عز الدين القسام ، الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس في غزة في الفترة ما بين ١٩٩٤ و٢٠٠٤، أطلق عليه لقب "أبو الصواريخ القسامية" ورائد التصنيع العسكري بالنظر لدوره المهم في تطوير ترسانة أسلحة المقاومة الفلسطينية في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي.

أمضى معظم حياته مطاردا من أجهزة الاحتلال الأمنية والعسكرية ، وأيضا من أجهزة السلطة الفلسطينية، واستطاع رغم المطاردة والحصار المفروض على غزة إحداث تحول في تاريخ المقاومة الفلسطينية من خلال بصماته في صناعة القنابل والصواريخ والقذائف بإمكانيات محلية.

نجحت كتائب القسام خلال فترة قيادته وحدة التصنيع العسكري في إنتاج ٩ أسلحة ، من أبرزها صاروخ القسام وقذيفة الياسين وصاروخ البنا والبدر وقذائف الهاون وغيرها من الأسلحة.

استشهد عام ٢٠٠٤ وعمره ٤٦ عاما بعد استهداف سيارة كان يستقلها بصاروخ ، وأطلقت كتائب القسام اسمه على بندقية القنص "غول" التي كشفت عنها إبان الحرب على غزة عام ٢٠١٤، ويصل مداها إلى كيلومترين ؛ حيث قتل بصواريخ أطلقتها طائرة أباتشي على سيارتهم..سأتحدث عنه بعد حكاية زميله عدنان ، فعدنان الغول أبو بلال هو يحيى محمود جابر الغول المعروف والمكنى باسم عدنان الغول ، كبير مهندسي القسام ، ومخترع أول قنبلة يدوية فلسطينية وهي رمانة حماس ، وهو صانع صاروخ القسام، وكان قائد وحدة التصنيع العسكري في كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحماس حتى اغتياله ، طوّر صاروخ القسام ، وكان المطلوب الثاني لإسرائيل بعد محمد ضيف ، واستطاع أن ينقل المقاومة الفلسطينية نقلة

نوعية من خلال تصنيع أسلحتها محلياً في ظل الحصار المفروض وشح السلاح ، وكان من أبرز إبداعاته القسام والياسين والبتار ، وُلد في مخيم الشاطئ سنة ١٩٥٨م ، واغتيل في ٢١ أكتوبر ٢٠٠٤ في مدينة غزة بعد استهداف سيارته من قبل الجيش الإسرائيلي وقد أطلقت المقاومة اسمه على بندقية غول التي ظهرت في معركة العصف المأكول٢٠١٤ قبل سنتين .

أستشهد عدنان الغول ورفيقه القائد عماد عباس وكلاهما من خبراء المتفجرات وتصنيع الصواريخ في قصف صاروخي من إحدى طائرات الجيش الإسرائيلي للسيارة التي كانا يستقلانها في مدينة غزة مساء يوم الخميس السابع من رمضان١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤/ ١٠/ ٢١م.

أطلقت كتائب القسام عام ٢٠١٤ اسمه على بندقية قنص محلية الصنع وهي بندقية القنص غول ، تخليدًا لإنجازاته التي حققها من خلال توليه قيادة وحدة التصنيع في الكتائب ، في عام ٢٠١٢ افتتح رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية مدرسة عدنان الغول في جنوب غزة..

أما رفيق الاستشهاد والجهاد أبي احمد فهو القائد الشجاع عماد محمود عباس من قادة التصنيع العسكري في القسام الجناح العسكري لحماس ، ساهم في تطوير أسلحة القسام مثل عدنان وغيرهما ، وله لمسات في تطوير العديد من الوسائل القتالية التي برزت فيها كتائب القسام في مواجهة العدو الصهيوني وعلى رأسها صواريخ البنا ، وقذائف الياسين المضادة للدروع .

ولد في حي الدرج وسط مدينة غزة في عام ١٩٧٣م، حيث نعيش نحن في المدينة الخالدة التي بقيت تحمل اسم فلسطين بعد نكبة ١٩٤٨ ، وأكمل تعليمه الابتدائي والإعدادي في مدرسة الإمام الشافعي ، والثانوي في مدرسة فلسطين بالمدينة، وعرف عنه تفوقه الدراسي. .تزوج عام ١٩٩٥ من فتاة من أسرة فرحات ، من أقارب مريم محيسن (أم نضال فرحات) التي تعرف بـ«خنساء فلسطين»، وأنجب منها أربعة أبناء.. وعضو المجلس النيابي ٢٠٠٦

الشاب من خلال المسجد تعرف على رموز الحركة والدعوة الإسلامية في فلسطين ، وانضم في وقت مبكر إلى صفوف الحركة الإسلامية. .بدأ نشاطه العسكري في المجموعات المسلحة التابعة لكتائب القسام في غزة ، وشارك في مطلع الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧م شارك عماد بصحبة

المجموعات القسامية الأولى بالعديد من العمليات العسكرية ضد جنود ودوريات الاحتلال في قطاع غزة ، ومن الذين رافقهم في العمل العسكري هذا القائد القسامي عماد عقل والقائد عوض سلمي وغيرهم.. ولكل واحد منهم بطولة ؛ لعلنا نتحدث عنها في جلسات وسهرات قادمة بعون الله تعالى .. من ابرز العمليات العسكرية التي شارك فيها عماد العملية الجهادية بالقرب من معبر المنطار (كارني) شرق مدينة غزة والتي قتل فيها جنديين إسرائيليين على الأقل في عام ١٩٩١م ، في هذه الأثناء كان عماد قد أنهى الثانوية العامة وفي انتظار إعلان النتيجة ، وقبل إعلانها أصبح مطارداً لقوات الاحتلال الصهيوني حيث اعتقل أحد رفاقه في العملية العسكرية المذكورة ، وبعد أشهر من مطاردته بين أزقة وشوارع مدينة غزة من قبل قوات الاحتلال الصهيوني تمكن عماد من إيجاد طريقة للتخلص من حالة المطاردة اللحظية التي يحياها ، وفر له أحد المجاهدين الظروف للهرب إلى مصر عبر البحر المتوسط خفية ؛ ولكن لم يكمل طريقه إلى مصر حيث اعتقلته قوات الأمن المصرية وسجنته ثمانية أشهر تحت التعذيب والتنكيل قبل ترحيله عنوة إلى ليبيا.

وتنقل عماد عباس إلى العديد من الدول العربية وكذلك جزيرة مالطا وعمل على اكتساب مزيد من الخبرات العسكرية ، التقى في بلد عربي بعز الدين الشيخ خليل أحد قادة حركة المقاومة الإسلامية «حماس» الذي عمل بدوره على إعادته إلى فلسطين عام ١٩٩٥م .. ولدى عودته عمد إلى صب ما اكتسبه وتلقاه من تدريبات عسكرية وخبرات جهادية في النشاط العسكري لحركة حماس كتائب الشهيد عز الدين القسام..فمنذ تلك اللحظة بدأ طريق التطوير العسكري مع آخرين، منهم الشهيد عدنان الغول الذي عمل معه عماد عن قرب وكان له بمثابة الذراع اليمنى.

وسبق الكلام عن القائد الكبير صلاح شحادة الذي اغتيل يوليو ٢٠٠٢ اغتيل بمتفجرات بوزن ٢٢٠٥ باوند والتي تم إسقاطها من طائرة إف ١٦ .قتلت زوجته وأولاده التسعة في نفس الهجوم ٢١ أغسطس ٢٠٠٣ وكان اغتيال القائد البارز في حركة حماس إسماعيل أبو شنب في

قصف استهدف سيارته مع مرافقيه.. واستشهد للقسام في الضفة قادة فمنهم القائد إحسان شواهنة

إحسان نعيم حسن شواهنه ابن سنة ٧٧ والمهندس القسامي السادس ، وقائد كتائب القسام في شمال الضفة ولد في قرية كفر ثلث الواقعة شرق مدينة قلقيلية ، في كنف أسرة تتكون من ثمانية أفراد غير والديه ، كان إحسان بكر ذكورهم الثلاثة وثاني أفرادها الثمانية ، نهل إحسان أو «أبو الفداء المقدسي» -كما يحب أن يطلق عليه تيمناً بالشهيد القسامي محيي الدين الشريف -من معين الإسلام الصافي ، ما خوَّله قبل إكماله الصف العاشر، أن يكون من أوائل فتيان بلدته انضماماً للجماعة الأم ، جماعة الإخوان المسلمين تلقى إحسان تعليمه في المرحلة الابتدائية والإعدادية بمدرسة كفر ثلث الثانوية، ليكمل مرحلته الثانوية في الفرع العلمي بمدرسة عزون الثانوية، كان إحسان من أبرز طلاب صفه وأكثرهم اجتهاداً، لينضم لصفوف جامعة النجاح الوطنية بمدينة نابلس بعد أن حصل على معدل ٥ ,٨٦ في الفرع العلمي ، وتنال كلية الهندسة كلية شرف أن يكون الشهيد المهندس إحسان شواهنة فارسها الجديد.

كان ذلك الاغتيال في تمام الساعة السادسة والنصف من صباح يوم الاثنين ١٣كانون الأول٢٠٠٤ م ، إحدى الوحدات الصهيونية تعثر على الشهيد القسامي القائد إحسان نعيم شواهنة مهندس القسام السادس وقائدها في شمال الضفة الغربية، بعد أكثر من عام من المطاردة الحثيثة في محاولة لإلقاء القبض عليه، ولكنه رفض وأقسم على الله أن لا يعود لسجنه الذي قضى فيه ما مجموعه سبع سنوات ..قوة كبيرة من الجيبات الصهيونية تتسلل في جنح الظلام إلى شارع الأرصاد في الجبل الشمالي بمدينة نابلس في تمام الساعة الحادية عشر والنصف ليلا، تطوق تلك القوة إحدى العمارات السكنية في ذلك الحي وتطالب سكانه الخروج لتفتيشه ، وباءت كل نداءات الجيش وتوسلهم المتكرر لإحسان بتسليم نفسه هرباً من المواجهة المسلحة معه بالفشل، بدأت القوات الصهيونية بإطلاق النار بشكل كثيف على الطابق الرابع الذي تحصن فيه إحسان الذي رد عليهم بالمثل، ولكنه أوقف إطلاق النار من جهته ليهيئ نفسه لجولة جديدة بعد أن

اختبأ في «سدة» البيت ، وليعتقد الجيش بأنه انهى المعركة لصالحه ولكن هيهات ، وبعد طول تردد وتفكير من سوء العقبى ، استجمع الجيش الصهيوني المدجج بالسلاح قواه لاقتحام مخبأ مهندس القسام السادس ، كانت عيونه ترقب كل حركاتهم ، تقدم قائد الوحدة الصهيونية وضابطها ومعه مجموعة من جنوده وعيونهم المُرتَعِبة تتجول في كل مكان تبحث عن إحسان، أما إحسان الذي تهيأ وسلاحه فانقض عليهم بسيل من الرصاص عاجلهم به ، لتتدحرج على الفور جيفةُ قائدهم أمام أعينهم، ويتبادل الطرفان إطلاق النار لأكثر من ساعة ، استدعيت فيها المزيد من التعزيزات الصهيونية ويصيب إحسان ثلاثة جنود بجراح مختلفة ، في حين كانت ثلاثة إصابات في أنحاء مختلفة من جسد إحسان قد نالت من عزيمته، قبل أن يصوِّب أحد الجنود سلاحه عليه، ويصيبه برصاصة في الجانب الأيمن من وجهه، ليرتقي شهيداً.

قال جهاد متحمسا : ونختم السهرة الطويلة بالحديث عن قسامي آخر لقبوه بالمهندس الرابع وذلك في ٣٠ يوليو ٢٠٠٢ مهند الطاهر قائد كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس في منطقة نابلس.. مهند الطاهر مجاهد ولد بخلة العامود ، نابلس، ١٩٧٤ قائد ميداني وأحد المهندسين الأوائل لكتائب عز الدين القسام ، ومن أبرز مهندسي المتفجرات وهو معروف بلقب المهندس رقم ٤ ، درس بكلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية في نابلس. . أطلق على مهند لقب المهندس الرابع في كتائب القسام، علماً أن هناك العديد من المهندسين فيها ، إلا أن أبرز هؤلاء في الضفة الغربية ، قد لقّبوا بصفة المهندس متبوعاً برقمه ، وهم بالترتيب: يحيى عياش ومحيي الدين الشريف وأيمن حلاوة ومهند الطاهر ومحمد عبد الرحيم الحنبلي و إحسان شواهنة

بدء الفارس عمله في الجناح العسكري لحماس بعمليات تفجيرية «استشهادية» في مدينة القدس بما يعرف بـعمليات محني يهودا ٩٧ في سوق محني يهودا واهمها : عملية فندق بارك في ٢٧-٣-٢٠٠٢ أدت إلى مقتل ٢٩ صهيونياً ، وجرح أكثر من ٦٠ ثم عملية الدولدفناريوم في ١-٦-٢٠٠١ قُتل فيها ٢١ صهيونياً ، وجُرح أكثر من ٨٠ ثم العملية

الأخيرة في ١٨-٦-٢٠٠٢ بالقدس المحتلة والتي أدت إلى مقتل ١٩ وإصابة ٥٠ آخرين.

كان من ضمن خلية القسامي عمار الزبن والمحكوم عليه في سجون الاحتلال بـ ٢٧ مؤبدا، حيث نفذ مهند مع عمار العديد من العمليات الكبيرة ، من وضع عبوات ناسفة وعمليات إطلاق نار ، وقام مهند سابقا بتدبير عمليات أخرى في سوق محني يهودا نفذها استشهاديان من نفس الخلية قتل خلالها ١١ إسرائيلياً وجرح ١٥٠ آخرين ، وفي شهر آب من عام ١٩٩٧ أرسل مهند والقائد محمود أبو هنود وآخرون أربعة استشهاديين من بلدة عصيرة الشمالية إلى شارع بن يهودا في القدس لتنفيذ عملية هناك فقتل في هذه العملية ١٧ من الصهاينة وجرح المئات.. المصادر الأمنية الإسرائيلية تقول إن مهندا ورجاله مسؤولون عن قتل أكثر من ١٠٠ إسرائيلي وجرح المئات في تفجيرات متعددة ، وختم عمله الجهادي بعملية في القدس في جيلو قبل نحو أسبوع من وفاته ، نفذها الاستشهادي محمد الغول وقتل خلالها ١٩ صهيونياً ، وقد عجزت عملية السور الواقي التي نفذا الجيش الإسرائيلي عن منع هذه العملية وقد شاركه في نشاطه العديد من أفراد القسام

استلم مهند قيادة كتائب القسام في نابلس بعد مقتل القادة يوسف السركجي، ونسيم أبو الروس، وجاسر سمارو، وكريم مفارجة ، وقاد خلايا الكتائب بحكمة في ظروف صعبة مع بدء الجيش الإسرائيلي بعملية السور الواقي وملاحقة السلطة الفلسطينية التابعة لحركة فتح له.

قامت الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة وتحديداً جهاز الأمن الوقائي باعتقاله على خلفية التفجيرات التي حدثت ، واقتادته إلى سجن أريحا لأكثر من ٧٠ يوماً قضاها بالتحقيق ، ثم نقل بعدها بعدة أشهر إلى سجن جنيد في مدينة نابلس والذي مكث فيه نحو ٣ سنوات نفذ خلالها ومن معه أكثر من عملية إضراب عن الطعام استمرت إحداها ٣٦ يوما متواصلة مطالبين بالإفراج عنهم ومحاولين تحقيق طلب الاستمرار في دراستهم أثناء الاعتقال ، ثم تم الإفراج عنه بعد أن قضى نحو ٣ سنوات في الأسر.

تعرض لمحاولة الاغتيال مرتين ، حيث كان من المقرر أن يكون مع القائد محمود أبو هنود ليلة اغتياله من قبل جيش الاحتلال الإسرائيلي، ولكن تأخر ذهابه للموعد مع أبي هنّود حيث اغتيل أبو هنّود يومها.

والمرة الثانية نجا عندما اجتاح الجيش الإسرائيلي مدينة نابلس للمرة الثانية في شهر أيار ٢٠٠٢ حيث اشتبك مهند بصحبة القسامي علي الحضيري مع الجنود في إحدى الشقق في شارع غرناطة وسط مدينة نابلس وأوقعوا ٣ قتلى صهاينة بين جنود وضباط الوحدات الخاصة الصهيوني ة، وقتل على اثرها القسامي علي الحضيري ، في حين تعرض مهند للإصابة في يده وقدمه ولم يتمكن الجنود منه حيث فروا هاربين.

اغتيل هو ومساعده عماد دروزة مساء الأحد ٣٠/٦/٢٠٠٢م بعد معركة مع الجيش الإسرائيلي، حيث رفضوا تسليم نفسيهما لقوات الاحتلال الإسرائيلي، وأصيب عدد من جنود الاحتلال حسب شهود العيان.

***

صفاقس

كانت أسرة جبور بعد انتهاء عطلة رأس السنة الميلادية ٢٠١٦ تستقبل المهندس عبد الله حسن وزوجته يسرا يونس وأطفالها الثلاث على مائدة العشاء ، وتناول الجميع الطعام المعد أو المبتاع لهذه السهرة ، قالت يسرا : ما أخبار العلاج يا ياسمين ؟

قالت : الحمد لله حتى التلقيح الخارجي فشل ، وسوف نعيد الكرة لم نصل مرحلة اليأس الكامل ..والدكتور علي الأخصائي لنا يؤكد أن الأمر سيتم وينجح في النهاية

قال جبور مستسلما : رضينا بقسمة الله لنا ؛ ولكن ياسمين تصر على الحمل وولادة أخ أو أخت لميادة

قال عبدالله مشجعا للخطوة : السعي على ذلك بالرضا جيد ! وما دام طبيبكم يرى الأمل فليبق الأمل يا أم ميادة

وانتقل الحديث لإخبار السياسة والطقس فقال جبور : مذيعو النشرات الجوية يؤكدون على موجة برد وثلج ، وقد يصحبها تجمد وصقيع تغمر بلادنا والبلاد المجاورة .. ما أخبار عمتكم أمينة سمعنا أنها باتت ليلتين في المشفى ؟

قالت يسرا : هذا امر مكرر هذه السنوات ، لم تعد تتحمل الجو الثلجي ، وهي بخبر حسب ما أخبرتني على الهاتف وحسب امرأة الدكتور بلال ابنتها سعاد .. يا سيدة ياسمين ما قصة اغتيال الشاب التونسي وما علاقته بالمقاومة الفلسطينية ؟

قال جبور : قصدك المهندس التونسي ..لولا اغتياله ما عرف الناس علاقته بالقسام فرقة المجاهدين في فلسطين

قال عبد الله : المقاومة لا تتحدث عن أبطالها وفرسانها بإسهاب وتفصيل ألا بعد استشهادهم ولديهم اعتقد الكثير من أهل العلم والصناعة الأخفياء ؛ فكنا أثناء أحداث غزة نسمع بأسلحة وصواريخ بأسماء الشهداء والقادة الكبار

قالت ياسمين : صحيح ! فهم عندهم فرق تصنيع وتصميم وتطوير وتحديث .. فالزواري احد

مهندسي المقاومة في لبنان وفلسطين غزة ؛ وكما سمعتم أو قرأتم اغتيل في صفاقس تونس مثل أبي جهاد وأبي إياد من قادة حركة المقاومة الفلسطينية .. والشاب مهندس محب لفلسطين وقصته وقصة قتله تستحق النطر وهو قتل منتصف الشهر الماضي ١٥ كانون الأول ١٩١٦

قالت يسرا بحماس : فلنسمع ما تقول دكتورة التاريخ في هكذا قصة !

قالت : لقد اطلعت بحكم الاهتمام الخاص بالقضية المركزية للعرب منذ قرن فلا بأس من قراءة ما كتب عنها . وذهبت لمكتبها وأحضرت ملفا في هذا الملف

قرأت : تم اغتيال مهندس الطيران ، ومصمم وصانع الطائرة من دون طيار ، محمد زواري في مدينة صفاقس في تونس ، وهو مواطن تونسي ، أحد القادة الذين أشرفوا على برنامج حماس لتطوير الطائرات من دون طيار للتصوير الجوي أو إلقاء القنابل ، وتوجَّه أصابع الاتهام في عملية الاغتيال إلى إسرائيل بدون تردد في الاتهام .

محمد الزواري ١٥ – ١٩٦٧ديسمبر٢٠١٦ ، هو مهندس ولد بمدينة صفاقس التونسية قيل انه كان عضوًا في كتائب الشهيد عز الدين القسام ، الجناح العسكري حماس الفلسطينية، وأشرف على مشروع تطوير صناعة الطائرات بدون طيار في وحدة التصنيع في كتائب القسام ، والتي أطلق عليها اسم أبابيل١ ، وظهرت هذه الطائرة أول مرة في عام ٢٠١٤م في معركة العصف المأكول التي مكثت قريب من الشهرين ، ومشروع الغواصة المسيّرة عن بعد الذي كان يعمل عليه في إطار الدكتوراه ، اغتاله جهاز الموساد الإسرائيلي في صفاقس في ديسمبر ٢٠١٦. وكان رائدًا لمشروع إنتاج طائرات بدون طيار التي استخدمتها حماس في حربها ضد إسرائيل في قطاع غزة عام ٢٠١٤ .

بعد عودته إلى تونس أسس مع آخرين جمعية للطيران في صفاقس جنوب القطر التونسي على البحر لتدريب المبدعين من الشباب على صناعة طائرات بدون طيار من باب الهواية ، اغتيل في ١٥ديسمبر ٢٠١٦ أمام بيته في صفاقس.

اغتيل محمد الزواري في الوقت الذي كان يستعد فيه لتشغيل سيارته ، حيث قامت شاحنة

صغيرة باعتراض طريقه ، بينما بدأ شخصان آخران بإطلاق النار عليه بـ ٢٠ رصاصة، استقرت ثمانية منها فيه ، كان من بينها ثلاثة رصاصات قاتلة على مستوى الصدر والرأس.. استعمل القاتلان مسدسات عيار ٩ مليمتر مزودة بكاتمات صوت.. سلاح القتل على حين غرة

بعد يومين أكدت حركة المقاومة حماس في بيان صدر على موقعها الإلكتروني انتماء الزواري لكتائب الشهيد عز الدين القسام وإشرافه على مشروع تطوير طائرات بدون طيار التي أطلق عليها اسم أبابيل١ ، واتهمت حماس بقوة دون تردد إسرائيل باغتيال الزواري عبر جهاز الموساد ووعدت بالانتقام له.

حسب التحقيقات التي كشف عنها، فإن التخطيط لعملية الاغتيال بدأ قبل ستة أشهر في شهر يونيو ٢٠١٦ عبر شركتين وهميتين أقامهما أجنبيان في تونس باستعمال مخططين متوازنين منفصلين فشل أحدهما ونجح الثاني ، كما روي وقيل البداية كانت مع فتاة تونسية وجدت عرض عمل على الإنترنت وذلك في شركة إعلامية ، حيث أرسلت سيرتها الذاتية وتم الاتصال بها ، وطلب منها الذهاب لمدينة فيينا عاصمة النمسا لإجراء اختبار العمل الذي يهتم بإنتاج أفلام وثائقية تهم دول عربية من بينها تونس لصالح قناة تي في ١ الماليزية .. قام الشخص الأجنبي الذي اتصلت به عبر الموقع الإلكتروني بتقديم شخصا ثانيا لها على أنه أجنبي من أصول عربية ، وأعلمها أنه الشخص الذي ستتعامل معه في إطار هذه الشركة ، في ٦ سبتمبر ٢٠١٦ تحولت إلى فيينا في النمسا بطلب من الشخص الأجنبي وأعلمها أن الشركة تعتزم إنجاز شريط وثائقي حول الطب والطيران وأعلمها بضرورة مقابلة محمد الزواري المعروف بتميزه في صناعة الطائرات الصغيرة التي يتم التحكم فيها دون طيار ، وعرض عليها مبلغ ١٠٠ يورو في اليوم لقاء إجراء هذا العمل الصحفي ، قامت الفتاة بلقاء مع الزواري واستحسن الشخص الأجنبي من أصول عربية عملها وأعطاها مكافأة مالية قيمتها ٢٠٠٠ يورو ، هذا الأخير طلب منها تأجير عدة سيارات.

من جهة أخرى وبالتوازي مع هذا المخطط الأول ، قال وزير الداخلية إنه عُثِر على شرائح

هواتف جوالة مسجلة بأسماء تونسيين إثنين مقيمين بسلوفينيا ، مرا عبر تطبيقة إلكترونية من خلال موقع إلكتروني محكم التأمين وعُرِض عليهما العمل في إطار شركة ، وطلب منهما في إطار الشروع في العمل، إيجاد مقر للعمل في تونس وتحديدا في صفاقس وتوليا تأجير محل بمنطقة سيدي منصور إضافة إلى شراء سيارتين بمواصفات معينة وتم شراء شريحتي هواتف جوالة وشحنهما بقيمة ٦٠٠ دينار تونسي.

أكد وزير الداخلية على حرص مدبري عملية الاغتيال على عدم تقاطع الفريقين الذين تم انتدابهما في ٢١ديسمبر ، أصدر قاضي التحقيق في الجريمة الغادرة إيداع بالسجن ضد ثلاثة أشخاص من المشتبه بهم في قضية اغتيال المهندس محمد الزواري ، من بينهم امرأة ، بينما أبقى سبعة أشخاص آخرين من المشتبه بهم في نفس القضية في مُطلقي السراح.

ختمت قائلة : هذا ما أظهره تحقيق بوليس تونس والتفاصيل لم تظهر لحتى الآن بشكل دقيق ولعلها تظهر بعد حين .

قال عبد الله : شكرا على قراءتك لنا .. القصة تحتاج لمتابعة ولعلنا اذا عشنا نسمع منك من فمك باقي القصة ولسوف تتحدث إسرائيل عن التفاصيل فيما بعد سيخرج لنا عميل صهيوني للموساد بعد تقاعده ليحدثنا عن بطولات الموساد الخارقة .

قال جبور : التعيس في الأمر يا عبد الله ضعف أجهزة المخابرات والرصد للاختراق الصهيوني والغربي ترى عجزا عجيبا .. فلعلكم تذكرون حكاية اغتيال القائد الفتحاوي الكبير القائد الثاني أو الثالث لمنظمة فتح الفلسطينية كيف اعدموه في تونس قبل عشرين سنة أو قريبا منها

قالت ياسمين : نيسان ١٩٨٨ على ما اذكر بعد حدوث انتفاضة الشعب الفلسطيني عام ١٩٨٧ الانتفاضة الأولى كما اطلق عليها .

قال عبد الله : تمام تمام .. كانت في الحق مفاجئة للشاباك والموساد وأمان كانوا مركزين على الخارج حتى تمنى رابين كما اشتهر اختفاء غزة في البحر .. واختفى هو وظلت غزة بجوار البحر

قال جبور : صحيح شغلت تلك الانتفاضة العالم كله وظهرت في بدايتها حركة حماس

الإسلامية لتقود النضال مع العدد الكثير من الفصائل

قال عبد الله : الفصائل ضعفت ونامت بعد حرب ٨٢ فرأيناهم في لبنان اشتغلوا بتصفية بعضهم بعضا ، ودرات بينهم معارك في طرابلس والبقاع واطراف بيروت، ثم صراع مع شيعة لبنان، ومن ثم ظهر حزب الله حزب ايران في لبنان وخاض حربا كبيرة وطويلة مع إسرائيل قبل عشر سنوات

قال ياسمين : وآخرها فعلا حرب تموز قبل عشر سنوات لمدة شهر.. أين سرحت يا يسرا ؟

ـ افكر في مشكلة حصلت في المستشفى

قال جبور : يا أم حسن المشاكل الإدارية لا تخلص يا أستاذ عبد الله

قال عبد الله : حصل أو اكتشف من أيام قبل أعياد النصارى مطلع السنة فقد أموال

***

قالت مارسيل للدكتور نهاد : هل قرأت عن جثث هود الجديدة ؟

ـ سمعت ولم اهتم بالأمر .. هذه المرة علمت انها جثتان وكما اخبرني سارية عن طريق صديقه الدكتور راضي مدير قسم الجراحة العامة والطب الشرعي ، لم يظهر احد يستفسر عنها ؛ كما حدث مثل ذلك قبل سنوات .. هل قرأت شيئا في ذلك ؟

ـ أنا اهتممت بالموضوع سابقا لأن زوجي داود سعيد فقد له أخ في البحر وهو صياد فلسطيني من عكا ، فقد ولم تعرف إسرائيل مصيره هل هو أسير لدى منظمات لبنان أو قتل ؟

ـ اذكر أن زوجك متجنس إسرائيليا بحكم الولادة

ـ صحيح عرفته أيام دراستي العليا في برلين وتلقى رسالة عن فقد أخيه ، فزرنا المشرحة هود ثم تبين له أن لا احد منهم الثلاثة ، ومات وهو لا يعلم مصيره أخيه المختفي .

ـ وهؤلاء كما اخبر سارية تم دفنهم في مقابر المجاهيل ، وهناك من يقول انهم مهربون مخدرات قتلوا في البحر وسلبوا الأموال والوثائق حتى لا يتعرف عليهم احد .. فمن المعروف عالميا صراع رجال العصابات على مناطق النفوذ والتوزيع

قالت : احتمال هل تزوجت ؟

ضحك وقال : وأنت ألم تجدي زوجا جديدا ؟

ـ لا ارغب بالزواج .. وأنت ؟

ـ رحم الله أم مالك كانت نعم الزوجة يا دكتورة لم يمهلها المرض كثيرا .. كنت على درجة من الزواج من أختها الأرملة ؛ ولكن أولادها رفضوا زواجها وأولادي أيضا لم يرتاحوا لهذا الزواج الزواج من خالتهم ..ومضت الأيام بدون زوجة .. وما زلت افكر

ـ الدكتورة صبيانا لم تتزوج .. تزوجها

ـ لا ترغب بالزواج بعد الأربعين

ـ معقول هي قالت لم اجد ابن الحلال

ـ محترمة ! أساليها

ـ سأفعل .. لا ادري لماذا لم تتزوج لليوم؟

ـ لم اسمع شيئا .. أنا انتظر كلامك .. أنا لما رأيت صحبتك مع الدكتور جون قلت مشروع زواج في الجامعة

ضحكت وقالت : جون ليس ألماني هو إنجليزي أصيل وهو سوف ينهي خدماته التعليمية والعودة لإسكتلندا ويعيش مع ابنه جيرالد

ـ له أولاد

ـ جيرالد وإليزابيت

***

زواج غريب

مطلع يناير ٢٠١٧ غادر غريب عايش الشفا في إجازة بضعة اشهر إلى غزة ، والتقى ببعض أفراد أسرته في مصر ؛ حيث كان الاتفاق الهاتفي بينهم على ذلك اللقاء ، وبعد أن تزودوا بالهدايا من الملابس والحلي دخلوا غزة عن طريق معبر ميناء رفح البري نحو غزة التي تقع شمال القطاع وخلال الإجازة استأجر شقة وتزوج ابنة خالة له اسمها الصماء واسم ابنتها جهاد متخرجة من جامعات مصر ، وتعمل في احد مختبرات مستشفيات غزة الخاصة ، ثم رحل بها عند انتهاء الإجازة نحو مدينة الشفا ؛ كما رسما وخططا ، وكان قد قضى بضعة أسابيع في ربوع مصر التي تعرفها اكثر منه ؛ بحكم دراستها في جامعة الإسكندرية قسم المختبرات الطبية ، وكان قد كلف ابن قريبه المهندس تيتي باستئجار شقة قبل أن يغادر ارض الوطن ، وقد استأجر شقة جديدة عن طريق المهندس تيتي ابن العم الهيثم ، وصنع حفلة تعارف بين بنات أقاربه وزوجته ، وتلقيا هدايا الزواج وانتقلت الدكتورة جهاد سيف الدين للعمل في مختبرات مستشفى الرازي ؛ حيث يعمل الكثير من أقاربها كالمدير عبدالله حسن فهي ابنة عمته الصماء عبد الله وللدكتورة يسرا كذلك .. وغيرهم من أبناء عائلة روح الفضل آل فضل الكبيرة .

وقام بزيارته الدكتور سارية وأمه أم سارية خالتهما وبلال وياسر وياسمين وغيرهم من الأقربين

***



هنية المرشح الأقوى لقيادتها

"حماس" تنتخب "السنوار" رئيساً لمكتبها السياسي بالقطاع : تعزيز لسيطرة "القسام"

غـزة - "الأيام" ، وكالات: انتخبت حركة "حمـاس" الإسلامية القيادي يحيى السنوار، أحد مؤسسي جناحها العسكري، رئيسا لمكتبها السياسي في قطاع غـزة خلفا لإسماعيل هنية الذي تُجمـع الآراء على أنه المرشح الأقوى لترؤس المكتب السياسي العام للحركة وهو الموقع الأول فيها.

[التتمة ص ٢٣]

نشرت الأخبار ووكالات الأنباء يوم ١٣ شباط ٢٠١٧ انتخاب يحيى السنوار رئيساً للمكتب السياسي لحركة حماس في غزة الذي افرج عنه قبل سنوات بصفقة وفاء الأحرار مقابل أسير اسمه جلعاد شاليط ، لقد تم انتخاب يحيى السنوار ، وهو مسؤول عسكري في حركة حماس ، لقيادة الحركة في غزة ، خلفاً لإسماعيل هنية .

انتهت الانتخابات الداخلية لحركة حماس مسفرة عن فوز الأسير المحرر يحيي السنوار برئاسة

المكتب السياسي لحماس في قطاع غزة ، فوز اعتبره كثيرون بمثابة مفاجأة مدوية لم تتوقعها أغلب القوى سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي .. وتعتبر كثير من القوى المحلية والإقليمية فوز يحيى السنوار برئاسة المكتب السياسي لحركة حماس في قطاع غزة ، بأنه اتجاه نحو سياسات أكثر تشدداً من سياسات سلفه إسماعيل هنية ، الذي يتمتع بمرونة سياسية عالية جداً على عكس يحيى السنوار الذي جاء من خلفية عسكرية، فهو



ميركل تلغي الاجتماع السنوي مع حكومة نتنياهو بسبب المستوطنات

يحيى السنوار يخلف هنية... ودعوات إسرائيلية لتدمير البنية التحتية لحماس

يحيى السنوار (يمين) مع اسماعيل هنية

مؤسس جهاز مجد الأمني في عام ١٩٨٨، وهو صياد الجواسيس والعملاء ، والذي ساهم بشكل كبير في القضاء على كثير من المتعاونين مع الاحتلال في الانتفاضة الأولى، وكان السنوار أحد مؤسسي الذراع العسكري لحماس كتائب القسام قبل أن يتم



القدس

هنية يخلي منصبه له استعدادا لخلافة مشعل

يحيى السنوار قائدا جديدا لحماس في غزة والحية نائبا له

اعتقاله من قبل سلطات الاحتلال عام ١٩٨٨، بسبب رئاسته لجهاز مجد الأمني ، وتم الإفراج عن السنوار في صفقة وفاء الأحرار عام ٢٠١١ بعد قضائه لـ٢٢ عاماً في سجون الاحتلال.. وقد تشهد الأيام القادمة تقاربا بين حركة حماس وإيران لإذابة الجليد عن العلاقات بين الطرفين ، بعد ما أصابها الجمود جراء التدخل الإيراني في سوريا ، والذي أثر بشكل كبير على العلاقات بين الطرفين.. وسيكون على السنوار استكمال الخطوات التي اتخذتها الحركة في اتجاه التصالح مع مصر، بعد القطعية بين الطرفين عقب انقلاب ٣ يوليو والتي اعتبرت حركة حماس عدوا لها جراء علاقاتها مع الإخوان المسلمين ، والتي اعتبرها النظام منظمة إرهابية ، وكانت إحدى التهم الموجهة لمحمد مرسي هي التخابر مع حركة حماس مما زاد في القطيعة بين الطرفين .

***

مازن الفقها

اغتال مسلحون مجهولون مساء الجمعة ٢٤مارس ٢٠١٧ في حي تل الهوى في غزة في قطاع غزة الأسير المحرر والقيادي في كتائب القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس مازن فقهاء، وقالت الحركة إن إسرائيل هي المستفيد من اغتياله .



بسم الله الرحمن الرحيم

بيان صحفي صادر عن
حركة المقاومة الإسلامية "حماس"

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)

تنعى حركة المقاومة الإسلامية "حماس"

وكتائب الشهيد عز الدين القسام

المجاهد البطل/

مـــازن فـقــها

أحد أبطال كتائب القسام بالضفة الغربية وأحد مجاهدي شعبنا الفلسطيني الذي تحرر من سجون الاحتلال في صفقة وفاء الأحرار، والذي تم اغتياله مساء هذا اليوم الجمعة 24 آذار 2017 أمام منزله بغزة.

وتحمل حركة حماس وكتائبها المجاهدة الاحتلال الصهيوني وعملاءه المسؤولية الكاملة عن هذه الجريمة النكراء.

ويعلم الاحتلال أن دماء المجاهدين لا تذهب هدرا؛ فحركة حماس تعرف كيف تتصرف مع هذه الجرائم.

حركة المقاومة الإسلامية "حماس"

الجمعة 25 / جمادى الآخرة / 1438 هـ
الموافق: 24 / مارس / 2017 م

وقال الناطق باسم وزارة الداخلية في غزة إياد البزم إن فقهاء تعرض لإطلاق نار مباشر من مسلحين مجهولين في منطقة تل الهوى جنوب مدينة غزة.. من جهته قال الناطق باسم الشرطة في قطاع غزة :إن فقهاء اغتيل بأربع رصاصات في الرأس.

ورجح شهود عيان أن الاغتيال كان باستخدام سلاح مزود بكاتم للصوت أثناء وصول فقهاء إلى منزله ، وأورد موقع كتائب القسام على الإنترنت خبر اغتيال مازن فقهاء ووصفه بالقائد القسامي.

وقال القيادي خليل الحية عملية اغتيال هذا المجاهد لا تخدم سوى الاحتلال ، والأجهزة الأمنية تحقق وتدقق وننتظر ما ستسفر عنه التحقيقات.

وأضاف الحية في تصريح صحفي في مستشفى الشفاء بغزة الذي نقل إليه جثمان فقهاء "نقول لا جهة مستفيدة من الاغتيال سوى الاحتلال"، ورافق الحية إسماعيل هنية نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس وقادة آخرين من الحركة إلى مستشفى الشفاء لرؤية جثمان الرجل.

وقد أشارت مواقع فلسطينية ، بعضها مقرب من حركة حماس، إلى اتهامات إسرائيلية سابقة لفقهاء بأنه كان من ضمن أشخاص آخرين يشرفون على تشكيل خلايا مسلحة للحركة في الضفة الغربية المحتلة.

تعرض مازن فقهاء في يوم الجمعة الموافق ٢٤ مارس ٢٠١٧ لعملية اغتيال أمام منزله بحي تل الهوى في مدينة غزة ، وذلك بأربع رصاصات بمسدس كاتم للصوت.. أدانت معظم الفصائل الفلسطينية عملية الاغتيال ، وحملت الاحتلال الإسرائيلي وعملاءه المسؤولية الكاملة.

مازن محمد سليمان حسين فقهاء أو فقها ، أحد قادة القسام في الضفة الغربية المحتلة ، ولد طوباس في ٢٤/٨/ ١٩٧٩، حاصل على شهادة البكالوريوس في إدارة الأعمال من جامعة النجاح بنابلس وتخرّج منها صيف ٢٠٠١ ، خرج من سجن الاحتلال الإسرائيل بصفقة وفاء الأحرار كيحيى عياش اغتاله الاحتلال الإسرائيلي عام ٢٠١٧ باستخدام جواسيس وعملاء من غزة.

ولد الأسير المحرر مازن محمد سليمان فقها في بلدة طوباس وتلقى تعليمه الأساسي في طوباس، وارتاد المسجد وعمره ٨ سنوات ، وبدأ بحفظ القرآن الكريم منذ صغره ، وأكمل تعليمه الثانوي في طوباس، ثم التحق بجامعة النجاح الوطنية في نابلس ودخل كلية الاقتصاد.

وحكم عليه بالسجن الإسرائيلي ٩ مؤبدات و٥٠ سنة ، وتحرر ضمن صفقة وفاء الأحرار عام ٢٠١١ لتبدأ مسيرة جديدة من الجهاد والتضحية انتهت باستشهاده .. ويعود أصله إلى بلدة سنجل في قضاء رام الله .. نشط فقها بصفوف الكتلة الإسلامية ومجلس الطلبة في جامعة النجاح نابلس ، وأصبح أحد أفراد حركة حماس ، والتحق بصفوف القسام وهو في السنة الأولى من دراسته الجامعية ، وفي السنة الثالثة أصبح مطارداً، وتخرج في كلية الاقتصاد بجامعته وهو مطارد من الجيش الإسرائيلي.

مع بداية انتفاضة الأقصى ، لاحقت الأجهزة الأمنية التابعة لحركة فتح في الضفة الغربية مازن فقها، واعتقل ثلاث مرات ، واستجوبه جهاز المخابرات الفلسطيني في المرة الأولى عام ٢٠٠٠م واعتقل شهراً عام ٢٠٠١م ، في شهر فبراير من عام ٢٠٠٢ ، أصبح فقها مطارداً لقوات الاحتلال الإسرائيلي ، تلاحقه وأسرته وتداهم بيته بشكل متكرر ، بين الحين والآخر، إلى أن اعتقلته في صباح يوم الاثنين ٥/ ٨/ ٢٠٠٢ بعد حصار دام ست ساعات في منزل تحصّن

فيه، ثم هدمت منزله بعد ثلاثة أيام.

حصلت "عربي٢١" على تفاصيل تُكشف لأول مرة عن جريمة اغتيال الأسير الفلسطيني المحرر في غزة مازن فقهاء، حيث تبين أن العملية نفذتها خلية تابعة للموساد الإسرائيلي، وتمكنت أجهزة أمن حركة حماس من كشفها واعتقالها بالكامل ، فيما كشف مصدر فلسطيني تحدث لـ"عربي٢١" هوية القاتل ومنفذ العملية ، وهو أشرف أبو ليلة الذي تم تداول اسمه سابقاً، وبحسب المعلومات إن القاتل كان مجرد فرد في خلية إسرائيلية يتجاوز عدد أفرادها العشرة ، وجميعهم أصبحوا الآن في قبضة أجهزة أمن حركة حماس.

أما التفاصيل المتعلقة بالقاتل شخصياً فقد تبين أنه أشرف أبو ليلة وهو في الثلاثينات من عمره، ويسكن مخيم النصيرات وسط قطاع غزة ، وكان في السابق عضواً في الجناح العسكري لحركة حماس كتائب القسام ، لكنه طرد عام ٢٠٠٨ بسبب تجاوزاته الأخلاقية ، وعدم احترام القانون والاعتداء بشكل غير مبرر على بعض المواطنين.

وذكر المصدر بعض التفاصيل المتعلقة باعتقال القاتل، مؤكدا أن أبو ليلة اعتقل بعد نحو ١٥ يوما من حادثة الاغتيال ، لكنه حاول نفي ارتباطه بالجريمة بكل الطرق والوسائل ، إلى أن تمكنت الأجهزة الأمنية من إثبات تورطه في الحادثة بالأدلة الدامغة.

ولفت المصدر إلى نجاح الأجهزة الأمنية في إلقاء القبض على كامل عناصر الشبكة المتورطة في الحادثة ، والتي تولت عمليات الرصد والمتابعة والتوجيه والتمويل وتوفير السلاح الذي تم تنفيذ الجريمة به ، مشيرا إلى أن عددهم يتجاوز الـ١٠ ، وهم متورطون في العملية بين تنفيذ مباشر وغير مباشر.

وكشف المصدر أن أبو ليلة ارتبط حديثا بجهاز الموساد الإسرائيلي ، وأنه لم يمض على ارتباطه سوى عدة أشهر ، لافتا في ذات الوقت أن ثمانية من المعايير التي وضعتها أجهزة حماس الأمنية في غزة لتطبيقها على المشتبهين في الحادثة تطابقت على أبو ليلة ، وقادت إلى اعتقاله منذ البداية كأحد القتلة المفترضين.

وأشار المصدر إلى أن أحد العملاء الذين كلفوا بمراقبة فقهاء من خلال مكتب أقيم قبالة منزل الشهيد في حي تل الهوا بغزة ، قاد إلى تأكيد تورط القاتل المذكور في تنفيذ حادثة الاغتيال بعد أن تم تعرف عليه.

وقال العميل المكلف بالمراقبة أنه تلقى اتصالا تليفونيا من ضباطه المشغلين في الموساد (يرجح أن الاتصال تم من طائرة استطلاع) يطلب منه ضرورة إخلاء المكان قبيل تنفيذ العملية بدقائق، وذلك بغية فصل حلقات التنفيذ عن بعضها بعضا ، لكن العميل استطاع التعرف على كل من تواجد في المكان لحظة التنفيذ ومن ضمنهم المنفذ أبو ليلة ، الذي شوهد يخرج من البناية السكنية التي يقطنها فقهاء زمن تنفيذ العملية ، وهو ما تطابق مع ما تم تفريغه من كاميرات المراقبة التي كانت في المكان فيما بعد.

وقال المصدر: "القاتل تلقى تعليمات بإلغاء عملية الاغتيال والانسحاب من المكان عندما لوحظ أن الشهيد وصل بسيارته إلى مرآب السيارات أسفل البناية التي يسكن فيها برفقة زوجته وأطفاله ، لكنه لم يستطع إيداعها داخل المرآب لوجود بعض سكان البناية يلعبون كرة التنس في المكان ، وهو ما حذا به إلى الصعود إلى المنزل".

لكن منفذي العملية توقعوا عودته لاحقا أسفل البناية كي يدخل السيارة إلى مكانها في المرآب، وهو ما حدث بالفعل، حيث كانت المجموعة المنفذة على رأسهم أبو ليلة تتمركز في المكان ونفذت عملية الاغتيال بإطلاق عدة رصاصات على الشهيد من مسدس كاتم للصوت ، مستغلة حلول الظلام في المكان ، ومن ثم انسحبت فوراً.

وأكد المصدر المقرب من التحقيق أن كل من تورط في عملية الاغتيال جرى القبض عليه وسيجرى محاكمتهم جميعا وفق "القانون الثوري".

أعلن إسماعيل هنية رئيس المكتب السياسي لحركة حماس من أمام منزل الشهيد مازن فقها في غزة عن تمكن الأجهزة الأمنية من معرفة القاتل العميل للاحتلال الإسرائيلي الذي اغتال الشهيد ، وأنه تم إلقاء القبض عليه وتوعد بتنفيذ القصاص الثوري بحقه هو ومن عاونه.

نشر موقع "والا" الإخباري الإسرائيلي، جزءا من محاضر التحقيق مع الشهيد مازن فقهاء خلال فترة التحقيق معه عقب اعتقاله خلال الانتفاضة الثانية عام ٢٠٠٢، وتحدث في هذا الجزء عن علاقته بالقيادي في كتائب القسام، الشهيد قيس عدوان ، أحد كبار مهندسي الكتائب في الضفة الغربية والذي اغتالته قوات الاحتلال بقصف المنزل الذي كان يتحصن به في منطقة جنين في تلك الفترة.

يقول فقهاء في أحد محاضر التحقيق: "كانت منطقة الأغوار القريبة من طوباس هدف مفضل نفذنا العديد من العمليات الناجحة في تلك المنطقة ، وفي إحدى المرات تقرر تنفيذ عملية في "كيبوتس شلحوت" لكن المحاولة فشلت عدة مرات ، مرة على يد جهاز الشاباك، ومرات لأسباب أخرى."

وأضاف، "كان الحل المطروح لدينا اللجوء للمهندس قيس عدوان وهو مهندس عمليات قديم ويتمتع بخبرة عالية في الأماكن المفضلة لتنفيذ العمليات ، فقد كان المخطط الأول لعمليات مطعم "سبارو"، وفندق "بارك"، ومطعم "متساه"، حيث التقيت بعدوان مرات عدة في جنين من أجل الحصول على إرشادات حول مواقع محددة لتنفيذ عمليات استشهادية فيها." وكشف فقهاء، "تقرر أن تكون العملية الأولى ردا على اغتيال قائد كتائب القسام في الضفة الغربية الشهيد محمود أبو هنود ، والذي كان في تلك الفترة العقل المدبر للعديد من العمليات الاستشهادية ، غير أن السلطة واجهت محاولات كتائب القسام الانتقام لأبي هنود بذريعة إعطاء فرصة لمفاوضات التسوية التي استؤنفت في تلك الفترة ، وشنت الأجهزة الأمنية حملة اعتقالات طالت عددا من كوادر حركتي حماس والجهاد الإسلامي."

كما اعتقلت الأجهزة الأمنية أحد ضباط جهاز الأمن الوقائي ويدعى باسم سليم والذي لعب دورا مهما في توفير الدعم اللوجستي لفقهاء من خلال تزويده بمواد أولية تدخل في صناعة المتفجرات ، وقال فقهاء: "تفاجأت من الكمية التي زودنا بها سليم ، والتي كانت عبارة عن ٣٨ جالونا ، وفي كل جالون ١٢ لترا"، حيث نقلها فقهاء لمنزل عائلته في طوباس وأخبرهم

أنها طرود خيرية سيتم توزيعها على المحتاجين ، وتحتوي على زيت الزيتون.
وبين فقهاء أنه بدأ العمل هو وقيس عدوان من أجل الإعداد لتنفيذ عملية مزدوجة تفجيرية ومن ثم إطلاق نار في "كيبوتس شلحوت" الواقع في غور الأردن ، حيث أحضر فقهاء استشهادياً لقيس عدوان لتعريفه به ، وهو محمد هزاع الغول ، من جنين، حيث قام عدوان بإلباس الغول زيا عسكريا وصوره ، وخضع الغول لتدريب على استخدام السلاح ، وبعد فترة رافق فقهاء الغول لتعريفه بالهدف ، غير أن صعوبة الطريق إليه كانت سببا في تخلي فقهاء والغول عن الهدف ، وأبلغا قيس عدوان بقرارهما، وأكد على أن محمد هزاع الغول قال إن الهدف صعب ويريد هدفا أسهل ، فطلب منه عدوان الانتظار، وبعد أيام قررت قيادة الكتائب التخلي عن محمد ، وعرض على استشهادي آخر وهو سامي دراغمة والذي كان ارتبط بعلاقة قوية مع فقهاء بوقت سابق داخل سجون الاحتلال ، حيث أخذ فقهاء الشاب دراغمة لتعريف قيس عدوان عليه من أجل التخطيط لتنفيذ العملية.
وكشف فقهاء خلال التحقيق أن العملية المخطط لها كانت عبارة عن عملية مركبة يجري خلالها تفجير عبوة ناسفة عن بعد ، يعقبها عملية إطلاق نار وبعدها عملية استشهادية ، وقال: "غير أن دراغمة عدل هو الآخر عن العملية"
ويضيف فقهاء: "في تلك الفترة تلقيت تدريبات من قبل المهندس قيس عدوان على كيفية صناعة المتفجرات ، وبعدها ذهبت إلى نابلس لاستكمال التدريب."
ويتابع: "بعد عدة أسابيع، تقرر العودة لمحمد هزاع ، وأخبرته أن النية هذه المرة عملية استشهادية داخل الأراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨، وجرى عقد اجتماع حضره قيس عدوان وأشرف دراغمة وهو مهندس آخر في الكتائب بالإضافة لي ، داخل مسجد في بلدة قباطية للتخطيط للعملية ، غير أنه وبعد عدة أيام تمكنت قوات الاحتلال من كشف مكان احتماء المهندس قيس عدوان والمهندس أشرف دراغمة ، وقامت بقصف المنزل وتدميره عليهما بعدما رفضا تسليم نفسيهما واشتبكا معها لعدة ساعات قبل أن تقرر قوات الاحتلال قصفه بالطائرات

ما أدى لاستشهادهما ."

ويقول: "استشهاد عدوان ودراغمة لم يمنعني من المواصلة في التخطيط لعمليات جديدة ، وقمت بتكوين خلية أخرى في مدينة جنين ، وحصلت على المال وجهاز هاتف خلوي واستمرت عمليات التخطيط لعمليات جديدة."

ويتابع: "في أحد الأيام رن الهاتف الخلوي الذي كان بحوزتي، وإذا بالشيخ صلاح شحادة قائد الجهاز العسكري لحماس في قطاع غزة، وهو الذي كان على الخط ، وحدثني عن تفجير عبوة ناسفة بمصفحة إسرائيلية في قطاع غزة ما أدى لتدميرها ، فقلت له إنني أسعى لتصنيع مثل هذه العبوات في الضفة الغربية ، فقال لي شحادة سأرسل لك الأموال اللازمة لذلك."

وأوضح "وصلت الأموال ، وطلب مني الجهاز العسكري في غزة العمل على ترتيب أوضاع الجهاز العسكري للحركة في الضفة الغربية ، فقمت بالتواصل مع عناصر آخرين في مناطق أخرى بالضفة وأخبرتهم بطلب القيادة العسكرية في غزة."

ويشير فقهاء أنه في تلك الفترة بدأت قوات الاحتلال تقترب منه أكثر فأكث ر، وتحدث عن إحدى المرات التي اقتحم فيها جيش الاحتلال بلدته طوباس بهدف اعتقاله ، وقال مازن عن تلك الليلة : "دخلت قوات معززة من جيش الاحتلال لطوباس واعتقلت عددا من المقاومين وعندما اقتحموا منزل عائلتي وسألوا عني ، كنت نائما في بيت عمي البعيد عن منزل عائلتي، واستيقظت في تلك الليلة على صوت الرصاص ، وقمت بفتح أحد نوافذ المنزل ونظرت إلى الخارج، ولم أشاهد أحدا ، وكل ما كان يسمع حينها أصوات إطلاق نار ، فانسحبت في الاتجاه المعاكس لأصوات إطلاق النار ، وتمكنت من الخروج، وأعلن في اليوم التالي عن استشهاد الشيخ صلاح شحادة ، وبعدها بأيام فجر محمد هزاع نفسه داخل حافلة إسرائيلية تعج بالمستوطنين والجنود على مفترق "ميرون" القريب من القدس المحتلة وقتل أكثر من ٢٠ منهم وجرح العشرات."

يقول موقع "والا" إنه بعد عملية صفد التي خطط لها فقهاء ونفذها جهاد حمدة بدأ فقهاء

التخطيط للعملية الثانية انتقاما للشيخ شحادة ، وكانت عبارة عن عملية إطلاق نار من المفترض أن ينفذها الاستشهادي شادي ، وكانت الخطة بإطلاق النار من مسافة أربعة أمتار من بيارة على شارع رقم (٩٠) ، إلا أن وجود طائرة في أجواء المكان جعلت فقهاء يتراجع عن تنفيذ العملية."

وعن ليلة اعتقاله، قال فقهاء: "بعد قرار التراجع عن العملية ، نمت في بلدة الزبابدة القريبة من جنين ، وعند الساعة الثالثة فجرا نبهني الشخص الذي كنت في ضيافته أن قوات الاحتلال اقتحمت البلدة لهدم بيوت استشهاديين ، دقائق بعد ذلك سمعت طرقات على الباب ، حينها انسحبت من الباب الخلفي، واعتقل سعيد الذي كنت في ضيافته ، وصودر الكلاشنكوف الذي كان مقررا استخدامه في عملية إطلاق النار التي ألغيت."

وأضاف "في تلك الليلة قضيت أنا وعبد السلام وهو صاحب البيت المجاور بجانب البيت الذي تقتحمه قوات الاحتلال ، وفي الصباح قام عبد السلام بتسليم نفسه ، وبعد وقت قصير حاولت الانسحاب من المكان، إلا أنه تم اعتقالي من المكان."

الفارس تربى في أحضان البندقية القسامية مع أعلام المقاومة في فلسطين في ظل انتفاضة الأقصى كسليم حجة ، الذي سلمه الرجوب في بيتونيا ، قيس عدوان والذي كان حينها رئيسا لمجلس الطلبة ، ما أن انهى مازن دراسته الجامعية في الجامعة ، حتى كانت جحافل الأمن الوقائي تدق أبواب منزله في طوباس ، بحجة أن اسمه مدرج على قوائم **CIA** التي قدمت إلى السلطة الفلسطينية من اجل اعتقال من فيها من نشطاء المقاومة البالغ عددهم ٣٠٠ مقاوم ، إذ لم يكن مجرد الاعتقال هو ما فتح شهية القادمين الذين قاموا بمصادرة ٢٢ جالونا من مادة الأسيتون المستخدمة في صناعة المتفجرات كان من المفترض أن تنقل من قيادة كتائب القسام في نابلس إلى جهاز الكتائب في جنين ، حيث كان على مازن فقهاء الذي تسلمها من القائد القسامي المعتقل سليم حجة والذي سلمه الرجوب ضمن ما بات يعرف " بيتونيا جيت " خلال حملة السور الواقي حيث ينتظر حكما بعشرات المؤبدات عليه ، وكان على مازن حينها أن يوصل

حمولته إلى قيس عدوان في جنين إلا أن الأمن الوقائي كان السباق إلى هذه الغنيمة التي لا تقدر بثمن ، وبعد الإفراج عنه بفعل الضغوط الشعبية غدا مازن طريد الأجهزة الأمنية الصهيونية التي وضعته على قوائم الاغتيالات ، الأجهزة الأمنية الفلسطينية لم تكتف عند هذا الحد ؛ بل عادت إلى اعتقاله في أيلول من عام ٢٠٠١ ليقبع في سجونها حتى أواخر ديسمبر، حين اصر أهالي القرية على الإفراج عنهم بعد أن شاهدوا أرتالا من الدبابات تحوم حول طوباس تمهيدا لاجتياحها وكان الوقت حينها وقت عيد ، فخرج من جديد إلى أحضان المقاومة.

عمل مازن عند خروجه على إعداد مجموعات لكتائب القسام في منطقة طوباس وكان إلى جانبه الشهيدين القساميين اشرف دراغمة ومنقذ صوافطة ، وكان على علاقة طيبة مع المقاومين من الفصائل المختلفة ، حيث تولت تلك المجموعات الضرب بيد من حديد على جحافل جنود الاحتلال ومستوطنيه الذين انتشروا في منطقة الأغوار انتشار النار في الهشيم ، ولعل من ابرز العمليات التي استهدفت الجنود في منطقة الأغوار عملية اقتحام معسكر تياسير المجاور لطوباس والتي قتل خلالها قائد المعسكر وجرح ثلاثة من جنوده لدى اقتحام القساميين احمد عتيق وصالح كميل من منطقة جنين المعسكر في أذار ٢٠٠٢ وقادا اشتباكا مسلحا دام عدة ساعات ، وكذا الهجمات التي نفذت في وادي المالح ، أو في مستوطنة الحمرا التي هاجمتها الكتائب اكثر من مرة مردية عددا من ساكنيها قتلى ، أو مستوطنة ميحولا المجاورة والتي نفذ فيها هاشم النجار أول عملية استشهادية في انتفاضة الأقصى في الضفة الغربية وغير ذلك من الهجمات ؛ ولعل اشد الأيام على مازن كما يفيد بذلك أقرانه كان يوم استشهاد ستة من كوادر كتائب القسام في جنين على ارض طوباس خلال حملة السور الواقي في ٥/ ٤/ ٢٠٠٢ وهم قيس عدوان أبو جبل ، سائد عواد ، محمد كميل ، مجدي بلاسمه ، اشرف دراغمة ، منقذ صوافطة ، حيث دارت معركة عنيفة استمرت نحو سبع ساعات شارك فيها إضافة إلى القساميين الستة ، مجموعات أخرى من مختلف الفصائل من الخلف في محاولة لفك الحصار عن القادة إلا أن النتيجة كانت سقوط ثمانية شهداء في معركة بطولية ، حينما علم مازن بأن الوحدات الخاصة

قد حاصرت منزل منقذ صوافطة هجم بشكل سريع نحو موقع الهجوم واخبر المقاومين في القرية بأن مطلوبين من جنين يتحصنون في المنزل وأن على رجال المقاومة في طوباس كسر الحصار بشكل سريع عن المنزل لأن الوحدات الخاصة جبناء وسينسحبون بسرعة عند أول اشتباك ، إلا أن وقوع المنزل على اطراف القرية وسط حشودات عسكرية مهولة قدمت إلى المكان لم تنجح خطة المقاومين ، وللأسف فقد رفضت الأجهزة الأمنية في طوباس في تلك اللحظات المساعدة ، وتركت المقاومين وحدهم أمام هذه الهجمة الشرسة ، حيث يصف احد الحضور مازن في تلك اللحظات بأنه لم يكن يرغب في أن يبقى حيا بعد هؤلاء ، وكان يقاتل بطريقة من يقبلون على الشهادة بشغف ، إلا أن الله قدر أن دور هذا القسامي لن ينتهي في هذه المرحلة فلا بد أن يكون هناك من يجدد الدماء بعد رحيل القادة ، في هذه الأثناء كان الشيخ نصر جرار ، قائد كتائب القسام في جنين ، يساهم بعقليته العسكرية الثاقبة في المعركة الدائرة في مخيم جنين حيث رفض أن ينسحب من المخيم الذي عايش لحظات بناء المقاومة فيه لبنة لبنة رغم أن يده واحدى قدميه كانت مبتورة في حادثة سابقة ، حيث أن مشورته كانت مسموعة لدى جميع المقاومين من مختلف الفصائل الذين احبوا العمل معه اكثر من غيره ، وقد شاء الله أن يكون الشيخ نصر جرار من المقاومين الناجين من معركة المخيم بعد أن تمكن رفاقه من إخفائه في اللحظات الأخيرة لسقوط المخيم ، وقد دفع ضريبة أخرى وهي بتر رجله الثانية نتيجة سقوط صخرة من بيت كان يتواجد فيه على قدمه أثناء قيام الجرافات الصهيونية بالهدم العشوائي للمنازل ، خرج الشيخ من هذه المعركة ليقع على كاهله إعادة بناء جسم الكتائب في جنين بعد أن فقدت الكتائب نحو عشرين مقاتلا من مقاتليها في جنين شهداء وعشرات آخرين معتقلين خلف القضبان ، وهنا بدا لقاء الفرسان وكانت فترة هامة عمل فيها مازن فقهاء مع الشيخ نصر جرار ، الذي استشهد هو أيضا على ارض طوباس قبل عدة اشهر ، أعيد بناء خلايا الكتائب وتم ضخ دماء جديدة فيها في فترة قياسية بفعل وجود قاعدة قوية للمقاومة في هذه المنطقة ، وقد عمد الشيخ نصر جرار أثناء وجوده في طوباس وبمساعدة من مازن على تشكيل

لجان المقاومة الشعبية فيها وهي لجان ما زالت فاعلة إلى الآن ، وقد كان من أهدافها توسيع قاعدة المقاومين من جهة ، والقيام بالمهمات التي يتفق الجميع عليها ، ولا تتطلب بعدا حزبيا من جهة أخرى ، سيما ملاحقة العملاء المتورطين في تصفية المقاومين وخاصة على ارض طوباس .

وفي خضم هذه اللجة خرج من منطقة طوباس عدة عمليات جريئة لكتائب القسام ، كانت إحداها في مفرق بات على مقربة من مستوطنة جيلو في القدس الشرقية في شهر أيار ٢٠٠٢ والتي قتل خلالها ١٩ صهيونيا وجرح العشرات ونفذها الاستشهادي القسامي محمد هزاع كايد الغول من مخيم الفارعة المحاذي لطوباس والطالب في جامعة النجاح ، واحد رفاق الدرب لمازن فقهاء منذ أيام الدراسة الأولى ، كانت عملية جيلو المرة الثالثة التي كان من المفترض أن يقوم محمد الغول بتنفيذ عمليته الاستشهادية ، ولعل احدى المرتين السابقتين كانت حين قدم قيس عدوان ورفاقه إلى طوباس وكان الهدف تجهيز محمد الغول ، إلا أن عملية الاغتيال التي حدثت بحقهم حالت دون ذلك ، فتأجلت العملية إلى ما بعد السور الواقي لتنفذ في القدس .

أما العملية الجريئة الأخرى فكانت ردا على اغتيال القائد العام لكتائب القسام الشيخ صلاح شحادة ، حيث خرج الرد الثاني مدويا من جنين على يد الاستشهادي جهاد حمادة من قرية برقين مسقط رأس الشيخ نصر جرار ، وكانت أصابع مازن بارزة في نسج خيوط هذه العملية ، حيث اقتحم الصهاينة المنطقة بحثا عنه مما اسفر عن اعتقاله وعددا من المقاومين في احد منازل طوباس النائية ، أيام بعد ذلك أعقبها استشهاد الشيخ نصر جرار في طوباس ؛ ليسدل الستار عن حكاية من حكايات الكتائب في جنين.

لقد شكلت عملية مطاردة الجيش الصهيوني لمازن معاناة كبيرة لأفراد أسرته ؛ حيث المداهمات الليلية المستمرة والتي لا تبدأ إلا بعد منتصف الليل ، ولعل ابرز حملات المداهمة تركزت في شهر حزيران ٢٠٠٢ حيث كانت تتم بشكل مكثف ومتلاحق ، إلا أن شهر أغسطس وفي أعقاب عملية صفد الاستشهادية شهد آخر فصول الملاحقة ، فبعد اعتقال مازن في ٥/ ٨/ ٢٠٠٢ ، قدم الصهاينة إلى المنزل بتاريخ ٨/ ٨ واعتقلوا والده وشقيقه معن مدة ١٢ يوما

وفي تلك الليلة تم زرع محيط المنزل بالديناميت وتفجيره بالكامل لتقطن العائلة بعد ذلك في احد منازل الأقارب في اطراف البلدة، اعتقل مازن في سجن هداريم وفي نفس الغرفة مع الشيخ جمال أبو الهيجا أحد فرسان المقاومة في جنين ، وأفرج عنه في صفقة وفاء الأحرار ، واستقر في تل الهوا مدينة غزة الأبية .

فك الشيفرة

قصة معركة فك الشيفرة ٤٥، وهي كلمة السر التي تندرج ضمن صراع الأدمغة بين أجهزة الأمن الفلسطينية في قطاع غزة وبين أجهزة الأمن الصهيونية وتحديداً بين جهازي الأمن الداخلي الفلسطيني وجهاز الشاباك الإسرائيلي.

نجح المؤتمر الصحفي في فك الشيفرة ٤٥، ولكنه نجح بشكل أكبر في خلط أوراق جهاز الشاباك الصهيوني دون أن يقدم له معلومة كاملة ، كان يعتقد الشاباك أنه سيحصل عليها، مثل المضبوطات التي استخدمت في عملية الرصد والتنفيذ ، وطبيعة العملاء الـ ٤٥ الذي تم اعتقالهم، والمعلومات التي حصل عليها جهاز الأمن الداخلي حول الشاباك وآليات التجنيد والمتابعة.

فالرقم ٤٥ يعود لعدد العملاء الذين تم اعتقالهم خلال فك شيفرة ولغز اغتيال الشهيد القائد مازن فقها ، أما الرسائل التي تضمنها المؤتمر الهام لوزارة الداخلية والأمن الوطني فهي متنوعة وعديدة ولعلي أوجز أهمها بالتالي:

١ . رسالة بكاء العملاء بعد فوات الأوان ، وكأن العميل يبرقها لزملائه ولسان حاله يقول: كان بالإمكان إنقاذنا من قبل الجيش الإسرائيلي وأجهزته الأمنية (الشاباك) بأي شكل من الأشكال كما كان يعدنا بذلك الضباط الصهاينة ، فلماذا لم تقم إسرائيل بعملية إنزال لإنقاذنا..؟ ولكن بعد تنفيذنا لجريمة اغتيال القائد مازن فقها تركنا نلقى مصيرنا وهو مصير خزي في الدنيا وعذاب أليم بالآخرة.. وهذا ديدن المخابرات الصهيونية في التعاطي مع المتخابرين والعملاء، حيث تنتهي صلاحياتهم بعد تنفيذهم للمهمة.

٢. رسالة للشباب الذين يتلقون أوامرهم من قيادات مجهولة داخل العالم الافتراضي وبمسميات مجهولة تتقمص الشخصية التي تنسجم مع الهدف ، فجاءوا للقاتل أ. ل متقمصين قبعة السلفية الجهادية ودفعوه لارتكاب جرائم ثم بعد أن تورط بدأ العمل بالمكشوف ليصبح قاتل وجاسوس.

٣. تم فك الشيفرة ٤٥ وهي اعتقال ٤٥ عميلا وهذه أكبر ضربة لجهاز الشاباك الصهيوني حيث أعلن في أكثر من مناسبة أنه يعاني من فقر المعلومات في غزة بعد نجاح الأمن الداخلي الفلسطيني من توجيه ضربات متتالية للعملاء، لتأتي هذه الضربة التي سيكون ما بعدها عبر تبني الداخلية سياسة جديدة تقوم على نظرية الحسم والمبادرة.

٤. يسجل الاحترام لشعبنا الذي تحمل إجراءات وزارة الداخلية بعد اغتيال مازن فقها من إغلاق للمعابر والطرقات والبحر .. وهو اليوم يجني ثمن تلك المعاناة بالافتخار بهذا الأداء والإعجاز في الإنجاز.

٥. على العملاء اقتناص الفرصة واستخلاص الدروس والعبر وتسليم أنفسهم لأجهزة الأمن في قطاع غزة والضفة المحتلة قبل أن تصلهم العيون الساهرة.

لذا ينبغي أن يدرك الجميع بأن نهاية الغرق في وحل العمالة هو المحاكمة العادلة التي تؤدي حسب القانون للقصاص، وهو ما لا يتمناه عاقل ، وفي المقابل ينبغي تعزيز الوعي الأمني لدى شرائح مجتمعنا الفلسطيني حتى نشكل مناعة وحصانة من أي اختراق محتمل تحت أي ذريعة أو قبعة ترتديها أجهزة المخابرات الصهيونية ، وأن نضبط كتاباتنا في العالم الافتراضي حتى لا نكون عملاء ونحن لا ندري.

نفذت حركة حماس اليوم الخميس ٢٥ مايو حكم الإعدام بثلاثة أشخاص تمت إدانتهم بقتل القائد العسكري في الحركة مازن فقهاء.. وقال ممثل الادعاء العسكري لحماس إن الثلاثة اعترفوا بتلقي أوامر من ضباط مخابرات إسرائيليين لتعقب واغتيال مازن فقهاء في ٢٤ مارس في مدينة غزة.. وكانت محكمة عسكرية قد أدانت أحدهم "بالقتل قصدا مع سبق الإصرار"

بإطلاق النار على فقهاء في حين أدانت الاثنين الآخرين بتزويد إسرائيل بمعلومات عن مكانه. وفقهاء كان أسيرا في إسرائيل وهو من الضفة الغربية، أبعدته إسرائيل إلى غزة لدى الإفراج عنه ضمن صفقة تبادل عام ٢٠١١.

ويعاقب القانون الفلسطيني بالإعدام جرائم التعامل مع إسرائيل والقتل والاتجار بالمخدرات على أن يصادق الرئيس الفلسطيني على هذه الأحكام. لكن حماس لا تعترف بشرعية الرئيس محمود عباس وتعتبر أن ولايته انتهت العام ٢٠٠٩.

وأكدت التحقيقات أن المدانين وهم من أعضاء تنظيم سلفي وهابي يدعى جيش الإسلام ورئيس المجموعة يدعي اشرف أبو ليلى ونفذوا تعليمات من الموساد الإسرائيلي ، وتلقوا منه مسدسا كاتما للصوت لتنفيذ جريمتهم لاغتيال الشهيد مازن فقهاء ، على مدار شهرٍ ونصف الشهر عاشت غزة أجواءً غير مسبوقة من الاستنفار والقلق الشديد على كافة المستويات ، فالأجهزة الأمنية استنفرت عناصرها "المنهكة أصلاً" بعبء ملفات لا حصر لها تستهدف المواطن الغزي من أطراف مختلفة ، غير أن مسألة اغتيال أسيرٍ محرر في صفقة "وفاء الأحرار" في بقعةٍ من الأرض يعتبرها الكثيرون من أكثر بقاع العالم أمناً بالنسبة لمطاردين من قبل الكيان الصهيوني بأجهزته وشبكاته المختلفة في العالم ، شكل صفعة وضربة قوية تلقاها أمن القطاع الذي تُديره حركة "حماس" منذ العام ٢٠٠٧م ، وهي التي كانت تتباهي باستمرار بحالة الأمن التي وفرتها في قطاع غزة مع تعثرها في توفير الرفاهية والنهضة الاقتصادية بفعل الحصار الخانق المفروض على مواطني القطاع.

مضت الأيام تباعاً، ومعها تضاعفت الجهود الأمنية والاستخبارية بهدف الوصول للمنفذ الذي تجرأ على فعلةٍ غريبة وخارجة عن أعراف الشارع الفلسطيني في هذه البقعة الآمنة ، ومع هذه الجهود تم توقيف عشرات المواطنين للتحقيق وإغلاق كافة حدود قطاع غزة براً وبحراً ، ونشر مئات الحواجز على امتداد شوارع القطاع صحبها تفتيش للمركبات وإحداث تشويش على مصالح المواطنين ، الذين تفهم بعضهم هذه الإجراءات وإن كان على مضض.

ومع هذه الإجراءات انتشر طوفان من الشائعات والأخبار المغلوطة في الساحة الفلسطينية، فما إن تنتهي من شائعة حتى ينتشر العديد منها وهكذا عاش المواطن في دوامة بين تلك الشائعات التي أرهقت الفرق الأمنية العاملة على مدار الساعة ، والتي إلى جانب تلك الشائعات كانت تتلقى كذلك المعلومات المكذوبة التي روجها الاحتلال الصهيوني منذ اللحظة الأولى لعملية الاغتيال عبر وسائل إعلامه لتشويش مجرى التحقيق وتأمين مخرج آمن للمنفذين.

وبصمت كانت المعركة تدور بين عقول رجال أمن غزة المحاصرة ورؤوس ضباط مخابرات الكيان الإسرائيلي أصحاب الخبرة الطويلة في العمل الأمني والاستخباري على مستوى العالم، ومع كل يوم كان يطوي صفحته كان أمن غزة يُمسك بأطراف خيوطٍ جديد، حتى وصلت إلى فك تفاصيل الشيفرة ٤٥ التي سبق أن تم الحديث عنها بشكل مسرب من قبل مصادر أمنية مختلفة.

ومع حجم المعلومات التي استقاها رجال أمن غزة استناداً على استجواب جيران القائد فقهاء ورفاقه والعشرات من المشتبه بهم بناء على المعايير التي وضعها ضباط أمن غزة لمنفذ أو منفذي الجريمة المتوقعين وأوصافهم وتصرفاتهم ، إلى جانب تحليل ٣٦ ألف ساعة تم جمعها من كاميرات مراقبة منتشرة في مناطقة مختلفة من غزة ، فقد كان حل لغز الشيفرة كالتالي:

الإعلان عن الانتهاء من التحقيق في جريمة اغتيال الشهيد القائد مازن فقهاء بعد ٤٥ يوماً من التحقيق والتحليل والمتابعة ، أفضت إلى الوصول والقبض على المنفذ المباشر للعملية.

الإعلان عن توجيه ضربة قوية للشاباك الصهيوني من خلال كشف ٤٥ متعاوناً مع مخابرات الاحتلال ضد مصالح الشعب الفلسطيني بينهم من قام بجرائم كبيرة وهزت المجتمع الفلسطيني وأفضت إلى قتل العشرات من قادة ومجاهدي الشعب الفلسطيني وتدمير عشرات المؤسسات والمصالح الخاصة.

فك لغز منفذي جريمة الاغتيال، وإن كان العدو الصهيوني اتخذ كل الإجراءات اللازمة للتمويه والتغرير بالمحققين وتأمين خروج المنفذين وعدم معرفة كل مشارك في العملية للآخر أو مهمته،

إلا من قبل ضابط المخابرات وحده والذي كان بمثابة الريموت كنترول لكل واحد منهم على حدة.

لقد تبين بعد فك رموز هذا الملف أن التطرف الفكري الذي ينتشر في العديد من عواصمنا العربية وتُزهق نتيجته آلاف الأرواح البريئة ، تصنعه أجهزة مخابرات عالمية لا يُسعدها عيش العرب بحالة من الاستقرار والأمن، بل إن غزة بأمنها أكدت هذه النظرية بالدليل والبرهان وليس بالخطب والكلام ، واختصرت المشهد في نظرية جديدة مفادها "إن الوقوع في وحل العمالة والخيانة وشباك أجهزة المخابرات العالمية خطوته الأولى بالانتماء لأحد التنظيمات المتطرفة"، وإن كان الأمر ليس على إطلاقه ، إلا أن ما كُشف في غزة بيّن هذه الحقيقة المؤلمة.

بعد التعرف على تفاصيل الشيفرة ٤٥ زادت القناعة عند الكثيرين بأن من وقع في براثن الخيانة والعمالة يتصرف بأفعال بعيدة عن الفطرة الإنسانية ، فأحد المتورطين في عملية اغتيال "فقهاء" قضى شقيقه في عمليه اغتيال الشيخ المجاهد أحمد ياسين وهو الذي كان يقوم بمتابعة تحركاته والشخص الهارب قتل الاحتلال الإسرائيلي في إحدى ضرباته أحد عشر شخصاً من أفراد عائلته بينهم زوجته وأطفاله، وبذلك تتضح درجة الانحدار التي تعيشها هذه الفئة من المجتمع.

صحيحٌ بأن أجهزة الأمن التابعة لحركة حماس تمكنت على مدار أيامٍ معدودة فقط من إحراز العديد من النقاط في مرمى الشاباك الإسرائيلي، غير أن ما قامت به أعاد للذاكرة ألماً كبيراً حين نعودُ بصفحات التاريخ إلى الوراء ونستذكر العشرات من جرائم الموساد والتي جرت على أراضٍ عربية مختلفة وبينها الضفة الغربية المحتلة باغتيال الزعيم الفلسطيني الراحل وقائد حركة فتح ياسر عرفات، دون أن يصل الجمهور العربي لحقيقة من يقف وراء تلك العمليات.

هذا رغم امتلاك البلاد العربية المنظومات الأمنية من حيث العدة والعتاد الأكبر في المنطقة فإن نجاح أمن حركة حماس في أقل من شهرين لفك لغز جريمة اغتيال فقهاء والقبض على غالبية المنفذين أوقع حركة فتح في حرج شديد أمام أبنائها وهي التي شكلت أكثر من لجنة تحقيق في اغتيال عرفات على مدار ثلاثة عشر عاماً ولم تملك الجرأة في الإعلان عن ظروف قتله والمتهمين

بذلك!!

مؤلم للغاية أن نرى العديد من العواصم العربية مفتوحة الأبواب أمام عمليات الموساد الإسرائيلي وتنفيذ الضربات في عقر دارنا ، ويبعثُ على الفخر أن نرى غزة تلك البقعة التي ضاقت على أهلها بفعل حصار خانقٍ ومشدد على كافة المستويات، قد وجهت الصفعة تلو الأخرى لهذا المحتل ، رغم قلة ما في اليد من عدة أو عتاد وقلة لأعداد رجال أمنها ومحلية عملهم.

فالضربات التي أصابت مرمى الاحتلال الإسرائيلي في الخفاء أكثر مما تم الإعلان عنه هذه المرحلة ، وسيكون هناك هجمات مرتدة ستوجع الاحتلال وعملائه المنتشرين في الساحة الفلسطينية على أرض قطاع غزة. ووحدهم من يعلمون بحقيقة هذه الضربات ضباط الشاباك الإسرائيلي والأمن الداخلي الفلسطيني.

لن يكون إعدام المنفذين المباشرين لعملية اغتيال فقهاء الخطوة الوحيدة التي ستلجأ لها الأجهزة الأمنية في غزة أمام الضغط الكبير من قبل الرأي العام وتفهم أي خطوات يلجأ إليها الأمن في سبيل حماية المنظومة الأمنية التي تتغنى بها غزة أمام كل ضيوفها.

الضربات الاستباقية التي ستقوم بها وزارة الداخلية في غزة ستكون هي سيدة الموقف، وسوف تتعدد أشكالها ، فالحركة القادمة أو الخارجة من غزة وبخاصة من قبل المؤسسات الدولية، ستخضع لمعايير جديدة تختلف عما كانت عليه في أوقات سابقة من التفتيش والتدقيق والمتابعة فالأمن لمواطني قطاع غزة سيكون فوق أي اعتبارات أخرى مهما كانت كبيرة.

قوة الأمن الغزي

عندما اغتالت إسرائيل الشهيد مازن فقها مساء يوم الجمعة ٢٤ مارس ٢٠١٧، لم يكن أحد يتوقع أن تنجح قوات الأمن في قطاع غزة المحاصر في الكشف عن تفاصيل العملية ، علما أن ما جرى كان فريدا من نوعه، إذ دأبت قوات الاحتلال على اغتيال قادة المقاومة عبر قصف من الجو تحديدا.. لكن وبعد أقل من شهرين على تنفيذ العملية، أعلن رئيس المكتب السياسي لحركة

المقاومة الإسلامية حماس إسماعيل هنية عن نجاح قوات الأمن بالقطاع في الكشف عن كل التفاصيل المرتبطة بعملية الاغتيال ، وإلقاء القبض على جل المشاركين فيها بمن فيهم المنفذ المباشر للعملية.

وكشفت وزارة الداخلية والأمن الوطني يوم ١٦ مايو ٢٠١٧ كافة تفاصيل عملية اغتيال فقها، وبثت اعترافات العملاء الذين شاركوا في العملية بشكل مباشر أو غير مباشر.

الداخلية الفلسطينية في غزة بثت شريط فيديو تضمن اعترافات العملاء المشاركين في العملية، أحدهم يدعى "ه.ع" ويبلغ من العمر ٤٤ عاما وله مزرعة ، كشف أنه صار عميلا للاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٩٨، وشغله ضابط يسمى "سعيد"، استغل حاجته للسفر عبر حاجز بيت حانون فجنّده لصالح المخابرات الإسرائيلية.. وأعلن العميل أنه كلّف بمتابعة قادة المقاومة البارزين وفي مقدمتهم الشهيد أحمد ياسين ، كما كلّف بتصوير أماكن وشوارع ومنازل في غزة. أما العميل ع.ن (٣٨ عاما) الذي اشتغل ضابطا في حرس الرئيس ، فقد ارتبط مع قوات الاحتلال عام ٢٠١٠ تحت إشراف ضابط المخابرات "بلال"، بعدما تواصل الاحتلال معه تحت غطاء مؤسسة حقوقية تريد مساعدته في السفر إلى زوجته بالضفة الغربية.. ومن أبرز ما كلفه به تحديد مواقع عسكرية ، ومواقع رباط المقاومين، وتحديد أماكن وجود الأنفاق التي قصف بعضها.

أما العميل الرئيسي منفذ عملية اغتيال فقها فيدعى "أ.ل"، ويبلغ من العمر ٣٨ عاما، واشتغل بالقطاع العسكري قبل أن يفصل ، وارتبط مع قوات الاحتلال وصار عميلا لها عام ٢٠٠٤، عمل تحت إشراف ضابط المخابرات الإسرائيلي "أبو العبد"، وقد تم التواصل معه وتجنيده تحت غطاء جماعة متشددة تحب غزة وفلسطين وتريد إحياء الجهاد في الأرض المحتلة ، وبدأ مشغله يبعث له بالأموال ويدله على طرق استيعاب المتطرفين وكيفية تنفيذ عمليات تفجير داخل القطاع المحاصر.

غير أن مخابرات الاحتلال سرعان ما كشفت هويتها الحقيقية للعميل المتطرف عام ٢٠١٤،

واتصل به الضابط "أبو العبد" وبدأ يطلب منه تنفيذ مهام محددة بينها تصوير مواقع مقرات الشرطة ومنازل المقاومين ، وكانت آخر عملية نفذها العميل هي اغتيال الشهيد مازن فقها.

من خلال اعترافات العملاء، تبين أن التخطيط لعملية اغتيال فقها بدأت منذ منتصف ٢٠١٦، حيث أكد العملاء أن مشغليهم من ضباط المخابرات الإسرائيلية كانوا يطلبون منهم تصوير العمارات والأبراج والمنازل والشوارع الموجودة بمنطقة تل الهوا، وهي المنطقة التي كان يسكن بها الشهيد فقها.

وكان كل تركيز الضباط على عمارة "الغرابلي ٣" التي توجد بها شقة الشهيد فقها، وكان يطلب من العملاء المشاركين في عملية الاغتيال تصوير مداخل العمارة وكل التفاصيل الضرورية داخلها.. كما طلب من أحد العملاء تحديد أسماء الأسرى المفرج عنهم ممن يقطنون بغزة ، وكان من بينهم الشهيد فقها.. وأمر العملاء بتحديد كل التفاصيل الموجودة بالشارع الذي توجد عمارة الغرابلي به ، وتحديد أماكن مقرات الشركات والمؤسسات والمتاجر، والتدقيق في أماكن وجود كاميرات المراقبة.

وقبل أسبوع من تنفيذ عملية الاغتيال ، طلبت المخابرات الإسرائيلية من منفذ العملية إجراء مسح شامل للمنطقة التي توجد بها عمارة الغرابلي ، وهو الطلب نفسه الذي تكرر قبل يوم من التنفيذ، حيث ألزم العميل "أ.ل" بكشف أي وجود للشرطة أو عناصر مسلحة في المنطقة.

وأعلنت الداخلية الفلسطينية أن سماء غزة وتحديدا منطقة تل الهوا شهدت يوم الخميس ٢٣ مارس ٢٠١٧ تحليقا مكثفا لطائرات الاستطلاع ، وبينها طائرة كوكيا التي تحمل طاقما استخباراتيا محترفا ، وطائرتا أوربيتر ١ وأوربيتر ٣ اللتان تستخدمان في العمليات الخاصة وتحلقان على ارتفاعات منخفضة.

واستمرت المراقبة الجوية يوم الاغتيال كذلك ، حيث تم رصد تحليق ١٨ طائرة استطلاع في سماء غزة وخاصة تل الهوا.. مخابرات الاحتلال حركت يوم الاغتيال عملاءها ووزعتهم على مناطق قريبة من عمارة الغرابلي ، وقال العميل "ع.ن" إن الضابط الذي يشغله طلب منه في

السابعة مساء بالتوقيت المحلي التوجه نحو عمارة الغرابلي والبقاء بسيارته قريبا منها ، وتبليغه بأي تحرك لعناصر الشرطة أو المقاومة.

وطلب من العميل الرئيسي "أ.ل" المتسلح بمسدس ، تتبع سيارة الشهيد فقها داخل مرآب العمارة وتنفيذ عملية الاغتيال هناك.

وبمجرد ما وصل الشهيد بسيارته ، تتبعه العميل "أ.ل"، وعندما أوقف السيارة دق العميل على زجاج الباب ففتح الشهيد فقها زجاج النافذة ، لكن ما كان ينتظره هي ست رصاصات في الصدر وفي الرأس أطلقها العميل كما أمره بذلك الضابط الإسرائيلي ، ثم انسحب من عين المكان.

وبحسب وزارة الداخلية في غزة، فإن هناك عميلا رابعا شارك في تنفيذ جريمة الاغتيال يدعى "أ.ص" وعمره ٤٦ عاما، ونجح في الهروب باتجاه الاحتلال الإسرائيلي.

واعتُبر نجاح الأمن في القطاع المحاصر في كشف خيوط عملية اغتيال مازن فقها ضربة قاسية للاحتلال الذي فقد ليس فقط هيبته ، وإنما عشرات من عملائه ، سارع بعضهم لتقديم نفسه لقوات الأمن ، في وقت ألقي القبض على الآخرين الذين رفضوا تسليم أنفسهم.

وقد عبر العملاء الذين نفذوا الجريمة -باكين- عن ندمهم على خيانتهم لدينهم ووطنهم، ودعوا المتعاونين مع الاحتلال للتوبة وتسليم أنفسهم ، وأكدوا أن وعود الاحتلال لهم بحمايتهم في كل الظروف ، وأنهم مؤمّنون ضد أي أخطار تهدد بكشفهم ، مجرد وعود كاذبة والدليل على ذلك "أنني أكلمكم من داخل مقر جهاز الأمن الداخلي"، كما جاء على لسان منفذ جريمة الاغتيال "أ.ل".

تنتخب حماس في ٦ أيار ٢٠١٧ إسماعيل هنية ليحل محل خالد مشعل رئيساً لمكتبها السياسي ويعرب مشعل عن ثقته التامة بالقيادة الجديدة، وعلى رأسها إسماعيل هنية، وبحكمتها في متابعة النضال لصالح الشعب الفلسطيني، كان يُنظر إلى هنية على نطاق واسع على أنه المرشح الأول للحلول محل مشعل بعد أن أصبح واضحاً في وقت سابق من هذا العام أن مشعل يعتزم التنحي

تلقى غريب تلفونا من السيد حمدي طالبا للقاء ، واستغرب غريب الاتصال بسبب أن الاتصال بينهما انقطع بعد ذلك الحادث الغامض منذ اكثر من سنتين وغلب على ظنه أنه انسحب من جمع التبرعات وإرسالها لمصر وانه ابتعد أن الصيد وتهريب السلاح لغزة ؛ كما فهم الأمر منه قديما ، واتفقا على اللقاء في صالة فندق في مدينة هود ، غادر غريب المصنع قبل صلاة الظهر يوم الخميس من نوفمبر ٢٠١٧ ومع العصر دخل هود وتناول الغداء في احد مطاعم هود القريبة من الفندق المتفق عليه ، وبعد الغداء مشى نحو الفندق وجلس في صالة الاستقبال ثم رأى أبا سلمى يتوكأ على عصى الضعفاء المرضى أو كبار السن ويتحدث مع موظف الاستقبال ثم أشار لغريب فتبعه إلى مقهى الفندق ، ووجد الصالة مليئة بالزبائن فمشى نحو طاولة فارغة وجلس بعد مصافحة حمدي وسمعه : اطلب لك طعاما أم نذهب للمطعم

ـ تناولت الغداء قرب الفندق

ـ شاي

ـ شاي يا صديقي

ـ مبارك الزواج اخبرني المهندس بأنك سافرت للزواج قبل اكثر من سنة وتركت الاتصال بك تلك الفترة لأنني وضعت تحت المراقبة المحلية والخارجية .. فكان عليّ أن أجنبك الاشتباه

ـ بارك الله فيك تزوجت هناك عند أمي وأبي وأحضرت العروس معي لنعيش بين أهلنا هنا .. وأنت كيف صحتك اليوم ؟

ـ الحمد لله لم تأت الساعة بعد .. حدث الانفجار قبل أن اجلس على مقعد المكتب ؛ كما أخبرتك سابقا .. لا ادري هو إنذار أم كان القصد الموت !

ـ هل اكتشف الفاعل ؟

ضحك مطولا وقال ساخرا وقال : من سيكشفه يا دكتور ؟ الشرطة في مثل هذه القضايا ضعيفة يا ابني ! وراء القضية عصابة مخدرات وانتهى الموضوع عند البوليس

ـ أنت ترتاب بالموساد كما فهمت سابقا

ـ أعوان وعملاء الموساد .. المال يا دكتور ضعف البشر ؛ هكذا يقول التاريخ .. ادم عصى ربه في الجنة من اجل لقمة من شجرة منع عنها ..وقابيل صرع هابيل بسبب المال وقيل النسوان

ـ هل تعسعست بين رواد المقهى؟!

ـ فعلت لم تظهر وجوه جديدة .. أو وجوه غريبة عن المعتاد .. إلا اذا كان هناك صاحب وجه قديم عميلا لهم .. لا استغرب ذلك .. قريب من المقهى سوق بيع الأسماك الطازجة .. فهذا تتجدد فيه الوجوه باستمرار .. يذهب الآباء ويظهر الأبناء وأبناء الأخوة .. قبل أن انسى ما زال قريبك يعمل في جامعة هود .

ـ الدكتور سارية ابن عمتي.. ما زال هو وعيلته يخدمان في الجامعة هل من خدمة تريد منهما ؟

ـ لي حفيد يعرفه بشكل جيد .. هو محاضر علوم دينية

ـ صحيح دكتور شريعة حسب رغبة والده المرحوم .. ها أنا حضرت

ـ سنمشي اتجاه البحر لنتكلم في الهواء الطلق رغم البرد والمطر ؛ فالكلام في الغرف المغلقة يقولون للحيطان آذان

دفع حمدي ثمن الشاي وغادروا الفندق من باب المقهى المطل على شارع البحر ، ولما ابتعدا عن المقهى قال : هل من الممكن أن تسافر لمصر كنزهة ؟

ـ نزهة شمة هوا

ـ أرسلت قبل اشهر شخصا ؛ ولكنه لم يصل كما علمت .. يبدو انه طمع بما يحمل واختفى رغم انه دخل مصر ولم يعرف مكانه لحتى اليوم

ـ غزواي

ـ لا ، عربي ؛ ليس كل من يرسل لمصر من أبناء غزة ، وقد قام بنقل اكثر من مرة الحقائب ، لا يشترط لنقل الدعم لمصر بأيدي غزاوية .. وأنا لا اعرف كيف تنقل الأموال لغزة ؟ كانت قديما تدخل عن طريق الأنفاق ولكن الأنفاق بعد انقلاب مصر ٢٠١٣ هجرت ..لكنها بفضل الله

تدخل بشراء ذمم حراس الحدود ؛ وربما نخوة بعضهم .. سهلة يا عم غريب .. وقد تدخل باسم الوقوف مع المقاومة والجهاد .. لا يخلو وطن من التهريب أمريكا بجبروتها وأجهزتها لا تستطيع منع المهربات من المخدرات والأسلحة

ـ صحيح الكمال لرب السموات ..هو المبلغ يستحق الغدر والخيانة

ضحك حمدي وأجاب : عشرة آلاف دولار فقط ! .. الحيطة مطلوبة وتوقع الغدر وارد فترسل عددا من الحقائب عن طريقي وعن طريقي غيري .. فحتى لو اكتشف المبلغ من سلطات الحدود فلا يشك في ناقله ؛ فلدينا وسائل كثيرة لإدخال المال لغزة والضفة فهذا جهاد

ـ متى تحب أن أسافر ؟

ـ في اقرب وقت يجب أن يستمر تدفق المال إلى ارض الجهاد

***

اتصل الطبيب بلال بصديقه راضي أحمد يسأله عن الجثث التي وجدت على شاطئ هود ما آخر أخبارها فقال راضي مستغلا الاهتمام : احب أن تزورنا أنت واهلك رغبة لسلمى فهي مشتاقة لك ولزوجك الفاضلة وأطفالك .

أبدا الرجل شكره لهذه الرغبة والذكرى ، واتفقا على يوم جمعة قادم ، وأجاب عن فضول بلال بأن الغموض ما زال يلف تلك الجثث كما حدث مع جثث ٢٠٠٧ ، والتفسير أنهم مهربون دوليون ؛ ربما دول بعيدة عن مدن البحر ، وسافر بلال بأسرته لهود قبل صلاة الجمعة على أن يصلي الجمعة في الطريق بينهما

وبعد تناول الغداء على مائدة الدكتور راضي اتفقوا على التمشي على شاطئ هود لينظر الأبناء البحر ويشربون المشروبات من العصائر والشاي على احد كازينوهات هود ، وكان بلال تحدث مع قريبه سارية بوجوده في هود ، والتحق بهم في كازينو الأزهر الوردي ، وجلست النساء والأطفال مع بعضهن يثرثرن بأخبارهن ومشاريعهن ، وجلس الرجال الثلاثة مع بعضهم وخلال الثرثرة قال سارية : الدكتورة الألمانية مارسيل كارل مهتمة بجثث هود الجديدة .

ضحك راضي وقال : هل عادت من العلاج ؟

ـ عادت من سنوات وتعالجت إلى حد كبير ؛ ولكنها في تلك السفرة فقدت زوجها غرقا

قال راضي تعجبا : غرقا كيف ؟!

ـ كان يسبح في صباح مبكر في مسبح فندق بحري فغرق ، ولم يكن هناك أحد حوله لينقذه

قال بلال : والأمن ألم يكن امن الفندق في المكان ؟

ـ لا ادري ! هكذا أخبرتنا أنه غرق ، ولم يشعر به احد حين سقط ميتا في بحيرة الفندق

قال راضي : ولم يسحبه البحر أم أن المسبح منفصل عن شاطئ الفندق

قال ضاحكا : أنا لا اعرف صفة المكان ..المهم أنها بحيرة فندق

قال بلال : وما زالت أرملة

قال سارية : لم تتزوج لليوم ؛ ولكن سمعت أنها ستنهي عملها في الجامعة وتعود لبرلين

رن هاتف راضي ففتح الهاتف : نعم سيد ميلاد أبو احمد .. والتفت للضيوف قائلا : شقيقي ميلاد .. وعاد يقول للمتصل : معي صديقنا بلال صهرنا السابق وابن عمته الشيخ الدكتور سارية صلاح الدين .. ويرسلون لك السلام

المتصل : امك دخلت المستشفى وتحب أن تراك

رد قائلا : حسنا الليلة سأكون عندكم !

ولما انتهت المكالمة قال بلال وفهم بلال أن أم راضي مريضة : : عسى الأمر بسيطا

ـ لها فترة تتردد على المستشفى أمراض السن والكبر

قال سارية : سلامتها هل ننصرف يا أبا يونس ؟

صاح راضي كأنه معترضا : لست على عجلة أيها الأصدقاء بعد صلاة العشاء نغادر البلدة بمشيئة الله تعالى

قال سارية : رحلة موفقة وسلامة الوالدة وطهور إن شاء الله .. وانتم يا أبا يونس مبيتكم الليلة عندنا لا داعي للفندق .. فأم يونس شقيقتي دكتور راضي ليست غريبة عن العائلة

ضحكوا وقال : اعرف أعرف .. دمتم في ود وسعادة .. حتى بعض الزملاء يعجبون من صداقتي لبلال رغم انه طلق أختي .. الحمد لله ما زلنا أخوة في الله بفضل لله ..

قال بلال متمما : الموقف مثير للفضول لأن الزملاء لا يعرفون عمق الصداقة بيننا ابن العم يطلق ابنة العم وتبقى الصداقة والقرابة موجودة والناس لا تعرف تفاصيل قصة الفراق بيننا .. سلم على حماتي السابقة وألف سلامة عليها شفاها الله

قال مادحا : أنت رجل فاضل يا بلال ولست أقولها تملاقا يا سارية لبس بينا مشاريع ومصالح دنيوية لننافق لبعض فمنذ جاءنا هود وهو شاب طيب وخلوق

قال سارية مثنيا : نعم الصداقة بينكم .. عسى شقيقتك موفقة في حياتها الزوجية

ـ لست ادري منذ حدث طلاقها بلال لم اعد اهتم بها وبحياتها الخاصة ؛ وإنما أسمع بعض الأخبار عرضا دون طلب من احد .. اليوم هي في هولندا أو بلجيكا هاجرت مع ممرض كزوج

***

اغتيال حمدان وحامد

قبل اغتيال حامد الخضري في شهر أيار حاولت اغتيال قيادي حماس في صيدا وهو القائد محمد حمدان ، قال الجيش اللبناني إنه اعتقل مشاركا في محاولة اغتيال القيادي بحركة المقاومة الإسلامية (حماس) محمد حمدان في صيدا جنوبي لبنان العام الماضي .



وكان حمدان قد أصيب يوم ١٤ يناير ٢٠١٨ بجروح جراء تفجير سيارته بعبوة ناسفة في مدينة صيدا جنوبي لبنان ، وأضاف الجيش اللبناني في بيان أصدره أمس الثلاثاء، أن مديرية المخابرات (تابعة للجيش) تمكنت في منطقة الشرحبيل بصيدا من توقيف المسمى حسين أحمد بتو الذي قام بعمليات الاستطلاع والرصد قبل تنفيذ عملية التفجير .

وأكد أن الموقوف اعترف بتشغيله من قبل جهاز الاستخبارات الإسرائيلية الموساد منذ العام ٢٠١٤، وأنه التقى مشغّليه خارج لبنان ، وتسلّم عتادا وأجهزة إلكترونية خاصة بالرصد والتواصل.

وتابع البيان أن المتهم اعترف أيضا بأنه كُلّف بمهمة رصد حمدان اعتبارا من صيف ٢٠١٧، وقام بتحديد مكان إقامته ، ورصد جميع تحركاته ، ونقل المعلومات إلى مشغّليه ، لتنفيذ التفجير من قبل مجموعة أخرى تمّ تحديدها بعد عملية التفجير .

وكشف بيان الجيش أن الموقوف تلقى أمرا من الموساد بمغادرة لبنان بعد تنفيذ العملية، وتحديدا يوم ٢٣ يناير ٢٠١٨، فأقام لمدة ثلاثة أشهر خارج البلاد ، وعاد بناء على طلب الإسرائيليين.

وقال الجيش اللبناني إنه تمّ ضبط عدد كبير من الأجهزة الإلكترونية التي تسلّمها الموقوف من الموساد ، وإن التحقيقات مستمرة تحت إشراف القضاء المختص.

وأعلنت حماس في يناير ٢٠١٨ إصابة حمدان إثر تفجير سيارته ، وحمّلت إسرائيل المسؤولية

وآنذاك، تمكنت الأجهزة الأمنية اللبنانية من تحديد هوية المتهمين بتنفيذ التفجير، وأجرى رئيس الحكومة اللبناني سعد الحريري اتصالات مع السلطات التركية ، أسفرت عن توقيف أحد المتهمين، وهو لبناني يدعى أحمد بيتية.

بعد غياب طويل للتفجيرات في لبنان بسبب جهوزية الأجهزة الأمنية وتعاونها ، عادت "معزوفة الموت" إلى أذهان اللبنانيين من بوابة الجنوب صيدا التي عادت بالذاكرة إلى العام ٢٠٠٦ يوم اغتيال القياديين الأخوين في حركة الجهاد الإسلامي نضال وجهاد المجذوب.

صباح أمس الأحد ، دوى صوت انفجار في صيدا تلاه انبعاث الدخان الأسود من أحد أحياء منطقة البستان ، دقائق وأفاد المراسلون في المدينة أن المستهدف في التفجير هو "القيادي في حركة حماس أبو حمزة حمدان.

خرج الشاب البالغ من العمر ٣٤ عاما محمد عمر حمدان ، ووالدته ساجدة ، والملقب بأبي حمزة من منزله برفقة زوجته دعاء زكي عبد الله ، فسبقهما حسبما علمت "النشرة" باتجاه سيارته الـ "BMW"الفضية اللون وفتح بابها ، وهمّ بالتوجه نحو صندوق سيارته فوقع الانفجار.

وتشير المصادر إلى أن العبوة التي انفجرت في سيارة حمدان والتي تزن ٥٠٠ غراما ، كانت مكوّنة من مواد شديدة الانفجار وتحتوي على كرات حديدية ، وتم تفجيرها عن بعد من قبل شخص كان يراقب المُستهدف ، وتضيف المصادر، أن توجه حمدان باتجاه صندوق السيارة الخلفي حماه من الموت بالتفجير

وتضيف المصادر، "إن القيادي محمد حمدان كادر مهم وأساسي في الحركة ، ولأجل هذا الأمر جرى التكتم عن هويته وانتمائه ، كاشفة أنه المسؤول عن التنسيق والتواصل الأمني والعسكري مع الداخل الفلسطيني ، مشيرة إلى أن موقعه الأمني المهم جعله مخفيًّا عن أعين اللبنانيين والفلسطينيين إذ انه ليس من الشخصيات المعروفة صيداويًّا، ولا يشكل واجهة للحركة، كما انه لا يملك مرافقين أو سيارات مرافقة وما شابه، ولذلك فلا كاميرات مراقبة أمام منزله.

في شهر تشرين الثاني الماضي أوقفت" شعبة المعلومات"في الأمن العام في الجنوب، في "الحيّ

الوسطاني" في مدينة صيدا المواطن محمد الضابط بتهمة التواصل مع جماعات إرهابية خارج الحدود ، ويومها اعترف الذي كان يعمل مع الموساد بين أن إسرائيل تفكر بخلق بلبلة في المدينة ، متحدثا حينها عن محاولة لاغتيال النائب بهية الحريري ، ومن هنا تشير المصادر إلى وجود ثلاث مؤشّرات تدل على تورط إسرائيل في التفجير.

المؤشّر الأول بحسب المصادر هو نوعيّة العمل الموكل إلى أبي حمزة لأنه يسبب القلق لإسرائيل، والثاني هو الاعترافات التي أدلى بها الموقوف محمد الضابط سابقا، والثالث هو أنها ليست المرة الأولى التي تتورط فيها إسرائيل بتصفية فلسطينيين في الداخل اللبناني يكونون غالبا على علاقة بـ"المقاومة الفلسطينية" ولا علاقة لهم بالسياسة الفلسطينيّة في لبنان ، مذكرة بحادثة عام ٢٠٠٦ يوم دخل ضابط استخبارات إسرائيلي لبنان عبر الحدود الجنوبية، وتوجه إلى مدينة صيدا حيث جهّز عبوة ناسفة استهدفت الأخوين نضال ومحمود المجذوب، وبعد أقل من ٢٤ ساعة على دخوله ، خرج بحراً من جبيل حيث لاقته قوة إسرائيلية.

وفي نفس السياق تشدّد مصادر فلسطينيّة على عدم وجود أي رابط بين استهداف حمدان وما يجري في مخيم عين الحلوة من خلافات وتوترات أمنية بين فصائل فتح وحماس ، مؤكدة أن الموضوعين منفصلان تماما.

نجا حمدان بأعجوبة من محاولة اغتياله ، فالرجل الذي لم يغب عن الوعي بعد التفجير أصيب في قدمه إصابة قويّة ، فأجريت له عملية جراحية تكللت بالنجاح، العبوة كانت موضوعة تحت مقعد السائق، وقد اشتعلت من الصندوق مباشرة بسبب خزان البنزين الممتلئ بالوقود.

يعد محمد عمران حمدان رجل امني، من الدرجة الأولى وضمن الدائرة الأمنية الضيقة لحركة حماس، ويعرف انه مقرب من قبل قيادات حماس الأمنية البارزة في لبنان.

هو محمد عمر حمدان من مواليد عين الحلوة العام ١٩٨٤ ، وهو يقيم في بناية أبو سيدو بحي "البستان الكبير" في مدينة صيدا في جنوب لبنان ، وليس شقيق القيادي في الحركة أسامة حمدان كما ذكرت بعض وسائل الإعلام ، يعرف جيداً انه أستاذ كيمياء، درس في الجامعة العربية، كما

عمل أستاذ بمدارس "الإيمان" ، متزوج من الأردنية دعاء عرعراوي.

ووصفه تلفزيون "المنار"، التابع لحزب الله ، بالشخص المهم في الحركة، وذكر أنه كان له دور أمني، وأن إسرائيل كانت تتعقبه.

وقال منير المقداح، القيادي في حركة فتح في لبنان ، إن حمدان شارك في عمليات في إسرائيل مضيفاً: "الحادث له بصمات إسرائيلية ."

***

يبدأ الفلسطينيون في غزة مظاهرة شعبية حاشدة على طول السياج الحدودي في ذكرى يوم الأرض ٣٠ مارس ٢٠١٨ ، يوم الأرض الفلسطيني هو يوم يُحييه الفلسطينيون في ٣٠ آذار من كلِ سنة ، وتَعود أحداثه لآذار ١٩٧٦ بعد أن قامت السّلطات الصهيونية بمصادرة آلاف الدّونمات من الأراضي ذات الملكيّة الخاصّة أو المشاع في نطاق حدود مناطق ذات أغلبيّة سكانيّة فلسطينيّة ، وقد عم إضراب عام ومسيرات من الجليل إلى النقب واندلعت مواجهات أسفرت عن سقوط ستة فلسطينيين وأُصيب واعتقل المئات منهم ، قبل قيام دولة إسرائيل كان عرب فلسطين شعبًا مزارعًا بالمجمل ، حيث أن ٨٥٪ كانوا يحصلون على عيشهم من الأرض بعد نزوح الفلسطينيين نتيجة حرب النكبة عام ١٩٤٨، بقيت الأرض تلعب دورًا هامًا في حياة ما يقارب ١٥٦,٠٠٠ من العرب الفلسطينيين الذين بقوا داخل ما أصبح دولة إسرائيل ، وبقيت الأرض مصدرًا هامًا لانتماء الفلسطينيين العرب إليها.

قانون الأراضي البور: كلّ أرض لم يفلحها أصحابها لأكثر من عام يحقّ لإسرائيل مصادرتها وتوزيعها على جهات أخرى تتعهد رعايتها ، وكانت إسرائيل قد منعت العرب بفعل الحكم العسكري من دخول أراضيهم الزراعية لمدة تزيد عن عام وصادرتها.

وبموجب قانون أملاك الغائبين(١٩٥٠) ، الذي أعطى العرب الباقين في فلسطين صفة الحاضر ومنحهم جنسيات إسرائيلية ؛ ولكن منعهم من دخول أراضيهم فتحوّلت الأراضي لبور.

تبنت الحكومة الإسرائيلية في عام ١٩٥٠ قانون العودة لتسهيل الهجرة اليهودية إلى إسرائيل واستيعاب اللاجئين اليهود ، وفي المقابل سنت قانون أملاك الغائبين الإسرائيلي والذي قام على نحو فعال بمصادرة الأراضي التابعة للاجئين الفلسطينيين الذين نزحوا أو طردوا من المنطقة التي أصبحت إسرائيل في عام ١٩٤٨ .

وقد استشهد في هذه المواجهات ستة فلسطينيين وجرح ٤٩ آخرين واعتقل أكثر من ٣٠٠، بعدما تدخلت القوات الإسرائيلية لمنع الإضراب ، وأطلقت الرصاص الحي على المتظاهرين. وتضامن الفلسطينيون في الضفة الغربية وقطاع غزة ومخيمات اللجوء -خاصة في لبنان- مع المحتجين في أراضي ٤٨ .

ومنذ ذلك التاريخ يحيي الفلسطينيون داخل فلسطين وخارجها هذه الذكرى تعبيرا منهم عن الارتباط بأرضهم وعدم التفريط فيها، وعن التمسك بهويتهم الوطنية وحقهم في العودة إلى أراضيهم التي هُجّروا منها.

في عام ١٩٧٥ أعلنت الحكومة الإسرائيلية ما سمتها "خطة تطوير منطقة الجليل"، وتنص على مصادرة أراض فلسطينية لبناء تجمّعات سكنية يهودية، وذلك في إطار مواصلة خططها الاستيطانية.. وفي يوليو ١٩٧٥ أسس مجموعة من الناشطين السياسيين والمثقفين في حيفا "لجنة الدفاع عن الأرض" ثم توسعت في أغسطس التالي لتصبح لجنة قُطرية ولها فروع في عدة مناطق ، وبدأت اللجنة في عقد اجتماعات والدعوة إلى إضرابات ومظاهرات ردا على موجة الاستيطان الإسرائيلي ومصادرة الأراضي.

وفي مطلع فبراير ١٩٧٦ رفضت الشرطة الإسرائيلية منح تصاريح تسمح لفلاحين من قرى عرّابة وسخنين ودير حنّا بدخول أراضيهم الواقعة في منطقة المثلث ، التي حولتها إسرائيل إلى منطقة عسكرية للتدريب ، وفي الأول من مارس ١٩٧٦ تسربت وثيقة سرية سميت "وثيقة كيننغ" عن متصرف لواء الشمال في وزارة الداخلية الإسرائيلية يسرائيل كيننغ، وتستهدف تهجير سكان مثلث الجليل والاستيلاء على أراضيهم..ودعت الوثيقة إلى تقليل نسبة

الفلسطينيين في منطقتي الجليل والنقب عبر مصادرة أراضيهم الزراعية ومحاصرتهم اقتصاديا واجتماعيا ، وتشجيع الاستيطان اليهودي بالمنطقة.

وبعد قرار المصادرة، عقدت "لجنة الدفاع عن الأرض" اجتماعا في الناصرة في الأول من فبراير ١٩٧٦، وقررت الإعلان عن إضراب عام شامل في ٣٠ مارس ١٩٧٦.. وفي ٢٩ مارس ١٩٧٦ اندلعت الشرارة الأولى للمواجهات مع القوات الإسرائيلية في قريتي دير حنّا وعرّابة اللتين خرج سكانهما في مظاهرتين أشعلوا خلالهما إطارات السيارات وأغلقوا الشوارع ، فأطلقت عليهم قوّات من الجيش والشرطة الرصاص الحي، وأصابت عددا كبيرا منهم.

وفي فجر ٣٠ مارس ١٩٧٦ دهم الجيش الإسرائيلي قرى وبلدات سخنين وعرّابة ودير حنّا والناصرة وطمرة والطيبة وباقة الغربية والطيرة ونحف والمغار ودالية الكرمل وكفر قاسم وكفر قرع وقلنسوة وجلجولية ومدينتي حيفا وعكا ، وقمعت المظاهرات واعتقلت عدة شخصيات سياسية.

ورغم هذه الإجراءات الأمنية والعسكرية ، فإن الإضراب كان ناجحا وشاملا، وسقط شهداء وجرحى في المواجهات مع قوات الاحتلال ، وقد اعتبرت وزارة الدفاع الإسرائيلية مواجهات ذلك اليوم نشاطا حربيا ، كما جاء في ردّها على مطالبة بعض المصابين بالتعويضات.

وتوسع صدى احتجاجات وإضراب ٣٠ مارس/ آذار ١٩٧٦ إلى خارج أراضي ٤٨، فقد شهدت الضفة الغربية وقطاع غزة ومخيمات اللجوء في لبنان إضرابات تضامنية.

في ذكرى يوم الأرض ٣٠ آذار ٢٠١٨ ، خرج سكان القطاع مطالبين بالتنفيذ الفوري لحق العودة ورفع الحصار عن غزة.. يردّد المتظاهرون وعددهم نحو ٣٠ ألفاً في اليوم الأول ، الهتافات ويحرقون الإطارات، ويرشقون الحجارة، ويقيمون مخيمات في مواقع متعددة على مقربة من السياج.. تفرّق القوات الإسرائيلية المتظاهرين باستخدام الذخيرة الحية والأعيرة المطاطية والغاز المسيل للدموع ، وهو ما يؤدي إلى مقتل ١٥ فلسطينياً وجرح المئات في اليوم الأول ، من بينهم من أُطلقت النار عليه من الخلف، تواصل القوات الإسرائيلية تفريق المتظاهرين بالعنف

بشكل شبه يومي، وتجتمع أكبر الحشود أيام الجمعة.

***

اغتيال البطش

نشرت وكالات الأنباء العالمية عن عملية اغتيال في كوالالمبور عاصمة ماليزيا اطلق مسلّحان يستقلّان دراجة نارية ١٠ رصاصات قاتلة على الفلسطيني المهندس فادي البطش ، أستاذ في الهندسة الكهربائية في المعهد الماليزي البريطاني في جامعة كوالالمبور ، وعضو في حركة المقاومة حماس ، وتنفي إسرائيل علاقتها بالأمر، في حين تتهم عائلة البطش الموساد بقتله.

وفي يوم ٢١ أبريل ٢٠١٨ قالت الشرطة الماليزية إن مجهولَين يستقلان دراجةً نارية قد أطلقا عشر رصاصات على الأستاذ الجامعي فادي البطش في أثناء توجهه لصلاة الفجر في مسجد يقع قرب مقر سكنه في العاصمة كوالالمبور ، مما أدى إلى مقتله على الفور.. وقد قال قائد الشرطة الماليزية أن فادي كان مستهدفا .

وفي غزة اتهمت عائلة البطش فورا وبدون تردد جهاز الاستخبارات الإسرائيلية الموساد بالوقوف وراء الحادث ، ونقلت وكالة رويترز عن نائب رئيس الوزراء الماليزي أن منفذَي اغتيال البطش على صلة باستخبارات أجنبية ؛ فقد أكد على أن المنفذ من القوقاز وأنهم سيطلبون من الشرطة الدولية تعقب منفذي اغتيال البطش.

والمهندس فادي البطش من مواليد القطاع ١٩٨٣ هو عالم فلسطيني من مدينة جباليا في شمال القطاع حاصل على الدكتوراه في الهندسة الكهربائية ، ويُحاضر في جامعة كوالالمبور الرجل لديه براءة اختراع في زيادة كفاءة شبكات الطاقة الكهربائية ، كما اخترع جهاز تحسين نقل الطاقة الكهربائية ، ويُعد من أول المبادرين في تأسيس التجمع الدولي للمهندسين الفلسطينيين في ماليزيا ، ويعد الشاب من حفاظ القرآن الكريم ، وحاصل على السند المتصل عن رسول الله ﷺ ، وكان له حلقات تحفيظ القرآن الكريم في مساجد ماليزيا.. متزوج وترك خلفه زوجة وثلاثة أطفال ، اتهمته إسرائيل بالوقوف وراء تطوير مشروع الطائرات المسيرة والصواريخ الموجهة

لصالح كتائب القسام مثله مثل التونسي محمد الزواري ابن صفاقس التونسية .
حصل فادي على العديد من الجوائز العلمية ومنها: جائزة منحة "خزانة" الماليزية لعام ٢٠١٦ التي تعد الأرفع وذلك بعد حصوله على درجة الدكتوراه في الهندسة الكهربائية تخصص إلكترونيات القوى من جامعة "مالايا" الماليزية .. هذا هو العالم الدكتور فادي البطش .. القاتل أو احد القتلة عمل لصالح الموساد في ماليزيا.. نقلت مواقع محسوبة على المقاومة في غزة أن العميل المتورط عاد إلى غزة من دون مشورة الموساد ، وأنه أجرى المكالمة لحاجته إلى المال ، وهي المكالمة التي أدت إلى كشفه ، كما أن اعترافاته الأولية تشير إلى أنه أطلق النار بنفسه على الشهيد البطش..كشفت وزارة الداخلية والأمن الوطني التي تديرها حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في غزة عن إلقاء القبض على متورط في جريمة اغتيال المهندس الفلسطيني فادي البطش، لصالح جهاز الاستخبارات الخارجية الإسرائيلي موساد في ماليزيا عام ٢٠١٨.
وقال المتحدث باسم الوزارة إياد البزم -في تصريح رسمي اليوم الأحد- إنه من خلال التحقيقات الجارية لدى جهاز الأمن الداخلي "تشير اعترافات أحد الموقوفين بتورطه ، وبتكليف من جهاز الموساد الإسرائيلي ، بالمشاركة في اغتيال الشهيد البطش، ويجري استكمال التحقيقات في القضية .. وفيما لم يقدم البزم مزيدا من التفاصيل حول شخصية المتورط، قالت مصادر موثوقة للجزيرة نت إنه من سكان قطاع غزة ، وتورّط بالتخابر مع إسرائيل منذ سنوات ، وشارك في عمليات لصالح الموساد في خارج القطاع.
وأوضحت المصادر -التي فضلت عدم الكشف عن هويتها- أن عملية مشتركة بين المقاومة والأجهزة الأمنية قادت إلى إلقاء القبض على هذا المتخابر، إثر عودته إلى غزة.
ووفق هذه المصادر فإن الأمن في غزة رصد مكالمة هاتفية بين المتخابر وضابط إسرائيلي ، قادت إلى اعتقاله قبل بضعة أيام ، وبالتحقيق معه اعترف بتورطه في جريمة اغتيال المهندس البطش.
وتم تشييع جثمان المهندس الفلسطيني فادي البطش في كوالالمبور العاصمة
وقد ودرس فادي الهندسة الكهربائية في الجامعة الإسلامية بالقطاع أولا ، ثم سافر إلى ماليزيا

لنيل درجة الدكتوراه في مجال الطاقة عام ٢٠١١.. وخلال فترة مكوثه مع أسرته في ماليزيا ، حاضر البطش في جامعة كوالالمبور ، وهو من المبادرين إلى تأسيس "التجمع الدولي للمهندسين الفلسطينيين في ماليزيا. " ولديه براءة اختراع في زيادة كفاءة شبكات الطاقة الكهربائية، كما اشرنا سابقا إضافة إلى اختراعه جهاز لتحسين نقل الطاقة الكهربائية.

ووصف الخبير المختص في الشؤون الأمنية رامي أبو زبيدة اعتقال المتورط باغتيال البطش بأنها "ضربة أمنية مؤلمة" للاحتلال ، وقد تقود إلى الكشف عن "خلايا" من العملاء في ساحات وعواصم عربية وغربية.

وقال أبو زبيدة للجزيرة نت : إن هذه العملية تكتسب المزيد من الأهمية والإنجاز الذي يسجل لصالح أجهزة الأمن والمقاومة في غزة كونها "الأولى من نوعها كعمل استخباري ببعد دولي."

ووفق الخبير ، فإن هذا المتورط يمثل "كنزا معلوماتيا"، والإيقاع به يشير إلى تطور قدرات الأجهزة الأمنية في غزة في صراعها الاستخباري مع إسرائيل ، التي تعد واحدة من أقوى دول العالم في هذا المجال.

عملية غامضة

خلال عملية لم يُكشف عن طبيعتها في جنوب غزة ، جرت في ١١ تشرين الثاني ٢٠١٨ تفتح قوات خاصة إسرائيلية متخفيّة النار على مقاتلي حماس من سيارة متحركة في خزاعة ، الأمر الذي يؤدي إلى تبادل كثيف لإطلاق النار يُقتل خلاله جندي إسرائيلي ، ومقاتل من حماس ، ويصاب جندي إسرائيلي آخر بجروح خطرة ، ولتأمين خروج آمن للقوات الخاصة الإسرائيلية من غزة، يستهدف الطيران الإسرائيلي المقاتلين الفلسطينيين المسلحين بالقرب من خزاعة بعدد من الغارات الجوية ، وهو ما يسفر عن مقتل ستة أشخاص ، بمن فيهم عضو بارز في الجناح العسكري لحماس ، وبعد الغارات يطلق الفلسطينيون ما لا يقل عن ١٧ صاروخاً وقذائف أُخرى على جنوب إسرائيل .. تعترض القبّة الحديدية ثلاثة صواريخ، ويسقط الباقي في مناطق مفتوحة من دون وقوع أضرار أو إصابات ، ثم تضرب المدفعية والطائرات الإسرائيلية أكثر من

٥٠ موقعاً في جميع أنحاء غزة ، موقعة عشرات الإصابات الفلسطينية ومحدثة أضراراً جسيمة. ويستمر تبادل إطلاق النار حتى يتم التوصّل إلى وقف آخر لإطلاق النار.

قال عزمي عبد السلام مخاطبا لجهاد ابن عمه عبد الكريم : ما قصة حادث خزاعة قبل أيام ؟ هل تابعت شيئا عنه ؟

قال : قبل الحديث عن الأخبار والشهداء ..هل حصل شيء في مشكلتك مع بنت العم أبي خلدون ؟

قال : ما زالت في بيت أمها المطلقة .. وأبو خلدون لم يحرك ساكنا ؛ ربما لعدم اهتمام والدة نزار بالأمر .. إنها بنت ضرة كما نقول ، وأيضا أمي لا ترغب بعودتها المشكلة تعقدت من عدة اطراف .. لها عشرة أيام حردانة ونزار يقول اصبر سوف تتلحلح الأمور .. دعنا الآن في حدث خزاعة .

قال جهاد : كما تشاء ..حسبَ ما ذكرت مواقع الكترونية في غزة وغيرها وحسب كتائب الشهيد القسام الجناح المُسلح لحركة حماس ، بأنَّ القوات الإسرائيلية تسللت لمسافة ثلاثة كيلومترات داخل قطاع غزة باستخدام سيارةٍ مَدنية يقودها الجُنود ، وبعضهم كان متنكرا بزي امرأة ، وقد أوقفهم القائد المَحلي للمنطقة نور بركة الذي طلب منهم إبراز بطاقاتهم الشخصية، وردًا على ذلك أطلقوا النار عليه وقتلوه بسلاحٍ كاتمٍ للصوت ، وفيما بعد تابع مُقاتلو القسام السيارة ، وهي تُقاد إلى بستانِ زيتون حيثُ كانت بانتظارها طائرة مروحية ، كما أطلقت الدبابات والطائرات الإسرائيلية النَّار في المنطقة لتوفير غطاء لهروب السيارة ، وبعد أن استقل الجنود الإسرائيليون الطائرة المروحية ، قامت الطائرة بتدمير السيارة.. يقال إن شيئا مدفون في المنطقة ؛ ولعلها محطة تنصت وتجسس معطلة أو يراد نقلها .

وتابع بحزن قائلا : خلال المطاردة وفي القتال التالي الذي حصل خلال اليومين ، قُتل ستة فلسطينيين وجندي إسرائيلي واحد ، وقد حددت وزارة الصحة في غزة أسماء القتلى وهم نور الدين محمد سلامة بركة القائد ، ومحمد ماجد موسى القرا ، وعلاء الدين محمد قويدر،

ومصطفى حسن محمد أبو عودة ، ومحمود عطا الله مصبح ، وعلاء فسيفس، وعمر ناجي مسلم أبو خاطر .. والسابع من ألوية الناصر صلاح الدين الجناح العسكري للجان المقاومة الشعبية.. وفقًا لتقارير الشهود فقد قتل ثلاثة منهم بإطلاق النار على الأرض ، وثلاثة بالغارات الجوية، وواحد في وقتٍ لاحق نتيجةً لجراحه.

وقال : قام الجيش الإسرائيلي بتكذيب الشائعة حول اختطاف جندي إسرائيلي ، ولكنه لم يقدم حتى الآن روايته للحدث بخلاف الإشارة إلى أنه «لم يقصد به قتل أو اختطاف إرهابيين، ولكن لتعزيز الأمن الإسرائيلي» .. لهم سبعون سنة يعززون الأمن الصهيوني .

وبعد صمت قال : ولم تنته المعركة ، وفي اليوم التالي تاريخ ١٢ نوفمبر ٢٠١٨، استمرَ إطلاق الصواريخ ، وبحسب مصادر الجيش الإسرائيلي، فإنه قد أُطلق ما لا يقل عن ٣٠٠ صاروخ من غزة إلى إسرائيل ، مما أسفر عن جرح تسعة مدنيين، كما اعترضت القبة الحديدية ٦٠صاروخا، وأصاب صاروخ من نوع كورينت مُضاد الدبابات حافلةً كانت تقل جنودًا إسرائيليين وأصاب جنديًا بجروحٍ خطيرة

قال عزمي : رحم الله الشهداء وقل شيئا عن الشيخ بركة !

قال جهاد : القائد الشيخ نور الدين محمد سلامة بركة من مواليد خانيونس عام ١٩٨١ واستشهد فيها أي خان يونس منطقة خزاعة في ١١ نوفمبر ٢٠١٨ ، كانَ الشاب قياديًا ميدانيًا في كتائب الشهيد عز الدين القسام الذراع العسكري لحركة حماس ؛ كما نشر كان عُضوًا في المجلس العسكريّ للحركة، اغتِيل بركة حينما حاولت قوّة إسرائيليّة التسلسل لداخل القِطاع فاشتبكَ معها ما تسبَّب في إصابته قبل أن يُفارق الحياة.

درسَ المرحلة الابتدائية في مدرسة بني سهيلا ، وأكمل المرحلة الإعدادية بمدرسة البكرية ثمَّ المرحلة الثانوية بمدرسة المتنبي قبل أن يلتحقَ بالجامعة الإسلامية بغزة لدراسة الشريعة الإسلامية وحصلَ منها على درجة الماجستير في الفقهِ المقارن في رسالة عنوانها: «الإهمال في العمل الجهادي: دراسةٌ مقارنة .

خلال دراستهِ بالجامعة عام ٢٠٠٢؛ اعتُقل نور الدين بركة من قِبل مخابرات الاحتلال التي حولته لمركز تحقيق عسقلان فمكثَ فيه شهرين ووجهت له العديد من التهم بما في ذلك «الانتماء لكتائب عز الدين القسام». حُوِّل للاعتقال الإداري أربعة شهور ثم أُطلق سراحه فيما بعد.

أصبحَ الشاب نور الدين بركة في وقتٍ ما إمامًا في مساجد محافظة خانيونس ؛ ثم التحقَ فيما بعد بكتائب القسام قبل أن يصعدَ تدريجيًا في سُلَّم الحركة إلى أن أصبحَ قائدًا ميدانيًا فيها، ثمَّ قاد عمليات المقاومة في التصدي للاجتياحات البرية لجيش الاحتلال خلال حروبه على القطاع عامي ٢٠٠٨و٢٠١٤ وخلال عمله معَ الكتائب؛ تولى نور الدين إمارة «وحدة الاستشهاديين» في المنطقة الشرقية حيثُ كان يُرابط برفقةِ عدد من القسَّاميين في الخطوط المتقدمة للتربص بالقوات الإسرائيلية الخاصة ، تعرّض بركة في عام ٢٠٠٨ لإصابةٍ بجراحٍ متوسطة وذلك خلال تصديه برفقة عددٍ من المقاومين للقوات الخاصة بمنطقة الزنة شرق خانيونس.

نور الدين بركة متزوجٌ وله من الأبناء ستة ، أكبرهم يُدعى عبد الرحمن بركة ثم خمس بنات هنَّ فاطمة الزهراء، رقيّة، زينب، عائشة، وأسماء.

وسكت لحظات ثم ختم قائلا : هذا اهم ما نشر عن الرجل القائد

***

كان شباب غزة منذ النكبة ينطلقون للدراسة الجامعية في دول من العالم ؛ إما على نفقتهم الخاصة وإما ببعثات علمية ، والأكثرية تدرس في جامعات غزة ، ففيها عدد من الجامعات كسائر الدول العربية ؛ وربما مصر لها الحصة الأكبر في انتقال الطلبة الغزيين إليها بحكم أن مصر حكمت غزة عسكريا وإداريا بعد عام ٤٨ حتى سقطت في حكم إسرائيل عام ٦٧ .

كان العرب يسعون لإخفاء اسم فلسطين من خريطة العالم ، فالجزء الأكبر من فلسطين نشأت عليه دولة اسمها إسرائيل ، والجزء الشرقي ضم للأردن وسمي الضفة الغربية ، وجزء من غزة سمي قطاع غزة تسلطت عليه ملكية مصر في عهد آخر ملوكها الملك فاروق ، ثم قامت إسرائيل بعد عشرين سنة بأخذ كل فلسطين للبدء في إنشاء إسرائيل الكبرى كما تعشش في قلوبهم وعقولهم أحلام التوراة من النيل للفرات .. مع أن التاريخ لم يثبت هذه الفرية .

لذلك تجد عددا من الطلبة يدرسون في الشفا للبكالوريوس أو الماجستير والدكتوراه ، وتراهم منتشرين في عدد من محافظات الشفا ، وحتى انك تجد البعض منهم يشتغل فيها كسائر دول الخليج .

لذلك لم يكن تهريب المال لحركات المقاومة في غزة أمرا صعبا ومعقدا تعقيدا كبيرا ، وكان يدخل عن طريق مصر عن طريق الطلاب وحتى حراس الحدود المصريين ، فالمال يغري العساكر وكيف اذا أثيرت نخوتهم العربية والإسلامية والجهادية ؛ لذلك لم يكن تجنيد المتعاونين شاقا وصعبا ، فهم يدخلون المال لإخوانهم وآبائهم ؛ لأن نقل المال بالتحويلات الكبيرة عن طريق البنوك يثير الشبهات لمن يراقبون حركة المال الداخل والخارج ، وحركة التجارة بين غزة ومدن مصر لا تتوقف من قبل ظهور إسرائيل بين غزة ومدن مصر وحتى كانت تدخل البضائع عن طريق الضفة وإسرائيل نفسها ؛ لأن إسرائيل يهمها أن تكون بينها وبين القطاع تجارة وشغل للتغطية على الجواسيس والعملاء ، فالانتقال إلى إسرائيل يساعد على تجنيد العملاء من ضعاف النفوس والمرضى وأساليب التجنيد كثيرة ، فإسرائيل حكمت القطاع حكما طويلا ، وتركت

مئات من العملاء وقد مر معنا حكايات بعضهم وتجنيدهم .

وتهريب المخدرات بين الدول لا يكاد يختفي ، يقل ويكثر حسب ثروات الدول ، وقد يكون التهريب عن طريق البر أو الجو وأكثره عن طريق البحر ، فمهما كانت قوة حرس الحدود البرية أو البحرية فلابد من ثغرات تعرف بممارسة العمل ، فكل الدول لا تسطيع منع تهريب المخدرات والمال وحتى البشر ، والتجارة بهم لا تتوقف ، فالهجرات عبر الحدود لا تتوقف ، فكما تزرع المخدرات سرا فتباع سرا أو شبه سرية ، فتغطية الحدود البحرية والبرية يحتاج إلى جهود اكبر من طاقة البشر ، فنحن نرى الولايات اكبر قوة عسكرية وبحرية ؛ كما يقال عصرا لا تستطيع منع التهريب برا أو بحرا ، حتى اليوم نرى التهريب للبشر وبيع البشر للعمل في الدول الغنية أو الدعارة ، وكذلك هناك شركات لتهريب الأسلحة لما فيها من أموال كثيرة ؛ وربما تهريب الأسلحة مكسبه اكثر من المخدرات أو بيعها خفية ؛ لأن تهريبها قد يكون لدول أو حركات مسلحة أو عصابات ، ولا تكاد قارة تخلو من حركات مقاومة ؛ فلذلك نقل الأسلحة لغزة مثال لذلك ، لا تنكر حركات المقاومة الغزية بمسمياتها بإدخال أسلحة وصواريخ وذخيرة والغام ومواد التفجير سواء تأتي من لبنان أو سيناء أو البحر أو السودان ، فلذلك كان حمدي أو غيره يساعد في تهريب الأسلحة إلى غزة عن طريق البحر أسلحة تبتاع من داعمي الحركات المجاهدة ، فتشترى الأسلحة من روسيا من الصين والدول المصنعة فالأسلحة العسكرية القديمة تستبدل بالجديدة فتباع للمناطق الساخنة بدلا من إتلافها .

هناك سفن تستخدم لنقل هذه الأسلحة ومواد التفجير إلى وسط البحر حيث المياه الدولية وهناك تنقل بواسطة زوارق ومراكب إلى محطات أخرى والتفاصيل كثيرة ومجهولة .

ذكرت هذه المقدمة ؛ لأن حرس السواحل في مدينة هود القوا القبض على سفينة صغيرة تحمل أسلحة كانت قادمة لموانئ هود لتعبئة وقود وأطعمة ومياه صالحة للشرب والطهي هكذا قال قبطان السفينة التي تحمل علم دولة أفريقية ، ثم اعترف القبطان بأن هذه الأسلحة ستصل شواطئ لبنان لأحزاب وحركات مقاومة في لبنان .. واشهرها حزب الله اللبناني .

فحجزت السفينة قيد التحقيق ، ولم تنشر الصحف أي خبر عنها لدوافع أمنية وأثناء حجز السفينة حدث انفجار في مطعم على الشاطئ اسمه مطعم موريس يملكه زوجان فرنسيان ووسط مدينة هود مما ادهش الناس وأصابهم الاستغراب من الحادث ، وشاعت إشاعات أن مالكا المطعم الأوربي جواسيس لإسرائيل وبدون دليل ، وقتل في الحادث موظف مالي وجرحت فتاة خادمة في صالة المطعم ، وشبه الحادث بما حصل للصياد أبو سلمى ، وبعد اكثر من نصف شهر سمحت السلطات بعد تزويد السفينة بما تحتاجه بالمغادرة للبنان نتيجة اتصالات سرية وأمنية ، وحادث المطعم قيد ضد مجهول ولم يشتبه بأحد ، وليس بينه وبين توقيف سفينة الأسلحة ارتباط ، وبعد زمن يسير تعافت الفتاة الأجنبية من الحادث وغادرت لبلدها في أوروبا

كان الدكتور نهاد يقول لمارسيل الألمانية : هذا مطعمك المفضل حسب معرفتي .. كاد أن يقتل فليب موريس !

هزت رأسها مرات وقالت : لم يكن في المطعم تلك الليلة ولا زوجته .. وهذا امر مريب ..هو حادث غريب.. والأغرب أن بعضهم اتهمه بالتجسس لصالح إسرائيل .

ـ وكثير من الأجانب يسكنون في البلد لخدمة إسرائيل لا ادري ماذا في البلاد يهم إسرائيل ؟

عقبت لإثارة نهاد : أنت طيب ! قبل فترة قبل حادث المطعم الأوروبي القت السلطة القبض على سفينة أسلحة كانت متجهة للشام أو بيروت أو ربما غزة

قال مستفزا لها : لم تنشر التفاصيل .

ـ هنا لم يذاع الكثير .. أما في صحف العالم الكبرى كانت المعلومات اكثر واكثر إثارة .

ـ المهم هل ستذهبين للمطعم بعد التفجير الفاشل ؟

ـ ذهبت بعد الحادث فموريس وجنفيفاف زوجته صديقتي منذ جئت لهذه البلاد ويقدمون طعاما أوروبيا ممتازا سأدعوك مرة أنت والزميل سارية

ـ لا اعتقد سارية يذهب لمطعم تباع في الخمور والرقص

ـ صحيح هو شيخ وأنت !

ـ سأذهب من باب الفضول وأتأمل موقع الانفجار .

ـ طيب سأرتب لذلك

***

جلس نهاد في مكتب سارية وقال بعد التحية : دعوت نفسي لعشاء مع مارسيل في مطعمها المفضل اذا كنت تحب مرافقتي فأهلا بك كما تقول مارسيل

ـ المطعم الفرنسي المطعم الذي تعرض للانفجار حيث قتل الموظف في مدخله

ـ نعم هو ، أحببت التعرف على مطعم مارسيل فهو مطعمها الخاص منذ ظهرت في هود

ـ ولكنه مطعم تباع فيه المسكرات الفرنسية والإسبانية

ـ كل فنادق البلد تبيع المسكرات وأصحابها ومالكيها من المسلمين

ـ لا احد ينكر ذلك ، هؤلاء يا صاحبي مسلمون بالاسم ، فكل مسلم يعلم أن الله حرم الخمر والعاصي والفاسق ؛ ليس بفعله حجة على الدين والإسلام .. فاغلب البنوك تعمل بالربا التي يسمونها الفوائد أو الأرباح

ـ أنا ذكرت ذلك من باب الجوار ، وتوصيل الرسالة ، والا ذكرت لها انك لا تذهب إلى تلك المطاعم

ـ شكرا يا دكتور هل ستنهي خدماتها التعليمية كما يشاع ؟

ـ هي تفكر بذلك فقط ، ويشاع أنها ستتزوج قريبا ، ولم اسمع منها

ـ هل ستتزوج هنا ؟ أم في المانيا ؟

قال نهاد : سمعت بأنها ستتزوج فقط ، وهي لم تفتح الموضوع معي مع أنها تسألني باستمرار ألم تتزوج يا دكتور ؟

ضحك سارية : لعلها ترغب فيك زوجا .. فهي كانت متزوجة من عربي كما تعلم

ـ أنا اصغر منها بسنوات

ـ لن يكون الفرق بينكما كبيرا ، هي في مطلع العقد السادس كما سمعت منها لما ترملت

ـ ثلاث وخمسين ولا تنسى أنها مريضة سرطان وإن تعالجت منه

ـ المرض ليس من موانع الزواج

قال نهاد : فكر بتلك الدعوة

ضحك وقال : فكرت سلم على صديقتك مارسيل

***

مقهى الصيادين

جلس غريب في مقهى الصيادين وبصحبته شاب في العشرين من عمره ، ولما حضر الصياد حمدي وتفقد المقهى بعينيه بضع دقائق حتى استقرت عيناه على غريب ، فاشعل سيجارة وشرب القهوة وخرج وبعد زمن يسير تبعه غريب والشاب ، ثم شاهداه يمشي جهة ساحة بيع الأسماك والصيد ، ثم اتجه نحو ساحل البحر ؛ حيث ينتظر أصحاب المراكب قواربهم القادمة بالصيد البحري ، وجلس على أريكة من الحجر وجلس غريب والشاب بجواره وبعد السلام قال : ابن أختك !

ـ ابن أختي أتى البلاد للدراسة مثلي اسمه ثابت محمود .. وهذا عمك حمدي أبو سلمى يناضل لنقل المال لغزة ويساعد في تهريب السلاح لصور في لبنان ليصل لغزة

ـ أهلا بالأستاذ ثابت تدرس هندسة الكيمياء

قال ثابت : نعم وأهلا بك سيد حمدي .. سعيد بالتعرف عليك وحدثني خالي عنك

ـ نحن نتعرف على الشباب للجهاد بالمال .. واهل غزة يجاهدون بأنفسهم فهل يستويان ؟ هل تحب أن اتصل بك مباشرة أم اكلم خالك؟

قال غريب : اتصل بي لأكون على علم يا أبا سلمى ما قصة انفجار المطعم ؟

ـ حركة اغتيال ، والأمر غير واضح منه .. ما أخبار المهندسة خديجة ؟

قال غريب : طارت! رجعت للوطن للزواج ؛ ولعلها تكمل دراستها هناك

ـ سهل الله دربها أنا لم أرها سوى تلك المرة ، وسيكون ابن أختك مثلها كلما يسافر خبرني

ـ حسن ! والصحف لم تتوسع ، ولا حتى الوسائل الأخرى بحديث المطعم الغربي .. أعندك شيء؟

ـ هذه الأماكن يتردد عليها العملاء بثياب براقة يا صديقي ..والبوليس لم ينشر شيئا مفيدا رغم موت شخص وإصابة فتاة وغادرت البلاد بعد العلاج .. ما زال الغموض يحيط بالحادث حتى الضحية لم نسمع له بنشاط سياسي .. مجرد موظف هذا المعلوم عنه ؛ لكن عملاء السفارات يحتفلون فيه للرقص والسكر

ـ تابعت الحادث بفضول كبير حتى اضطررت أن أتكلم باختصار .. طيب هذه الجثث التي تظهر على ساحل هود من سنوات أتعرف شيئا عنها ؟

قال حمدي الصياد : سمعت مثلكم .. اعتقد أنها جثث مهربين يقتلون في عرض البحر وتسلب أشياءهم من ملابس وأوراق وعملات ويبقون في الماء حتى تظهر جثثهم على الشواطئ

ـ والرسوم وصورة الكلب والحروف المقطعة

ـ اعتقد أسماء لهم قل أسماء حركية .. أنا ذهبت المشرحة أيام القصة الأولى ، وزعمت أني فقدت قريبا لي من أيام وتأملت رؤوس الكلاب والحروف المقطعة داخلها .. لم أرهم قط ؛ ليسوا من هود الأرجح

ـ هل ظهر مثلها في غير هود؟

ـ لم ينشر

***

كان غريب يحضر جلسة في جمعية روح الفضل بمناسبة عيد فمن التقاليد الشائعة أن يلتقي أعضاء الجمعية في آخر أيام العيد للمعايدة على بعضهم ومعرفة أمور بعضهم بعضا وأحوالهم ، فذهب غريب كالعادة وبرفقته ابن أخته ثابت محمود وللقاء السيد الهيثم ، وبعد السلام جلسا بالقرب من الدكتور بلال والمهندس عبد الله فرحبا بهما من جديد .

فقال عبد الله : أنت من غزة جئت للدراسة وطاب لك العيش هنا وأنا من صور وطاب لي

العيش هنا كيف ترى الحياة معنا ؟

ضحك غريب وقال : كما الحياة في غزة .. ما رأيك أن نسافر لزيارة الأقارب في صور وبيروت ونتعرف عليهم ؟ .. قصدي أتعرف أنا عليهم وسيرافقنا ابن أختي ثابت ؟ فهم إخوان جدتي شهدة

قال بلال : والله فكرة يا عبد الله .. تغيير جو كما نقول

قال عبد الله : إجازة العيد انتهت اليوم آخرها ..

قال بلال : نأخذ إجازات يا دكتور غريب

قال مجيبا : لا اعتراض عندي تغيير جو من العمل والوظيفة وحتى ممكن أخذ زوجتي جهاد أم محمد معي لزيارة شقيقة الحاجة شهدة الحاجة حليمة جدتها أم حسن وأخوالها فمرة سمعتها تتمنى فعل ذلك .. الأمر عند عبد الله أتزور الأهل ؟

قال باسما : فعلت هذا قبل شهرين .. ذهبت أنا ويسرا والأولاد مكثنا ثلاثة أيام

قال بلال : اذكر .. بس كان الوالد مريضا وهو الدافع لتلك الزيارة .

ـ صحيح وما زال مريضا سأفكر في الأمر بجدية

قال غريب : رائع أيها الأفاضل ! لما يذهب الإنسان مرافقا لابن البلد افضل من أن يذهب سياحة لا يرى إلا الجانب المضيء من البلد ..نحن نسمع أن أحوال اللاجئين في لبنان صعبة

قال عبد الله : ربما اصعب حالا من كل بلاد الهجرة والشتات

قال بلال : نسمع أن وضعهم بائس جدا لا يسمح لهم بالعمل إلا بمهن محددة من السلطان

قال عبد الله : صحيح ! ولكن الثغرات في كل قوانين العالم موجودة ، والمشكلة الأهم الحصول على الوثائق اللازمة للسفر والانتقال ، واغلب هذه القوانين السيئة خرجت للواقع بعد خروج قوات منظمة التحرير من لبنان قبل ثلاثين سنة ، وفي المجمل حياة اللاجئين تعيسة ويعتمدون اكثر على وكالة الأونروا التابعة لمنظمة الأمم المتحدة

قال غريب : رتب لنا يا أبا حسن جولة أو رحلة عائلية اذا امكن ذلك

ـ سأفعل بعون الله وأكسب حماسكم لتلك الرحلة ..العم الهيثم يشير إليك يا أبا محمد كأنه يرغب بالكلام معك

***

قال حسام الدين : هذا قدر الفلسطينيين الشهيد تلو الشهيد .. قدرنا عجيب يا أبا نضال .. هل عادت زوجة عزمي بنت أبي خلدون له ؟

قال جهاد : قد تعود وتهدأ الأمور والفتنة ، فقد تبين أنها حامل وأم عزمي لانت .. والحل اللائق أن يستأجر الأستاذ عزمي بيتا بعيدا عن أسرة عمي .. قد ينتقل للعيش في رفح أو خان بونس فامرأة العم عبد السلام لا ترحب بها ؛ ولكنها لما تيقنت من حملها فلا ترغب أن تلد في بيت أمها طليقة العم خلدون .. فالبعد أحيانا رحمة وسلام

ـ الحمد لله على كل حال هل من أخبار مزعجة؟

ـ كل شيء في الدنيا مصيره الزوال .. وستزول أمريكا نفسها .. قبل عقود كنا نسمع بشيء اسمه الاتحاد السوفيتي ، ثم صار في خبر كان وامسى .. الزمن دول يا صديقي الزمن دول .. كما كنا نقرأ عن إمبراطورية بريطانيا وفرنسا وإسبانيا والنمسا والدولة العثمانية كلها أمست تاريخا .. ستزول أمريكا وجبروتها .. وإسرائيل كلنا على يقين على اختفائها .. التاريخ حدثنا عن إمبراطوريات عظمى قبل الإسلام وأصبحت رمادا حتى انه لا يصدق أنها كانت بها نقرأ في كتب التاريخ .. اليمن العربي كان مليئا بحضارات وتوسعات ثم اختفت .. وكذا يقال عن حضارات أمريكا اللاتينية .. فلا علينا أن نيأس مما يصنع حولنا ومعنا من أحداث وحكايات الأمر لله من قبل ومن بعد .

***

سافر المهندس عبد الله وحده دون زوجته وأولاده الأربعة وسافر بلال برفقة زوجته أم يونس الدكتورة سعاد وجاءت أمها للعيش معهم مدة غيابهم القصير ثلاثة أيام قد تمتد لأربعة أو خمسة وصحب غريب زوجته وطفليه معه ، نزلوا بداية في بيروت لقضاء يوم واحد حيث سيلتقون

بأقاربهم فيها سيلتقون بصفيه وزوجها وجميلة وزوجها ، ومن ظروفه من الأقارب تسمح باللقاء في احد الفنادق للتعارف وتناول عشاء خاصا على نفقة وضيافة المهندس عبد الله حسن وفي التالي سافروا إلى صور للقاء الأعمام والأخوال والأقارب وحصل كل ذلك في بيت السيد حسن عبدالله الذي بدا لهم منهكا من الأمراض التي تصيب كبار السن .

استمر التنقل بين الأسر يومين ، وهنا غداء وهناك عشاء حتى زار عبد الله والضيوف الأخوات المتزوجات ، وتطلع غريب على مخيمات صور المزدحمة بالبشر والفقراء والتاريخ ، وكانت آخر زيارة لمخيم برج الشمالي عند البنت التي فقدت ابنها في البحر وبعد تناول الغداء سأل عبد الله : هل من أخبار عن زيد بعد اختفائه ؟

قال الزوج : لم نصل لنتيجة لليوم .. البحر أسراره عميقة ، وهو يبلع الخلق منذ ملايين السنيين إن صح هذا الرقم .. زيد كان ناشطا مع أهل الماء والصيد وأضف التهريب للأسلحة إلى غزة قالت أمه بألم ووجع الفقد المجهول : وكان غير الصيد والجهاد يحب الرسم ، وترك لنا عشرات اللوحات بمقاييس مختلفة والوان مختلفة لا افقه فيها شيئا وأكثرها صور للمخيم والبحر والطبيعة

فقال عبد الله : اسمحوا لنا بالتفرج عليها ؛ لعل شيئا منها يعجبنا يا أستاذ شاهد ؟

قال الزوج : لندخل عشة زيد فله حجرة صغيرة ينام فيها ويرسم فيها أحيانا وإلا كان يأخذ عدة الرسم إلى قرب الشاطئ .

نهضوا جميعهم إلى معرض زيد المفقود وقال الزوج : ما زالت امه تعتني بنظافتها .. فنحن لم نفقد الأمل .. فإسرائيل ترفض الاعتراف بأسره أو حتى قتله

كانت في الغرفة العشة طاولة مكتب صغيرة وكرسي لها وفي زاوية منها سرير نوم ومنضدة صغيرة ومكتبة صغيرة كذلك ، وكانت جهة من الحجرة مليئة باللوحات الكرتونية المرسوم عليها مناظر طبيعية سواء للمخيم أو كورنيش صور ، وكانت هناك صورا الطيور صور وبعض الحيوانات التي نعيش كما قيل في غابات المدينة ، واعجب شيء أن رأى بلال صورا لرؤوس

كلاب بدون أبدان ، ورأى دهشا واستغرابا من بينها رأس كلب كالذي ظهر وشمه على صور ضحايا شاطئ هود فتذكرها فسأل : لماذا هذه الرؤوس بدون الجسم الكامل ؟!

قال الزوج ببساطة : بالضبط لا ادري ! ولكن فهمت مرة منه أنها رموز ترسم مثلها على أبدان المهربين للاستدلال عليهم اذا فقدوا وقذفهم البحر للشواطئ

فقال بلال : أتعرف يا ابن العم ؟ مرة سابقا أول ما تعينت كطبيب في مدينه اسمها هود في بلادنا الشفا ، ولها شاطئ مثل هذه المدينة وقذف إلينا البحر ثلاث جثث عليها مثل رأس هذا الكلب بس داخل كل رأس ثلاث حروف مقطعة ، ولم نعرف لمن هذه الجثث رغم النشر والإعلان في كل صحف وفضائيات هود .. هذا قبل عشر سنوات تقريبا حدث وقبل سنة وشهور وجدت جثتين لهما رسم الكلب وداخله ثلاث حروف .. وأيضا لم يعرف أصحاب هذه الجثث ولا أسمائهم يوجدون عراة ولا ملابس ولا وثائق ولا عملة ولا شيء يدل عليهم ثم يدفنون في مقابر خاصة بالمجاهيل

قال المضيف : هو زيد ابني يأتي له أصحاب ومهربون ليدق لهم إوشام .. كل مجموعة تأخذ وشما معينا ؛ ولكن زيدا لم يرسم لنفسه وجسده أي وشم .. وكان هو بارعا في وشم راس الكلب أو الذئب القريب منه ـ وأشار لراس ذئب ـ هذا رأس ذئب ليس كلبا .

وقال ابن له : كثيرا ما فقدنا الشباب أثناء البحر والصيد بفعل اليهود ورصدهم أو ما يسمى بحرية إسرائيل أو العواصف المفاجئة في عمق المتوسط نحن نعتقد أن الشباب الذين اختفوا مع زيد وابن عمي صادتهم إسرائيل .. وهذا الرسم كما نقرأ هو تقليد لعصابات معينة يعرفون بعضهم من الأوشام ؛ بحث يكون بينهم شيء مشترك يعرفونها هم فقط ؛ ولعل الحروف التي أشرت إليها جزء من أسمائهم من الأول أو الوسط أو الطرف الأخير حسب شيفرتهم وقد يكون المقطع الأول اسم الشخص والمقطع الناني اسم أبيه والثالث اسم العائلة

قال بلال متأملا : ممكن !

واخذ عبد الله بعض اللوحات ورفض والد زيد اخذ ثمنها لكن الشاب أعطى أخته ما فيه

النصيب من المال ، وفعل بلال مثله مقابل صور كلب وأخرى لذئب ، وفعل غريب مثلهم وقدم إسوارة من ذهب لابنة خاله حسن .

***

اختفاء رسام الكلاب

لما عادت الأسر الثلاثة لأرض الشفاء قام الدكتور سارية وأسرته بزيارة خاصة لبلاد وشقيقته سعاد في فيلا خاله القديمة التي أصبحت ملكا لبلال وسعاد بعد وفاة خاله يونس ، واستمع لتفاصيل الرحلة وانبساطهم برؤية أقاربهم وأحبابهم ، واعجب شيء سمعه قصة لوحات الكلب فعقب باسما : سيعجب صاحبنا راضي احمد من قصة اللوحات ، فهو منزعج رغم مرور السنين على قصة اغتيال الشبان الثلاثة ، ثم الجثتين الأخريين

قال بلال : أنا صعقت لدرجة لما رأيت لوحات رؤوس الكلاب في بيت أخت عبد الله وابنها زيد وابن عمه المفقودين ؛ ولكن زوجها بين أن زيدا يحب الرسم وصناعة الاوشام للشباب ومحترف بمثل هذه الرسوم ، ولكنه لم يرسم على جسده أي وشم ، وإنما يفعل ذلك لبعض الشباب الذين يعملون في التهريب ، فكل مجموعة تعتنق رسما للتمايز بينهم ، وذكر أن هذه ظاهرة في صور وصيدا ؛ وكأنها منقولة عن ظاهرة في أمريكا اللاتيتية يستخدمونها بدلا من الأسماء للتعارف وكلمات السر ، وهنا كما نسمع ونرى موجودة بين الزعران وخريجوا السجن أو قل السجون ؛ فكثيرا ما مر علينا منهم أثناء العلاج .. تجد احدهم جسمه موشوما بالأفاعي أو صور فتاة شبه عارية أو صورة مغني .. ظاهرة سيئة

قال سعاد : بل عالجنا للأسف فتيات يفعلن مثل الشباب حتى للأسف بعضهن ترسم على عوراتهن مثل هذه الاوشام القبيحة .. إفلاس أخلاقي وديني

قالت نور : هؤلاء أكثرهن بنات هوى أو مراقص عري

قالت سعاد مداعبة : والعلاج للجميع .. أنا حقيقة اسمع من الزميلات ؛ لأنني اعمل بقسم الأطفال

قال سارية معللا للظاهرة : الأفلام والأنترنت يشيع ذلك .. والميديا كذلك .. الحمد لله السلامة لكم .. علينا زيارة عبد الله والدكتور غريب تحدثت معه على الهاتف فقال : أول مرة في حياتي أقابل أخوالي في صور وجدتي حليمة عجوز مثل جدتي شهدة أحسن الله خاتمتهن

قال بلال : أنا أرحامي في غزة رأيت بعضهم في زيارتهم لنا أيام حياة أبي .. لي عمان عبد الكريم وعبد السلام وعمتان الخنساء أم غريب والصماء هناك

ودع سارية قائما أخته وابن خاله وهو يقول : نستودعكم الله

***

تلقى بلال اتصالا من راضي يهنئه بالعودة من زيارة أقاربه ، ثم أشار لقصة لوحة الكلب فقال مفسرا : صديقنا سارية حدثني عنها ما القصة ؟ واخبرني انك اشتريت لوحتين من قريبكم الصوري أم سأرتب موعدا لزيارتك أيها الصديق .

ـ أهلا وسهلا .. الجمعة نتناول الغداء معا واحضر سلمى وأسامة وسائر الأطفال

ـ شكرا حسنا أبا يونس ! موعدنا يوم الجمعة

اجتمعت العائلتان بعد صلاة الجمعة وتناولوا طعام الغداء على مائدة بلال وسعاد ، ثم انتقلوا إلى صالة الاستقبال ، وقدمت لهما الشغالة خادمة البيت عصير الليمون بالنعناع وتحدث بلال عن رحلة لبنان ومشاهداته لجمال بيروت حيث السياح والفنادق والمسارح وأثار الحرب التي لا تمحوها مرور السنوات ثم تطرق الحديث عن اللوحات التي امتلكها من منزل ابنة خاله حسن فقال راضي وهو يتأمل لوحة الكلب : نفس الرسم كأنه هو الذي دقها على أكتاف الرجال .. نفس اللمسات الفتية .. هل رأس الذئب يشبه رأس الكلب بهذه الدرجة ؟!

ـ لابد من فروق فسيولوجية بينهما ربما تكون فروق دقيقة .. فعلا لما رأيت تلك الصور يا أبا أسامة لم أتمالك نفسي إلا أن أسأل عنها ، ثم نبئت بهواية الشاب المفقود

وقص حكاية اختفائه في البحر مع بعض الأصحاب ثم قال : لقد رأيت كما تذكر تلك الأجسام في المشرحة عندما اشتغلت معكم ورأيت صورة ابن بنت خالي لم أر تطابقا ؛ ولكني فهمت منهم

أن الشباب الذين يعملون بالتهريب للأسلحة لغزة يرسمون على أجسادهم صورا لتعرف كل مجموعة مع من تعمل ؛ ولعل مهربي المخدرات لفلسطين يفعلون ذلك أيضا

ـ نحن أثناء عملنا كما تخبر يمر علينا من يضعون الاوشام بالحبر والكحل على أجسامهم فهم يعانون من الضياع وأوقات الفراغ والتشبيح

ـ وهذا تجده في كثير من المستشفيات .. موضة الدق على الظهر والبطن .. مر عليّ شاب كل جسمه صور وخطوط وسيوف

قال راضي : المراهقة فترة حرجة اليوم .. أصبحت زماننا هذا للانفلات وفعل كل قبيح .. كانت عادة الوشم قديمة توسم بها بعض القبائل للتميز عن غيرها ؛ وكذلك أوشام الحيوانات لمعرفتها عند فقدها أو اختلاطها بغيرها من أنعام القرية أو العشيرة

قيل عن الوشم هو شكل من أشكال التعديل الجسدي ، ويتم بوضع علامة ثابتة في الجسم وذلك بغرز الجلد بالإبرة ثم وضع الصبغ عن طريق هذه الفتحات والجروح ؛ ليبقَ داخل الجلد ولا يزول.. يعتبر الوشم على جسم الإنسان كنوع من التعديل الجسماني والزخرفة ، بينما على الحيوان فهو أكثر شيوعاً ويكون لأغراض تحديد الهوية أو المالك لهذا الحيوان.

الوشم كتاريخ موجود منذ عدة قرون في جميع أنحاء العالم.. نشرت الأكاديمية الأمريكية للأمراض الجلدية ميزت بين خمسة أنواع من الوشوم وهم : الوشم الجرحي ويسمى أيضاً الوشم الطبيعي ، والذي ينتج عن الجروح والإصابات ، خصوصاً تلك المتعلقة بالأسفلت عند الإصابة على الطرق أو الجروح عن طريق قلم رصاص ، وشم الهواة ، الوشم الاحترافي سواء عبر الطرق التقليدية أو عن طريق آلات الوشم الحديثة ، الوشم التجميلي والمعروف أيضاً بالماكياج الدائم ، والوشم الطبي ..كان الناس يتم توشيمهم قسراً.. وكمثال معروف على نظام تحديد الهوية ، هو السجناء في معسكرات الاعتقال النازية ، وتم استخدام التوشيم خلال تلك الفترة لأغراض أخرى لتحديد الهوية .. شهد الوشم تصاعداً في الشعبية في أجزاء كثيرة من العالم ، لا سيما في أمريكا الشمالية والجنوبية واليابان وأوروبا.. النمو في ثقافة الوشم شهد تدفقاً

من الفنانين الجدد إلى هذه الصناعة ، والكثير منهم لديهم التقنية والخبرة والتدريب الجيد على الفنون التشكيلية.. بالإضافة إلى التقدم في صناعة أصباغ الوشم والتحسين المستمر للمعدات المستخدمة في التوشيم ، وقد أدى ذلك إلى تحسن نوعية الوشم الذي يتم إنتاجه.

أصبح الوشم موضة وهواية بين المشاهير ، في الولايات المتحدة ، العديد من السجناء والعصابات الإجرامية تستخدم وشوم مميزة للإشارة إلى الحقائق حول سلوكهم الإجرامي وعقوبة السجن والانتماء التنظيمي .. على سبيل المثال الوشم على شكل دمعة يمكن أن يكون رمز لجريمة قتل ، فكل دمعة تمثل وفاة أحد الأصدقاء.. في الوقت نفسه ، أفراد القوات المسلحة الأميركية لديهم تاريخ طويل في التوشيم بحيث يشيرون إلى الوحدات العسكرية والمعارك وعمليات القتل وما إلى ذلك ، هذه الروابط ما تزال واسعة الانتشار بين كبار السن الأميركيين.

الوشم شائع أيضاً في القوات المسلحة البريطانية.. في وشم الهواة ، مثل تلك المطبقة في السجون، تكون مخاطر العدوى بالأمراض مرتفعة.. الأمراض المعدية التي ممكن نظرياً أن تنتقل عن طريق استخدام معدات غير معقمة أو حبر وشم ملوث تشمل فيروس الحلأ البسيط الهربس البسيط والكزاز والعنقودية والالتهابات السطحية للجلد والالتهابات الفطرية وبعض الأشكال من التهاب الكبد والسل وفيروس نقص المناعة المكتسبة ، عملية إزالة الوشم من العمليات التجميلية الشائعة ، إذ يقدر أن ١٢٪ من الأشخاص الذين لديهم وشوم يقررون إزالتها لاحقاً ، وتجرى ١٤ ألف عملية إزالة وشم في الولايات المتحدة سنويًا.

في المذهب السني الإسلامي ، يعد الوشم والتوشم من المحرمات فحسب الأحاديث المنقولة عن نبي الإسلام ﷺ ، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة» ؛ لكن هنالك اختلاف في أراء علماء السنة فيما يتعلق في سبب تحريم الوشم ولذلك فإن استخدام الحنة كوشم مؤقت شائع جداً في الدول الإسلامية ومباح .

***

اغتيال صراف

تطلق القوات الإسرائيلية ٥ أيار ٢٠١٩ صاروخاً على سيارة شرق مدينة غزة تقلّ حامد الخضري ، الأمر الذي يؤدي إلى مقتله ، وكانت إسرائيل قد اتهمت الخضري بتحويل أموال بالنيابة عن حركة حماس من إيران إلى جماعات مسلحة في غزة.

زفت كتائب الشهيد عز الدين القسام عصر اليوم الاثنين ، قائدها الميداني حامد أحمد الخضري وادعى الاحتلال أن الخضري ٣٤ عامًا كان مسؤولاً عن جلب الأموال لحركتي حماس والجهاد الإسلامي من جمهورية إيران.. وإسرائيل لن تعجز عن تلفيق حجة لتبرير أي اغتيال فهي دولة الإجرام والغدر والإرهاب منذ وجدت وهي تستخدم هذا الكلام الذي لا يصدقه احد ويزعمون انهم يصدقونه .. خاصة زعماء الغرب .

ويرى إرن كابلان رئيس قسم الدراسات الإسرائيلية في جامعة سان فرانسيسكو في بحث نشره بعنوان : تعكس أيديولوجية تُعرف باسم" الجدار الحديدي"أطلقها جابوتنسكي الصهيوني في عشرينيات القرن الماضي، وشكلت الملهم الأساسي لنتنياهو طيلة مسيرته في الحكم على مدى عقدين من الزمن.

أما الكاتب الأميركي المختص في الشؤون الدولية زاك بوشامب فيرى في مقال نشر : فقد كتب جابوتنسكي عام ١٩٢٣ "الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يوافق بموجبها العرب على دولة يهودية في فلسطين هي القوة التي تسحقهم وتذعنهم" ، معتبرا –في تماه تام مع مواقف نتنياهو الحالية – أن "الوسيلة الوحيدة للوصول إلى اتفاق مع الأعداء العرب في المستقبل هي التخلي عن كل فكرة تسعى إلى الوصول إلى اتفاق معهم في الوقت الحالي ."

نصل إلى ما هو الجدار الحديدي ؟ هو مقال نُشر في الصحافة الروسية في عام ١٩٢٣ (وتتم الإشارة له كعقيدة عسكرية) وكتبه زئيف جابوتنسكي ، الصحفي الروسي أولا واليهودي الصهيوني ثانيا

الصهيوني جابوتنسكي هو زئيف فلاديمير جابوتنسكي ، هو قيادي في الحركة الصهيونية

التي ولدت عام ١٨٩٧في بال سويسرا التي أنشأها الصهيوني النمساوي هيرتزل ، ولد في أوكرانيا في ١٧ أكتوبر ١٨٨٠، في مدينة أوديسا الأوكرانية لعائلة تنتمي إلى الطبقة الوسطى ، تلقى تعليما دينيا في صغره ؛ ولكنه سرعان ما ابتعد عن اليهودية الأرثدوكسية ، درس القانون في سويسرا وإيطاليا ، امتهن الصحافة تحت اسم ألتلينا لصحف باللغة الروسية ثم باللغة اليديشية من لغات اليهود ـ وتسمى باليديشية هي وحسبما جاء في الموسوعة العربية العالمية لغة يهود أوروبا ، وقد نمت خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين من لغات عدة منها الآرامية والألمانية والإيطالية والفرنسية والعبرية، يتحدثها ما يقارب ١,٥ مليون شخص حول العالم ، أغلبهم يهود أشكناز ـ ومن بعد تكلم باللغة العبرية.

بدأ جابوتنسكي نشاطه الصهيوني عام ١٩٠٣ بحضور المؤتمر الصهيوني السادس ، فاطلع على كتابات الصهاينة الأوائل مثل هرتزل وبنسكر ، وكان من معارضي مشروع شرق أفريقيا كحل للمسألة اليهودية التي كانت تؤرق أوروبا والاستعمار الخسيس ويبحثون عن حل لهجرة اليهود من شرق أوروبا وروسيا نتيجة الاضطهاد الروسي لهم ؛ بسبب مشاركتهم في الانقلابات والاغتيالات ، واعتبر جابوتنسكي أن توجه الصهيونية لين ومرن أكثر من اللازم على إثر عمليات اعتداء على الفلسطينيين شنتها الهاغانا في نيسان ١٩٢٠ في القدس وغيرها ، تم إلقاء القبض عليه وحُكم عليه بالسجن مدة خمسة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة في سجن عكا ، أثار الحكم عليه ضجة واسعة في المستوطنات وخارج فلسطين ما دفع بعض القيادات الصهيونية إلى وضعه على رأس قائمة المرشحين لحزب أحدوت هعفودا استعداداً لانتخابات جمعية المندوبين الأولى ، ولما أُفرج عنه من السجن في صيف ١٩٢٠ إثر نيله عفواً عاماً تقرب من وايزمان ، وضُمّ إلى الإدارة الصهيونية العامة ، وكان من بين الموافقين على التنازل عن المطالبة بالأردن ، وهذا قبل إصدار تشرتشل لكتابه الأبيض سنة ١٩٢٢، في عام ١٩٢١ أصبح عضواً في اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية ؛ ولكنه انشق عن المنظمة سنة ١٩٢٣ بعد خلاف معها وأسس حركة بيتار سنة ١٩٢٣ ثم أسس حزب الصهيونية

التصحيحية سنة ١٩٢٥ أحد أهم أحزاب اليمين الصهيوني المطالب بإنشاء دولة يهودية تمتد ما بين النهرين.

أثار هذا غضب حكومة الانتداب البريطانية التي قامت بمنعه من دخول فلسطين إلى اجل غير مسمى عام ١٩٣٠ ، عارض جابوتنسكي بشدة خطة التقسيم التي عرضتها لجنة بيل عام ١٩٣٧، ودعا إلى رفض الاكتفاء بإقامة إسرائيل على أرض فلسطين وحدها ؛ بل مدها إلى الأردن وصحراء سوريا ،س توفي في ٣أغسطس ١٩٤٠ في الولايات المتحدة بعد إصابته بأزمة قلبية .

توقع جابوتنسكي هذا في مقاله إن العرب الفلسطينيين لن يوافقوا على وجود أغلبية يهودية في فلسطين، ورأى أن الاستعمار الصهيوني لفلسطين يجب إما أن يتوقف ، أو أن يستمر بغض النظر عن السكان الأصليين لفلسطين ، وهو ما يعني أن الاستيطان الصهيوني لا يمكن أن يستمر ويتطور إلا تحت حماية قوة مستقلة عن السكان الأصليين أو خلف جدار حديدي لا يمكن للسكان الأصليين اختراقه ، وقال إن الحل الوحيد لإقامة الدولة اليهودية في أرض إسرائيل هو أن يقوم اليهود أولاً بإقامة دولة يهودية قوية ، وهو ما من شأنه أن يدفع العرب في نهاية المطاف إلى التخلي عن قادتهم المتطرفين ، الذين شعارهم أبدا! ، وتمرير القيادة إلى من وصفهم بالجماعات المعتدلة ، التي ستتقدم إلى اليهود باقتراح يقضي بالاتفاق على تنازلات متبادلة ، بعد أسبوع واحد من نشر المقال ، نشر زئيف جابوتنسكي كتابا بعنوان أخلاق الجدار الحديدي أكد فيه أن الأخلاق تأتي قبل كل شيء آخر ، وأن الصهيونية بحسب ادعائه أخلاقية وعادلة لأنها تلتزم بالذات الوطنية باعتبارها مبدأً مقدسًا يمكن أن يتمتع به العرب أيضًا.

اذكر هنا مزيدا من المعرفة بهذا الصهيوني ومنظمته بيتار : منظمة بيتار كلمة عبرية تعني الحصن وهي حركة صهيونية يمينية شبه عسكرية، تعد من أقدم المنظمات الصهيونية، وشعارها "اليهود يقاتلون". أسسها زئيف جابوتنسكي عام ١٩٢٣، بهدف إقامة دولة يهودية

في فلسطين وتسهيل الهجرة إليها، ثم دمجت في منظمة الإرغون ، ورغم معارضة الصهاينة اليساريين لهذه الحركة، ووصفهم لها بأنها فاشية ؛ فإن العديد من قادة إسرائيل منهم ، ومن بينهم رئيس الوزراء مناحيم بيغن وإسحاق شامير، كانوا من بين أعضائها ، إضافة إلى بن صهيون نتنياهو ، والد رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو. ، لكن تسمية المنظمة في أصلها اختصار لاسم "بريت يوسف ترومبلدور"، وهو مقاتل يهودي روسي مؤيد للحركة الصهيونية قتل في معركة مع فلسطينيين عام ١٩٢٠ في مستوطنة تل حاي شمال فلسطين ، فأراد جابوتنسكي تخليد اسم زميله باعتباره شخصية مثالية ضحت في سبيل الصهيونية ، فسمى المنظمة بالأحرف الأولى من اسمه . تأسست منظمة بيتار على يد جابوتنسكي بمدينة ريغا في لاتفيا أثناء زيارته لها ، وهي جزء من "الحركة الصهيونية التصحيحية"، التي سعت لإنشاء دولة يهودية على أرض فلسطين والأردن، وكان لها دور في "التعليم الصهيوني" وتعزيز اللغة والثقافة العبريتين.. استخدم جابوتنسكي قصة ترومبلدور لتأسيس منظمة شبابية شبه عسكرية تهدف إلى تشكيل هوية يهودية قوية تسعى لإقامة وطن لليهود في فلسطين ، وبحلول ثلاثينيات القرن العشرين أصبحت بيتار واحدة من كبرى الحركات الشبابية اليهودية وأكثرها نفوذا في أوروبا.. وأدت دورا بارزا في تشكيل الأساس الأيديولوجي للصهيونية اليمينية.. أصرّ الصهيوني جابوتنسكي على أن الدولة اليهودية الجديدة في فلسطين ستحتاج إلى يهودي جديد مستعد للقتال من أجلها ، لذا كان على كل عضو في الحركة أن يتلقى تدريبا عسكريا ، مع إلزام المهاجرين إلى فلسطين بالخدمة عامين ضمن ألوية بيتار هناك ؛ كما ألزم جابوتنسكي أعضاء التنظيم بأداء قسم يلتزمون فيه بـ"تكريس حياتهم لإعادة ولادة الدولة اليهودية، بأغلبية يهودية، على جانبي الأردن ."

اندمجت "بيتار" في منظمة الإرغون عام ١٩٣٩، وقادت معها ثورة إرهابية ضد الانتداب البريطاني، مما نتج عنه تسليم فلسطين لليهود ، وأصبحت المنظمة جزءا من الجيش الإسرائيلي بعد إعلان قيام إسرائيل عام ١٩٤٨.

وكانت المزود الرئيسي للإرغون بالجنود اليهود ، ولكن في عام ١٩٤٧، أصدرت السلطات الانتدابية أمرا بحظر نشاطاتها، وبعد قيام إسرائيل ، انضمت حركة بيتار إلى حزب حيروت ، وانضم أعضاؤها إلى كتيبة ناحال في الجيش الإسرائيلي ، وكان العديد من الأفراد الذين انشقوا عن الهاغاناه في عام ١٩٣٠، ليؤسسوا المنظمة العسكرية إيتسيل (الإرغون) ومنظمة شتيرن، من أعضاء بيتار . تستمد بيتار أيديولوجيتها من الدمج بين الفكر العسكري لجابوتنسكي ويوسف ترومبلدو ر، وتؤمن "ببناء مجتمع إسرائيلي مثالي يقوم على أسس الحرية والديمقراطية والليبرالية." وتركز معظم أنشطة الحركة على استهداف وتهديد المدافعين عن القضية الفلسطينية أو الأمريكيين اليهود الذين يُنظر إليهم على أنهم غير متشددين بما يكفي تجاه الفلسطينيين. تقول المنظمة إنها تسعى إلى: إنشاء جيل جديد من القادة اليهود الذين يتمتعون بالثقة والفخر والاستعداد للدفاع عن المجتمع اليهودي على جميع الجبهات في الجامعات والمجتمعات ووسائل الإعلام وغيرها.. تعزيز الهوية اليهودية عبر التعليم والنشاط وبناء المجتمع.. ترسيخ الهوية اليهودية بين أعضائها وتعميق الانتماء للصهيونية.. تعزيز الاستيطان وتطوير كافة أنحاء إسرائيل.

***

ذكرت وكالة "رويترز" أن "إسرائيل قتلت قيادياً في حماس اليوم الأحد ٥ أيار ٢٠١٩، فيما وصفها الجيش بضربة موجهة "، الجيش الإسرائيلي من طرفه أعلن أنه استهدف بـ"عملية خاصة" فلسطينياً يمتلك شركة صرافة في غزة ، متهماً إياه بتمويل الفصائل الفلسطينية بالقطاع.. الشهيد الذي اغتالته الطائرات الحربية الصهيونية خلال العدوان الأخير ، في عملية اغتيال هي الأولى منذ انتهاء عدوان عام ٢٠١٤، وزفته كتائب القسام الجناح العسكري لحركة "حماس" وقالت إنّه أحد قادتها الميدانيين شرق غزة.

مراسل" المركز الفلسطيني للإعلام "حضر بيت عزاء الشهيد وسمع الروايات المتناقلة عنه عن قرب.. وعن النساء والأطفال الذين وقفوا أمام المسجد الذي صُلِّيَ عليه فيه يبكونه بحرقة،

وسط تساؤلات المشيعين: "من هؤلاء؟ ومن أين أتوا؟".. لتنجلي الأسرار بعدها على لسان والده ، الذي أخبرنا أن نجله حامد ما ترك بيتًا فقيرًا قريبًا أو بعيدًا ، في غزة أو الجنوب أو الشمال إلا وكان له بصمة خيرٍ فيه.. وأضاف: "حامد كان يستر على كثير من الأسر ، التي نعرفها والتي لم نعرفها ، من الأرامل والأيتام وغيرهم."

وعرف أهالي الشجاعية والشعف بالتحديد الشهيد الخضري والملقب بـ "أبو محمد"- بجوده وكرمه وسعة صدره، ولم يعرف عنه يوماً أنه ردّ أحداً، حيث كان يملك شركة خاصة به لصرافة الأموال.. وبدموع ممزوجة بالحزن والفخر، يؤكّد والد الشهيد أن ابنه كان سبباً بعد الله في افتتاح عشرات المشاريع للمئات من الشباب والأُسر التي تقطعت بها السبل بسبب الحصار وضيق العيش.

يقول الأب : "اشترى حامد عشرات التكاتك والسيارات لأرباب الأسر المستورة ، وما أخبره أحد يوماً بحاجة إحدى البيوت لشيء ما ، إلا وبادر مسرعاً لتوفيره لهم."

لحظة بعد لحظة تتكشف الرواية تلو الأخرى عن الشهيد ، حتى بات كثير من الناس يتوق إلى أن يعرف عنه أكثر ، ذلك الرجل الذي ذاع صيته عقب استشهاده في أرجاء قطاع غزة ، حتى قال أحدهم لمراسلنا، "كأنّنا نعيش قصة رجل من أيام الصحابة."

يروي أحد أصحاب المكاتب المختصة بمعاملات تيسير الزواج لمراسل" المركز الفلسطيني للإعلام "أن عددا من الشباب اتصلوا به من أجل إلغاء كل ما تم الاتفاق عليه عقب استشهاد حامد ، ليخبروه أن سندهم بعد الله في سداد الدين والأقساط وباقي المستلزمات قد استشهد.

وبنبرات خالطتها الدموع يروي الشاب "أبو ريان" من جيران الشهيد ، لمراسلنا، أنه كان قد استدان من الشهيد قبل استشهاده مبلغاً من المال لإتمام إعمار شقته ، لإتمام مراسم الزواج، إلا أنّه قرر إلغاء مراسم الزواج حداداً على روح الشهيد المعطاء.

عقب استشهاد الخضري، تناقلت بعض وسائل الإعلام المحلية خبراً مفاده أنّ وزير الحرب السابق ليبرمان، كان قد أمر بحظر شركة الشهيد حامد الخضري للصرافة.

وتبين أنّه في الحرب الصهيونية على غزة عام ٢٠١٤ حاول الاحتلال استفزاز الخضري ، عبر إرسال رسائل على هواتف مئات المواطنين للذهاب واستلام مبلغ من المال من "حامد الخضري" فتوجه الناس إليه ، فما كان منه إلا أن أعطاهم ولم يرد أحداً منهم.

ويتحدث أحد أصدقاء الشهيد حامد ، أنه في يوم من الأيام جاءه مسؤول جمعية خيرية طالباً منه مبلغاً لم يحدد لعمل خيري في غزة ، فما كان من الشهيد حامد إلا أن قال له "ضع يدك في الدُرج وخذ ما يكفيك من مال تحتاجه لمساعدة الفقراء.. فصُدمَ الرجل من كلام حامد !"، فقال له ماذا تقول يا رجل ؟؟ هل تمزح ؟!. فقال له حامد والله لا أمزح، "ضع يدك وخد ما تريد مما في الدُرج ولا تقول لي كم أخذت من مبلغ .. خذه واذهب مباشرة في رعاية الله". وحصل ما أراده حامد الشهيد!

يروي أصدقاء الشهيد أنه كان ذات ليلة يتناول العشاء في أحد المطاعم ،وعند المغادرة لفت نظره امرأة عجوز تلملم بقايا طعام الناس .. استوقفها حامد لسؤالها عما تقوم به، فأخبرته على استحياء: والله يا بني ما عندي ولاد شباب ، وعندي بنتين صبايا، وما في أي مصدر دخل وعايشة ببيت مستأجر.. فأخبرها حامد أن تنتظره، ثم ذهب واشترى لها أفضل الطعام، وأجلسها بجواره، وقال لها دليني على البيت.. وصلوا البيت أو ما يسمى البيت الذي لا يصلح للسكن ابتداء ، فلم يجد في البيت أدنى مقومات الحياة ، لا طعام ولا حتى ثلاجة أصلا، وبنات أكملن الثانوية العامة بمعدلات رائعة ، والوضع المادي لا يسمح لهن بدخول الجامعة.

تركهم حامد يتناولون طعام العشاء، ووعدهم بالعودة غدا، ثم جاء في اليوم التالي ونقلهم إلى شقة جديدة ، وحياة جديدة، وتعهد بصرف راتب شهري لهن ، وتبنى تعليم البنات حتى إنهاء الجامعة..وهكذا تبقى تلك الروايات المتناقلة عن الشهيد حامد ، وما نشره الناس وفاح عطره بعد استشهاده ، غيض من فيض دون أن يدرك أحد إن كان هناك سرائر بين حامد الشهيد وربه، ومصارف أخرى لجوده وكرمه لا يعلم بها إلا الله.

***

لما شاع خبر اغتيال الخضري انتقل غريب إلى مدينة هود والتقى بحمدي أبو سلمى على شاطئ البحر وذلك بعد شربهما الشاي في مقهى الصيادين فلما انفردا بالنظر للماء قال الصياد : جئت تسال عن الرجل الذي اغتيل !

قال : هل هو محسوب علينا ؟

ـ الكتائب اعتبرته من رجالها يا صديقي ، فهو محسوب على الحركة المجاهدة ..وبينت الصحافة قصص من جوده .. وإسرائيل كما تعلم تغتال على اقل من الشبهة ، وتقتل ولو كان الاتهام والاشتباه كذبا .. سمعنا باغتيال في تونس وفي لبنان وفي ماليزيا .. اغتالت مهندسا في ماليزيا على انه إرهابي .. أرأيت اكثر من ذلك وقاحة ! ونقول لك دول الظلم دفاع عن النفس

ـ أتعرفه هل أرسلت له شيئا؟

ـ لا ، نحن نرسل المال يا دكتور لجهات في عموم مصر، وهم يرسلونها ويدخلونها بحيل وطرق معقدة ؛ لأن سلطات مصر تخدم إسرائيل أكثر من إسرائيل ؛ كما هو شائع ومعروف وتمنع تهريب المال لغزة وتصادره ؛ لكن الأجهزة الأمنية لا تخلو من شرفاء كأي بلد .. والشرفاء عملة صعبة في زمن الهوان .. فأنا لا اعرف كيف تدخل الأموال والأسلحة لغزة ؟! لكنها تدخل وتصل كما نتلقى إشارات .

ـ لن يكون هناك مشاكل لنقل الأموال

ـ لا يعتمد على نقل المال على شخص واحد أو اثنين أو ثلاثة إنما على أعداد من الشجعان ولا يعرفون بعضهم بعضا حماية لهم ولغيرهم

ـ لا تغيير أو تعديل على نشاطاتنا

ـ أكيد نحن نفعل القليل .. هناك من يدفعون أرواحهم وأنفسهم

ـ صحيح يا أبا سلمى كيف صحتك هذه الأيام؟

ـ عرج بسيط

***

ذكر بيان صادر ١٨ يوليو ٢٠١٩ عن الناطق بلسان الجيش الإسرائيلي أمس الأربعاء أن الجيش تمكن بالتعاون مع جهاز الأمن العام الشاباك من اكتشاف آلية لتهريب الأموال من حركة حماس في قطاع غزة إلى ناشطيها في رام الله ؛ لتمويل نشاطات إرهابية في الضفة الغربية ودفع معاشات إلى عناصرها ، وأضاف البيان أن الجيش اعتقل مؤخراً ثلاثة عناصر من حماس في الضفة الغربية هم أصحاب شركة سفريات واعتقل شخصاً رابعاً يمتلك محل صرافة.. وأشار البيان إلى أن هؤلاء الأربعة حولوا الأموال بواسطة حسم ديون بين صرافين مستقلين ، وهو ما أتاح لهم تقليص استعمال الأوراق النقدية وعدم تسجيلها في نظام التحويلات البنكية العالمية ، واستخدمت المبالغ الكبيرة التي تم تحويلها بهذا الشكل لنشاطات تنظيمية ولتمويل أجور وكلاء حماس ، وأوضح البيان أن هذه الاعتقالات تأتي ضمن تعزيز الإجراءات التي يقوم بها الجيش وجهاز الشاباك في الفترة الأخيرة ضد الشركات المدنية في الضفة الغربية التي تتعاون مع التنظيمات الإرهابية في قطاع غزة.

***

وصلت رسالة الكترونية (مسج) صباح يوم من شهر آب ٢٠١٩ أن والدة غريب أدخلت المستشفى ، وكان قبل أسابيع زار غزة للعزاء في جدته شهدة أم الخنساء والصماء وعبد السلام وعبد الكريم فاضطر لأخذ إجازة لمدة أسبوع من جديد ليرحل وترافقه زوجته جهاد ابنة خالته ولكنه وصل الديار بعد موت أمه بيوم ، فقدم العزاء لأبيه وأخواله وتصدق عنها ، وقدم لوالده والعائلة بعض المال الذي يسمح لهم بإدخاله ، وقضى أسبوعا في مسقط رأسه ، ثم غادر لمصر فهو الطريق العربي الوحيد للخروج لبلاد العرب والشفا ، وكانت الجمعية قد أقامت يوما للعزاء فور وصوله حتى أن صاحبه الصياد قدم من هود مع احد أبنائه للعزاء ، وكذلك الدكتور سارية وزوجته حضرا يوم العزاء ، وبعد أيام استقبل ابن شقيق له للدراسة في الشفا ، وقدم له كل مساعدة ودعم مالي فقال لبيب محمد : كانت أختي فداء ترغب بالمجيء معي للدراسة هنا

الطب ولكن أبي رفض ذلك وأرسلها لمصر عند عمي رمضان ، وقد يزورك ليوصيك عليّ ويطلب منك قرضا لتعليمها ، فهو بعد إصابته الدامية عاجز عن العمل

قال غريب : هذا واجب ألا تصله الأموال التي نرسلها ؟

قال الشاب : بل تصل ولكنا أسرة كبيرة يا عم

ـ كم صرتم؟

ـ مع الوالدين عشرة

ـ ما شاء الله ! لما استقر بي المقام هنا لم اعد اعرف المواليد في الأسرة والأخوة كان عليه أن يفاتحني أثناء عزاء أمي يا لبيب .. أحسنت بأن قلت لي ..سأرسل المناسب .. كم أخ لك متزوجا ؟

ـ ثلاثة بنتان واخي الكبير .. فرص العمل صعبة في القطاع كما تعلم عدد السكان كبير والحصار اللئيم يقلل فرص العمل ويضيق على الناس

ـ لا تهتم نحن أهل لما تباشر الدراسة قل كم تتكلف من المال شهريا ولما تتقدم في الدراسة إن شاء الله سأجد لك فرصة عمل في مصنع العائلة دواء روح الفضل

ـ أشكرك جدا يا عمي كما قال أبي أنت بركة للعائلة رغم انك اصغر أبناء جدتي رحمها الله تعالى

ـ الفضل يا عمي لله

***

اغتالت القوات الإسرائيلية بهاء أبو العطا ١٢اكتوبر ٢٠١٩ ، أحد قادة حركة الجهاد الإسلامي سرايا القدس ، بإطلاق صاروخ على منزله في حي الشجاعيّة بـمدينة غزة ، ويؤدي الهجوم إلى مقتل زوجته أيضاً وثمانية أشخاص آخرين، وإصابة ٥٠ شخصاً بجروح، بينهم أربعة أطفال .. لا تحيا إسرائيل الصهيونية إلا على الاغتيالات منذ قرن من أيام الاستعمار البريطاني لفلسطين حتى في آخر سنوات الاستعمار كانت تغتال بريطانيين بادعاءات واهية .

أبو سليم بهاء أبو العطا قيادي عسكري وميداني في سرايا القدس الذراع العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في القطاع المحاصر ، اغتيل جرّاء قصفٍ صاروخي مُركّزٍ لمنزلِهِ في حي الشجاعية بِقطاع غزة صبيحة الثلاثاء على يدِ طائرات الاحتلال ، شنَّت قوات الاحتلال عددًا من الغارات على قطاع غزة استهدفت أهدافًا متفرقة بما في ذلك مبنى تواجد في داخله أبرز قادة الجهاد الإسلامي ؛ وردًا على ذلك أَطلقت المقاومة الفلسطينيّة رشقات صاروخية اتُجاه إسرائيل حيثُ سمع دوي انفجارات كبير عقبَ محاولة القبة الحديدية اعتراض تلكَ الصواريخ والتصدّي لها. . تقولُ المصادر الإسرائيلية إنَّ بهاء هو أحد كبار المسؤولين العسكريين في قطاع غزة ؛ وتتهمهُ بتلقي الدعم الإيراني اللا محدود بل تعتبرهُ من كبار مؤيدي إيران في القطاع . حسبَ بعض المسؤولين العسكريين الإسرائيليين ؛ فإن أبو العطا شارك في التخطيط لهجماتٍ ضد إسرائيل كما أشرفَ على صنع الأسلحة ، وتحسين قدرات إطلاق الصواريخ بعيدة المدى لذا يُنظر له في الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية كعنصر تصعيد للاحتلال.

وتقول سرايا القدس إن أبو العطا هو قائدها في المنطقة الشمالية ، وأحد أبرز أعضاء مجلسها العسكري في قطاع غزة ، وكان له دور بارز في الإشراف على تنفيذ العديد من العمليات الجهادية التي خاضتها ضد العدو وأكدت مصادر فلسطينية، للجزيرة نت، أن أبو العطا نجا من محاولات اغتيال إسرائيلية عدة في السنوات الماضية، وأصيب بجروح في إحدى هذه المحاولات التي استهدفته في العام ٢٠١٢.. وخلال الحرب الإسرائيلية الأخيرة على غزة في العام ٢٠١٤

نجا أبو العطا من محاولة اغتيال إسرائيلية ، حين كان نائبا لقائد المنطقة الشمالية في سرايا القدس دانيال منصور (أبو عبد الله)، الذي اغتالته إسرائيل في الثالث من أغسطس من العام ٢٠١٤.
وتصف إسرائيل أبو العطا بأنه "صانع المشكلات الذي لا يخضع لأحد"، وبأنه "كثير الحركة ولا يمكن توقع ما يريد"، وهو على اتصال مباشر مع الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي زياد النخالة المقيم في العاصمة اللبنانية بيروت.
وتتهم إسرائيل أبو العطا بأنه المسؤول الأول عن جميع العمليات التي نفذتها سرايا القدس منذ بداية العام الجاري، كإطلاق الصواريخ والطائرات المسيرة، وعمليات القنص على السياج الأمني المحيط بقطاع غزة من الناحيتين الشرقية والشمالية.
وتستعد جماهير غفيرة احتشدت في ساحة مستشفى الشفاء والشوارع المحيطة، للمشاركة في مسيرة تشييع الشهيد أبو العطا، التي ستنطلق من المسجد العمري الكبير في المدينة بعد صلاة ظهر اليوم

***

دخل نهاد مكتب الدكتور سارية قائلا : هل حقا سيتوقف التدريس المباشر بسبب هذا المرض المنتشر ؟ .. من أين أتى هذا الوباء ؟
قال سارية : الإشاعات بدأت من نهاية العام الماضي .. الوباء بلاء من الله أولا .. فقد اشتهر وباء الطاعون في عهد الصحابة في بلاد الشام ؛ بما يشار إليه بطاعون عمواس واستشهد فيه عدد كبير من الصحابة والتابعين .. فهو اشهر بلاء وقع بالمسلمين أثناء فتوحات الشام عهد صحابة النبي ﷺ وهو مرض الطاعون الذي سمي بطاعون عمواس نسبة لمدينة فلسطينية معروفة هذا الزمن .. وقد مات عدد كبير من الصحابة والتابعين في عهد دولة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى انه احجم عن دخول الشام بسبب انتشاره وقفل عائد للمدينة وقد قرأت أن هذا الطاعون الأسود كما يسميه الغرب اجتاح أوروبا واهلك آلاف من الخلق وزعموا انه أتى من الهند بواسطة الفئران ، ولم يهلك أي هندي بسببه رغم انتشاره الواسع ..

والله اعلم

قال نهاد : هذا الكورونا يزعمون انه أتانا من حيوانات الصين ؛ كما ظهر قبل زمن جنون البقر من الهند

ـ وأمريكا تزعم انه من مختبرات الصين ؛ ولكن كيف أغرق دول العالم جميعها

ضحك نهاد وقال : قالوا بسبب السياحة والرياضة خاصة كرة القدم ويبدو أن الشفا ظهرت بها حالات وقد يتوقف التدريس المباشر بسببه .. سيكون التعليم عن بعد

ـ ينشر ذلك في الإعلام ويبدو أن الوزارة ستتأخذ هذا القرار ، فهم يترقبون قرار الحكومة ويرقبون إجراءات الصين

قال نهاد : سمعت أن الأنفلونزا الإسبانية نهاية الحرب الأولى حشت خمسين مليونا من الناس ولعلك سمعت بذلك

ـ الصحف والفضائيات تتحدث عن ذلك .. أنا سمعت عن الكورونا من عشر سنوات ظهرت في بعض الدول العربية ، ثم خف الكلام عنها وهي يقال عنها فيروس متطور مثل سائر الفيروسات الظاهرة لنا .. ومر الناس يا سيدي بوباء الجدري والكوليرا وغير ذلك من الأوبئة كله من سنن الابتلاء

ـ حتى سمعت انه قد يتسبب بمنع دخول المسافرين اذا أعلنت حالة الطوارئ

ـ اذا دخل البلد لا يمنعه منع مسافر ؛ لكنه قد يحد من انتشاره

***

تضرب جائحة كوفيد الكورونا ١٩ الكون ، وتؤثر في جميع جوانب الحياة فعطلت السياحة والرياضة والتجارة والمسارح والسفر والطائرات والكثير من الطائرات والتجمعات ، بدأت من الصين كما اعلن ونشر ، في محاولة لاحتواء الفيروس ، تُغلق في مارس ٢٠٢٠ البلدات والمدن التي تُسجل أعداداً كبيرة من الإصابات ، وتُفرض قيود على حركة التنقل بين المحافظات وحظر تجول وتُغلق المدارس والمتاجر والكنائس والمساجد ؛ بما في ذلك قبة الصخرة والمسجد

الأقصى والحرمين بحلول نهاية سنة ٢٠٢٠، وأهلكت الجائحة الملايين من البشر وخاصة من كان مصابا بأمراض تنفسية وقلبية ، ومع نهاية العام تأقلم الناس مع السقم ومع انتشار أدوية استغلت للعلاج منه شرقا وغربا ، زعموا أنها تقضي على الفيروس ، وهذا لم يتحقق بشكل كلي في أي بلد انتشر فيها .

حدثت كارثة في ميناء بيروت ، تشتعل النيران ٤آب ٢٠٢٠ – ٧ آب ٢٠٢٠ في أطنان من سماد نترات الأمونيوم المخزنة على نحو عشوائي في مرفأ بيروت منذ سنة ٢٠١٤ وتنفجر متسببة بأحد أكبر الانفجارات غير النووية في التاريخ ؛ يسفر ذلك عن مقتل ٢١٨ شخصاً وإصابة ٧,٠٠٠ وتشريد ٣٠٠ ألف.

***

مطلع العام ٢٠٢١ خفت إجراءات التنقل والحركة في المدن العالمية ، ومع انتشار التطعيم ضد كورونا نشطت حركة الناس ، وبدأت الحياة تعود لطبيعتها المعتادة مع عدم اختفاء الوباء ورفعت أحكام الطوارئ العالمية أو خففت ، وسمح بعودة الناس للصلاة في المساجد وأماكن العبادة ، وتخفيف قيود السفر ذهابا وإيابا بنشر وثيقة أخذ المطاعيم التي جربت على الناس في نهاية الجائحة ، وعادت الجامعات تستقبل الطلبة والدراسة المباشرة بعد توقف لمدة عام ، ولما سمحت السلطات المصرية بدخول أهل غزة لغزة سافر غريب وابن أخيه لبيب وابن أخته ثابت في زيارة للأقارب والأهل ، فقد عانى اكثر من غيره القطاع من الجائحة للحصار العالمي عليه من قبل إسرائيل ومصر .

***

الشيخ جراح هي قرية تتبع لمحافظة القدس الشرقية، وهي في الجانب الشرقي لمدينة القدس الذي وقع تحت الاحتلال الإسرائيلي في حرب ١٩٦٧،سيطرت إسرائيل ١٩٤٨ القسم الغربي من القدس وسيطرت على القسم الشرقي في حرب حزيران ١٩٦٧ وهي الآن من أحياء القدس الشرقية ، يقع حي الشيخ جراح في الجانب الشرقي من البلدة القديمة في مدينة القدس خارج السور، وقد أنشئ الحي في القدس عام ١٩٥٦ أخذ حي الشيخ جراح بالقدس



اسمه من الأمير حسام الدين بن شرف الدين عيسى الجراحي ، طبيب صلاح الدين الأيوبي، القائد الكردي المسلم ، الذي تحول إلى رمز لأجيال عربية متعاقبة منذ نحو ٩٠٠ عامًا، ويهدده مخطط إسرائيلي استيطاني أعلن عنهُ الآن ٢٠٢١ ، ويتضمن بناء ٢٠٠ وحدة سكنية لإسكان مستوطنين يهود فيه ا، وسط هذا الحي العربي الواقع في القدس الشرقية المحتلة عام ١٩٦٧م.

نشأ حيّ الشيخ جرّاح ضمن الأحياء التي نمت خارج أسوار البلدة القديمة في القدس ، ونذكر من بين هذه الأحياء حي القطمون، وهو الحيّ الذي عاش ودفن فيه الشيخ حسام الدين الجرّاحي طبيب صلاح الدين الأيوبي قبل ٩٠٠ عام تقريبًا ، سكنت الحيّ عائلات فلسطينيّة معروفة مثل عائلة النشاشيبي .

وفي عام ١٩٥٦ أسكنت الأردن بحكم أن القدس الشرقية جزء من الضفة الغربية لاجئين فلسطينيين في الحيّ في منطقة كرم الجاعوني باتفاق مع الأونروا مقابل تنازلهم عن حقّهم كلاجئين ، وتملّكهم البيوت بعد ثلاث سنوات ، ولما لم يتم الأمر ، حالت الحرب عام ١٩٦٧ دون تسجيل هذه البيوت في الطابو الأردني ، ذهب الفلسطينيون في الشيخ جرّاح إلى المحاكم الإسرائيليّة مطالبين باستعادة الأراضي الوقفية مع انتهاء التحكير إلّا أن الالتماس قد رفض

واستأنفت العائلات على القرار ، ومنحت المحكمة في عام ٢٠١٠ الأراضي لمستوطنين يهود ، ومنذ عام ٢٠٠٨ جاءت جماعة استيطانية تدعى نحلات شمعون انترناشيونال تسعى لهدم الحيّ وإقامة مستوطنة كبيرة تفصل أحياء القدس العربيّة عن البلدة القديمة.

١٥شباط ٢٠٢١ المحكمة الإسرائيلية العليا إخلاء سبعة منازل عوائل فلسطينية في حي الشيخ جراح في القدس وطردهم لإسكان مستوطنين يهود مكانهم في قرار مستفز للفلسطينيين الذين رفضوا القرار وتمردوا عليه ما تسبب في اشتباكات بينهم وبين المستوطنين والشرطة الإسرائيلية .. نظَّم الفلسطينيون وقفة تضامنية مع أهالي حي الشيخ جراح الذين واجَهوا قرارًا من المحكمة الإسرائيلية العليا بإخلاء سبع عائلات فلسطينية من سكان الحي من منازلهم لإسكان مستوطنين إسرائيليين مكانهم ، فردت الشرطة الإسرائيلية باستخدام الرصاص المعدني المغلف بالمطاط وقنابل الصوت واعتدت على المشاركين واعتقلت ستة من سكان الحي وأصابت أكثر من ١٣٦ فلسطينيًا بجروح وهو ما زاد الأوضاع حدةً

***

١٣نيسان ٢٠٢١ هو اليوم الأول من شهر رمضان ، تفرض القوات الإسرائيلية قيوداً تتعلق بالحرم الشريف منها .. حظر استخدام مكبرات الصوت في الآذان ؛ منع تسليم وجبات الإفطار للمصلين في الحرم ؛ تحديد عدد الفلسطينيين الذين يُسمح لهم بالدخول في أول جمعة من رمضان بـ ١٠,٠٠٠ شخص؛ اشتراط الحصول على لقاح كوفيد-١٩ لدخول الحرم ؛ إغلاق ساحة باب العامود لمنع الفلسطينيين من التجمع هناك كما اعتادوا في السنوات السابقة.

وأيضا تفجَّرت الأحداث في المسجد الأقصى مساء يوم جمعة الوداع في سبعة مايو ٢٠٢١ الموافق ٢٥رمضان ١٤٤٢ بعدما اقتحم آلاف من جنود الشرطة الإسرائيلية باحات المسجد الأقصى واعتدوا على المصلين فيه ما أدى لإصابة أكثر من ٢٠٥ فلسطينيًا في المسجد الأقصى وباب العامود والشيخ جراح وازدادت الأوضاع توترًا ، فقام مجموعة من الفلسطينيين بالهجوم على مستوطنين يهود في مناطق مختلفة ، مع استمرار الاعتداءات

والانتهاكات التي مارستها الشرطة الإسرائيلية على المدنيين الفلسطينيين بدأت مظاهرات ومشاجرات بين عرب ٤٨ والإسرائيليين المتطرفين وكذلك الاعتداءات على المصلّين في المسجد الأقصى في ١٠ مايو ٢٠٢١ فارتفعت حصيلة الإصابات إلى أكثر من ٣٠٠ فلسطيني وإلى أكثر من ٢٠ ضابط شرطة إسرائيلي.

وفي الأيام التالية، تستخدم قوات الأمن الإسرائيلية العنف ضد المعتصمين في ساحة باب العامود مما يتسبب في إصابة واعتقال العشرات منهم ؛ كما يشتدّ عنف المستوطنين الإسرائيليين ضد الفلسطينيين في البلدة القديمة ، الذي يبلغ ذروته في ٢٢ أبريل في هجوم واسع النطاق على الفلسطينيين من مستوطنين تستدعيهم منظمة ليهافا ، فيصاب ما لا يقل عن ١٠٥ فلسطينيا بجروح. . وتستمر المواجهات بين الشعبين ، وفي ١٠ أيار تتواصل الاعتداءات على الفلسطينيين في الحرم القدسي الشريف حيث تصيب القوات الإسرائيلية أكثر من ٣٠٥ شخصا ويبلغ عدد المصابين في جميع أنحاء القدس ٦١٢ فلسطينياً، من بينهم ٣٣٣ شخصاً ينقلون إلى المستشفيات.



وتركّزت هذه المواجهات في منطقة باب العامود في القدس التي شهدت هجومًا عنيفًا لقوات الاحتلال عبر استخدامِ الرصاص الحي والقنابل المسيلة للدموع لتفريق الفلسطينيين، كما شهدت عشرات الاعتقال في صفوفِ الفلسطينيين .

نشرت كتائب القسام في تمام الساعة ٤:٤٥ بيانًا تقول فيه أنّ قيادة المقاومة تُمهل إسرائيل حتى السادسة مساءً لسحب جنودها من المسجد الأقصى وإطلاق سراح المعتقلين مدرجًا معه خطاب نادر جدًا لقائد الكتائب محمد الضيف ، وهو ما زاد جدية الأمر وخطورته ، نقلت بعدها وسائل إعلام إسرائيلية خبر قرار الحكومة الإسرائيليّة تغيير مسار الرحلات الجوية المدنيّة بمطار بن غوريون تحسبًا لتصعيدٍ من غزة ، فيما نقلت وسائل إعلامٍ أخرى خبر فتح

مدن وبلدات إسرائيلية عدة في غلاف غزة الملاجئ العامّة تحسبا لأيّ رشقاتٍ صاروخيةٍ من القطاع.

سُمعت عند الساعة الـ ٠٥:٤٣ مساءً دوي انفجاراتٍ في محيط معبر بيت حانون-إيريز شمالي قطاع غزة ، وفي تمامِ الساعة الـ ٠٦:٠٤ أُطلقت رشقة صاروخية من قطاع غزة باتجاه المستوطنات الإسرائيليّة وذلك مع انتهاءِ المهلة التي حددتها قيادة المقاومة الفلسطينية، وسُمع حينها دوي انفجاراتٍ في القدس ناجمة عن إطلاقِ الصواريخ من قطاع غزة، ثمّ أعلنت بعدها بدقائق كتائب القسّام عن توجيهِ «ضربة صاروخية للعدو في القدس المحتلة ردًا على جرائمه وعدوانه على المدينة المقدسة»، وأضافت الكتائب: «صواريخنا رسالةٌ على العدو أن يفهمها جيدًا وإن عدتم عدنا وإن زدتم زدنا .

سُمعت صفّارات الإنذار تدوي في القدس كما سُمعت عدة انفجارات في المدينة ، أكّدت وسائل إعلامٍ مقربةٍ من تل أبيب إطلاق ١٠ صواريخ من قطاع غزة ، من جانبها أعلنت سرايا القدس في تمامِ الساعة ٦:٣٠ مسؤوليتها عن استهدافِ عربة عسكرية إسرائيلية شرق غزة بصاروخ موجه مؤكّدة إصابة العربة.

أُطلقت بعدها رشقةٌ صاروخيةٌ ثانيةٌ من قطاع غزة باتجاه المستوطنات الإسرائيليّة، وهو ما تسَّببَ في توقّف مسيرة المستوطنين في القدس، في الوقتِ الذي واصلت فيهِ المقاومة الفلسطينية قصفَ المستوطنات والمواقع الإسرائيلية برشقات صاروخية، مثلما فعلت سرايا القدس حينما أكّدت أنها قصفت مدينة سديروت الإسرائيلية بـ ٣٠ صاروخًا .

استهدفت طائرات الاحتلال الإسرائيلي في الساعة السابعة مساءًا مدنيين فلسطينيين في بيت حانون شمال شرقي قطاع غزة ، وتسبّبَ القصفُ في مقتلِ تسعة أشخاص بينهم ثلاثة أطفالٍ حسب الحصيلة الأوليّة التي نقلتها بعضُ القنوات الإخباريّة عن مصادر في وزارة الصحّة. وذكرَ الجيش الإسرائيلي في الوقتِ نفسه أنه مستعدٌ لعمليات عسكرية واسعة النطاق في قطاع غزة، فيما أكّد الناطق باسمِهِ «القضاء على خلية تخريبيّة تضمُّ ثلاثة مخربين من حماس كانت تهمُّ

بنشاطاتٍ شمال القطاع .

نشرَ جيشُ الاحتلال الإسرائيلي مزيدًا من بطاريات القبة الحديدية في عدة مناطق وسط إسرائيل في ظلّ تصاعد التوتر بينه وبين فصائل المقاومة الفلسطينية ، ثمّ تجددت المواجهات في باحات المسجد الأقصى بين قوات الاحتلال وشباب فلسطينيين وذلك حين اقترابِ موعد صلاة العشاء بالنسبة للفلسطينيين عاودَ الطيران الحربي الإسرائيلي استهداف مناطق متفرقة من القطاع فيما ردَّت سرايا القدس عبر استهداف تل أبيب وعسقلان برشقات صاروخية .

دخلت ألوية الناصر صلاح الدين وهي الجناح العسكريّ للجان المقاومة الشعبيّة في الحرب حينما أعلنت قصف مدينة عسقلان بـ ٨ صواريخ، وواصلت المقاومة الفلسطينية إطلاق رشقات صاروخيّة من القطاع ردًا على اعتداءات الاحتلال في بيت حانون ، بدأت كنائس فلسطين قُبيل انتصاف الليل في قرعِ أجراسها دعما لقطاع غزة والقدس في وجه الانتهاكات الإسرائيلية وتأكيدًا على الوحدة، بينما ردَّ الاحتلال الإسرائيلي من خلالِ قرار إغلاق معبر كرم أبو سالم وهو معبر حدودي بين قطاع غزة وإسرائيل وهو المعبر المُخصّص لدخول المواد الغذائية والطبيّة والوقود إلى غزة.

مع دخول ١١مايو اليوم الثاني قصفت زوارق حربية إسرائيلية شاطئ منطقة السودانية شمالي قطاع غزة ، في الوقتِ الذي انسحبت فيهِ قوات الاحتلال من المسجد القبلي ، وأَعلنَ بعدها جيش الاحتلال الإسرائيلي إطلاق عملية عسكرية على قطاع غزة تحت اسمِ «حارس الأسوار» وتلا ذلك غارة إسرائيلية استهدفت محيط ميناء خان يونس، فيما ردَّت فصائل المقاومة عبر إطلاق رشقة جديدة من الصواريخ باتجاه بلدات إسرائيلية .

نجحَ المعتكفون في المسجد الأقصى في أداء صلاة الفجر بعد انسحاب قوات الاحتلال الإسرائيلي بعد مواجهاتٍ عنيفةٍ ، فيما ظلَّ الوضعُ مشتعلًا في القطاع حينما قصفت زوارق حربية إسرائيلية مجددًا أراضٍ زراعيةٍ شمالِ غزة ، نشرت كتائب القسام مع ساعات الصباح الأولى بيانًا أكّدت فيهِ على أنّ الضربة الصاروخية التي وُجّهت نحو القدس المحتلّة نُفّذت بصواريخ

تحملُ رؤوسا متفجرة بقدرة تدميرية عالية يصلُ مداها إلى ١٢٠ كم وتدخل الخدمة بشكل مُعلنٍ لأول مرة

عاودت إسرائيل استهداف برجٍ سكني في غزّة عبر غارة جويّة ما تسبَّب في انهيارهِ بالكامل، فردَّت كتائب القسام عبر توجيهِ ضربة صاروخيّة كبيرة قالت إنها الأكبر لتل أبيب وضواحيها بـ ١٣٠ صاروخًا ، وسُمعت بعدها صفّارات الإنذار تدوي في تل أبيب وحيفا فيما أكّدت القناة ١٢ الإسرائيليّة إصابة مبنى في ضاحية حولون في تل أبيب بصاروخ أُطلق من غزة .

عاودت عشراتٌ من قوات الاحتلال الإسرائيلي اقتحام باحات المسجد الأقصى عقب صلاة التراويح، كما اندلعت اشتباكاتٌ بين فلسطينيين وإسرائيليين في مدينة أم الفحم

الحرب على غزة ٢٠٢١ أو هبة الكرامة ٢٠٢١ أو اشتباكات مايو ٢٠٢١ أو كما سمتها إسرائيل عملية حارس الأسوار أو كما سمتها المقاومة الفلسطينية معركة سيف القدس هو نزاع عسكري واسع النطاق بين المقاومة الفلسطينية وإسرائيل ولعبت حركة حماس الدور الأكبر في الحرب من جانب المقاومة الفلسطينية.. الحرب التي انتهت في ٢١ مايو من عام ٢٠٢١ بهدنة بوسَاطة مصرية كالعادة المتكررة ، يدخل وقف إطلاق النار بين حماس وإسرائيل، الذي تم بوساطة مصرية، حيز التنفيذ في الساعة الثانية صباحاً.

***

بعد انتهاء معركة سيف القدس التي بداتها القسام من اجل القدس والشيخ جراج عاد غريب وابن أخيه لبيب إلى الشفا وقد فقد عددا من أقاربه المجاهدين المسالمين ، ولما دخل البلاد تلقى الاتصالات من المحبين كالدكتور سارية وأهله وبلال ويسرا وزوجها عبد الله، وياسمين وجبور ، واتصل به راضي مهنئا بالعودة والسلامة ، وكذلك اتصالا من السيدة بلاسم التي انتقلت للعمل معه في مصنع أدوية روح الفضل للأسرة الهيثم والمنصور روح الفضل ، وكذلك أبو سلمى اتصل به هاتفيا ، وقامت جمعية روح الفضل بإقامة يوم عزاء فقد قتل جده إبراهيم والد أبيه عايش خلال سيف القدس الشيخ العجوز وأصيب ابن خاله عزمي عبد السلام ،

ونقل للعلاج في مصر بعد سريان الهدنة الجديدة .
ولما استراح من أزمة زيارة غزة دخلت بلاسم وخالها بشير مكتبه لتحيته واللقاء به وتعزيته بجده إبراهيم روح الفضل والد عايش .
رحب بهما و اطمئن على أحوالهما خلال الأيام التي قد قضاها في غزة عند حدثت معركة سيف القدس قالت : الحمد لله على سلامتك حقيقة أصابنا قلق على مديرنا الدكتور غريب
قال بشير : أنا تكلمت معه مرتين يا بلاسم .. لم تنقطع الاتصالات بيننا وبين غزة
صاحت : لم تخبرني يا بطل
قال معتذرا : لم تتح لي فرصة لأخبرك .. لا تنسي انشغالي بمرض أمي جدتك ، وكذلك زوجتي نحن نمرض بالجملة يا أبا محمد !
قال غريب : واي .. ما أصابهم أيها الصديق ؟!
ـ أمراض الصيف وتبدل الأجواء أما أمي المسكينة وقعت في الحمام ؛ لعل ذلك بسبب الهشاشة كما يقول الوالد .
قال : الحمد لله على سلامتهم في اقرب فرصة سأزورهم يا صديقي .. وأنت يا بلاسم ما أخبارك وكيف الأهل ؟
قالت لابن خالها : سلامة زوجتك أم محسن .. أنا بخير يا دكتور غريب سمعت أن جدك توفاه الله
ـ الحمد لله على كل حال .. قتل في بيته من غارة مجرمة .. ومن لطف المولى تعالى أن البيت لم يكن فيه إلا هو .. هو أرمل .. والموت والغارات في غزة يكاد أن يكون حدثا يوميا ؛ كلما نصبح نسمع عن شهيد وشهداء .. وانا لعلكم لا تذكرون حضرت حرب الفرقان سنة ٢٠٠٨ و٢٠٠٩ وبعدها غادرت الوطن للشفا لدراسة الصيدلة وتعرفنا على هذه الوجوه الطيبة والسمحة
قال : صحيح أنت قلت لي ذلك .. تأخرت شهورا حتى تمكنت من الخروج لهذه الديار .. لن

استطيع الانفكاك عن غزة ففيها الأهل والأخوة والعزوة .

***

غادرت مارسيل هود إلى مصر لزيارة أمها المصرية الأجنبية ؛ هكذا قال نهاد لسارية زميله في كلية الآداب فقال الآخر : إجازة الفصل أم إنهاء خدمة .

ـ لا ادري ! ولكني أخبرك بذلك لأنني سأزور مصر مثلها .. الدكتور أنور حسنين عرفني على طبيبة قبلت الزواج مني لها سنوات أرملة اقل من خمسين سنة سأسافر لأقابلها ونتعرف على بعض قبل الزواج فعليا ما رأيك بهكذا مشروع ؟

ـ لا يوجد نساء في هود .. فالجامعة مليئة بالموظفات الأرامل والمطلقات فالناس تموت كل يوم

ضحك نهاد وقال : يوجدن اكثر من الذكور ؛ لكني اخشى فشل الزواج ، فهي غريبة ومع السلامة تعود لبلدها

لما استوعب وجهة نظر زميله قال : لا مشكلة يا صديقي! وإن كنت أفضل أن تنكح امرأة من أهل المدينة لأهمية العلاقات الاجتماعية بين الأهل ،، فتلك ستكون بدون أهل هنا .. وستضطر للسفر بين الفينة والأخرى لأجل زيارة أهلها ..ألها والدان؟

ـ لا ادري ! أنا لست اجتماعيا كثيرا يا عم سارية !

ـ ما موقف أبنائك ؟!

ـ من سيتزوج؟ أنا أم هم ؟ من يتزوج سيرحل للعيش وحده .. أنا عندي شابان رغم بلوغهما عمر الاقتران ما زالا عازبين .. وبنات ثلاث في المرحلة الثانوية

ـ من يدبر أمرهم في البيت ؟

ـ عندي خادمة آسيوية تهتم بهم كخدمة منزلية .. وهم يقومون بخدمة بعضهم

ـ هل ستسافر وحدك لمصر؟

ـ سيرافقني شقيقي بلال

ـ كل التهاني أبا صبحي رافقتك السلامة والعودة بزوجة صالحة تقر بها عيناك

ـ شكرا .. سأسافر صباح السبت لمدة أسبوعين

ـ رحلة موفقة

***

قالت يسرا يونس لياسر في جلسة عائلية : كيف ابنك محمد ؟

ـ تعافى والحمد لله أين زوجك ؟

ـ مشغول جدا

ـ مشغول في الليل

قالت مفسرة : لديهم مشروع جديد .. ويتابعون هندسته مع المهندس المنصور الخال المحترم عمل استثنائي خارج نطاق المستشفى .. هناك تصميم مستشفى جديد في مدينة النعمان

ـ أهلا وسهلا بالدكتورة الفاضلة أم حسن ! سأستقر في هود لإدارة المصنع بشكل دائم

ـ سمعت ذلك من ياسمين .. المهم محمد احسن حالا اليوم

ـ هو بخير وتحسن بفضل الله .. قد يعود للبيت خلال يومين .. نعم ، زرتها ودار بيننا حديث عن الاستقرار في هود .. ما أخبار السيد بلال ؟

ـ لم اسمع شيئا مثيرا أو مهما عنه .. ذكرت زوجته سعاد أن أمها تعبت كم يوم في البيت

ـ سأزورها قبل العودة لهود ..

ـ ما هي حكاية انفجار مطعم موريس الفرنسي التي تدندن حولها الصحف من شهور ؟

ـ الذي فهمته من مدير شرطة هود أن التفجيرات لها علاقة بعصابة مخدرات ولا اعتقد صحة ذلك .. فالصيادون يرون أنها أجهزة مخابرات دولية تصفي حسابات .. فقبل انفجار المطعم حدث اعتداء في مكتب الصياد الكبير والمعروف أبو سلمى صاحب خالي الهيثم والذي يؤمن له السمك الطازج ، والمطعم الأوربي كذا مرة سمعنا انه وكر جواسيس

ـ وهل هناك أسرار تخفيها البلد عن العالم ؟

ـ الأسرار كثيرة ؛ ولكنها ليست أسرار الدولة المخفية .. الواقع أنها شحنات تهريب أسلحة كما

اسمع من موظفين في المصنع من أهل هود

ـ أسلحة ولمن تهرب ؟

ـ اليوم التهريب في كل الأشياء حتى يهربون البشر والفتيات لشواطئ أوروبا .. يقال أن عندهم نقص في السكان .. تباع الأسلحة لجزر بحرية ، تهرب لحركات المقاومة في لبنان والعراق واليمن وسوريا التي تعاني من ثورة وحركات مقاومة أو تصل لغزة والضفة كما يخبر البعض فالأسلحة مكسب كبير لتجار السلاح على مستوى العالم ويقال إنها بالتريليونات .. وافضل التهريب يكون عن طريق البحر ؛ لأن وسط البحر يكون ملكا للجميع ، فكل دولة مطلة على البحر لها أميال محددة حسب قانون البحار .. ومهما راقبت الدول الكبرى البحار فلا تستطيع السيطرة على كل المياه ، وهؤلاء المهربون يستغلون العواصف وشدة الرياح فهم يهربون البشر لأوروبا وأمريكا .. يبدو أن زوجتي عادت من المشفى فأني اسمع صوت سيارتها

قالت : هذا التحليل افضل من تحليل الشرطة يعني قاتل الشاب عامل المطعم لم يعرف بعد

ـ ا لمطعم هو مطعم وبار وصالة رقص أيضا يتردد عليه الأجانب وتلك الجاليات والقصة قديمة

***

قال ثابت طالب هندسة الكيمياء لخاله غريب : أبو سلمى لديه عروس يعرضها علي

قال عريب : ابنته !

ـ لم يفصل قال لديّ بنت حلوة راغب بتزويجها لشاب مثلك

ـ هل فتحت معه حديث الزواج ؟

ـ إلى حد ما .. قال هل ستتزوج من غزة مثل خالك أم فتاة من هنا ؟ فقلت له نحب الزواج من بنات البلد والأقارب ؛ ليكون الانسجام اكمل وأروق فقال عندي بنت حلوة

ـ أنت راغب بالزواج

ـ أنا راغب بالزواج كسائر الشباب ، ولم افكر به خلال الدراسة ، وأنت تعلم أن الجامعة مليئة

بالصبايا في كلية الهندسة وغيرها

ـ لما تعد إلى غزة شاور الوالدين ؛ فإن احبوا لك الزواج من الشفا كما فعل خالي يونس وخالتي أمينة ندبر لك الأمر ؛ لأنهم سعوا لتزويجي فتاة هنا ، ولم انتبه للموضوع إلا بعد فوات الأوان وكان نصيبي من ابنة خالتي الصماء

ـ حسنا لما أعود

***

راضي مصاب

سافر بلال لهود لعيادة زميله راضي بعد شفائه من فيروس كورونا الذي شاع في العالم منذ نهاية ٢٠١٩ ، ومن ضمن برنامجه في هود زيارة قريبه سارية الذي رحب به في أي ساعة من المساء ، استقبلت عائلة راضي الزائر بمحبة متبادلة بينهما منذ سنوات مضت ، وتحدث راضي عن المرض والعدوى من كثرة التعامل مع المرضى والمصابين والمراجعين وعدم استطاعة المضادات منع العدوى ؛ وربما خففت من أثار الكورونا ، وأثناء الحوار قالت سلمى : حتى لقد علمنا أن أخت راضي زوجتك الأولى أصيبت بالمرض وترغب بالعودة للبلاد وأن زوجها الممرض هلك منها .. فمهما كانت الدولة متقدمة فلا تقف أمام الجائحة سواء من العالم الأول أم العالم المتخلف

قالت سعاد بشفقة : المسكينة ترملت هذه المرة !

علق راضي باسما : يا أم يونس ! لقد سعت بنفسها لتدمير حياتها وتركت الرجل الطيب ابن الأصول ؛ ليكون من نصيبك يا دكتورة سعاد !

قالت : القدر يا دكتور راضي القدر ! تزوجني ارمله لم اكن بكرا كشقيقتك

قال بلال : القدر والمشيئة الإلهية .. نعم ، السبب ذاك اللعين المدعو مراد .. انقل لها تعازينا

ـ علاقتي بها ضيقة منذ ذلك الفصل من حياتنا ، لقد تزوجت ذاك الممرض لتعلقهما بالمخدرات

هتفت سعاد دهشة : تتعاطى أيضا

ضحك راضي وقال موضحا : تعلمت من مراد الخمر منذ أيام الكلية كما فهمت ، ولما ابتعد

عنها وتزوجت صديقي بلال زوجك ابتعدت عنها ، ثم عادت إليها قبل الطلاق بفترة.. كما يقال عقلها لم يريحها مع أنها خرجت من فترة المراهقة أثناء دراستها الطب حتى لا نلوم المراهقة كما يتحجج أهل الانحراف

قال بلال متذكرا : انزعجت جدا يا دكتور ! واعتبرتها وسيلة ضغط لتسريع الطلاق

قالت سلمى : وتعلمت للأسف التعاطي من مراد ؛ ولكنها كما يقال كانت على الخفيف كما حدثني ميلاد سلفي .. يبقى الطبيب من طينة البشر فيقعون بالمخدرات وهم ينصحون الناس بالابتعاد عنها ، وترى الطبيب يحذر من التدخين وهو يدخن قال راضي يومها إنها تسير للهاوية يا سلمى .. فسكتت وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله ، وكان ذلك الممرض يوفر لها المادة ثم تزوجا وسافرا إلى هولندا

قال راضي : هكذا أخبرت أمي المريضة لميلاد واتصل بي مخبرا بموته وأنها ترغب بالعودة للبلاد فطلبت أمي منها أن تتعالج من الإدمان قبل العودة

قالت سعاد : شفاها الله يا أبا أسامة ! أنت طيب وعليكم تحمل الإساءة ليس لها إلا انتم وهنا توجد مراكز جيدة لمعالجة الإدمان .. تدخل عيادتنا النسائية حوامل يتعاطين المخدرات والكحول عدا التدخين

قالت سلمى متحمسة : أنت رائعة يا دكتورة ؟!

قالت : شكرا يا دكتورة لك أيضا .. الضعيف بحاجة لمساعدة ، ولو كان غير قريب فكيف بالأخ والابن والصديق؟

***

في مطلع أغسطس ٢٠٢٢ قوة إسرائيلية اقتحمت مخيم جنين بعد الساعة العاشرة بالتوقيت المحلي.. وأعلنت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين الاستنفار ورفع الجاهزية لدى وحداتها القتالية بعد اعتقال القيادي بسام السعدي في جنين.. وقالت سرايا القدس، الجناح العسكري للحركة، إن رفع الجاهزية جاء تلبية لنداء الواجب أمام العدوان الغادر الذي تعرض له القيادي

الشيخ بسام السعدي وعائلته في جنين.. وأكدت الحركة إصابة السعدي أثناء اعتقاله من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي مساء الاثنين.. والسعدي المعتقل ٦١ عاما الذي يعرّفه البعض بأنه زعيم "الجهاد الإسلامي" في منطقة شمال الضفة الغربية ، اعتقل وأفرج عنه مرات عديدة في السابق، بدأت التوترات عقبَ اعتقال الاحتلال لأحد قادة حركة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية وهو بسام السعدي ؛ حيثُ أرسلت تل أبيب تعزيزات جنوبًا وذلك بعد تهديداتٍ بشنّ هجومٍ من غزة جديرٌ بالذكرِ هنا أنَّ مسؤول مكتب الإعلام للجهاد الإسلامي ذكر أنّه كانت هناك اتصالات حتى قبل ساعة من القصف وكانت ردود الحركة إيجابيّة حول هذه الاتصالات .

ظهرَ وزير الدفاع الإسرائيلي وهو يُؤكّد: «أقول لأعدائنا ولقادة حماس والجهاد إن وقتكم محدود وسنتخلص من التهديد بشكلٍ أو بآخر "

أكَّد مراسل هيئة البث الإسرائيلية الخبرَ هو الآخر حيثُ أعلنَ أنَّ الجيش الإسرائيلي قصفَ فعلًا أهدافًا داخل قطاع غزة ، وأكَّد لاحقًا أنّه استهدفَ مواقع لحركة الجهاد الإسلامي نقلت وسائل إعلام فلسطينيّة محلية أنَّ الهجوم الإسرائيلي استهدفَ تحديدًا شقة في مبنى برج فلسطين في وسط القطاع .

الحرب الظالمة لم تتوقف عن غزة من عام الاحتلال الصهيوني للقطاع ١٩٦٧ ، فهي تصغر وتكبر قبل حماس وبعد حماس ، الحرب على غزة ٢٠٢٢ وتُعرف في بعض المصادر باسمِ الاشتباكات بين إسرائيل وغزة أغسطس ٢٠٢٢ أو عمليّة الفجر الصادق كما سمَّتها إسرائيل أو عمليّة وحدة الساحات كما أطلقت عليها سرايا القدس ، هي حربٌ شنّها الجيش الإسرائيلي عشيّة ٥ أغسطس ٢٠٢٢ حينما استهدفَ -بحسبِ بيانات قادته - مواقع لحركة الجهاد الإسلامي في قطاع غزة ، ولا سيما ذراعها العسكري سرايا القدس تسبَّبَ الهجوم في مقتل القياديينِ في سرايا القدس تيسير الجعبري قائد المنطقة الشماليّة ، وخالد منصور قائد المنطقة الجنوبيّة.. اطلق الجيش الإسرائيلي على العمليّة التي بدأها في قطاع غزّة باسمِ »عمليّة الفجر

الصادق «وذكرَ في بيانٍ له أنّ الاسم كان لتأكيد التركيز على حركة الجهاد التي تتخذ اللون الأسود شعارًا أعلنت سرايا القدس في المُقابل إطلاقها »عمليّة وحدة الساحات ، وقد جاء البيان المقتضب في اليوم الثاني لبدء الهجوم الإسرائيلي وفيهِ ذكرت أنَّ عمليّة وحدة الساحات قد بدأت فعليًا مساء أمس مؤكّدةً من جهتها على استمرار القتال ردًا على العدوان الصهيوني كما وصفته .. نشرت غرفة العمليات المشتركة لفصائل المقاومة بيانًا أكَّدت فيهِ أنَّ الغرفة في حالة انعقاد وتُقدّر الموقف بالاشتراك مع الأجنحة العسكرية كافة كما أن ردَّ المقاومة قادم وبالطريقة التي تحددها قيادة المقاومة ،وحمَّلت العدو المسؤولية كاملة عن هذا العدوان مؤكّدةً مجددًا أنها لن تمرَّ مرور الكرام كما وردَ في بيانها

شُوهدَ بحلول التاسعة مساءً صواريخٌ وهي تُطلق من قطاع غزة باتجاه إسرائيل ، كما شُوهدت القبة الحديدية وهي تعترضُ عددًا منها دوت صافرات الإنذار في مستوطنات غلاف غزة كما دوت في تل أبيب وعدد من البلدات المحيطة بها، أكّدت فيهِ سرايا القدس أنها أطلقت أكثر من ١٠٠ صاروخ باتجاه تل أبيب ومدن وسط إسرائيل في إطار ردها الأولي على اغتيال الجعبري كما وردَ في بيانها.

٧ أغسطس أعلنت سرايا القدس في بيانٍ رسميّ لها في نحوِ السابعة صباحًا «استشهاد القائد خالد منصور عضو المجلس العسكري وقائد المنطقة الجنوبية في غارة إسرائيلية برفح القيادي في السرايا ولد خالد سعيد شحادة منصور في مدينة رفح بتاريخ ١٩٧٥ لأسرة من اللاجئين الفلسطينيين ، انضم إلى حركة الجهاد الإسلامي بالتزامن مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ١٩٨٧ وتدرج على مدار السنوات في مناصبها العسكرية، كما نجا من عدة محاولات إسرائيلية لاغتياله كان من أبرزها خلال الحرب الإسرائيلية على غزة عام ٢٠١٤.

اغتالته القوات الإسرائيلية في مدينة رفح مساء يوم ٦ أغسطس ٢٠٢٢ خلال الحرب الإسرائيلية على غزة ٢٠٢٢ في غارة إسرائيلية على حي سكني قُتل خلالها سبعة آخرين وأصيب العشرات ، وفي فجر يوم ٧ أغسطس ٢٠٢٢ وصلت فرق الإنقاذ لجثته تحت الركام

بعد ساعات من عملية البحث.. جاءت عملية اغتياله بعد ساعات فقط من اغتيال القيادي تيسير الجعبري قائد المنطقة الشمالية في سرايا القدس.

وُلد تيسير محمود محمد الجعبري عام ١٩٧٢ م ، وهو من سكان حي الشجاعية في مدينة غزة ، كان رئيسًا لفرع عمليات سرايا القدس قبل أن يصبح قائدًا لغزة والشمال في نوفمبر ٢٠١٩ حاولت إسرائيل اغتياله عدة مرات ، وذلك في حرب غزة عامي ٢٠١٢ و٢٠١٤، حيث أعلن الجيش الإسرائيلي في بيانٍ له بتاريخ ٢٠ نوفمبر ٢٠١٢ أثناء الحرب على غزة عام ٢٠١٢ بأنَّ المستهدف الثاني هو تيسير محمود محمد الجعبري ، وهو عضوٌ في المجلس العسكري الأعلى في الجهاد الإسلامي ورئيس فرع العمليات فيه ، وشارك في عمليات إطلاق صواريخ وهجمات ضد الجيش الإسرائيلي وهو مسؤول تدريب ويلقى على مسؤوليته توزيع مهام لتنفيذ هجمات عسكرية .

في عصر يوم الجمعة ٥أغسطس٢٠٢٢ ، اغتالت إسرائيل الجعبري في عملية عسكرية مُفاجِئة وواسعة لها على مدينة غزة ، وهو ما أكده الناطق الرسمي باسم حركة الجهاد الإسلامي.

يُعرف بأنه القيادي العسكري الثاني في سرايا القدس، إذ تولى منصب قائد منطقة غزة وشمال قطاع غزة في سرايا القدس وذلك خلفًا لبهاء أبو العطا الذي اغتالته إسرائيل في ١٢نوفمبر.٢٠١٩

***

أجرى بحسبِ وسائل إعلام إسرائيلية مسؤولون إسرائيليون كبار في الجيش والحكومة محادثاتٍ للتوصّل إلى اتفاق وقفٍ لإطلاق النار في غزة ؛ لكنّ إذاعة الجيش الإسرائيلي نقلت عن مسؤولٍ مشاركٍ في المفاوضات قوله إنّ اغتيال القيادي خالد منصور جعل الاتصالات أكثر صعوبة، وأكّد مصدرٌ فلسطيني أنّ اتصالات الوسطاء بشأن هدنة إنسانية في غزة لم تُسفر عن نتائج فعلًا وانتهى الحديث عنها مبكرًا

مع تواصلِ تبادل القصف تزايدَ الحديث عن هدنة متوقّعة بين الطرفينِ ووردَ أنّ التفاهمات

تتضمّن مبدئيًا تخفيف إسرائيل الحصار وسماحها بإدخال شاحنات وقود، فضلًا عن التزامِ الوسيط المصري بمتابعة ملف الأسرى وخاصة الأسيرين السعدي وعواودة نقل عن رئيس الوزراء يائير لابيد قوله إنّ «الأهداف تحقَّقت ولا فائدة من استمرار العملية

نشرت حركة الجهاد الإسلامي لاحقًا بيانًا صحفيًا قالت فيه «نُعلن بدء وقف إطلاق النار اعتبارًا من الساعة ١١:٣٠ مساء اليوم، ونرحب بالجهود المصرية، ونؤكد حقنا في الرد على أي عدوان إسرائيلي»، وأكّدت مصادرُ في الجيش الإسرائيلي صحّة الهدنة التي توصَّل لها الطرفانِ بوساطة مصريّة .

أعلنت هيئة البث لإسرائيلية عن تدهور حالة المعتقل الإداري خليل العواودة وهو المعتقل الذي طالبت حركة الجهاد حين توقيعِ الهدنة بالإفراج عنه ذكرت مصادر أخرى أنّ العواودة معرض لخطر الإصابة بتلفٍ في المخ والأعصاب، نُقلَ خليل من سجن الرملة إلى مستشفى قريب وذلك إثر تدهور حالته الصحيّة على الجانب المُقابل فقد عقدت محكمة عوفر جلستها يوم الحادي عشر من أغسطس لمحاكمة القيادي بسام السعدي الذي طالبت حركة الجهاد بالإفراج عنه ضمنَ شروط الهدنة، وأعلنت في نهايةِ الجلسة تمديد اعتقاله ٦ أيام إضافيّة .

مدَّدت المحكمة العسكرية الإسرائيلية في عوفر في أواخر أغسطس اعتقالَ السعدي حتى نهاية ما وصفتهُ بـ «الإجراءات القانونية بحقّه ،أمّا الأسير الآخر خليل عواودة فقد علَّق إضرابه عن الطعام بعد ١٧٢ يومًا وذلكَ بعدما قرَّرت تل أبيب الإفراج عنه «نظرًا لوضعه الصحّي وهو الأمر الذي أكّده المتحدث باسم رئيس الوزراء الإسرائيلي والذي أعلنَ قُربَ «الإفراج عن خليل العواودة نظرًا لوضعه الصحي»، كما أكّد أنَّ الأسير وقَّعَ تعهدًا خطيًا بعدمِ العودة إلى ما سمَّاها «الأنشطة الإرهابيّة ضد إسرائيل .

***

آب الساخن

لقد كان شهر أب صيف ٢٢ ساخنا ؛ ولكنه بالمجمل استمرار للحرب الدائرة بين القوى الفلسطينية والدولة الغاصبة التي منذ أوجدتها الصهيونية العالمية والاستعمار الغربي وهي في حالة حرب بين مد وجزر ، كانت سياستهم في الخمسينات والستينات حتى الثمانينات نقل ساحة الميدان خارج فلسطين التاريخية ؛ لكن بعد الانتفاضة وأوسلو أصبحت فلسطين الميدان الرئيسي للصراع التاريخي والنصر بيد الله تعالى .. هذا ما كان يجري به النقاش والحوار بين حمدي أبو سلمى وضيفيه غريب وثابت

فقال أبو سلمى وهو يحد النظر في عمق البحر ـ بحر هود ـ حيث نشأ وترعرع : كم بلع هذا البحر من الجثث البشرية والأسلحة والطائرات والسفن ؟!

وضع غريب كوب الشاي وقال : كان مسرحا للعمليات منذ ظهرت الإمبراطوريات في التاريخ وملايين الناس ابتلعهم المتوسط وغيره من البحار والمحيطات لقد خاض الرومان على أرضه مئات المعارك

فقال الشاب ثابت الذي يستعد للسفر لغزة لقضاء إجازة الصيف لولا حرب السرايا وإسرائيل الأخيرة : لقد كان هذا البحر العجيب مسرحا للحرب الكبرى الأولى وكان ممر الهجرة اليهودية لفلسطين وأرضنا .. وكم ابتلع من أرواح الهاربين العرب أثناء الهروب من يافا وحيفا وعكا جهة مصر ولبنان وسوريا ؟!

قال غريب : نعم ، والحرب الثانية كان له نصيب قبل نكبة شعبنا يا أبا سلمى ملايين الناس هلكوا بين أمواجه وتياراته .. كانت حروب على سواحل ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وحروب اليونان .. البحر أسطورة .. يقال اكثر من ثلاثة ملايين سفينة غرقت في مياه البحار بين عسكرية وتجارية كان البحر ميدان للقراصنة في غزو أمريكا اللاتينية وبين سواحا آسيا والصين

قال حمدي متنهدا : متى ستنطلق يا ثابت ؟

قال : لما يستقر وقف اطلاق النار وتسمح لنا مصر بالعبور .. كما نسمع لم تشترك حماس في هذه المعركة يا دكتور ؟

ـ لا ادري بالضبط ؛ ولكن القسام تلمح لمعركة كبيرة ضد إسرائيل لا ترغب بكشف أوراقها

قال حمدي : معركة كبيرة وهل تستطيع ؟

قال غريب : سيف القدس اثبت إنها تسطيع أن تبدأ الهجوم

قال ثابت : هل أخبرك ناصر بشيء ؟

ضحك غريب : وهل احد يتكلم يا ثابت ؟ إنما تنشر رسائل يعدها اليهود ترهيب وتخويف وحرب نفسية لا اتصال بيني وبين ناصر الشقيق الأكبر

قال حمدي : سنتناول العشاء في منزل ابني جمال لقد كلفته بذلك

قال غريب : هل حدث شيء جديد في المطعم الأوروبي أو الفرنسي كما يسميه بعض الخلق ؟

ـ منذ حادث الانفجار حيث قتل المحاسب والمطعم يتعرض لصراع بين المهربين الأجانب .. فهو معروف بوكر الجواسيس والمهربين مثل مدينة بيروت قديما أيام المنظمات الفلسطينية موقع لتصفية الحسابات

قال ثابت : لقد نشر موقع فلسطين اون لاين قبل أيام مقالا لطيفا على فشل سياسة الاغتيال للكاتب الغزاوي أبو عامر فكتب : لم يعد سرّا أن أحد أهداف العدوان على غزة تمثل باغتيال عدد من القادة العسكريين للجهاد الإسلامي ، ممن شكلوا على مر السنين هدفا ثمينا للاحتلال بسبب سجلهم القتالي والمقاوم الذي استغرق عقودا طويلة ، واستطاعوا الإفلات في عديد المرات من عمليات اغتيال محكمة.. تحمل سياسة الاحتلال في اغتيالها للمقاومين مضامين كثيرة أهمها الحد من تطور ظاهرة انتشار الخلايا المسلحة التي تمارس العمل العسكري ، أو تقوم بعملية الإعداد والتجهيز للعمليات العسكرية ، والحد من نشاطاتهم بتقليل تحركاتهم ، أو بقصد تراجعهم خوفا من انكشافهم ، وتعرضهم لاغتيال.

ويهدف الاحتلال من الاغتيالات إلى تأكيد امتلاكه ذراعا عسكرية قوية قادرة على الوصول إلى

الهدف المقصود ، واستمرار رصده للمجتمع الفلسطيني ، واختراق ه، بجمع المعلومات اللوجستية ، الركيزة الأولى في نجاح اغتيالاته الدامية.

فضلا عما تقدم ، فإن الاحتلال لا يخفي أنه يسعى من الاغتيالات لضرب الروح المعنوية للشعب الفلسطيني ، وهي القوة الحقيقية التي يستند إليها في الصراع الدائر في ظل غياب المعادل الموضوعي أو القوة العسكرية المتكافئة ، خاصة إن كان المستهدفون بالاغتيال قادة كبارا ومؤثرين مثل الجعبري ومنصور.

إضافة لذلك، يبدي الاحتلال رغبته من تكثيف اغتيالاته ، بإبقاء المقاومين في حالة التفكير بأنفسهم ، وعدم التوقف عن البحث عن أماكن يتخفون فيها ، ما سيشغلهم عن التخطيط لتنفيذ عمليات ضده ، كما يظن، لكن سرعان ما خاب أمل جنرالاته ، الذين اعتقدوا أن عمليات الاغتيال التي تعرض لها قادة المقاومة ستدفعهم ؛ لأن يهتموا بأنفسهم، ويسعوا للحفاظ على حياتهم ، ويتركوا التخطيط للعمليات ، وتنفيذها، وثبت في النهاية أن قادة الاحتلال كانوا حالمين ، لأن الاغتيالات لم تؤدِّ إلا لتعاظم هجمات المقاومة ضده.

في المقابل، فإن سياسة الاغتيالات التي انتهجها الاحتلال منذ سبعينيات القرن الماضي وحتى كتابة هذه السطور ، أثبتت فشلها في وقف مسيرة المقاومة ، رغم ما تتركه من ألم وحزن كبيرين على فقدان أعمدة رئيسة في هذه المسيرة ، لأن النتيجة العملية لهذه السياسة من النواحي الميدانية القتالية تكشف أن الاغتيالات ، على ما تسفره من مشاعر الخسارة وغياب البديل المناسب، توفر المسوغات لحركات المقاومة لمضاعفة عملياتها ، وجعلها أكثر ضراوة ، ولذلك يعترف الإسرائيليون أن الاغتيالات لا توفر دماءهم ، بل تزيد من سفكها.

أكثر من ذلك، فإن الاغتيالات الإسرائيلية شكلت الوقود الذي يؤجج نار المقاومة، وجعل عملياتها أكر خطورة ، وأشد تصميما ، ورغم أن قادة الجيش يعلنون أنهم حققوا انتصارا على المقاومين بهذه الاغتيالات ، فإن الأوساط الصحفية والبحثية الإسرائيلية لم تُخفِ تخوفها عقب كل اغتيال بأن الثأر سيأتي مجددا ، وبالتالي فإن هؤلاء الجنرالات يتسببون بموت عدد كبير من

الجنود والمستوطنين ، فقط لأنهم يريدون تحقيق إنجاز أمني وعسكري ، ولو على حساب دماء الإسرائيليين أنفسهم!

قال غريب : أحسنت يا ثابت ! أنت من قراءة هذا الموقع باستمرار

قال مجيبا : موقع جميل ومناضل بالإعلام .

قال حمدي : منذ وعينا ونحن نقرأ أو نسمع عن الاغتيالات لقادة الثورة الفلسطينية ، ولم تضعف الثورة بالاغتيال ، ولم تضعف ردة الفعل .. هيا إلى الطعام قل ملّ من إرسال المسجات

قال غريب : شكرا لك يبدو أننا جوعناهم بجلوسنا هذا أمام البحر العظيم انه يمتد لبلدنا غزة

قال حمدي : عشرات المدن على سواحله ربما مئات

***

تحدثت وسائلُ إعلام عبريّة في وقتٍ مبكّر من يوم الرابع عشر من أغسطس عن ٧ إصابات ٣ منها خطيرة في إحصائيّة أوليّة إثر إطلاق نار على حافلة تقلُّ مستوطنين بالقدس ، فيما تحدثت مصادرُ عبريّة أخرى عن هروب المنفذ ، وأكّدت الشرطة الإسرائيليّة الخبر حينما أصدرت بيانًا تُؤكّد فيه حصول عمليّة إطلاق نار استهدفت حافلة إسرائيلية في القدس ، معَ انتشار واسع لقوات الأمن بحثًا عن منفذ الهجوم ، حيثُ حصلت عمليات تمشيط واسعة خصَّت حي سلوان وأحياء وشوارع أخرى قريبة بمشاركة قوات النخبة اليمام ، بدأت قواتُ الاحتلال في نصبِ حواجز في مناطق مختلفة بالقدس كما أقدمت على إيقاف المركبات وتفتيشها بحثًا عن المشتبه فيه، سلَّم أحدهم نفسه للشرطة الإسرائيليّة على أنّه منفذ الهجوم ، لكنّ إذاعة الجيش الإسرائيلي شكَّكت فيه ، وقالت أنه ليس من المؤكّد أن الشخص الذي سلَّم نفسه لقوات الأمن هو منفذ الهجوم ، قبل أن تُعلنَ الشرطة الإسرائيلية القبض على المنفذ فعليًا بعد أن سلَّم نفسه كما أُشيع من قبل .

باركت عددٌ من الفصائل والحركات الفلسطينيّة العمليّة وعلى رأسها حركة الجهاد الإسلامي التي خاضت المعركة الأخيرة مع إسرائيل حيثُ باركَ المتحدث باسم الحركة ما سمَّاها «عمليّة

القدس البطولية» مُضيفًا أنها «تأتي في سياق استمرار مقاومة الاحتلال، كما باركَ المتحدث باسم حركة حماس هو الآخر العمليّة بقوله إنّ «عملية القدس البطولية تأكيدٌ على استمرار وتصاعد الفعل المقاوِم بالقدس المحتلة.

***

كانت صديقة ثابت تجلس معه تحت شجرة في باحة من باحات الجامعة : الحال مؤلم للغاية يا صديقي كيف ستعود لغزة ؟!

ـ لا مجال للعودة هذا الصيف رغم توقف المعركة وظهور هدنة جديدة ، سأستقر هنا كما أخبرتك قبل هذه الغزوة ؛ ولعل المكث هنا افضل اليوم من الزيارة لنستطيع تقديم المساعدات والدعم للأبطال

ـ هل سنتزوج ؟

ـ سنحسم الأمر قريبا .. سأتحدث مع خالي الغالي مرة أخرى .. هو طلب مني مشاورة والديّ في هذا الموضوع الكبير .. وانا متردد في السفر

ـ هل عليه اعتراض علي ؟!

ـ أنا الذي سأتزوج يا عزة .. الاحترام مطلوب بين الأقارب على الخصوص

ـ وأهلك !

ـ أهلي لا يرفضون .. المهم اهلك أنت !

ـ هم في حيرة .

ـ لأنني من غزة .

ـ صحيح

قال ثابت طالب الهندسة : نحن نحب الزواج من بنات غزة لمعرفتهن بصعوبة أوضاعنا في البلاد ، قد تترمل الفتاة بضع مرات ، وتتحمل تربية أطفال من عدة آباء .. اعتادت نساءنا على ذلك ؛ ولكننا نحب الحياة ، ولا حياة طيبة وحية إلا بطرد الغزاة والصهاينة كما فعلت كل

الدول التي تعرضت للاحتلال .. فنحن بجهد لا يقاس بما عندهم من عدة وعتاد ودعم .. ومع ذلك ما زلنا نقاوم ونجاهد فعلى اهلك حسم أمرهم حتى استطيع أن اقنع قومي هناك .. فلست الوحيد من يتزوج من خارج غزة .. كثير من شبابنا قبل ٦٧ أو بعدها يتزوجون من مصريات سواء من بنات التجار أو طالبات الجامعات أثناء الدراسة .. فالشعب الفلسطيني تزوج السوريات الأردنيات العراقيات اللبنانيات .. منذ عرفنا التشتت ونحن نقبل الأمر وحتى بناتنا وأخواتنا يتزوجن ممن ذكرت حتى صرنا نتزوج من الأمريكيات والأوروبيات والآسيويات .. شعبنا شعب عجيب ؛ لكن الأفضل والأولى أن يأخذ الشخص من بنات بلده وعربه

***

اتصل الدكتور غريب بالمهندس المنصور ذات ليلة فقال بعد التحية : لقد سمعت خبرا

قال المنصور : صحيح ! رحم الله أخي الكبير يا دكتور ! قبل قليل اعلن خبر الوفاة من قلب المستشفى ، لم تكن غيبوبته طويلة بضعة أيام والحمد لله على كل حال

ـ حسنا ! سأكون في فيلاته بعد قليل

ـ نحن في المستشفى

ـ سأكون بينكم ..عظم الله أجركم

وضع السماعة فرن الهاتف فقال : نعم

قال حمدي كأنه باكيا : سمعت منذ قليل أن السيد الجواد رحل صحيح يا دكتور

ـ نعم ، نشر على صفحات الأبناء والبنات والأخوة .. وهو امر متوقع منذ دخل في غيبوبة

ـ رحمه الله رحمه الله الجنازة غدا

ـ على الأغلب

ـ سأكون بينكم

ـ أهلا وسهلا أيها الصديق الغالي والأب الكبير

ـ أرجو أن يستمر أخوته وذريته بدعم المجاهدين والمقاومين

ـ اعتقد أن الرجل رتب ذلك

ـ أرجو ذلك !

تمت بفضل الله تعالى

هيثم لطفي روح الفضل



المحتويات

قريتنا ..

هو أنت لاجئ

وهج الحرب

موقعة الثلاثة والعشرين

اختفاء البدن

وقعت القومية

قلبي ١٤٠٤

وهج القتل غرةٌ



الاغتيالات مظهر من مظاهر الإرهاب الصهيوني ، وقد يكون الاغتيال حقدا على الأمة الفلسطينية لذلك يغص تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي بعمليات اغتيال نفذتها إسرائيل ضد خصومها قامت إسرائيل بالعديد من عمليات الاغتيال بحق قيادات فلسطينية في لبنان أثناء الحرب الأهلية اللبنانية وفي تونس والعديد من الدول الأوروبية.

وخلال الانتفاضة الفلسطينية الثانية قامت إسرائيل باستخدام العديد من الوسائل القتالية وعلى رأسها القصف الجوي والمدفعي لتصفية العديد من السياسيين والنشطاء والمقاومين الفلسطينيين في قطاع غزة والضفة الغربية ، وكان من أبرز ضحايا تلك الاغتيالات قادة الجبهة الشعبية أبو علي مصطفى (وحركة حماس) أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي وصلاح شحادة وإبراهيم المقادمة ومحمود المبحوح وغيرهم كما ستقرأ في صفحات وهج القتل على حين غرة .

الاغتيال مصطلح يستعمل لوصف عملية قتل منظمة ومتعمدة تستهدف شخصية مهمة ذات تأثير فكري أو سياسي أو عسكري أو قيادي أو ديني ويكون مرتكز عملية الاغتيال عادة أسباب عقائدية أو سياسية أو اقتصادية أو انتقامية تستهدف شخصاً معيناً

يعتبره منظمو عملية الاغتيال عائقاً لهم في طريق انتشار أوسع لأفكارهم أو أهدافهم.